

UNIVERSAL
LIBRARY

OU-234693

UNIVERSAL
LIBRARY

تاريخ دولة الإسلام

تأليف

ربيع الدين بن كثير بن عبد الله بن أبي شامة

بالتبليغ

الجزء الثالث

« لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثاً
يفتروى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى
ورحمة لقوم يؤمنون » (قرآن شريف)

جميع الحقوق محفوظة للسوء الف

كل نسخة لا يوجد عليها فتم المؤلف تعتبر مسروقة
وبماكم ما سارها فانونا

طبع بمطبعة الهلال بالبحر سنة ١٣٢٦ هـ - ١٩٠٨ م

﴿ علم قرآن ﴾ أريد أن هذا الكتاب مترجم عن اللغات الأجنبية - من أوثق المصادر - د
صفحاته ٢٠٠ ورسومه ٢٩ مطبوعاً في ورق جيد وثمنه ١٠ غروش صاغ مجلداً وفرنكان
معلقاً والبريد نصف فرنك ويطاب من مكتبة الهلال بالعجالة بمصر

﴿ مرشد التاجر والدليل في مسك الدفاتر ﴾ تأليف يوسف كمال وهو أوفى كتاب في هذا
الموضوع لا يستغني عنه التاجر في تجارته ولا المحاسب في حساباته ولا العامل في تدبير أعماله لأنه يشتمل
على تعريف التجارة والعمود التجارية والكمبيالات والشيكات ومسك الدفاتر وتأليف الدكرات إلى
غير ذلك مما يحتاجه كل فرد من الأفراد سواء كان لتدبير أعماله أو منزله أو زراعته أو صناعته وهو
مزين بالرسوم التي تقرب الفائة المتصورة وعدد صفحاته ٤٨٠ صفحة تقريباً وعدد الرسوم تزيد عن
العشرين وهي متقنة الصنع تمثل صورة كل كسبالة أو تحويل أو جدول أو غيرها من الميزانيات على
الطريقة ٢٥ غرشاً صاغاً واجرة البريد ثلاثة غروش صاغ

﴿ المبادئ الفرنسية ﴾ لامين الخوري يشتمل على مبادئ اللغة الفرنسية بأسلوب تدريجي
أسهل المتال ينفع به الطالب من الحروف الأبجدية إلى المقاطع فالجمل فالحكايات المصورة وقد
طبع طبعاً متقناً في بيروت ٠ ثمة مجلداً غرشان ونصف صاغ واجرة البريد عشرون بارة

﴿ نواذر الادباء ﴾ لجامعو ابراهيم زيدان يشتمل على ما راق ذكره من نواذر الملوك والملوك والخلفاء
والنلاسة والعطاء والزوار والخطباء والزاهدين والاذكياء وغيرهم ٠ ثمن النسخة مجلدة ٥ غروش صاغ
او فرنك ٣٠ سنباً واجرة البريد غرش واحد او ٣٠ سنباً

﴿ المستظرفات ﴾ لجامعو ابراهيم زيدان : وفيه ما حلا ذكره من اللطائف الظرفية والظرائف
الرائقة اللطيفة التي تفتي بها الاشجان وتشرح لها الصدور لذة طرياحاً - يشتمل على ارق النواذر
من اديبة وغزلية وغيرها ٠ وهو مذهب بجملة المقالات المدججة ببراع فقه النثر والنظم المرحوم الشيخ نجيب
الحمداد ٠ ثمن النسخة مجلدة ٥ غروش صاغ او فرنك ٣٠ سنباً واجرة البريد غرش واحد

﴿ النواذر المطربة ﴾ يشتمل على أشهر النواذر من اديبة وغرامية وفكاهية وغير ذلك من وصف
محاسن المحبوب التي يرتاح المطالع الى معانيها ٠ وهو يشتمل على بعض منظومات لجامع الكتاب ثمة مجلداً ٥
غروش صاغ واجرة البريد غرش واحد

﴿ ديوان ابن النارض ﴾ وهو ارق ديوان لاشهر شاعر عرف بركة المعاني وسلاسة الاناظ ٠ ثمة
مكلاً ومجلداً اربعة غروش صاغ واجرة البريد نصف غرش

﴿ النخبة الازهرية في الجغرافة العسومية ﴾ لاسماعيل علي وفي جغرافية مطولة تقع في نحو ٧٠٠
صفحة كبيرة مزدانة بالاشكال والخرائط المدرسية وفيه تحتوي على جغرافية سائر الملاد على اختلافها منصلة
تفصيلاً واضحاً مطولاً ٠ ثمنها ٤٠ غرشاً صاغاً واجرة البريد ٤ غروش صاغ القطر المصري ٨ غروش للخارج

﴿ شفاه الغام ﴾ تعريب طائوس عبد تنضين ما يعاينه الحب من العناء وما يصادفه في
سبيل الغرام من العثرات فتذكر الشاب بما يصادفه في شبابه والشيخ بما صادفه في عهد الصبا ٠ ثمنها
انبة غروش صاغ واجرة البريد غرش واحد

تأليف

تأليف

ربوفه منبريوسن لقصدي

بالنبا

الجزء الثالث

« لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ »
(قرآن شريف)

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

كل نسخة لا يوجد عليها فتم المؤلف تعبر مسروقة
وبماكم ماملها قانوناً

طبع بمطبعة الهلال بالفجالة بمصر سنة ١٣٢٦هـ - ١٩٠٨م

(٣٢٧) فهرس الجزء الثالث



صفحة	فصل	Checked 1955
١	٥٥١	(الدولة النصرية الاحمرية بالاندلس)
٢	٥٥٢	الشيخ محمد بن يوسف
٣	٥٥٣	محمد الفقيه ابن محمد الشيخ
٦	٥٥٤	محمد المخولع ابن محمد الفقيه
٧	٥٥٥	ابو الجيوش نصر بن محمد الفقيه
٨	٥٥٦	ابو الوليد اسماعيل ابن ابي سعيد
٩	٥٥٧	محمد بن ابي الوليد
١٠	٥٥٨	ابو الحجاج يوسف بن ابي الوليد
١١	٥٥٩	الغني بالله محمد بن ابي الحجاج
١٢	٥٦٠	اسماعيل بن ابي الحجاج
١٢	٥٦١	الرئيس محمد بن عبد الله
١٣	٥٦٢	الغني بالله بن ابي الحجاج ثنية
١٦	٥٦٣	ابو الحجاج يوسف بن محمد الغني بالله
١٦	٥٦٤	بقية اخبار الدولة الاحمرية
١٩	٥٦٥	(الدولة الزيرية بتلمسان)
٢١	٥٦٦	يفمراسن بن زيان
٢٤	٥٦٧	عثمان بن يفمراسن
٢٦	٥٦٨	ابو زيان محمد بن عثمان
٢٧	٥٦٩	ابو حمو بن عثمان
٢٩	٥٧٠	ابو تاشفين ابن ابي حمو
٣٢	٥٧١	ابو سعيد وابو ثابت ابنا عبد الرحمن
٣٤	٥٧٢	ابو حمو موسى بن يوسف
٣٨	٥٧٣	ابو تاشفين بن ابي حمو

صفحة	فصل	
٣٩	٥٧٤	بتية اخبار الدلة الزبانية
٤٠	٥٧٥	(دولة المماليك بمصر والشام)
٤١	٥٧٦	المعز ابيك الجشنيك
٤٣	٥٧٧	نور الدين علي بن ابيك
٤٣	٥٧٨	الماظفر سيف الدين قطز
٤٤	٥٧٩	الظاهر بيبرس البندقداري
٤٦	٥٨٠	السعيد بركة خان بن بيبرس
٤٧	٥٨١	سلامش بن بيبرس
٤٨	٥٨٢	المنصور سيف الدين قلاون
٥٠	٥٨٣	الاشرف صلاح الدين خليل بن قلاون
٥١	٥٨٤	الملك القاهر بيدرا
٥١	٥٨٥	الناصر محمد بن قلاون اولاً
٥٢	٥٨٦	الملك العادل كتيبا
٥٣	٥٨٧	المنصور لاجين
٥٤	٥٨٨	الناصر محمد بن قلاون ثانياً
٥٥	٥٨٩	بيبرس الجاشنيك
٥٦	٥٩٠	الناصر محمد بن قلاون ثالثة
٥٦	٥٩١	المنصور ابو بكر بن محمد
٥٧	٥٩٢	الاشرف علاء الدين كجك بن محمد
٥٨	٥٩٣	الناصر شهاب الدين احمد بن محمد
٥٨	٥٩٤	الملك الصالح اسمعيل بن محمد
٥٩	٥٩٥	الكامل زين الدين شهبان بن محمد
٥٩	٥٩٦	الماظفر زين الدين حاجي بن محمد
٦٠	٥٩٧	الناصر حسن بن محمد

صفحة	فصل	
٦١	٥٩٨	الصالح صلاح الدين بن محمد
٦١	٥٩٩	الناصر حسن بن محمد ثانية
٦٢	٦٠٠	المنصور محمد بن حاجي
٦٣	٦٠١	الاشرف شعبان بن حسن
٦٦	٦٠٢	المنصور علي بن شعبان
٦٧	٦٠٣	الصالح حاجي بن شعبان
٦٧	٦٠٤	الملك الظاهر برقوق
٧٣	٦٠٥	الناصر فرج بن برقوق
٧٤	٦٠٦	المنصور عبد العزيز بن برقوق
٧٤	٦٠٧	الناصر فرج بن برقوق ثانية
٧٥	٦٠٨	الملك المؤيد شيخ
٧٦	٦٠٩	المنظر احمد بن شيخ
٧٧	٦١٠	الملك الظاهر ططر
٧٧	٦١١	الصالح محمد بن ططر
٧٨	٦١٢	الملك الاشرف برس باي
٧٩	٦١٣	العزيز يوسف بن برس باي
٨٠	٦١٤	الملك الظاهر جقمق
٨٠	٦١٥	المنصور عثمان بن جقمق
٨١	٦١٦	الملك الاشرف اينال الملائي
٨١	٦١٧	المؤيد احمد بن اينال
٨٢	٦١٨	الظاهر خشمقدم
٨٢	٦١٩	الظاهر بلباي المؤيدي
٨٣	٦٢٠	الظاهر تمر بغا
٨٤	٦٢١	الملك الاشرف قايت باي

فهرس الجزء الثالث

صفحة	فصل	
٨٦	٦٢٢	الناصر محمد بن قايت باى
٨٦	٦٢٣	الاشرف قانصوه خسماية
٨٧	٦٢٤	الناصر محمد بن قايت باى
٨٨	٦٢٥	الظاهر قانصوه الاشرفى
٨٩	٦٢٦	الملاك الاشرف جان بلاط
٨٩	٦٢٧	الملاك العادل طومان باى
٩٠	٦٢٨	الملاك قانصوه الغوزى
٩١	٦٢٩	طومان باي
٩٣	٦٣٠	بقية اخبار الصليبيين
٩٦	٦٣١	(الدولة العلية العثمانية)
٩٧	٦٣٢	السلطان عثمان خان بن ارطغرل
٩٨	٦٣٣	» اورخان بن عثمان
٩٩	٦٣٤	» مراد خان الاول ابن اورخان
١٠٠	٦٣٥	» بايزيد الاول ابن مراد خان
١٠٢	٦٣٦	» محمد جلبي بن بايزيد
١٠٢	٦٣٧	» مراد خان الثانى ابن محمد
١٠٥	٦٣٨	» محمد اثنائى الفاتح ابن مراد خان
١٠٩	٦٣٩	» بايزيد خان اثنائى ابن محمد
١١٢	٦٤٠	» سليم الاول ابن بايزيد
١١٤	٦٤١	» سليمان خان الاول القانوى ابن سليم
١٢١	٦٤٢	» سليم الثانى ابن سليمان
١٢٣	٦٤٣	» مراد اثنائى ابن سليم
١٢٥	٦٤٤	» محمد اثنائى ابن مراد
١٢٧	٦٤٥	» احمد الاول ابن محمد

صفحة	فصل	
١٢٩	٦٤٦	السلطان مصطفى الاول ابن محمد
١٢٩	٦٤٧	» عثمان الثاني ابن احمد
١٣٠	٦٤٨	» مصطفى الاول ابن محمد (ثانية)
١٣١	٦٤٩	» مراد الرابع ابن احمد
١٣٣	٦٥٠	» ابراهيم الاول ابن احمد
١٣٤	٦٥١	» محمد الرابع ابن ابراهيم
١٣٨	٦٥٢	» سليمان الثاني ابن ابراهيم
١٣٨	٦٥٣	» احمد الثاني ابن ابراهيم
١٣٩	٦٥٤	» مصطفى الثاني ابن محمد الرابع
١٤٠	٦٥٥	» احمد الثالث ابن محمد
١٤٣	٦٥٦	» محمود الاول ابن مصطفى
١٤٥	٦٥٧	» عثمان الثالث ابن مصطفى
١٤٥	٦٥٨	» مصطفى الثالث ابن احمد
١٤٨	٦٥٩	» عبد الحميد الاول ابن احمد
١٤٩	٦٦٠	» سليم الثالث ابن مصطفى
١٥٣	٦٦١	» مصطفى الرابع ابن عبد الحميد
١٥٤	٦٦٢	» محمود الثاني ابن عبد الحميد
١٥٨	٦٦٣	» عبد المجيد ابن محمود
١٦٣	٦٦٤	» عبد العزيز بن محمود
١٦٦	٦٦٥	» مراد بن عبد المجيد
١٦٧	٦٦٦	» الغازي عبد الحميد خان الثاني
١٧٥	٦٦٧	(الدولة الوطاسية بمراكش)
١٧٦	٦٦٨	ابو عبد الله محمد بن ابي زكريا
١٧٧	٦٦٩	محمد بن محمد الشيخ

صفحة	فصل	
١٧٨	٦٧٠	ابو حسون بن محمد الشيخ
١٧٨	٦٧١	ابو العباس احمد بن محمد
١٨٠	٦٧٢	ابو حسون بن محمد الشيخ (ثانية)
١٨١	٦٧٣	(الدولة الصفوية بايران)
١٨١	٦٧٤	شاه اسماعيل بن حيدر
١٨٣	٦٧٥	» طهماسب بن اسماعيل
١٨٤	٦٧٦	» حيدر بن طهماسب
١٨٥	٦٧٧	» اسماعيل بن طهماسب
١٨٥	٦٧٨	» محمد خدا بندا بن طهماسب
١٨٦	٦٧٩	» عباس الكبير ابن محمد خدا بندا
١٩٠	٦٨٠	» صفي الثاني
١٩١	٦٨١	» عباس الثاني ابن صفي
١٩١	٦٨٢	» سليمان بن عباس
١٩٢	٦٨٣	» حسين بن سليمان
١٩٢	٦٨٤	(الدولة السعدية بمراكش)
١٩٣	٦٨٥	ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن
١٩٤	٦٨٦	ابو العباس بن ابي عبد الله
١٩٥	٦٨٧	محمد المهدي بن ابي عبد الله
١٩٦	٦٨٨	ابو محمد عبد الله بن محمد
١٩٧	٦٨٩	محمد بن عبد الله
١٩٨	٦٩٠	عبد الملك بن محمد
٢٠٠	٦٩١	ابو العباس احمد بن محمد
٢٠٤	٦٩٢	ابو المعالي زيدان بن احمد
٢٠٤	٦٩٣	ابو فارس بن احمد

فصل	صفحة	
٦٩٤	٢٠٥	محمد الشيخ المأمون بن احمد
٦٩٥	٢٠٦	ابو المعالي زيدان بن احمد (ثانية)
٦٩٦	٢٠٨	عبد الملك بن زيدان
٦٩٧	٢٠٩	ابو يزيد الوليد بن زيدان
٦٩٨	٢٠٩	ابو عبد الله محمد بن زيدان
٦٩٩	٢١٠	ابو العباس احمد بن محمد
٧٠٠	٢١١	(الدولة الفيلالية بمراكش)
٧٠١	٢١٢	المولى محمد الشريف
٧٠٢	٢١٤	» الرشيد بن الشريف
٧٠٣	٢١٥	» اسمعيل بن الشريف
٧٠٤	٢١٧	» ابو العباس احمد بن اسمعيل
٧٠٥	٢١٨	» عبد الملك بن اسمعيل
٧٠٦	٢١٨	» ابو العباس احمد بن اسمعيل (ثانية)
٧٠٧	٢١٩	» عبد الله بن اسمعيل (اولا)
٧٠٨	٢٢٠	» علي بن اسمعيل
٧٠٩	٢٢١	» عبد الله بن اسمعيل (ثانية)
٧١٠	٢٢١	» محمد بن اسمعيل
٧١١	٢٢٢	» المستضيء بن اسمعيل
٧١٢	٢٢٣	» عبد الله بن اسمعيل (ثالثة)
٧١٣	٢٢٣	» زين العابدين بن اسماعيل
٧١٤	٢٢٤	» عبد الله بن اسمعيل (رابعة)
٧١٥	٢٢٤	» محمد بن عبد الله
٧١٦	٢٢٦	» يزيد بن محمد
٧١٧	٢٢٧	» سليمان بن محمد

فهرس الجزء الثالث

٩

صفحة	فصل	
٢٢٩	٧١٨	المولى عبد الرحمن بن هشام
٢٣٠	٧١٩	» محمد بن عبد الرحمن
٢٣١	٧٢٠	» الحسن بن محمد
٢٣١	٧٢١	» عبد العزيز بن الحسن
٢٣٢	٧٢٢	(الدولة الغلجائية بافغانستان)
٢٣٦	٧٢٣	الإمير ويس الغلجائي
٢٣٧	٧٢٤	» عبد الله
٢٣٨	٧٢٥	شاه محمود بن ويس
٢٤٤	٧٢٦	» اشرف بن عبد الله
٢٤٦	٧٢٧	(الدولة الحسينية بتونس)
٢٤٩	٧٢٨	حسين باي بن علي تركي
٢٥٠	٧٢٩	علي باشا باي بن محمد بن علي تركي
٢٥١	٧٣٠	محمد باي بن حسين
٢٥١	٧٣١	علي باي بن حسين
٢٥٢	٧٣٢	حموده باي بن علي
٢٥٣	٧٣٣	عثمان باشا باي بن علي
٢٥٣	٧٣٤	محمود باشا باي بن محمد الرشيد بن حسين
٢٥٤	٧٣٥	حسين باي بن محمود
٢٥٤	٧٣٦	مصطفى باي بن محمود
٢٥٥	٧٣٧	احمد باي بن مصطفى
٢٥٥	٧٣٨	محمد باي بن حسين
٢٥٦	٧٣٩	محمد الصادق باي بن حسين
٢٥٦	٧٤٠	علي الصادق باي بن حسين
٢٥٧	٧٤١	محمد الهادي باشا باي

فصل	صفحة	
٢٥٨	٧٤٢	دولة نادر شاه بايران
٢٦٦	٧٤٣	الدولة العبدالية بافغانستان
٢٦٧	٧٤٤	احمد شاه بابا
٢٦٨	٧٤٥	سايان بن احمد
٢٦٩	٧٤٦	شاه تيمور بن احمد
٢٦٩	٧٤٧	» زمان بن تيمور
٢٧	٧٤٨	» محمود بن تيمور
٢٧١	٧٤٩	» شجاع بن تيمور
٢٧١	٧٥٠	» محمود بن تيمور (ثنية)
٢٧٤	٧٥١	» كامران بن محمود
٢٧٦	٧٥٢	(الدولة الزندية بايران)
٢٧٨	٧٥٣	كريم خان زند
٢٨٠	٧٥٤	زكي خان
٢٨	٧٥٥	صادق خان
٢٨١	٧٥٦	علي مراد خان
٢٨٢	٧٥٧	جعفر خان بن صادق خان
٢٨٢	٧٥٨	اطف علي خان بن جعفر خان
٢٨٣	٧٥٩	الدولة القاجارية بايران
٢٨٤	٧٦٠	آقا محمد خان
٢٨٦	٧٦١	فتح علي شاه
٢٨٨	٧٦٢	محمد شاه بن عباس
٢٨٩	٧٦٣	ناصر الدين شاه بن محمد
٢٩٣	٧٦٤	جلالة مظفر الدين شاه
٢٩٦	٧٦٥	(الدولة المحمدية العلوية بمصر)

فصل صحيفه

٣٠٥ ٧٦٦

محمد علي باشا

٣٢٥ ٧٦٧

ابراهيم باشا بن محمد علي

٣٢٦ ٧٦٨

عباس باشا الاول ابن طوسون

٣٢٩ ٧٦٩

سميد باشا بن محمد علي باشا

٣٣٣ ٧٧

اسماعيل باشا بن ابراهيم باشا

٣٣٩ ٧٧١

توفيق باشا بن اسماعيل والحوادث العرايية

٣٥٦ ٧٧٢

سمو الخديو المظم عباس باشا حلمي الثاني

٣٥٩ ٧٧٣

(الدولة الباركرائية بافغانستان)

٣٦ ٧٧٤

دوست محمد خان

٣٦٢ ٧٧٥

شير علي خان بن محمد دوست خان

٣٦٣ ٧٧٦

محمد اعظم خان بن دوست محمد خان

٣٦٤ ٧٧٧

شير علي خان (ثانية) وابنه يعقوب خان

٣٦٥ ٧٧٨

عبد الرحمن خان بن محمد افضل خان

٣٦٧ ٧٧٩

حبيب الله خان بن عبد الرحمن خان

٣٦٨ ٧٨٠

دولة الدراويش بالسودان

٣٧ ٧٨١

محمد احمد المهدي

٣٧٩ ٧٨٢

عبد الله التماشي

٣٨٥

جدول مهم

١٢ ارجو حضرات القراء، تصحيح لاغلاط الآتية في موقمها قبل مطالعة الكتاب

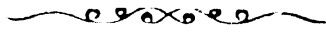
صواب	خطأ	صواب	خطأ
وضربت	۰۹ ۱۹ ۲۴۰	امرہ	۰۶ ۱۷ ۱۵
اصفهانك	۰۴ ۲۱ ۲۴۰	ضواحيہم	۰۲ ۰۳ ۲۴
دلس	۰۶ ۱۹ ۲۴۲	على	۰۵ ۲۰ ۲۴
اسرى العثمانيين	۰۴ ۲۰ ۲۴۵	وشانہم	۰۹ ۰۶ ۴۱
تقرأ باخر السطرين	۰۱ ۰۴ ۲۴۷	ساروا الى	۰۱ ۱۵ ۵۵
احس ومن)		عساكرہ	۰۹ ۲۲ ۶۸
رئيس الجمهورية	۱۲ ۰۶ ۲۵۷	ذكرہ	۰۸ ۰۳ ۸۶
شہ محمود	۰۸ ۲۵ ۲۷۰	العثمانيون	۰۷ ۱۷ ۱۰۱
اللك	۰۵ ۰۳ ۲۷۲	بمقد	۱۰ ۰۵ ۱۱۱
شاه	۱۰ ۰۹ ۲۷۳	يستكملون	۰۸ ۲۱ ۱۱۲
عليہ	۰۵ ۲۰ ۲۸۵	۱۷	۷۱ ۰۵ ۱۱ ۱۱۴
عثمان	۰۲ ۱۱ ۳۱۱	۱۱۷۱	۱۰۷۱ ۰۴ ۰۷ ۱۴۵
فبرع	۰۴ ۰۵ ۳۲۹	تتمعة	۰۳ ۰۷ ۱۹۲
في ابريل	۰۱ ۰۱ ۳۳۷	۱۵۳۹	۵۳۹ ۱۰ ۱۱ ۱۴۵
الا	۰۸ ۲۲ ۳۴۹	۶۹۰	۹۶۰ ۰۱ ۰۴ ۱۹۸
۱۸۸۰ م	۱۰ ۰۳ ۳۶۴	لجہاد	۱۰ ۱۴ ۱۹۹
نار	۰۲ ۰۱ ۳۶۷	شاهدہ	۰۶ ۲۳ ۲۰۸
۷۸۲	۸۷۲ ۰۱ ۱۷ ۳۷۹	الفيلالية	۰۳ ۰۱ ۲۱۲
عبد الله	۳ ۱۹ ۳۷۹	(وحيماوردت)	

ويوجد بمض اغلاط اخرى لا تخفى على اليب

٥٥١ - الدولة النصرية الاحمريّة بالاندلس

(تمهيد) لما فشلت ريج الموحدين وضعف امرهم بالمغرب استبد محمد بن هود اثنائر بالاندلس بها واخرج منها الموحدين ولم تطل مدته فيها لان محمد بن يوسف بن نصر المعروف بابن الاحمر ثار عليه ونازعه السلطنة واستمد الافرنج عليه . فانتهز الاسبانيون هذه الفرصة المناسبة وامتدوا محمد بن يوسف المذكور بجيوشهم الجرارة بعد ان اشترطوا عليه ان ينزل لهم عن جميع بسائط الاندلس وعلى هذا حاربوا معه ابن هود الى ان انقرض امره واستتب الامر لابن الاحمر وانحصرت مملكته في مقاطعة غرناطة ونزل عن جميع مدن الاندلس للاسبانيين كما نفاقه معهم كما ستراه ان شاء الله تعالى

واصل بني الاحمر من ارجونة من حصون قرطبة وكان لهم فيها سلف في
ابناء الجند يعرفون ببني نصر . وكان ابتداء امر محمد بن يوسف بن نصر رأس
دولتهم المعروف بالشيخ سنة ٦٢٩ هـ



٥٥٢ - الشيخ محمد بن يوسف بن نصر

من سنة ٦٢٩ - ٦٧١ هـ او من سنة ١٢٣١ - ١٢٧٢ م

هو محمد بن يوسف بن نصر المعروف بابن الاحمر ويعرف بالشيخ بويع له
سنة ٦٢٩ هـ وكان يدعو اولاً لابي زكريا الحفصي صاحب تونس واستظهر على
امره اولاً بقرايته من بني نصر واصهاره بني اشبيلية . ولما رأى استفحال امر
ابن هود بايع له سنة ٦٣١ هـ ثم ثار باشبيلية ابو مروان الباجي فالتحق معه ابن
الاحمر وقطع خطبة ابن هود واستولى على اشبيلية سنة ٦٣٢ هـ ثم فك باين باجي
وقتل . وبعد شهر راجع اهل اشبيلية دعوة ابن هود وثاروا بابن الاحمر واخرجوه
من مدينتهم

ورأى ابن الاحمر ان امره لا يتم الا بملاشاة ابن هود واذا لم يكن في
ذلك الوقت قادراً على ذلك اتفق مع الاسبانيين ان يمدوه بجيش لقتال ابن هود
على ان ينزل لهم عن بسائط الاندلس اذا استتب امره . ورأى الاسبانيون
هذه الفرصة مناسبة فامدوه بما اراد وبمساعدهم استولى على غرناطة سنة ٦٣٥ هـ
ونزلها وابتنى بها حصن الحمراء ثم تغلب على مالقة والمرية وغيرها . ولما رسخت
قدمه بمقاطعة غرناطة اتحد مع الاسبانيين على حصار ابن هود باشبيلية سنة ٦٤٣ هـ
حتى استولوا عليها ولم يزل يساعدهم على فتح المدائن التي بيد ابن هود حتى انهم
الاسبانيون في هذه المدة الاندلس كورة وكورة وثغراً ثغراً وانحصر المسلمون في
مقاطعة غرناطة التي تمتد ما بين رندة في المغرب الى البيرة في شرق الاندلس
ثم شمر ابن الاحمر بغلطة وعلم ان الاسبانيين لم يساعده الا لغائدتهم الشخصية

وانهم اتخذوه آلة في ايديهم لانعام مقاصدهم فنقض العهد الذي كان قد عقده معهم وعزم على حربهم واستخلاص الجزيرة منهم وبعد ان حاربهم مراراً لم يظفر بشيء . وتلاحق بالاندلس الغزاة من بني مرين وغيرهم وعقد ملك المغرب يعقوب بن عبد الحق لنحو الثلاثة الاف منهم فاجازوا في حدود الستين وستمائة وتقبل ابن الاحمر اجازتهم ودفع بهم في نحر عدوهم ورجعوا . ثم تهابلوا اليه من بعد ذلك من كل بيت من بيوت بني مرين ومعظمهم الاعيان من بني عبد الحق لما تزاحمهم مناكب السلطان في قومهم وتعض بهم الدولة فينزعون الى الاندلس مغنيين بها من بأسهم وشوكتهم في المدافعة عن المسلمين ويخلصون من ذلك على حظ من الدولة بمكان ولم يزل الشأن هذا الى ان توفي محمد بن يوسف ابن نصر الشيخ سنة ٦٧١ هـ

٥٥٣ - محمد الفقيه بن محمد السمين

من سنة ٦٧١ - ٧٠١ هـ او من سنة ١٢٧٢ - ١٣٠١ م

ولما توفي محمد الشيخ بن يوسف بن نصر قام بالامر بعده ابنه محمد المعروف بالفقيه (لقب بالفقيه لانتحاله طالب العلم في صغره) . وكان ابوه قد اوصاه قبل موته اذا اتاه امر من العدو او وصل اليه مكروه ان يستنصر عليه بني مرين سلاطين المغرب ويجعلهم وقاية بين العدو وبين المسلمين فلما تكالب الاسبانيون على الاندلس بادر محمد الفقيه الى العمل باشارة والده واوفد مشيخة الاندلس كافة على السلطان يعقوب بن عبد الحق المريني صاحب مراکش سنة ٦٧٢ هـ وكان قد تم استيلاؤه على بلاد المغرب وتغلبه على مراکش فأجاب صريحه واجاز عساكر المسلمين من بني مرين وغيرهم الى الجهاد مع ابنه منديل ثم جاء هو على أثرهم وامكنه ابن هشام من الجزيرة الخضراء كان ثائراً بها فسلمها منه ونزل بها وجعلها ركاباً لجهاده وينزل بها جيش الغزو . ولما اجاز سنة ٦٧٢ هـ حارب الاسبانيون وهزمهم

ثم حذره ابن الاحمر على ملكه فدخل الاسبانيين في الاتحاد معهم ثم حذر
الاسبانيين فراجعوه وهو مع ذلك يده في نحره بشوكة الاعياص الذين نزعوا اليه
من بني مرين ومرض في طاعة قرابته من بني اشقيلولة كان عبد الله منهم بالقة
وعلي بوادي آش وابراهيم بمحصن قماش فثاروا عليه وداخلوا يعقوب بن عبد الحق
في المظاهرة عليه فكان لهم معه فتنة وامكنوا يعقوب المذكور من النغور التي بايديهم
مالقة ووادي آش ثم استخلصه محمد الفقيه هذا بعد ذلك وسار بنو اشقيلولة الى المغرب
ونزلوا على يعقوب بن عبد الحق فاكرم مشواهم . واستبد الفقيه ابن الاحمر بملك
ما بقي من الاندلس . وكانت اجازة السلطان يعقوب بن عبد الحق اليه اربع
مرات هزم فيها الاسبانيين مراراً حتى الزمهم بمقدونة مع المسلمين سكان الاندلس
الى اجل مسمى ثم توفي السلطان يعقوب المذكور سنة ٦٨٥ هـ وتولى بعده ابنه
يوسف فنقض الاسبانيون عقد الهدنة واغاروا على بلاد المسلمين واذاقوهم الامر
فارسل الفقيه الى السلطان يوسف بن يعقوب يستنجده وكان مشغولاً بفتنة آل
زيان اصحاب تلمسان فاعزز السلطان الى قائد المسالحي بالاندلس علي بن يوسف بن
يزكانن بالدخول الى دار الحرب ومنازلة شريش وشن الغارات على بلاد الاسبانيين
فنهض لذلك في ربيع الآخر سنة ٦٩٠ هـ وجاس خلالها وتوغل في اقطارها وابلغ
في النكاية . ثم سار السلطان يوسف في اثره في جمادى الاولى من السنة المذكورة
واحتل قصر مصمودة وهو قصر الحجاز واستنفر اهل المغرب وقبائله فنفروا وشرع
في اجازتهم البحر . فبعث الاسبانيون اساطيلهم الى الزقاق (البوغاز) حجزاً لهم
دون الاجازة فاعزز السلطان يوسف الى قواد اساطيله بالسواحل بمقابلة العدو
ففعلوا وقدمت والتقت مع اساطيل العدو ببحر الزقاق في شعبان من السنة فاقتتلوا
وانكشف المسلمون وقتل قواد الاساطيل فامر السلطان يوسف باستئناف العمارة
ثم اغزاهم ثانية فحامت اساطيل الاسبانيين عن اللقاء وصاعدوا عن الزقاق فلما ملكته
اساطيل السلطان فاجاز اخريات رمضان من السنة واحتل بطريف ثم دخل دار
الحرب غازيا وبث السرايا في ارض العدو وردد الغارات حتى قضى وطره ثم هجم

فصل الشتاء وانقطعت الميرة عن العسكر فرجع الى الجزيرة الخضراء ثم عبر الى المغرب فاتح سنة ٥٦٩١ هـ . ولما قفل السلطان يوسف من الاندلس وقد ابغى في النكابة عظم على الاسبانيين امره وثقلت عليهم وطأته فشرعوا في اعمال الحيلة بينه وبين ابن الاحمر . وكان السلطان محمد الفقيه ابن الاحمر يتخوف من السلطان يوسف ان يغلبه على بلاده فاتحد مع الاسبانيين على منازلة طريف واستخلاصها من يد اعمال السلطان يوسف المريني ليمتدح علي السلطان يوسف الجواز الى الاندلس اذ لا يجد مرفأ ترسو به اساطيله فنازلوا طريفاً والحوا عليها القتال وحاصروها براً وبحراً حتى انقطع المدد والميرة عن اهلها ودام الحصار اربعة اشهر حتى اصاب اهل طريف الجهد فراسلوا الاسبانيين في الصالح والنزول عن البلد فصالحوهم وملكوها اخر يوم من شوال سنة ٥٦٩١ هـ . وكان ابن الاحمر قد اشترط على الاسبانيين ان تكون طريف له فلما استولوا عليها لم ينزلوا له عنها كاتفاقهم فبذل لهم ستة حصون عوضاً عنها فخرج من يده الجميع ولم يحصل على طائل فكان حاله في ذلك كحال صاحب النعامه المضروب بها المثل عند العرب

ولم رأى محمد الفقيه ابن الاحمر تلاعب الاسبانيين به ندم على فعله ورجع الى التمسك بالسلطان يوسف بن يعقوب المريني فاوفد عليه ابن عمه الرئيس ابا سعيد فرج بن اسماعيل بن يوسف بن نصر في وفد من اهل حاضرتة لتجديد العهد وتأكيد المودة وتقرير المعذرة عن شأن طريف فوافوه بمكانه من حصار تازوطا كما قدمنا فأبرموا العقد واحكموا الصلح وانصرفوا الى ابن الاحمر سنة ٥٦٩٢ هـ فوقع ذلك منه اجمل موقع واجمع الرحلة الى السلطان يوسف لاحكام العقد ففتحاً لذلك وعبر البحر في ذي القعدة سنة ٥٦٩٢ هـ . ولما علم السلطان يوسف بقدمه خرج من فاس للاقائه فوافاه بطنجة فقدم ابن الاحمر بين يديه هدية ثمينة كان من احسنها موقعاً لديه المصحف الكبير الذي يقال انه مصحف امير المؤمنين عثمان بن عفان (رضه) كان بنو امية يتوارثونه بقرطبة ثم خاص الى ابن الاحمر فاتخف به السلطان يوسف في هذه المرة . فقبل السلطان يوسف ذلك وكافاه باضماافه وبالغ

في تكريمه واسمعه بجميع مطالبه . واراد ابن الاحمر ان يبسط العذر عن شأن
 طريف فتج في السلطان يوسف عن سماع ذلك واضرب عن ذكره صفحاً ونزل
 لابن الاحمر عن الجزيرة ورندة والغربية وعشرين حصناً من ثغور الاندلس
 كانت قبل في ملكه وملكه ابيه وعاد ابن الاحمر الى الاندلس اخر سنة ٦٩٢ هـ
 وعبرت معه عساكر السلطان يوسف لحصار طريف ومنازلته وعقد على حرمها
 لوزيره الشهير المذكور عمر بن السعود بن خرباش الحشمي فنازلها مدة فامتنعت عليه
 وافرغ عنها . وفي سنة ٧٠١ هـ توفي محمد الفقيه بن الشيخ محمد بن يوسف

٥٥٤ - محمد المخلوع بن محمد الفقيه

من سنة ٧٠١ - ٧٠٨ هـ او من سنة ١٣٠١ - ١٣٠٨ م

ولا توفي محمد الفقيه بن محمد الشيخ تولى بعده ابنه محمد المعروف بالمخلوع
 واستبد عليه كابيہ ابو عبد الله محمد بن الحكيم الرندي . واول ما فعله محمد المخلوع
 المبادرة الى احكام عقد المولاة بينه وبين السلطان يوسف بن يعقوب المريني
 فاوفد اليه من اقام مقامه في تادية هذا الواجب وقابل السلطان يوسف وفده بالاكرام
 وانقلبوا الى مرساهم خير منقلب وطلب السلطان منه ان يمد بالرجال من عسكر
 الاندلس فامده بما طاب . ثم فسد الحال بين السلطان محمد المخلوع والسلطان
 يوسف المريني واتقصر ابن الاحمر وعاد اسنة سلفه من مولاة الاسبانيين وممالاتهم
 على المسلمين اهل المغرب . ثم اوعز ابن الاحمر الى ابن عمه الرئيس ابي سعيد
 فرج بن اسماعيل صاحب مالقة في اعمال الحيلة في الغدر باهل سبتة ففعل وداخل
 في ذلك بعض عمال بني العزفي بها فامكنه من البلد فاقتحمها باساطيله وجنده على
 حين غفلة من اهلها وتقبض على بني العزفي وعلى حاشيتهم واركبهم الاسطول
 وبعث بهم الى مالقة ثم منها الى غرناطة . واستبد الرئيس ابو سعيد بامر سبتة وثقف
 اطرافها وسد ثغورها وحاول السلطان ارجاعها فردد اليها العساكر فلم يتمكن من ذلك

وكان بنو الاحمر قد ملوا استبداد ابي عبد الله بن الحكيم كاتب محمد المخلوع
فدخلوا اخاه ابا الجيوش نصرأ في العصيان على اخيه محمد والبيعة له فوافقهم وثاروا
سنة ٧٠٨ هـ وقبضوا على ابي عبد الله بن الحكيم وقتلوه واعتقلوا محمدأ المخلوع
وبايعوا لاختيه ابي الجيوش نصر

٥٥٥ ابو الجيوش نصر بن محمد الفقيه

من سنة ٧٠٨ - ٧١٧ هـ او من سنة ١٣٠٨ - ١٣١٧ م

وبعد ان خلع اهل غرناطة سلطانهم محمدأ المخلوع لاستبداد كاتبه عليه كما
ذكرنا ولوا بعده اخاه ابا الجيوش نصر بن محمد الفقيه . وفي سنة ٧٠٩ هـ خرجت
سبئة من يد بني الاحمر لان عمالم كانوا قد اساءوا السيرة في اهايا فثاروا عليهم
وكتبوا السلطان ابا الربيع سايان صاحب فاس في التقدم اليهم لتسليم المدينة فارسل
اليهم بعض ثقاته في عسكر وتسلم المدينة وعم الفرح اهل المغرب لرجوع سبئة
لدولتهم كما كانت . واتصل الخبر بابي الجيوش نصر بن الاحمر فضاق ذرعه
وخشي عادية بني مرين وحيوش المغرب حين انتهوا الى الغرضة وملكوها فيجئح
الى السلم واوفد رسله على السلطان ابي الربيع راغبين في السلم مخاطبين للولاية
وتبرع بالنزول عن الجزيرة ورددة وحصونها ترغيباً للسلطان ابي الربيع في الجهاد
فقبل منه ذلك وعقد له الصلح على ما اراد وخطب منه اخيه فانكحه ابن الاحمر
اياها . وكان ابو الجيوش نصر سيء السيرة قليل الدراية ليس اهلاً للملك
واستبدت عليه بطائنه لانشغاله عن امور المملكة بالهوى واللعب . وكان من ضمن
الذين اجازوا الى الاندلس من بني مرين عثمان بن ابي العلاء وكان بطلاً شجاعاً
وله في الاندلس مواقف مشهورة ومواقع كثيرة وكان شديد الغيرة على صالح
المسلمين بالاندلس فلما رأى ضعف السلطان ابي الجيوش وعدم مقدرته المدافعة
عن ملكه داخل ابن عمه ابا الوليد اسماعيل بن ابي سعيد الرئيس صاحب مالقة

في انتزاع الامر من ابي الجيوش والبيعة للاخير فقبل ابو الوليد ذلك وثار بمالقة سنة ٧١٧ هـ وزحف الى غرناطة فمزموا عساكر ابي الجيوش وثار به الدهماء من اهل المدينة واحيط به وصالحهم على الخروج الى وادي آش فلحق بها ملكاً الى ان توفي سنة ٧٢٢ هـ



٥٥٦ - ابو الوليد اسماعيل بن ابي سعيد الرئيس

من سنة ٧١٧ - ٥٧٢ هـ او من سنة ١٣١٧ - ١٣٢٧ م

هو ابو الوليد اسماعيل بن ابي سعيد الرئيس ابن اسماعيل بن يوسف بن نصر بن الاحمر قام بامر مالقة بعد وفاة ابيه ابي السعيد الرئيس ثم داخله عثمان بن ابي العلاء المريني في الثورة على ابي الجيوش نصر ابن عمه واستخلاص الامر منه لضعفه عن القيام به فكان ما قدمنا من انتصاره على عساكر ابي الجيوش بظاهر غرناطة وخروج ابي الجيوش عنها الى وادي آش فدخل ابو الوليد غرناطة واستبد بملكها واستتب امره فيها وكان ملك اسبانيا في ذلك الوقت بطرس الاول ابن الفونس الحادي عشر فلما رأى الفتنة قائمة بين مسلمي غرناطة طمع في الاستيلاء عليها واخراج المسلمين منها فجمع جيشاً جراراً وسار حتى اتاه بظاهر غرناطة وحاصرها حصاراً شديداً . ولما رأى اهل الاندرلس ذلك بعثوا صريخهم الى السلطان ابي سعيد عثمان المريني صاحب المغرب ليمدهم بجيوشه ويفرج كربتهم ولأن عثمان بن ابي العلاء المريني شيخ الغزاة بالاندرلس وبطل الاسلام فيها كان نزاعاً على ابي سعيد المذكور وثاراً عليه فشرط عليهم السلطان ابو سعيد ان يمكنوه منه ليتأق له العبور الى الاندرلس فاستصعب اهل الاندرلس هذا الشرط فاخفق سعيهم ورجعوا منكسرين . واطالت الفرنج المقام على غرناطة وطمعوا في التهامها . ولما رأى عثمان بن ابي العلاء شيخ الغزاة المذكور شدة ما هم فيه من الضيق انتخب بعض شجعانه وهجم على الفرنج على حين غفلة منهم فاخذل مصافهم وهربت شجعانهم واثخن المسلمون فيهم وكان نصراً مبيناً وعدت هذه الواقعة من اغرب الوقائع وغنم المسلمون منهم ما لا يقدر وذلك سنة ٧١٩ هـ . فلما تمت الهزيمة على الفرنج طلبوا عقد هدنة مع المسلمين فأجيبوا الى ذلك

وعظم امر ابي الوليد وبلغت دولته من العز والشوكة شأواً بعيداً الى ان غدر به بعض قوابته من بني نصر سنة ٧٢٧ هـ طعنه غدرًا فتوفي لوقته

٥٥٧ - محمد بن ابي الوليد

من سنة ٧٢٧ - ٧٣٣ هـ او من سنة ١٣٢٧ - ١٣٣٢ م

لما قتل ابو الوليد اسماعيل بن ابي سعيد الرئيس تولى بعده ابنه محمد وكان صغيراً فاستبد عليه وزيره ابن المحروق . ولما ادرك السلطان معنى الملك والاستبداد انف من استبداد وزيره عليه فقتله بداره غدرًا سنة ٧٢٩ هـ استدعاه للحديث على لسان عمته المتغلبة عليه مع ابن المحروق وتناوله مع مماليكه طعنًا بالخناجر الى ان مات وقام السلطان باعباء ملكه . اما عثمان بن ابي العلاء المريني شيخ الغزاة بالاندلس فرجع الى مكانه من يعسوية الغزاة وزناته حتى توفي سنة ٧٣٠ هـ فتولى مشيخة الغزاة بعده ابنه ابو ثابت وعظم امر بني ابي العلاء بالاندلس حتى خافهم السلطان محمد على نفسه . وكان الاسبانيون قد ضايقوه من جهة اخرى حتى ضاق به الامر فاجاز الى المغرب صريحًا للسلطان ابي الحسن علي المريني صاحب المغرب فقدم عليه بدار ملكه بفاس سنة ٧٣٢ هـ فاكبر السلطان ابو الحسن موصله واركب الناس للقائه وانزله بروض المصاراة لصق داره واستباج في اكرامه . وفاوضه ابن الاحمر في امر المسلمين بالاندلس وما اهمهم من عدوهم وشكى اليه امر بني عثمان بن ابي العلاء لاستطاعتهم عليه . وكان السلطان ابو الحسن في ذلك الوقت مشغولاً بفتنة اخيه ومع ذلك فقد امدّه بخمسة الاف من عساكر بني مرين بقيادة ابنه ابي مالك وانفذهم مع ابن الاحمر لمنازلة جبل الفتاح الذي كان الفرنج قد استولوا عليه سنة ٧٠٧ هـ فنزلوه واستولوا عليه واخرجوا الفرنج منه . ولم يحسن الاتفاق الذي عقد بين السلطان محمد بن الاحمر وبين السلطان ابي الحسن المريني في اعين بني عثمان بن ابي العلاء لانهم خافوا ان يعود هذا الاتفاق عليهم بالضرر فتشاوروا فيما بينهم وفتكوا بان الاحمر يوم رحيله عن الجبل الى غرناطة فتقاصفوه بالرماح وقدموا اخاه ابا الحجاج يوسف

٥٥٨ - ابو الحجاج يوسف بن ابي الوليد

من سنة ٧٣٣ - ٧٥٥ هـ او من سنة ١٣٣٢ - ١٣٥٤ م

ولما بويغ ابو الحجاج يوسف بن ابي الوليد شمر للاخذ بثار اخيه فاحتال على بني ابي العلاء حتى قبض عليهم واودعهم السجون ثم غريهم الى تونس وقدم على الغزاة مكان ابي ثابت بن عثمان بن ابي العلاء يحيى بن عمر بن رحو فقام بامرهم وطالت رئاسته . وعاد الاسبانيون الى مضايقة المسلمين في بلادهم بتريد السلب والنهب حتى بلغ خوف المسلمين منهم مبلغاً عظيماً ولم يقدر ابو الحجاج يوسف المذكور على منع الاسبانيين من مهاجمة بلاده فارسل الى السلطان ابي الحسن علي المريني يستنجد به . وكان ابو الحسن كلفاً بالجهاد الا انه كان مشغولاً بقتال بني زيان اصحاب تلمسان فلما انتصر عليهم واستولى على تلمسان عزم على الجواز الى الاندلس برسم الجهاد وقدم ابنه ابا مالك في عساكر بني مرين واجازهم سنة ٧٤٠ هـ فشنخص ابو مالك غزياً ونوغل في بلاد الفرنج واكتسحها وخرج منها بالسي والفنائم واهتم الاسبانيون لهذا الامر واتحدوا معاً بعد ان كانت الفتنة قد اشتغلت بينهم زمناً طويلاً وجمعوا عساكرهم وقاتلوا المسلمين وانتصروا عليهم وقتلوا ابا مالك بن السلطان ابي الحسن المريني . واتصل الخبر بالسلطان ابي الحسن فتفجع لقتل ابنه فجمع عساكره وعزم على الجواز بنفسه الى الاندلس لالاخذ ثار ابنه وكانت اساطيل الاسبانيين واقفة لعساكره بالمرصاد فاعاقت حركاتهم كثيراً فاوغر السلطان ابو الحسن لقواد اساطيله بمقاتلة اساطيل الاسبانيين فكانت بينهم موقعة بحرية هائلة انتصر فيها المسلمون انتصاراً ميبثاً فتمكن السلطان ابو الحسن من اجازة عساكره بلا معارضة وانكملت العساكر بالعبور وكانت نحو ٦٠ الفاً اجازوه في اسطوله مع خاصته وحشمه آخر سنة ٧٤٠ هـ . وكان الاسبانيون عقب انهزام اساطيلهم في المعركة البحرية التي تقدم ذكرها قد حصنوا ميناء طريف وشنخوه بالاقوات والسلاح واستعدوا للقاء المسلمين استعداداً كبيراً ولما اجاز السلطان ابو الحسن نزل بساحة طريف واناخ عليها وذلك في ٣ محرم سنة ٧٤١ هـ وشرع في منازلتها ووافاه السلطان ابو الحجاج يوسف صاحب الاندلس في عساكره واتحدوا معاً على حصار طريف وبعد اخذ ورد كثيرين هجم الاسبانيون على المسلمين على غرة منهم فاحتل مصافهم وانزموهم هزيمة مرة حتى وصل عسكر الفرنج الى خيمة السلطان ابي الحسن وسبوا حرمه وغنموا

امواله وعظم الخطب على المسلمين وذلك يوم الاثنين ٧ جمادى الآخرة سنة ٧٤١ هـ .
 فرجع السلطان ابو الحسن مع من سلم من عسكره الى المغرب وابن الاحمر الى غرناطة
 وقوي الاسبانيون على المسلمين بعد هذا الانتصار وطمعوا في الاستيلاء على ما بقي
 في يدهم فنازلوا الجزيرة الخضراء واستولوا عليها سنة ٧٤٣ هـ . ولم يزل ابو الحجاج في
 سلطانه الى ان توفي سنة ٧٥٥ هـ طعنه في سجوده في صلاة العيد وغد من صفاعة البلد
 كان مجتمعاً

٥٥٩ - الغني بالله محمد بن ابي الحجاج

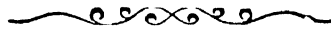
من سنة ٧٥٥ - ٧٦٠ هـ او من سنة ١٣٥٤ - ١٣٥٩ م

ولما توفي ابو الحجاج يوسف تولى بعده ابنه محمد وتلقب الغني بالله وقام بامردولته مولاه
 رضوان الراسخ القدم في قيادة عساكرهم وكفالة الاصاغر من ملوكهم . واستوزر لسان
 الدين بن الخطيب الشهير الذكرو جعله رديفاً لرضوان في امره وتشاركاً في الاستبداد معاً
 وكان للسلطان الغني بالله اخ اسمه اسمعيل فجعله الغني بالله في بعض القصور من حمراء
 غرناطة احتفاظاً به الى ان كان رمضان سنة ٧٦٠ هـ فخرج الغني بالله الى بعض منزلاته
 خارج القصة ولما كانت ليلة ٢٧ من رمضان المذكور تسوّر جماعة من شيعة اسمعيل
 المحبوس عليه القصة ليلاً واخرجوه من محبسه واعلنوا بدعوته ثم اقتحموا على حاجبه
 رضوان داره فقتلوه على فراشه وبين نساءه وضبطوا القصة واعلنوا بالدعوة . وسمع
 الغني بالله قرع الطبول بالقصة في جوف الليل فاستكشف الخبر وسمع فعلم بما تم عليه
 من خلعه وتولية اخيه فركب فرسه وخاض الليل الى وادي آش فاستولي عليها وضبطها
 وبابعه اهلها على الموت . ثم عمد شيعة اسمعيل الثائر الى الوزير ابن الخطيب فاودعوه
 السجن واكتسحوا داره واصطلحوا نعمته واتلفوا موجوده . واتصل الخبر بالسلطان ابي
 سالم المريني صاحب تونس وكانت له مصافاة مع الغني بالله فكتب الى اسمعيل الثائر
 وشيعته بامرهم بتخيلة طريق الغني بالله للقدوم عليه ويشفع في تسريح ابن الخطيب
 وتخليه سبيله فاجابوه الى ذلك فسار السلطان الغني بالله ووزيره ابن الخطيب الى السلطان
 ابي سالم في محرم سنة ٧٦١ هـ فاكرم السلطان ابو سالم قدومه وبقي عنده الى ان كان
 ما نذكره ان شاء الله تعالى

٥٦٠ - اسماعيل بن ابي الحجاج

من سنة ٧٦٠ - ٧٦١ هـ او من سنة ١٣٥٩ - ١٣٦٠ م

كان الغني بالله قد حبس اخاه هذا اسماعيل بن ابي الحجاج ببعض قصور قلعة الحمراء بغرناطة كما تقدم وكانت له ذمة وصهر من ابي يحيى محمد بن عبد الله ابن اسماعيل بن محمد بن الرئيس ابي سعيد بما كان ابوه انكحه شقيقة اسماعيل المذكور وكان ابو يحيى هذا يدعى بالرئيس . فدخل محمد الرئيس هذا بعض الزعاقمة من الفوغاء وبیت حصن الحمراء وتسوره وولج على الحاجب رضوان في داره فقتله كما تقدم ذكر ذلك واخرج صهره اسماعيل ونصبه للملك ليلة ٢٧ رمضان سنة ٧٦٠ هـ . وقام الرئيس بامر اسماعيل ودير ملكه ثم ترددت السعاليات ونذر الرئيس بالنكبة فقدر باسماعيل وقتله واخوته جميعاً سنة ٧٦١ هـ



٥٦١ - الرئيس محمد بن عبد الله

من سنة ٧٦١ - ٧٦٣ هـ او من سنة ١٣٦٠ - ١٣٦١ م

هو ابو يحيى محمد بن عبد الله بن اسماعيل بن محمد ابن الرئيس ابي سعيد فرج ابن اسماعيل بن يوسف بن نصر بن الاحمر فلما غدر بصهره اسماعيل بن ابي الحجاج كما تقدم استبد بملك الاندلس وبذل اليهود التي كان قد عقدها سلفه مع الاسبانيين ومنع ما كان سلفه يعطونه من الجزية على بلاد المسلمين . فجهز الاسبانيون اليه المساكر فواقع بهم بوادي آس واشحن فيهم . وفي هذه الاثناء ارسل ملك المغرب الى الاسبانيين في شأن السلطان محمد الغني بالله المخلوع وردة الى ملكه فاجابوه الى مساعدته فاركبه الاساطيل واجازته الى الاندلس فالتقاه الاسبانيون ووعدوه المظاهرة على امره فخارب محمداً الرئيس هذا واقحم عليه غرناطة وقتل حاجبه وهرب

الرئيس محمد الى بلاد الفرنج ودخل الغني بالله غرناطة واستولى عليها وذلك
سنة ٧٦٣ هـ

٥٦٢ - الغني بالله محمد بن أبي الحجاج ثمانية

من سنة ٧٦٣ - ٧٩٣ هـ او من سنة ١٣٦١ - ١٣٩١ م

ولما دخل الغني بالله غرناطة وثبت قدمه بها بعث عن مخلصه بفاس من الاهل
والولد وكان القائم بالدولة يومئذ عمر بن عبد الله فاستقدم ابن الخطيب وكان
مقيماً بسلا وبعثهم الى نظره فسر السلطان ابن الاحمر بمقدمه وردّه الى منزلته
ودفع اليه تدبير المملكة . وتولّى هذا السلطان الغني بالله المخلوع اريكة ملكه بالحرّاء
ممتنعاً بالظور والترف والعزة على لاسبانيين وملوك المغرب بالعدرة . اما على
الاسبانيين فان الملك بطرس الاول الذي تولى بعد ابيه الفونس الحادي عشر
فكان ملكاً غشوماً ظالماً بهذا المقدار حتى انه قام على امرأته الملكة بلانش
البربونيه وقتلها ثم جار على اخيه هنري بالظلم والعدوان حتى الزمه ان يعاديه ويقصد
ضرره . فذهب هنري الى كارلوس الخامس ملك فرنسا واستجار به فاجاره لانه
كان يريد ان ينتقم من بطرس المذكور لقتله بلانش وانجده بجيش من العساكر
الفرنساوية فخاربوا بطرس وخاعوه عن سرير ملكه . ففر هارباً واستجار بادوارد
الملقب بالامير الاسود وكان يومئذ متولياً امارّة الانكليز في اكيّتين من اعمال
فرنسا فاجاره مراعاة لقوانين الشرف واراد ان يختصم له من اعدائه فخرج في قوم
من جنده الى اسبانيا وبطش بالفرنساويين والكاستيليين وكسّرهم كسرة هائلة
واخذ قائدهم اسيراً وارحم بطرس الاول الى سرير ملكه . ولكنه بحال رجوعه
رجع بطرس الى ما كان عليه من السيئات والمظالم فاهمله الامير الاسود ولم يشأ
ان يساعده بعد . وكان شارل الخامس قد اقتدى قائد جيشه الذي اسره الامير
الاسود فارجمه اذ ذاك لتجدة هنري فخارب كلاهما بطرس الاول واستظفرا عليه

في وقعة عظيمة وبعد ان قبضا عليه وقتلوه صعد هنري على تخت المملكة تحت اسم هنري الثاني سنة ١٣٦٩ م . فاغتنم السلطان محمد الغني بالله صاحب غرناطة شغلهم بهذه الفتنة فاعتز عليهم ومنع الجزية التي كانوا يأخذونها من المسلمين من عهد سلفه . اما على ملوك المغرب المرينيين فكان قد نالهم الهرم الذي ينال الدول وضعف امرهم واستبد الوزراء والحجاب على الملوك منهم ولما توفي السلطان ابو الحسن اخر العظماء من ملوكهم تولى بعده ابنه عبد العزيز بن ابي الحسن ثم توفي سنة ٧٧٤ هـ فتولى بعده ابنه السلطان السعيد بالله ابو زيان محمد بن عبد العزيز وكان صغيراً لم يناهز الحلم فطمع السلطان محمد الغني بالله في وضع يده على المغرب وكان عنده من بني مرين عبد الرحمن بن يفلوسن فسرحه من الاندلس للاتحاد مع ابي العباس احمد بن ابي سالم اطلب ملك المغرب . واستولى ابو العباس احمد بظاهرة عبد الرحمن بن يفلوسن على فاس وخلع السعيد بالله سنة ٧٧٦ هـ واستقل بملك المغرب واستحكمت المودة بينه وبين ابن الاحمر وجعل اليه المرجع في نقضهم وابرامهم فصار له بذلك تحكم في الدولة المرينية واصبح المغرب كانه من بعض اعمال الاندلس وذلك بما كان لابن الاحمر من اعانة السلطان ابي العباس على ملك المغرب حتي تم له وبما كان تحت يده من ابناء الملوك المرشعين للامر فكان ابو العباس وحاشيته يصانعون له لاجل ذلك

ولم يزل الحال على ذلك حتي سعى بعض سمامرة الفساد ما بين السلطان الغني بالله والسلطان ابي العباس حتي حملوا الغني بالله على نقض دولة السلطان ابي العباس ببعض الاعيان الذين عنده فاختر من اولئك الفتية موسى بن ابي عنان واستوزر له مسعود بن ماسي فلما كانت سنة ٧٨٥ هـ خرج ابو العباس من فاس قاصداً تلمسان للاستيلاء عليها فانتهز ابن الاحمر فرصة غيابه وجاز موسى ابن ابي عنان ووزيره وامدهم بالمساكر . فنزل موسى بن ابي عنان سبعة فاستولى عليها وسلمها لابن الاحمر فرحات في طاعته ثم تقدم الى فاس فدخلها من يومه واستقر قدمه بها . واتصل الخبير بالسلطان ابي العباس وهو بتلمسان فجاء مبادراً

ونزل بتازا فاقام بها اربما ثم تقدم الى الموضع المعروف بالركن فانتفض عليه رؤساء جيشه وتسللوا عنه الى موسى طوائف وافرادا ولما رأى ما نزل به رجع الى تازا بعد ان انتهب معسكره واضرمت النار في خيامه وذلك يوم الاحد ٣٠ ربيع الاول سنة ٧٨٦ هـ ثم بث موسى بن ابي عنان من اتاه بالسلطان ابي العباس في الامان فقدم عليه وقيده وبعث الى ابن الاحمر فبقى عنده محتاطا عليه . واستولى السلطان موسى على المغرب واستبد عليه وزيره مسعود بن ماسي وطاب ابن الاحمر بالنزول عن سبته فانتنع ونشأت بينهما فتنة . ودس ابن ماسي لاهل بيته بالثورة على حامية السلطان ابن الاحمر عندهم فثاروا عليهم وامتنعوا بالقبضة حتى جاءهم المدد في اساطيل ابن الاحمر فسكر اهل بيته واظهات الحال . ونزع الى السلطان الغني بالله ابن الاحمر جماعة من اهل الدولة وسألوه ان يبعث لهم مائكة من الاعيان الذين عنده فبعث اليهم الواثق محمد بن الامير ابي الفضل ابن السلطان ابي الحسن وشيعة في الاسطول الى سبته وخرج الى غمارة فبلغ الخبر الى مسعود ابن ماسي فخرج اليه في المسكر وحاصره بذلك الجبال ثم جاءه الخبر بموت سلطانه موسى بن ابي عنان بفاس فارتحل راجعا ولما وصل الى دار الملك نصب على الكرسي صبيّا من ولد السلطان ابي العباس كان تركه بفاس . وجاء السلطان ابو عنان ابن الامير ابي الفضل ونزل بجبل زرهون قبالة فاس وخرج ابن ماسي في العساكر فنزل قبلته وكان متولي امر احمد بن يعقوب الصبيحي وقد غص به اصحابه فذبوا عليه وقتلوه امام خيمة السلطان وامتنع السلطان لذلك ووقعت المراسلة بينه وبين ابن ماسي على ان يبايع له بشرط الاستبداد عليه واتفعا على ذلك ولحق السلطان بابن ماسي ورحم به الى دار الملك فبايع له واخذله البيعة من الناس وكانت معه حصّة من جند السلطان ابن الاحمر مع مولى من مواليهم فحبسهم جميعا وامتنع لذلك السلطان ابن الاحمر فاركب ابا العباس احمد المعتزل عنده البحر وجاء معه بنفسه الى سبته فدخلها وعساكر ابن ماسي عليها يحاصرونها فبايعوا جميعا للسلطان ابي العباس ورجع ابن الاحمر الى غرناطة وسار السلطان ابو العباس الى

فأس واعررضه ابن ماسي في المساكر فحاصره بالصفحة من جبل غمارة وتحدث
اهل عسكره في الخاق بالسلطان ابي العباس فنزعوا اليه وهرب ابن ماسي وحاصره
السلطان شهرا حتى نزلوا على حكمه فقطع ابن ماسي بعد ان قتله ومثل به وقتل
سلطاناه واستلم سائر بني ماسي بالتسكيل والقتل والعداب واستول على المغرب وافرغ
السلطان ابن الاحمر عن سبته واعادها اليه وانصلت المولاة بينهما . واستمر
السلطان ابن الاحمر عزز الجانب عظيم الهيبة قوي السلطان الى ان توفي سنة
٧٩٣ هـ وهو اعظم ملوك هذه الدولة الاحمرية بلا مراء ولم يسود صحيفة تاريخه
البيضاء الاسماء الوشية في وزيره اسان الدين بن الخطيب ونكبتة اياه

٥٦٣ - ابو الحجاج يوسف بن محمد الغني بالله

من سنة ٧٩٣ - ٧٩٤ هـ او من سنة ١٣٩١ - ١٣٩٢ م

ولما توفي الغني بالله محمد بن ابي الحجاج تولى بعده ابنه ابو الحجاج وبايعه الناس
وقام بامرهم خالد مولى ابيه وتقبض على اخوته سعد ومحمد وانصر فكان آخر العهد
بهم ولم يوقف لهم بعد على خبر . ثم بقي عنده في خالد القائم بدولته وانه اعد السم
لقتله وان يحيى بن الصنائع الطيب اليهودي طبيب دارهم قد داخله في ذلك ففتك
بخالده وحبس الطبيب المذكور فذبح في محبسه ثم توفي ابو الحجاج بن الغني بالله سنة ٧٩٤ هـ
لستين او نحوها من ولايته

٥٦٤ - بقية اخبار الدولة الاحمرية

من سنة ٧٩٤ - ٨٩٧ هـ او من سنة ١٣٩٢ - ١٤٩٢ م

لما توفي ابو الحجاج بن الغني بالله تولى بعده ابنه محمد بن يوسف وقام بامرهم
القائد ابو عبد الله محمد الخصاحي من صنائع ابيه . ولم يزل الملك له حتى توفي وتولى
بعده غيره من بني الاحمر الى ان كانت دولة السلطان ابي الحسن علي بن السلطان سعد
ابن الامير علي بن السلطان يوسف بن الغني بالله فبازعه اخوه ابو عبد الله محمد بن

سمع المدعو بالزغل وبوبع بالقة وبقي بها مدة وعظم الخطب واشتدت الفتن وشرق المسلمون بداء الخلاف الواقع بين هذين الاخوين وتكالب العدو عليهم ووجد السبيل الى تفريق كلهم والتكسب من فسخ عقدهم وذمتهم وذلك اعوام الثمانين وثمانية ثم انقاد ابو عبد الله لاختيه ابي الحسن فسكنت احوال الاندلس بعض الشيء . وكان السلطان ابو الحسن متزوجاً (غير زوجته الشرعية السيدة زريدة وهي ابنة عمه) حظية رومية وكان له منها اولاد وكان شغفاً بهذه الرومية جداً حتى قدم احداً ولادها لولاية العهد من بعده وجار على زوجته وابنة عمه السيدة زريدة جوراً عنيفاً فهربت من القصر هي واولادها . فلما رأى الشعب حالها وما افترى به زوجها عليها اغتاظوا جداً وبادروا حالاً الى خلع ابي الحسن عن كرسي الملك واقاموا مكانه ابنه ابا عبد الله من زوجته زريدة المذكورة وهرب ابو الحسن الى ملقا فقبضوه هناك بترحاب واحتفال وبايعوه على الموت وهكذا انقسمت المملكة على ذاتها وحصلت بينهما حروب وفتن كثيرة يطول شرحها . ولما استتب الامر للسلطان ابي عبد الله بن ابي الحسن بغرناطة جهز عسكراً وخرج غارياً في بلاد الاسبانيين وحصلت بين الفريقين مواقع كثيرة أسر في آخرها السلطان ابو عبد الله فغتنقه الاسبانيون عندهم . ولما أسر السلطان ابو عبد الله اجتمع كبراء غرناطة واعيان الاندلس وذهبوا للقاء السلطان ابي الحسن واحضروه الى غرناطة وبايعوه ولانه كان قد ذهب بصره خلع نفسه وقدم اخاه ابا عبد الله بن سعد المعروف بالزغل للامر فاستبد بالملك . وكان ابو عبد الله الزغل هذا شجاعاً حارب الاسبانيين وتصر عليهم فلما تحققت شجاعته وقوته اتبعوا طريقة سلفهم في اعمال الحيلة لاثارة الفتن بين المسلمين حتي يضعفوا عن مقاومتهم فاخرجوا السلطان ابا عبد الله المأسور عندهم وامدوه بالمساكر لطاب الملك لنفسه وطالت الفتنة بين العم وابن الاخ حتى استولى ابن الاخ على غرناطة بعد خروج العم عنها الى الجهاد ففت ذلك في عضده وعطف الى وادي آش وتحصن بها

وفي ذلك الوقت الذي ضعف فيه امر المسلمين بالاندلس بتولي الفتن كانت مملكة اسبانيا في تقدم . ومما زاد اسبانيا سطوة انضمام اقسامها الى مملكتين قويتين

وهما مملكة كسنبلة (قشالة) ومملكة اراغون اللتان انحصرتا فيما بعد في عائلة واحدة بتزوج فردينند ملك اراغون بايزابله ملكة كسنبلة سنة ١٤٦٩ م . فلما افترن هذان الشخصان اتفقا على ضم الممالك الاسبانيولية الى واحدة وطررد المسلمين من غرناطة . فانتهزوا حصول هذه الفتن بين المسلمين واقاموا عليهم حرباً عواناً . ونجح الاسبانيون في هذه الحرب اذ كانوا تحت قيادة بطلين عظيمين اي فردينند وايزابله . فان فردينند كان في مقدمة الجيش يقودهم بحسن تدبيره وجودة رأيه ويشجعهم على اثبات والهجوم . اما ايزابله فتولجت مصاريف الحرب وخدمة العسكر وتدبير المرضى والمجروحين كالام الحزن فكانت تجول في الحرب من مكان الى آخر وعندما كانت قلوب العساكر تسقط وتبسط كانت تشجعهم وتطيب قلوبهم بالفاظها العذبة فتطلع منها الخوف والرعب وتكن فيها الفراسة والحاسة فيجمعون على اعدائهم هجمة الاسود الكواسر فينتصرون ويظفرون فكانت بالحقيقة هي روح تلك الحرب وعلة قوتها . وبعد عدة وقائع انهزم المسلمون ودارت الدائرة على جموعهم فاستولى الاسبانيون على مملكة غرناطة وطرردوا جميع المسلمين من تلك الاطراف بعد حروب تذكر وكان ذلك سنة ٨٩٧ هـ او سنة ١٤٩٢ م وهي ذات السنة التي اكتشف فيها كولمبوس الشهير قارة اميركا باسعاف وامداد الملكة ايزابله هذه . وقد حصر بعض المؤرخين عدد الوقائع التي جرت بين الاسبانيين والمسلمين منذ دخولهم الى وقت خروجهم فبلغت ٣٧٠٠

ولما استولى الاسبانيون على غرناطة اجاز السلطان ابو عبد الله بن ابي الحسن الذي اخذت غرناطة من يده الى المغرب ونزل بفاس على السلطان محمد الشيخ لوطاسي وبني بفاس بعض قصور على طريق بنيان الاندلس واقام هناك الى ان توفي سنة ٩٤٠ هـ (قال ابو عبد الله المقرئ في نفع الطيب) وعهدي بذريته بفاس الى الآن (سنة ١٠٣٧ هـ) يأخذون من اوقاف الفقراء ولماكين ويعدون من جملة الشعاذين ولا حول ولا قوة الا بالله العظيم . والملك لله يؤتية من يشاء وهو العزيز الحكيم

٥٦٥ - الدولة الزيانية بتلمسان

(تمهيد) ذكرنا في فصل (٥٢٢) ان فيلسوف المؤرخين ابن خلدون قسم جيل زناتة الى طبقتين الطبقة الاولى التي كان منها مغراوة ملوك فاس وقد تقدم الكلام عنهم والطبقة الثانية كان منها بنو مرين ملوك فاس وبنو عبد الواد ملوك تلمسان . وقد ذكرنا تاريخ الدولة المرينية بفاس وبقي علينا ان نذكر اخبار بني عبد الواد بتلمسان فنقول وعلى الله الاتكال

كانت تلمسان في ذلك الوقت قاعدة المغرب الاوسط (الجزائر) ولما ظهرت دولة الموحدين وقتل الخليفة عبد المومن بن علي تشفين بن علي لمرابطي بوهران (راجع فصل ٤٢٣) خربها وخرب تلمسان بعد ان قتل المرحدون عامة اهلها وذلك اعوام ٥٤٠ هـ ثم راجع رأيه فيها وندب الناس الى عمرانها وجمع الايدي على رم ما تثل من اسوارها وعمد عليها لاسليمان بن وانودين من مشايخ عمتانة واخير لموحدين وسبب هذا الحية من بني عبد الواد بما ابلى من طاعتهم وانحياشهم . ولم يزل آل عبد المومن من بعد ذلك يستعملون عليها من قرابتهم واهل بيتهم ويرجعون اليه امر المغرب كله اهتماماً بامره واستمظاناً لعمله وكان هذا الحية من زناتة بنو عبد الواد قد غلبوا على ضواحي تلمسان والمغرب الاوسط وملكوها وتقلبوا في بساطها واجتازوا باقطاع الدولة الكثير من ارضها والطيب من بلادها والوافر للجباية . واقام بنو عبد الواد بضواحي المغرب الاوسط حتى فشل ريج الموحدين وانتزى يحيى بن غانية على جهات قابس وطرابلس وردد الغزو والغارات على بساط افريقية والمغرب الاوسط فاكتسحها وعاث فيها وكبس الامصار فاقطمها بالغارة وافساد السالة وانساف الزرع وحطم النعم الى ان خربت وعفا رسمها اعوام سنة ٦٣٠ هـ وكانت تلمسان نزلاً للحامية ومناخاً للسيد من القرابة الذي يضم نشرها ويذب عن نخائها . وكان المأمون قد استعمل اخاه السيد ابا سعيد على تلمسان وكان مغفلاً ضعيف التدبير وغاب عليه الحسن بن حيون من مشيخة قومه وكان

عاملاً على الوطن وكانت في نفسه ضغائن من بني عبد الواد فأغرى السيد ابا سعيد بجماعة مشيخة منهم وفدوا عليه فقبض عليهم واعتقلهم . وكان في حامية تلمسان جماعة من بقايا لمتونة تجاوت الدولة عنهم وأثبتهم عبد المؤمن في الديوان وجعلهم مع الحامية وكان زعيمهم لذلك العهد ابراهيم بن اسمعيل بن علان فشفع عندهم في المشيخة المعتقلين من بني عبد الواد فردوه فغضب وارغى وازبد واجمع الانتقاض والقيام بدعوة ابن غانية فجدد ملك المرابطين من قومه بقاصية المشرق وغال الحسن بن حيون لحينه وتقبض على السيد ابي سعيد واطلق المشيخة من بني عبد الواد وتقبض طاعة المأمون وذلك سنة ٦٤٤ هـ وطبر الخبر الى ان غانية فاجد اليه السير . ثم بداله في امر بني عبد الواد وانه لا يستب له أمر الا بالتغلب عليهم فحدث نفسه بالفتك بمشيختهم ومكر بهم في دعوة واعدهم لها وفطن لديره ذلك جابر بن يوسف شيخ بني عبد الواد فواعده اللقاء وضم له القدر فلما كان اليوم الموعد خرج ابراهيم بن اسماعيل بن علان الى لقائه ففتك به جابر ودخل تلمسان وكشف لاهل القناع عن مكر ابن علان فحمدوا رأيه وشكروه على صنيعه وبإيموه وبعثوا الى المأمون خليفة الموحدين بالمغرب الاقصى ان يوليه عليهم فاجابهم الى ذلك وبعث المأمون لجابر بن يوسف شيخ بني عبد الواد المذكور بالخلع والعهد وعقد له على تلمسان وسائر المغرب الاقصى ثم انتقض عليه اهل اربونة بعد ذلك فنازلهم وهلك في حصارها سنة ٦٢٩ هـ وقام بالامر بعده ابنه الحسن وجدد له المأمون عهده بالولاية ثم ضف عن الامر وتخلى عنه اسة اشهر من ولايته وتولى بعده عمه عثمان بن يوسف وكان سبي السيرة كثير العسف والخور فاثارت به الرعايا بلمسان فاخرجوه سنة ٦٣١ هـ وارتضوا مكانه ابن عمه زكار ابن زيان بن زبت لما لب بابي عزة فاستدعوه وولوه على أنفسهم وكان عافلاً شجاعاً فخصمت لهيئة البلاد وأطاعته المباد فلما استتب أمره حده بنو مطهر من زناة وثرؤا عليه وكانت بينه وبينهم حرب سجال هلك في بعض ايامها سنة ٦٣٣ هـ وقام بالامر بعده أخوه بغمراسن بن زيان وكتب له خليفة لموحدين الرشيد بن المأمون

بالعهد على عمله فكان له ذلك سلماً الى الملك الذي اورثه بنيه من بعده مدة طويلة كما ستراه أن شاء الله تعالى

٥٦٦ - يغمراسن به زبانه

من سنة ٦٣٣ - ٦٨١ هـ او من سنة ١٢٣٥ - ١٢٨٣ م

هو يغمراسن بن زيان بن ثابت بن محمد بن زكرا بن تيدوكس بن طاع الله ابن علي بن القاسم بن عبد الواد تولى على تلمسان بعد وفاة اخيه زكرا بن زيان ولم يكن متولياً عليها على سبيل الاستبداد بل كان عاملاً للموحد بن اصماب المغرب الاقصى عليها فقط . وكان يغمراسن هذا الى الهمة صادق العريمة حسن السيرة فقام باعباء هذا الامر احسن قيام ولما ضعف امر الموحد بن تايغ استبد يغمراسن بتلمسان ورتب بها الجند والوزراء والكتاب ولبس شارة الملك ومحا اثر الدولة المؤمنية وعطل من الامر والنهي دستها ولم يترك من رسوم دولتهم والقاب ملكهم الا الدعاء لهم على منابر الخليفة بمراكش . ولما رأت قبائل زناتة استبداد يغمراسن بالملك وطوره بالترف والعز حسدوه فنادوه العهد وشقوه الطاعة وركبوا له ظهر الخلاف والعداوة فشمز لحربهم ونازلهم في ديارهم واحجرهم في امصارهم وكانت له عليهم ايام مشهورة ووقائع معروفة وكان متولي كبر هذه الثورة عبد القوي بن عباس شيخ بني توجين والعباس بن منديل واخوته امراء مغراوة

وكان ابو زكريا بن ابي حفص قد استقل بتونس منذ سنة ٦٢٥ هـ كما ذكرناه وعلم في الاستيلاء على المغرب فراسل يغمراسن ليقر به اليه ليستعين به وقت الحاجة فعقدت بينهما شروط بذلك وكان يغمراسن منذ استبد بتلمسان قد اقام الدعوة الحمضية بعمله وتحيز اليهم مسلماً لوليهم وحرباً على عدوهم . فلما ثار على يغمراسن من ذكرنا من قبائل زناتة ونازلهم في ديارهم واتخن فيهم لحق عبد القوي بن عباس والعباس بن منديل بتونس مستعصرين ابا زكريا الحفصي على يغمراسن وسهلوا له

امره وشولوا له الاستيلاء على تلمسان فاجابهم الى ذلك وجيز عساكره وسار الى تلمسان سنة ٦٣٩ هـ في عساكر ضخمة وجيوش وافرة فدافع يغمراسن عن تلمسان بقدر ما في امكانه واذا رأى ان لا مقدرة له على دفعهم هرب من تلمسان ولحق بالصحرى واستولى الحفصيون على تلمسان ولم يجد ابو زكريا الحفصي من يوليه على تلمسان لان الجمع قد خاموا ذلك لهم بشدة وشجاعة يغمراسن وان الذي يتولاها لا يأمن على نفسه منه . وفي الاثناء راسل يغمراسن السلطان ابا زكريا الحفصي في الصلح والنزول على طاعته والقيام بدعوته بتلمسان فاجابه الحفصي الى ما اراد وعقد له عليها وعاد الى تونس قرير العين عظيم الجانب

وكان الخليفة براكش من بني عبد المؤمن في ذلك الوقت السعيد علي بن المأمون وكان شهياً حادقاً يقظاً فما رأى ما آلت اليه حال الدولة من الضعف واستيلاء اصحاب الاطراف كل على مافي يده فالحفصي بتونس ويغمراسن بن زيان بتلمسان وابن هود بالاندلس شمر عن ساعده وجيز العساكر لاعادة هذه الولايات التي انسلخت من الدولة اليها وخرج سنة ٦٤٥ هـ قاصداً تلمسان اولاً .

ولما علم يغمراسن بقدومه هرب منها الى قلعة تامزردكت قبلة وجدة واعتصم بها فسار اليه السعيد بعساكره وحاصره وضيق عليه وارسل اليه يغمراسن في النزول بالطاعة فلم يقبل الى ان انفرد السعيد ذات يوم عن معسكره وعلم به بعض بني عبد الواد فانقض عليه وقتله وانتهب بنو عبد الواد معسكره ومخلفه وذلك في صفر سنة ٦٤٦ هـ ورجع يغمراسن وبنو عبد الواد الى تلمسان واستنقروا بها

وقوي امر يغمراسن بتلمسان حتى طمع في مزاحمة بني مرين الذين استولوا على المغرب بعد انقراض دولة الموحدين فسير العساكر الى اطرافه واستولى على سجلماسة من بلاده وذلك سنة ٦٦٢ هـ وبعد ان عقد عليها لابنه يحيى رجع الى تلمسان ظافراً فاستمر يحيى عاملاً بها . وكان يعقوب بن عبد الحق المريني في ذلك الوقت مشغولاً بمحاصرة حضرة حلافهم فلما استولى عليها واطاعته عامه بلاد المغرب وجه عزمه الى انتزاع سجلماسة من طاعة يغمراسن فزحف اليها في عساكره

ونصب عليها آلات الحصار الى ان سقط جانب من سورها فاقتحموها منه عوة
في صفر سنة ٦٧٣ هـ وقتلوا عساكر بني عبد الواد حاميتها واستولوا عليها . ثم سمت
همة يعقوب بن عبد الحق الى تملك تلمسان وانزاعها من يد بني عبد الواد فصار
على التعبية وحاصرها شديداً فدافع عنها يغمراسن دفاعاً محموداً فلما رأى يعقوب
امتناعها عليه افرج عنها ورجع الى المغرب . واستمر يغمراسن بتلمسان ملكاً على
تلمسان يدافع الثرثرين عليه من بني توحين ومغراوة فكانت بينهم حروب وايام
مشهورة حتى الجأهم يغمراسن اخيراً الى الخلود والسكينة بعد ان انشئ فيهم ومثل
بهم وجعلهم عبرة للمعتبرين

ولم يزل يغمراسن وبنوه من بعده آخذين بالدعوة الحفصية واحداً بعد
واحد مجددين البيعة لكل من يتجدد قيامه بالخلافة بتونس منهم يوفدون بها كبار
ابنائهم والي الرأي من قومهم وكان ذلك شأنهم مدة ولما توفي الامير ابو زكريا
الحفصي وقم ابنه محمد المستنصر بالامر من بعده وخرج عليه اخوه الامير ابو اسحق
ثم غلبه المستنصر ولحق ابو اسحق بتلمسان في اهله فاكرم يغمراسن نزلم ثم اجاز
ابو اسحق الى الاندلس للجهاد وبقي هناك حتى اذا توفي المستنصر سنة ٦٧٧ هـ
واتصل به خبر وفاته رأى انه احق بالامر فاجاز البحر من حبينه ونزل بمرسی هني
سنة ٦٧٧ هـ ولقاء يغمراسن مبيرة وتوقيراً واحتفل لقدمه واركب الناس لتلقيه
واتاه ببيعته على عادته مع سلفه ووعده النصرة على عدوه والمواررة على امره
واصر اليه يغمراسن في احدى بناته بابنه عثمان ولي عهده واسعه واجمل في ذلك
وعده وانقض محمد بن ابي هلال عامل بجزية على لوائق وخلع طعته وودعا للامير
ابي اسحق واستحثه للقدم فغذا اليه السير من تلمسان وكان من شأنه ما قدمناه في
اخبار الدولة الحفصية فراجع هناك

فلما استقر ابو اسحق على كرسي الخلافة الحفصية في تونس اوفد اليه يغمراسن
ابنه ابراهيم المعروف ببرهوم ويكنى ابا عامر في رجال من قومه لاحكام الصهر
بينهما فاكرم وفادته وفي هذه الاثناء كانت فتنة ابن أبي عمارة فاتحد أبو عامر
برهوم بن يغمراسن مع ابي اسحق في مطاردته وظهر من شجاعته في هذه الحرب

ماخلد له ذكراً جميلاً واخيراً انقلب بظامنته محبوباً محبوباً وكل السلطان يغمراسن
قد خرج من تلمسان سنة ٦٨١ هـ واستعمل عليها ابنه عثمان وتوغل في بلاد مغراوة
وملك ضواصيمهم ونزل له ثابت بن منديل عن مدينه تنس فتناو لها بن بده ثم باغته
الخبر باقبال ابنه ابي عامر برهوم من تونس بابنة السلطان ابي اسحق عرس ابنه عثمان
فلوهم هنالك الى ان لحقه بظاهر مليانة فارتحل الى تلمسان فرض في طريقه وعند
ماحل سريره اشتد به وجعه فتوفي هـ.الك اخر ذي القعدة سنة ٦٨١ هـ فنقله ابنه
ابو عامر الى تلمسان . وكان يغمراسن عاقلاً حسن السياسة شجاعاً عاباً مورا للملكة

٥٦٧ - عثمان بن يغمراسن

من سنة ٦٨١ - ٥٧٣ هـ او من سنة ١٢٨٣ - ١٣٠٣ م

لما توفي يغمراسن بن زيان باع بنو عبد الواد من بعده ابنه عثمان بن يغمراسن
ثم كتب الى الخليفة ابي اسحق بتونس بوفاته ابيه وبث اليه ببيته فراجعهم بالقبول
وعقد له على عمله . ثم خطب يعقوب بن عبد الحق سلطان بني مرين بخطب منه
السلم لما كان ابوه يغمراسن اوصاه به واوفد اخاه محمد بن يغمراسن اليه بمكانه من
العدوة الاندلسية في اجازته الرابعة اليها فحضر اليه البحر ووصله باركش فلقاه
السلطان يعقوب بالاحتراف والتكريم وعقد له على السلم ما احب وانكفاً راجعاً الى
اخيه فطابت نفسه وفرغ لافتتاح البلاد الشرقية كما نذكره

لما عقد عثمان بن يغمراسن السلم مع يعقوب بن عبد الحق صرف وجهه الى
البلاد الشرقية من بلاد توجين ومغراوة وماوراها من اعمال الموحدين فنزلهم في
امصارهم واتجن فيهم واستولى عن جميع مدنهم وضمها الى مملكته فانظم له بلاد المغرب
الاطوسط كلها وبلاد زناتة ورجع الى تلمسان ظافراً منصوراً ثم كان ما نذكره

قد ذكرنا خبر ظهير الدعي ابن ابي عمارة بتونس وثورته على الدولة الحفصية
(راجع ذلك في تاريخ الدولة الحفصية) فلما كانت سنة ٦٨٢ هـ كانت وقعة بين
الدعي المذكور وبين الحفصيين بمراجنة انتصر فيها الدعي وثنى في الحفصيين

حتى لم يبق ولم يذر ونجا من هذه الواقعة من آل حفص الامير ابو زكريا بن ابي اسحق فلمحق بتمسان ونزل على السلطان عثمان بن يغمراسن خبر نزل برّا واحتفاء وتكريماً . ثم هلك الدعي ابن ابي عمارة واستقل عمه الامير ابو حفص بالخلافة وبعث اليه عثمان بن يغمراسن بطاعته على العادة . ودس الكثير من اهل بجاية الى الامير ابي زكريا (النازل بتمسان) يستحثونه للقدوم ويمدونهم اسلام البلد اليه وفأوض عثمان بن يغمراسن فأبى عليه وفاء بحق البيعة لعمه الخليفة بحضرة تونس فلم يقاتحه في ذلك ثانية وتردد في النقض مدة ثم لحق باحياء زغبة في محلاتهم باقفر ونزل على داود بن هلال بن عطاف . فأرسل اليه عثمان بن يغمراسن يطلب تسليمه له فأبى ابن عطاف عليه ذلك . وارتحل ابو زكريا بن ابي اسحق ومعه داود بن هلال بن عطاف الى بجاية واستولوا عليها في خبر طويل ذكرناه في تاريخ الدولة الحفصية فأراد عثمان بن يغمراسن ان يظهر حسن ولائه لخليفة تونس فسار في عساكره الى بجاية وحاصرها سبعة ايام ثم افرج عنها منقلباً الى المغرب الاوسط ثم اشتغل بفتنة بني مرين كما نذكره

قد تقدم معنا ان عثمان بن يغمراسن عقد مع يعقوب بن عبد الحق سلطان بني مرين صلحاً على مداومة السلم بينهما فلما توفي يعقوب بن عبد الحق وتولى بعده ابنه يوسف بن يعقوب نقض ما كان ابوه قد عقده وطمع في الاستيلاء على تلمسان وانتزاعها من يد بني عبد الواد فقدم اليها سنة ٦٨٩ هـ ونازلها فامتنعت عليه فأفرج عنها وانكفأ راجعاً الى المغرب فلما افرج بنو مرين عن تلمسان نهض عثمان بن يغمراسن الى بلادهم فدوخها . ثم عاد يوسف بن يعقوب الى منازلة تلمسان ثانية سنة ٦٩٥ هـ وثالثة سنة ٦٩٦ هـ ورابعة سنة ٦٩٧ هـ فقاتل تلمسان وأحاط بها معسكره وشرعوا في البناء ثم افرج عنها ثلاثة اشهر ثم عاد اليها سنة ٦٩٨ هـ وازاغت عساكره بها في شعبان من السنة واحاط المعسكر بها من جميع جهاتها وضرب يوسف بن يعقوب عليها سياجاً من الاسوار وفتح فيه ابواباً مداخل الحربيها واختط لئزله الى جانب الاسوار

مدينة سماها المنصورة واقام على ذلك سنين يغاديا القتال ويراوحها وسرح عسكره لافتح المغرب الاوسط وثغوره فلما بلاد مغراوة وبلاد توجين وجثم هو بمكانه من حصار تلمسان لا يمدوها كالاسد الضاري على فريسته . وأنحصر بها عثمان بن يغمراسن وقومه واستسلموا والحصار آخذ بمخنفهم وتوفي عثمان الخامسة السنين من حصارهم سنة ٧٠٣ هـ

٥٦٨ - ابو زيان محمد بن عثمان

من سنة ٧٠٣ - ٧٠٧ هـ أو من سنة ١٣٠٣ - ١٣٠٨ م

لما توفي عثمان بن يغمراسن ويوسف بن يعقوب لا يزال محاصرا تلمسان اجتمع بنو عبد الواد وبايعوا لابنه ابي زيان محمد بن عثمان وبرزوا الى قتال عدوهم على العادة فكان عثمان لم يمت وبلغ الخبر الى يوسف بن يعقوب بمكانه من حصارهم فتجمع لعثمان وعجب من صرامة قومه من بعده واستمر حصاره ايام الى ثمانية سنين وثلاثة اشهر من يوم نزوله نالهم فيها من الجهد ما لم ينل امة من الامم واضطروا الى اكل الجيف والقطط والغيران حتى قيل انهم اكلوا فيها اشلاء الموتى من الناس واستهلك الناس اموالهم وموجودهم وضائق احوالهم وهلك الجند حامية بني يغمراسن وقبيلتهم واشرفوا على الهلاك فاعتزموا على الالقاء باليد والخروج بهم للاستماتة فكيف الله لهم الصنيع الغريب ونفس عن مخنفهم بمهلك السلطان يوسف بن يعقوب على يد خصي من العبيد . فلما هلك يوسف ابن يعقوب تطاول للامر الاعياص من اخوته وولده وحفدته وتميز ابو ثابت حافده الى بني ورتاجن لحوالة كانت له فيهم فاستجاش بهم واعصوبوا عليه وبعث الى ابي زيان بن عثمان ان يساعده على امره ويكون مفرعا له ومأمنا ان اخفق مسعاه على انه ان تم امره قوض عنهم عسكر بني مر بن فعاقدته ابو زيان على ذلك ووفى

له لما تم امره ونزل له عن جميع الاعمال التي كان يوسف بن يعقوب استولى عليها من بلادهم وجاء بجميع الكتابات التي انزلها في ثغوره وعاد بهم الى المغرب وخرج ابو زيان محمد من تلمسان بعد ان افرج بنو مرين عنها وساح في المغرب الاوسط مستفسراً عن احواله وبعد ان ثقف اطرافه ومحامنه أثر العصاة رجع الى تلمسان واستمر ملكاً بها الى ان توفي سنة ٧٠٧ هـ في اخريات شهر شوال منها

٥٦٩ - ابو ممويه عثمان

من سنة ٧٠٧ - ٧١٧ هـ أو من سنة ١٣٠٨ - ١٣١٧ م

لما توفي ابو زيان محمد تولى بعده اخوه ابو حمو وكان صارماً يفظاً داهية قوي الشكيمة صعب العريكة شرس الاخلاق مفرط الدهاء والحدة وافتتح شانه بعقد السلم مع السلطان ابي ثابت المريني ثم صرف وجهه الى بي توجين ومغراوة فردد اليهم العساكر حتى دوخ بلادهم وذل صمايهم واستولى على مدينة الجزائر من ابن علان المتغلب عليها سنة ٧١٢ هـ ثم عاد الى تلمسان ظافراً غانماً ثم كان ما نذكره ان شاء الله تعالى

كان سلطان المغرب في هذا الوقت ابا سعيد عثمان بن يعقوب المريني فاستراب منه اخوه يعقوب لما سعى فيه عنده فنزع عنه الى تلمسان واجاره السلطان ابو حمو على اخيه فاغتاظ أبو سعيد لذلك ونهض الى تلمسان سنة ٧١٤ هـ واكتسح بسايطها ونازل وجدة فقاتلها وضيق عليها ثم تخطاها الى تلمسان وضيق ابا حمو فيها . فاعمل ابو حمو الحيلة حتى افسد بين السلطان ابي سعيد وبين وزرائه حتى استراب بعضهم ببعض واستراب السلطان بالخاصة والاولياء وعاد الى المغرب بنحني حنين

ولما رجع ابو سعيد الى المغرب وشغل عن تلمسان سمت ابي حمو الى

الاستيلاء على بعض اعمال افريقية فجمع عساكره وعقد مسعود ابن عمه ابي عامر برهوم على عسكر وأمره بحصار بجاية وعقد لمحمد ابن عمه يوسف قائد مليانة على عسكر آخر وسرحهم الى بجاية وما وراءها لتدوين البلاد وعقد لموسى بن علي الكردي على عسكر ضخيم وسرحه مع العرب من الزواودة وزغبة على طريق الصحراء فانطلقوا الى وجههم ذلك وفعلوا الافاعيل كل فيما يليه وتوغلوا في البلاد الشرقية حتى انتهوا الى بلاد بونة ثم انقلبوا من هناك ومروا في طريقهم بقسنطينة ونازلوها اياماً واكتسحوا سائر امروا عليه ثم حدثت بينهم الفتن والمنافسة فافترقوا ولحقوا بالسلطان الا مسعود بن برهوم فانه استمر محاصراً بجاية ولم يزل يغاديهما ويروحها القتال حتى بلغه خبر خروج محمد بن يوسف فاجفل عنها كما نذكره الان كان محمد بن يوسف ابن عم السلطان ابي حمو قائد أعلى جيش من هذه الجيوش التي ارسلها السلطان ابو حمو للاستيلاء على البلاد فلما حدثت الفتنة بين قواد هذه الجيوش لحق موسى بن علي الكردي بالسلطان ابي حمو وسعى في محمد بن يوسف عنده فعزل السلطان ابن عمه محمد بن يوسف عن عمله من مليانة وقبض عليه واعتقله ثم تحاليل محمد بن يوسف حتى هرب من محبسه ولحق بالرية ونزل على يوسف بن حسن بن عزيز عاملها للسلطان ابي حمو ودخله في الانتقاض على السلطان ووعدته ومناه حتى اطاعه واخذ له البيعة على قومه ومن اليهم من العرب وزحفوا الى السلطان وعلم السلطان بقدومهم فخرج لقتالهم فالتقوا واقتتلوا فانهمز السلطان ولحق بتلمسان وغاب محمد بن يوسف على بني توجين ومغراوة ونزل مليانة . وخرج السلطان من تلمسان لا يام من انهزامه وقد جمع الجوع وازاح العلل واوعز الى مسعود بن برهوم بمكانه من حصار بجاية بالوصول اليه بالعساكر فافرج مسعود عن بجاية وقدم كامر سلطانه . وخرج محمد بن يوسف من مليانة لاعتراضه بعد ان استخلف على مليانة يوسف بن حسن بن عزيز فلقيه ببلاد مليكش وانهمز محمد بن يوسف ولجأ الى جبل مرصالة وحاصره مسعود بن برهوم اياماً ثم افرج عنه ولحق بالسلطان

فزالوا جميعاً مليانة وافتتحها السلطان عنوةً وجيء بيوسف بن حسن بن عز يزاسيراً من مكمنه ببعض المسارب فعفا عنه السلطان واطلقه ثم زحف الى المرية وملكها واخذ الرهن من اهل تلك النواحي ورجع الى تلمسان . وبقي محمد بن يوسف طريداً يجبل مرصالة . ووجد السلطان ابو حمو ابن عمه مسعود بن برهوم شجاعاً واهلاً لان يملك بعده فعهد اليه بولاية العهد من بعده فانغناظ ابنه ابو تاشفين ابن ابي حمو منه لتقديمه ابن عمه عليه وداخله بعض الاوغاد في الفتك بابيه وبمسعود ابن برهوم ابن عمه وترقب ابو تاشفين الفرص في ذلك الى ان كان بعض ايام جمادى الاولى سنة ٧١٧ هـ وقد اجتمع السلطان ابو حمو وابن عمه مسعود بن برهوم والوزراء في دار السلطنة وعلم ابنه ابو تاشفين باجتماعهم فاقتحم عليهم الدار في اوغاده وقتل السلطان وابن عمه والوزراء

٥٧٠ - ابو تاشفين بن ابي صمو

من سنة ٧١٧ - ٧٣٧ هـ ومن سنة ١٣١٧ - ١٣٣٧ م

ولما فتك ابو تاشفين بابيه تولى الامر بعده وبايعه الناس واتوه طاعتهم وقلد حجابته مولاه هلالاً فاستبد بالحل والعقد . وشاد ابو تاشفين القصور الشاهقة واتخذ الرياض والبساتين واتبعه اهل دولته في ذلك حتى صيروا تلمسان جنة الله في ارضه وفي هذه الاثناء قوي امر محمد بن يوسف الذي ثار على السلطان ونقلب على جبل وانشر يس ونواحيه فاهتم ابو تاشفين بأمره وجمع عساكره وسار قاصداً محمد بن يوسف المذكور بمكانه من جبل وانشر يس وقد اجتمع بنو توجين ومغراوة مع محمد بن يوسف فاقتحم السلطان عليهم الجبل فانهمزم اصحاب محمد بن يوسف ووقع هو اسيراً وجيء به الى السلطان اسيراً فامر بقتله فقتل وحمل راسه الى تلمسان ونصب بها . ثم زحف ابو تاشفين الى الشرق فأغار على احياء رباح وهم بوادي الجنان فاكتسح اموالهم ومضى في وجهه الى بجاية ونزل بساحتها وحاصرها ثلاثاً

وبها يومئذ الحاجب يعقوب بن عمر فامتنت عليه فافرج عنها ورجع الى تلمسان
فدخلها سنة ٧١٩ هـ

ثم ازداد ظمع ابي تاشفين في الاستيلاء على بجاية واعمالها فردد اليها البعوث
مراراً الى ان كانت سنة سنة ٧٢٣ هـ فوفد على السلطان ابي تاشفين حمزة بن
عمر بن ابي أليل كبير البدو بافريقية صريحاً على صاحب افريقية السلطان ابي بكر
فبعث معه العساكر لنظر قائده موسى بن علي الكردي فقصدوا افريقية وخرج
السلطان ابو بكر للقائهم فانهزموا بنواحي مرماجنة ونحطفتهم الايدي ورجع موسى
ابن علي الى تلمسان مغلولاً فاتمه السلطان ابو تاشفين بالادهان وفك به . وفي
سنة ٧٢٥ هـ وفد على السلطان شيخ بني سليم حمزة بن عمر بن ابي أليل واستحثه
للعركة على افريقية فبعث معه العساكر ونصب لهم ابراهيم بن ابي بكر
الشهيد من اعياص الحفصيين . وخرج السلطان ابو بكر من تونس للقائهم وخشيهم
على قسنطينة فسبقهم اليها فاقام عسكر بني عبد الواد على قسنطينة وتقدم ابراهيم
ابن ابي بكر الشهيد في احياء سليم الى تونس فملكها كما ذكرناه في اخبارهم . وامتنت
قسنطينة على عساكر بني عبد الواد فاقلعوا عنها خمس عشرة ليلة من حصارها
وعادوا الى تلمسان . وفي سنة ٧٢٦ هـ سير ابو تاشفين عساكره بقيادة موسى بن
علي لتدويج الضاحية ومحاصرة الثغور فنازل قسنطينة وافسد نواحيها ثم رجع الى
بجاية فحاصرها وارتاب موضعاً ينزله عسكره بوادي بجاية وجمع الايدي على بناء هذه
المدينة فتمت لاربعين يوماً وسموها تمرزدكت وانزل بها عساكر تناهز ثلاثة
الاف واوعز السلطان الى جميع عماله ببلاد المغرب الاوسط بنقل الحبوب اليها
حيث كانت والادم حتى الملح واخذ الرهن من سائر القبائل على الطاعة واستوفوا
جبايتهم فمقلت وطأتهم على بجاية واشتد حصارها وغلت اسعارها . واتصل خبرهم
بالسلطان ابي بكر الحفصي فارسل عساكره سنة ٧٢٧ هـ فزهمهم بنوعيد الواد وغنموا
معسكرهم . وفي سنة ٧٢٩ هـ وفد حمزة بن عمر على السلطان ابي تاشفين صريحاً
ووفد معه او بعده عبد الحق بن عثمان من اعياص بني مرين فبعث السلطان معهم

عساكره بقيادة يحيى بن موسى ونصب عليهم محمد بن ابي بكر بن عمران من اعياص الحفصيين . وخرج السلطان ابو بكر الحفصي للقائهم والتقى الجمعان بالدياس من نواحي بلاد هواره وبعد قتال شديد انهزم السلطان ابو بكر الحفصي وانكشفت جموعه واستولى بنو عبد الواد على ظعائنه بما فيها من الحرم وعلى ولديه احمد وعمر فبعثوا بهم الى تلمسان . ولحق السلطان ابو بكر بقسنطينة وقد اصابه بعض الجراحة في حومة الوغى . وسار يحيى بن موسى وابن ابي عمران الى تونس واستولوا عليها . ورجع موسى بن يحيى عنهم بجموع زناتة لاربعين يوماً من دخولها فقفل الى تلمسان وبلغ الخبر الى السلطان ابي بكر برجوع زناتة الى بلادهم فنهض الى تونس واخرج عنها ابن ابي عمران . ثم داخل بعض اهل بجاية السلطان ابا تاشفين ودلوه على عورتها واستقدموه فنهض اليها وحذر بذلك الحاجب ابن سيد الناس فسابقه اليها ودخل يوم نزوله عليها وقتل من اتهم بالمداخلة فانحسم الداء واقلع ابو تاشفين عنها وولى عيسى بن مزروع من مشيخة بني عبد الواد على الجيش الذي بتمرزدكت وأوعز اليه ببناء حصن اقرب الى بجاية من تمرزدكت فبناه بالياقوتة من أعلى دار قبالة بجاية فأخذ بمخنتها واشتد الحصار الى ان اخذ السلطان ابو الحسن المريني بحجزتهم فاجفلوا جميعاً الى تلمسان ونهض السلطان ابو بكر يجيوشه من تونس الى تمرزدكت سنة ٧٣٢ هـ فخر بها في ساعة من نهار كان لم تغن بالامس حسباً ذكرنا ذلك في اخباره (راجع فصل ٥٠٨) وكان سلطان بني مرين في ذلك الوقت ابا الحسن علي بن عثمان (راجع فصل ٥٣٣) فلما ضايق بنو عبد الواد السلطان ابا بكر الحفصي استنجد به عليهم وخرج ابو الحسن من فاس الى تلمسان معاضداً لابي بكر سنة ٧٣١ هـ فنزل بتاسلات منتظر القدوم السلطان ابي بكر الحفصي . واتصل الخبر بابي تاشفين بقدم ابي الحسن لقتاله فدرس الى اخيه الامير علي عامل سجلماسة في اتصال اليد به والاتفاق معه على اخيه ابي الحسن فوافقه على ذلك وخالف على اخيه السلطان ابي الحسن وانتفض بسجلماسة ودعا لنفسه ثم تقدم الى درعة وقتل عاملها وولى عليها عاملاً

من قبله ثم سرح العساكر الى مراکش واجلب عليها بجيـله ورجله . واتصل الخبر
بالسلطان ابي الحسن بمكانه من تاسات فانكفاً راجعاً الى حضرته مجمعة على الانتقام
من اخيه فاغذا السير الى سجلماسة ونزل عليها واخذ بمخيمها واقام محاصراً لها
حولاً كاملاً . وفي الاثناء نهض ابو تاشفين صاحب تلمسان في عساكره يريد
الغارة على اطراف المغرب كي يشغل ابا الحسن عن اخيه بذلك فارسل اليه ابو
الحسن ابنه تاشفين في عساكر بني مرين فاجلوه عن المغرب الاقصى وردوه على
عقبه الى تلمسان . ثم تغلب ابو الحسن على اخيه الامير علي واقتحم عليه سجلماسة
وقتلـه سنة ٧٣٢ هـ . ولما استقام ملك الغرب للسلطان ابي الحسن نهض سنة ٧٣٥ هـ
من فاس الى تلمسان لينتقم من ابي تاشفين لمساعدته لـاخيـه علي على ما تقدم
فاغذا السير الى تلمسان وبعد ان فتح جميع المدن التي في طريقه وصل اخيراً الى
تلمسان واحياء معالم المنصورة التي كان اختطها عمه يوسف بن يعقوب وخر بها بنو
زيان كما تقدم فادار عليها سياجاً من السور ونطاقاً من الخندق ونصب المجانيق
وحاصر تلمسان وشدد عليها القتال . ودافع ابو تاشفين عن تلمسان دفاعاً محموداً .
واستمرت منازلة السلطان ابي الحسن اياها الى اخر رمضان من سنة ٧٣٧ هـ فاقتحمها
في اليوم السابع والعشرين منه ولجأ السلطان ابو تاشفين الى باب قصره في لمة من
اصحابه ودافعوا عن انفسهم مستميتين حتى قتلوا عن اخرهم وقتل السلطان ابو تاشفين
في من قتل ولم ينج من آل زيان الا كل طويل العمر وانقرضت الدولة الاولى
لبنـي عبد الواد وصار المغرب الاوسط تابعاً لبني مرين ملوك المغرب الاقصى الى
ان كان ما ذكره انشاء الله تعالى

٥٧١ ابو سعيد وابو ثابت ابنا عبد الرحمن بن بفراس

من سنة ٧٤٩ هـ - ٧٥٣ هـ او من سنة ١٣٤٨ - ١٣٥٢ م

لما استولى ابو الحسن المريني على المغرب الاوسط واتخذ في بني عبد الواد

طمع في الاستيلاء على افريقية (تونس) فتقدم اليها واصطحب معه الفل القليل الذين بقوا من بني عبد الواد وكان بينهم ابو سعيد وابو ثابت ابنا عبد الرحمن ابن يغمراسن بن زيان واستولى على تونس كما تقدم ذكر ذلك في تاريخه (راجع فصل ٥٣٣) ثم انتقض عليه عرب سليم واتحد معهم بنو عبد الواد وقتلوا السلطان ابا الحسن فانهمز ولحق بالقيروان ثم ركب البحر وبعد ان رأى من المحن في طريقه ما لا يقدر وصل اخيراً الى المغرب الاقصى فوجده كشملة نار اتسعت فيه دائرة الفتن بانتماء كل حزب الى شخص من اعياص بني مرين ليولوه على الامر . وكان الامير ابو عنان ابن السلطان ابي الحسن تلمسان مقياً بها دعوة ابيه فبلغه الخبر بنكبة ابيه وبالغ الخبر فزاد علي الخبر وفاة السلطان ابي الحسن فخاف الامير ابو عنان ضياع الامر منه بعد ابيه فخرج من تلمسان في عساكر بني مرين ولحق بالمغرب ودخل فاساً واستولى عليها قبل وصول ابيه من افريقية ثم اتى ابوه بعد ذلك وحصلت بينهما فتنة طويلة تقدم ذكرها . فلما اشتغل بنو مرين بهذه الفتن اجتمع بنو عبد الواد واخباروا من اعياص آل زيان ابا سعيد وابا ثابت ابني عبد الرحمن وبايعوها معاً واشركوها في الامر وتقدموا جميعاً من افريقية حيث كانوا مع السلطان ابي الحسن وقصدوا تلمسان ودخلوها بلا معارض لان جيش المرينيين كان قد خرج منها كما تقدم واجلسوا ابا سعيد وابا ثابت على كرسي اجدادها ولم يكن لابي سعيد من الامر الا الاسم فقط اما العقد والحل والنقض والابرار فكان لابي ثابت . وبعد ان استتب امرها بتلمسان خرج ابو ثابت في عساكر بني عبد الواد واخرج عساكر بني مرين من جميع المغرب الاوسط واعاد ملك اجداده الى ما كان عليه من السطوة والقوة . الا ان السعد لم يخدم ابا سعيد وابا ثابت طويلاً لان فتنة بني مرين انتهت بتغلب السلطان ابي عنان على المغرب الاقصى فلما استتب امره اجمع رايه على غزو تلمسان واعادتها الى المملكة المرينية كما كانت ايام ابيه السلطان ابي الحسن وبعد ان جمع عساكره نهض سنة ٧٥٣ هـ يريد تلمسان . واتصل خبر خروجه بابي سعيد وابي ثابت فجمعوا عساكرها واستعدوا

لمدافعتهم وخرجوا من تلمسان ليصدا ابا عنان عن التقدم فالتقى الجمعان ببسيط انكاد اخر ربيع الثاني من السنة وبعد قتال شديد انهزم بنو عبد الواد ووقع السلطان ابو سعيد بن عبد الرحمن اسيراً في يد بني مرين فامر سلطانهم ابو عنان بقتله فقتل وفر اخوه ابو ثابت وجمع كثيرين من اشياعهم واتباعهم وحدث نفسه باسترجاع ملكهم فسير اليه ابو الحسن جيشاً فانهمز ابو ثابت وفر حتى وصل الى بجاية من عمل افريقية فقبض عليه اميرها ابو عبد الله محمد بن ابي زكريا الحفصي وكان مخالصاً للسلطان ابي عنان فاعتقله عنده حتى وفد به على السلطان ابي عنان بلمدية فاخذ السلطان ابو عنان ابا ثابت واعتقله وهكذا انقرضت الدولة الزيرية الثانية

٥٧٢ - ابو صمو موسى بن يوسف

من سنة ٧٥٩ - ٧٩١ هـ او من سنة ١٣٥٨ - ١٣٨٩ م

لما استولى السلطان ابو عنان المريني على تلمسان طمع في الاستيلاء على افريقية وسار في عساكره اليها لهذا القصد وبعد ان دخلت جنوده تونس حصاب بينهم فتنة تأمروا فيها على قتل السلطان ابي عنان وانصل بابي عنان خبر موامرتهم فخاف على نفسه وانكفأ راجعاً الى المغرب وبعد قليل ظهر منصور بن سليمان المريني ودعا لنفسه وحصلت بينه وبين ابي عنان فتنة يطول شرحها وقد تقدم ذكرها ثم ظهر ابو سالم ابراهيم بن ابي الحسن المريني ودعا لنفسه ايضاً واستولى على المغرب الاقصى بعد ان اتهم على ابي عنان ومنصور بن سليمان . فانتهز بنو عبد الواد مدة اشتغال المرينيين بهذه الفتنة وبايعوا لابي حمو موسى بن يوسف بن عبد الرحمن ابن يعمر من بن زيان وذهبوا معه الى تلمسان واخرجوا منها عساكر بني مزين واستقر ملك ابي حمو بها . ولما استتب امر ابي سالم بن ابي الحسن المريني بالمغرب الاقصى ومحا اثر الخوارج منه طمع في الاستيلاء على تلمسان كما كان لابييه واخيه من قبل فجهز عساكره ونهض من حضرته سنة ٧٦١ هـ قاصداً تلمسان . واتصل

خبر نهوضه بالسلطان ابي حمو بن يوسف فجمع اهله وشيعته وخرج من تلمسان الى الصحراء . وتقدم ابو سالم ودخل تلمسان بلا معارض واستولى عليها فخافه ابو حمو في اصحابه الى المغرب فنزلوا اكرسيف ووطاط وبلاد ملوية وحطمو ازرعها واندسفوا بركتها وخرّبوا عمرانها . وبلغ السلطان ابا سالم الخبر فامره امر المغرب وكان في جملة من بني زيان محمد بن عثمان بن ابي تاشفين ويكنى ابا زيان فمقد له على تلمسان واعطاه الآلة وجمع له جيشاً من مغراوة وبني توجين ودفع لهم اعطياتهم وانكفأ راجعاً الى مغربه فاجفل ابو حمو واصحابه امامه ثم خالفوه الى تلمسان فطردوا عنها ابا زيان واستولوا عليها وثبت قدم ابي حمو بها . وعاد ابو زيان الى المغرب لاحقاً بالسلطان ابي سالم فقبله . ثم عقد ابو سالم مع ابي حمو صلحاً واستقر كل منهما على عمله . وفي سنة ٧٦٢ هـ توفي ابو سالم بن ابي الحسن المريني وتولى بعده ابو عمر تاشفين الموسوس ثم خلع سنة ٧٦٣ هـ وتولى بعده ابو زيان محمد بن ابي عبد الرحمن فانتهاز ابو حمو الفرصة وطعم في الاستيلاء على بعض بلاد المغرب الاقصي فنهض الى المغرب فاتح سنة ٧٦٦ هـ وانتهى الى دبدو واكرسيف وانتهب الزروع وشمل بالتخريب والعيث تلك النواحي وانكفأ راجعاً الى حضرته وقد عظمت في ثغور بني مرين وتخومهم نكايته وثقلت عليهم وطأته فمقدوا معه هدنة فانصرفت عزائم ابي حمو الى بلاد افريقية فكانت حركته الى بجاية من العام المقبل ونكبته عليها كما نذكره ان شاء الله تعالى

كان صاحب بجاية الامير ابو عبد الله محالفاً للسلطان ابي حمو حتى انه اصهر اليه في ابنته وكان الامير ابو عبد الله المذكور شديد الوطأة على اهل بلده مرهف الحد لهم بالعقاب الشديد حتى لقد ضرب اعناق خمسين منهم قبل ان يبلغ سنين في ملكه فاستحكمت النفرة بينه وبين الرعية وعضل الداء وفزع اهل بجاية الى مداخلة ابن عمه السلطان ابي العباس صاحب قسنطينة باستنقاذهم من ملكة العسف والهلاك فنهض الى بجاية آخر سنة ٧٦٧ هـ وبرز الامير ابو عبد الله لقائه وبعد قتال شديد انهزم ابو عبد الله وقتل في الواقعة واستولى ابو العباس على بجاية .

و بلغ الخبر الى السلطان ابي حمو فامتمض لهلاك الامير ابي عبد الله واخذ على نفسه القيام بثاره فجهز عساكره وقصد بجاية وبرز السلطان ابو العباس لقتاله وبعد اخذ ورد اختل مصاف ابي حمو وانهزم عسكره وانتهب اصحاب ابي العباس مخلفه واسروا حرمه ونجا ابو حمو بنفسه بعد شق الانفس الى الجزائر ثم خرج منها ولحق بتلمسان . وفي سنة ٧٦٨ هـ قتل ابو زيان محمد بن ابي عبد الرحمن سلطان بني مرين بالمغرب الاقصى وقام بالامر بعده ابو فارس عبد العزيز بن ابي الحسن فانشغل لاول امره بتثقيف اطراف ملكه حتى اذا تم له ما اراد سمى هيمته الى الاستيلاء على تلمسان فنهض من فاس سنة ٧٧٢ هـ واحتل بتازا . واتصل خبر نهوضه بالسلطان ابي حمو موسى بن يوسف فجمع جموعه وهم باللقاء ثم اختلفت كلمة اصحابه وتفرق عنه اكثرهم فاجفل هو في من بقي معه عن تلمسان ودخلوا الصحراء وتقدم السلطان عبد العزيز فاحتل بتلمسان يوم عاشوراء من السنة وسير جيشاً بقيادة وزيره ابي بكر بن غازي بن الكلس في اتباع ابي حمو فادر كوه ببعض بلاد زناتة فاجهضوه عن ماله وممسكره فانتهب بامرهم وهرب ابو حمو ناجياً بنفسه الى القفر . واستتب امر المغرب الاوسط للسلطان عبد العزيز وقام بتلمسان حتى توفي سنة ٧٧٤ هـ . وابع بنو مرين من بعده لابنه السعيد بالله ابى زيان بن عبد العزيز وانكفأوا بسلاطنتهم الجديد وشلو سلاطنتهم القديم الى فاس

ولما رجع بنو مرين عن تلمسان رجع ابو حمو من مكانه الى تلمسان والتف حوله بنو عبد الواد واخرجوا حامية بني مرين من المدينة واستتب امره بها . وفي سنة ٧٧٦ هـ خلع بنو مرين سلاطنتهم السعيد بالله لصغر سنه وانقسمت مملكة بني مرين من بعده الى قسمين فاس في ملكة ابي العباس احمد بن ابي سالم ومراكش في ملكة عبد الرحمن بن ابى يفلوسن ثم حصلت بينهما فتن وحروب يطول شرحها كان من نهايتها خروج ابى العباس من فاس سنة ٧٨٤ هـ قاصداً مراكش فوصلها ونازلها وضيق عليها ودافع عنها عبد الرحمن بقدر ما في امكانه واذا رأى نفسه غير قادر على حفظها اوعز الى السلطان ابى حمو ليهجم بجموع بني

عبد الواد على اطراف المغرب فيأخذ بحجزه السلطان عنه وينفس من مخنقه فاغار ابو حمو على اطراف المغرب ودخل في جموعه احواز مكناسة وعاثوا فيها ثم عمدوا الى مدينة تازا فحاصروها سبعا وخربوا قصر الملك هناك ومسجده المعروف بقصر تازروت وبينما هم في ذلك بلغهم الخبر بانتصار ابي العباس على عبد الرحمن ومقتله فماد ابو حمو بمن معه الى تلمسان . اما السلطان ابو العباس المريني فانه لما استولى على مراکش عاد الى فاس وراح بها اياماً ثم اجتمع النهوض الى تلمسان لينتقم من ابي حمو وعلم هذا بنهوضه فاضطرب وجمع امواله وحرمه ولحق ببلاد مغراة وجاء السلطان ابو العباس الى تلمسان فلملكها واستقر بها اياماً وهدم اسوارها وقصور الملك بها جزاء بما فعله ابو حمو في تخريب قصر تازروت . ثم خرج من تلمسان في اتباع ابي حمو فبلغه الخبر باجازه موسى بن ابي عنان من الاندلس الى المغرب وانه خالفه الى دار الملك فانكفأ راجعاً الى المغرب ورجع ابو حمو الى تلمسان بعد خروج ابي العباس منها واستقر ملكه بها الى ان كان ما ذكره

كان لابي حمو المذكور خمسة اولاد كبيرهم ابو تاشفين عبد الرحمن ثم بعده اربعة لام واحدة وهم المنتصر وابوزيان محمد وعمر ويوسف . وكان ابو حمو قد عهد بولاية العهد من بعده لكبير ولده ابي تاشفين فاغتاز اخوته لذلك وحدث بينهم منافسات وفتن كثيرة حتى دس اخوة ابي تاشفين المذكور الى ابيهم بانه يريد ان يتوثب به فسمع السلطان وشايتهم وشعر ابو تاشفين بذلك فخاف ضياع الامر منه بعد وفاة ابيه فعصى على ابيه وتبعه جمع كثير واخرج اياه من تلمسان واستولى عليها سنة ٧٨٩ هـ وتقبض على ابيه واعتقله ثم احتال ابو حمو الى ان خرج من سجن ابنه وجمع اشيائه واخرج ابنه من تلمسان واستقر بها فذهب ابو تاشفين الى المغرب صريحاً على السلطان ابي العباس احمد بن ابي سالم المريني فامده ابو العباس بابنه الامير ابي فارس ووزيره محمد بن يوسف عقد لهما على جيش كثيف من بني مرين وغيرهم . وخرج السلطان ابو حمو لمداومتهم وبعد قتال شديد انهزم بنو عبد الواد اصحاب ابي حمو وكبا بالسلطان ابي حمو فرسه فسقط وادركه بعض

فرسانهم وعرفه فقتله وجاء برأسه الى ابنه ابي تاشفين فسيره هذا الى ابي العباس
احمد صاحب فاس وذلك سنة ٧٩١ هـ

٥٧٣ — ابو تاشفين به ابي صمو

من سنة ٧٩١ — ٧٩٥ هـ او من سنة ١٣٨٩ — ١٣٩٣ م

لما انهزم ابو حو امام بني مرين المماضدين لابنه ابي تاشفين وقتل كما تقدم
دخل ابو تاشفين تلمسان اواخر سنة ٧٩١ هـ وخيم الوزير وعساكر بني مرين
بظاهر البلد حتى دفع اليهم مشارطهم عليه من المال ثم قفلوا الى المغرب واقام هو
بتلمسان يقيم دعوة السلطان ابي العباس صاحب المغرب ويخطب له على منابر
ويبعث اليه بالضريبة كل سنة كما اشترط على نفسه . وكان السلطان ابو حو قد
ولى ابنه ابا زيان على الجزائر فاقام واليا عليها الى ان قتل ابوه ابو حو كما تقدم
فثار هو بالجزائر ودعا لنفسه وعزم على اخذ ثار ابيه فجمع عساكره وسار الى تلمسان
سنة ٧٩٣ هـ ولكنه لم يظفر منها بطائل ثم اجتمع رايه على الوفاة الى صاحب المغرب
فوفد عليه صريحا فتلقاه وبر مقدمه ووعدته النصر على اخيه فاقام عنده منتظرا
وفاء وعده حتى تغير السلطان ابو العباس على ابي تاشفين في بعض النزغات الملوكة
فاجاب داعي ابي زيان وجهزه بالعساكر لملك تلمسان فسار لذلك منتصف سنة
٧٩٥ هـ وكان ابو تاشفين قد طرقة مرض ازمن به ثم توفي منه في رمضان من
السنة وكان القائم بدولته احمد بن المعز من صنائع دولتهم فولى بعده مكانه صبيا
من ابناؤه وقام بكفالاته . وكان يوسف بن ابي حو واليا على الجزائر من قبل
اخيه ابي تاشفين فلما علم بموته اسرع بالمسير الى تلمسان فقتل احمد بن المعز والصبي
المكحول ابن اخيه ابي تاشفين وجلس على كرسي المملكة . فلما بلغ الخبر الى السلطان
ابي العباس صاحب المغرب خرج الى تازا وبعث من هناك ابنه ابا فارس في

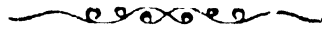
المساكر ورد ابا زيان بن ابي حمو الى فارس ووكل به . وسار ابنه ابو فارس الى تلمسان فملكها وهرب منها يوسف بن ابي حمو . واقام السلطان ابو العباس بتازا يشارف احوال ابنه الى ان مرض بمكانه من تازا وتوفي في محرم سنة ٥٧٩٦ هـ فقفل ابنه ابو فارس من تلمسان الى المغرب للاستيلاء على ملك اجداده

٥٧٤ - بقية اخبار الدولة الزيانية

من سنة ٧٩٦ - ٩٣٢ هـ او من سنة ١٣٩٣ - ١٥٢٥ م

لما رجع ابو فارس من تلمسان الى المغرب واحتل بفاس واستقر امره بها اطلق الامير ابا زيان بن ابي حمو من اعتقاله وبعث به الى تلمسان اميراً عليها وقائماً بعد السلطان ابي فارس فيها فساد اليها وملكها ومحا اثار الثورة والفتن من انجائها واستقامت امور دولته الى ان توفي ولم يزل الملك بها في عقبه حتى ظهر في اوائل القرن العاشر للهجرة خير الدين باشا واخوه اوروج باشا واصلهما من اروام جزيرة متيلين (مدالي) احدى جزائر الروم وكانا يشتغلان بحرفة القراصين ببحر الروم ثم اسما ودخلا في خدمة السلطان محمد الحفصي سلطان تونس لهذا الوقت واستمرتا في حرفتهما وهي اسر مراكب المسيحيين التجارية واخذ كافة ما فيها من البضائع وبيع ركابها وملاحيا بصفة رقيق فاغتنيا مع تمادي الايام من اموال النهب والسلب حتي صار لهما في وقت قريب عمارة بحرية . وكانت الدولة العثمانية العلية في ذلك الوقت قد استفحل امرها جدا وارهب سلطانهم سليم الاول بقوته ممالك اوربا فارسل اليه خير الدين (خير الدين هذا هو المشهور في كتب الفرنج باسم بروس اي ذي اللعينة الحمراء) واخوه احدى المراكب المأسورة اظهاراً لخضوعهم لسلطانه فقبلها منها وارسل لهما خلعاً سنياً وعشر سفن ليستعينوا بها على غزو مراكب الفرنج فقيوت شوكتهما واشربت اعناقهما لاحتلال بعض سواحل بلاد الغرب باسم سلطان آل عثمان فنازل خير الدين ثغر شرشل باقليم الجزائر واستولى عليه وتقدم

اخوه اوروج الى داخلية البلاد ونازل تلمسان واستولى عليها وقتل اعياص بني عبد الواد المستولين عليها لذلك الوقت . وكانت محبة بني عبد الواد متمكنة في قلوب اهل تلمسان حتى لم يقدرُوا ان يحتملوا بان يملك عليهم غيرهم فراسلوا الملك شارل كان ملك اسبانيا واستنجدوا به على اخراج العثمانيين من مدينتهم فاجاب شارل كان طلبهم وارسل جيشاً من اسبانيا لهذا القصد وقاتل الاسبانيون اوروج باشا ومن معه فهزموهم وقتلوا اوروج باشا لكنهم لم يتمكنوا من استخلاص تلمسان من ايدي العثمانيين لان خير الدين لما بلغه خبر هذه الواقعة وقتل اخيه اسرع في من معه الى تلمسان واحلى الاسبانيين عنها وذلك سنة ٩٣٢ هـ ومن ذلك الوقت صارت تلمسان والمغرب الاوسط المعروف الان باقليم الجزير احدى ولايات الدولة العثمانية الى ان استولى عليها الفرنسيون سنة ١٨٣٠ م (سنة ١٢٤٦ هـ) في خبر طويل ولايزال الحال على ذلك لهذا العهد والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين



٥٧٥ - دولة المماليك بمصر والشام

(تمهيد) هذه الدولة استولت على مصر والشام بعد انقراض الدولة الايوبية وسبب اتصالهم بالملك ان الملك الصالح نجم الدين بن الكامل بن العادل الايوبي كان قد استكثر من المماليك وبنى لهم قلعة بين شعبي النيل ازاء المقياس وسماهم البحرية . وكان هؤلاء البحرية شوكة دولته وعصاة سلطانه وخواص داره وكان من كبرائهم عز الدين ايبك الجاشنكير التركماني ورديفه فارس الدين اقطاي الجامدار وركن الدين بيبرس البندقداري ولما توفي الملك الصالح سنة ٦٤٧ هـ بمكانه بالمنصورة وهو يحارب الفرنسيين (راجع فصل ٤٦٧) وكان ابنه توران شاه بجفنصن كيفا طمع الفرنسيون في المسلمين بعد وفاة سلطانهم وهجموا عليهم على حين غفلة فانكشف اوائل المعسكر فاتحد هؤلاء المماليك على اقامة شجرة الدر زوج الصالح

بالنيابة عن ابنه توران شاه لحين حضوره ففعلوا ونهوا باسمها واعصوا صوبوا لها وصبر المسلمون امام الفرنساويين وفي الاثناء وصل المعظم توران شاه فبايعوا له واعطوه صفقة ايديهم وانتظم الحال وانتصر المسلمون على الفرنساويين واسروا ملكهم كما تقدم ذكر ذلك (راجع فضل ٤٦٨) . ثم رحل المعظم اثر هذا الانتصار الى مصر وكان قد احضر معه من حصن كيفا بعض مماليكه فتطاولوا على ممالك ابيه واغروه بقتلهم لاستبدادهم عليه فسمع المعظم وشايتهم وعزم على الفتك بهم فنفرت قلوبهم منه واتفق كبراء البحرية وهم ايبك واقطاي ويبرس على قتله قبلما يفتك بهم فقتلوه كما مر ونصبوا للملك شجرة الدر ام خليل وخطب لها على المنابر ونقش اسمها على السكة ووضعت علامتها على المراسم وقام ايبك الجاشنكير باتابكية العسكر ولعدم سبق ولاية المرأة في الاسلام لم يستمر امرها واتفق المصريون على ولاية كبير البحرية ايبك الجاشنكير فبايعوا له وخلعوا ام خليل ولقبوه بالمعز فقام بالامر وانفرد بملك مصر وذلك سنة ٦٤٨ هـ

٥٧٦ - المعز ايبك الجاشنكير

من سنة ٦٤٨ - ٦٥٥ هـ او من سنة ١٢٥٠ - ١٢٥٧ م

ولم يستتب امر ايبك المذكور طويلاً لان الدولة الايوبية وان كانت انقرضت من مصر في ذلك الوقت ولكن كان منها افراد في الشام واليمن وكان كبير بني ايوب في الشام الناصر يوسف بن العزيز محمد بن الظاهر غازي بن صلاح الدين يوسف ابن ايوب وهو يومئذ صاحب حلب وحمص وما يليها فلما بلغه الخبر باستبداد المماليك بمصر سار الى دمشق وطلب الامر لنفسه فبايعه اهل الشام واغروه بملك مصر . وانصل الخبر بالمماليك في مصر فاعتزموا على ان ينصبوا بعض بني ايوب فيكفوا به السنة التكبير عنهم فبايعوا لموسى الذي كان ابوه صاحب اليمن وهو يوسف اطسز بن المسعود بن الكامل وهو يومئذ ابن ست سنين ولقبوه الاشرف وتمين

ايك اتابكا له غير ان ازمة الاحكام ما برحت في يده ولم يكن الاشرف الا اسماً بلا رسم . ومع ذلك لم يكف الناصر صاحب الشام عن التقدم الى مصر بل جمع باقي امراء الايوبيين وارتحل من دمشق سنة ٦٤٨ هـ قاصداً مصر وبلغ المصر بين الخبر فجمع المعز ايك عساكره وخرج للقائهم فالتقوا بالعباسة وبعد قتال شديد انكشف المصريون بادي بدء ثم ثبتوا واعادوا الكرة فانهمز الشاميون وولوا الادبار ورجع ايك الى مصر منصوراً . وكان من شجعان المماليك فارس الدين هذا اقطاعي فظهر في هذه الحرب شجاعة وبسالة غريبين وكان فارس الدين هذا زعيماً لحزب من المماليك الصالحين وكانوا يطلبون له المشاركة في الملك مع الملك الاشرف وما زالوا حتى نالوا مطلوبهم وغص به ايك واجمع على قتله فاستدعاه في بعض الايام للقصر للشوري سنة ٦٥٢ هـ وقد اكن له ثلاثة من مواله فوثبوا عليه عند مروره بهم وبادروه بالسيف وقتلوه لحينه واتصلت الهيمة فركبوا وطافوا بالقلمة وطلبوا فارس الدين اقطاعي ظناً منهم انه مأسور فرمى اليهم برأسه فانقضوا واستراب امراؤهم فاجتمع ركن الدين بيبرس البندقداري وسيف الدين قلاوون الصالح وسيف الدين سنقر الاشقر وغيرهم ولحقوا بالشام فيمن انضم اليهم من البحرية واختفى من تخاف منهم واستصفيت اموالهم وزخائهم . فلما تخلص المعز ايك من طائفة الصالحين قبض على الملك الاشرف وخلعه والقاء في سجن مظلم وخطب لنفسه وتزوج شجرة الدر زوجة الصالح وكانت شجرة الدر عقيمة لم تلد فنزوج عليها سراري اخريات فولدت له احداً ولد له نور الدين علياً ثم عزم على مصاهرة بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل فانار ذلك غيرة من زوجته شجرة الدر واغرت به جماعة من الحصيان فقتلوه يوم ٢٣ ربيع اول سنة ٦٥٥ هـ



٥٧٧ - نور الدين علي بن ابيك

من سنة ٦٥٥ - ٦٥٧ هـ او من سنة ١٢٥٧ - ١٢٥٩ م

ولما قتل الممزاياك اجتمع امراء المماليك وبايعوا لابنه نور الدين علي ولاول دولته امر بقتل شجرة الدر قاتلة ابيه فقتلت . وفي هذه الاثناء اخذ التتار بغداد وقتلوا الخليفة وتقدموا الى الشام فارتاب الامراء بشأنهم واستصغروا سلطانهم نور الدين علي بن الممزاياك عن مدافعة العدو لعدم ممارسته للحروب واتفقوا على البيعة لسيف الدين قطز المعزي (من مماليك الممزاياك) وكان معروفاً بالصرامة والاقدام فبايعوا له واجلسوه على الكرسي وخلصوا نور الدين علياً لستين من ولايته واعتقلوه في اواخر ذي القعدة سنة ٦٥٧ هـ

٥٧٨ - المظفر سيف الدين قطز

من سنة ٦٥٧ - ٦٥٨ هـ او من سنة ١٢٥٩ - ١٢٦٠ م

وأستولى سيف الدين قطز على مملكة مصر وتلقب المظفر و يقال أن نسب قطز هذا يتصل بالملوك الخوارزمية . وحالما استلم زمام المملكة قبض على نور الدين علي وقتله . وكان التتار بعد استيلائهم على بغداد قد تقدموا بقيادة بطلم الشهير هولاكو خان بن تولي خان وعبروا الفرات سنة ٦٥٨ هـ ووصلوا الى الشام ودكوها دكاً وحرثوها حرثاً ولم يبقوا على شيء منها وبدخلهم أنقرض بنو أيوب من الشام كما أنقرضوا من مصر . ولما ضاق أهل الشام ذرعاً أرسلوا الى السلطان سيف الدين قطز صاحب مصر يستنجدونهم وفي الاثناء وصل رسل هولاكو الى قطز أيضاً حاملين رسالة مؤداها أن يخضع قطز لهولاكو ويخطب له في مصر فضرب قطز أعناق الرسل ونهض بمساكر مصر الى الشام لخراج التتار منها وتقدم كتباً قائد التتار بن معه وسار الى لقاء المسلمين والتقى الجمعان بالغور على عين جالوت وأقتلوا قتلاً شديداً فانهمز التتار هزيمة قبيحة وأخذتهم سيوف المسلمين

وقتل قائدهم كتبغا وفر من بقي منهم الى رؤوس الجبال وتبعهم المسلمون فانهم
وهرب من سلم منهم الى المشرق وقال بعض الشعراء في ذلك
هالك الكفر بالشام جميعاً وأستجد الاسلام بعد دحوضه
ملك جاءنا بعزم وحزم فاعتزنا بسمره ويضه
أوجب الله شكر ذلك علينا دائماً مثل واجبات فروضه
وقال آخر

غلب التتار على البلاد فجاءهم من مصر تركي يجود بنفسه
بالشام أهلهم وبدد شملهم ولكل شي آفة من جنسه
وساق يببرس البندقداري وراء التتار الى حلب وطردهم عن البلاد وأظهر
شجاعة فائقة في القتال بهم حتى وعده السلطان المظفر بحلب ثم نقض السلطان وعده
فتأثر يببرس جدا ووقعت الوحشة بينهما وأضمر كل صاحبه الشر فاتفق يببرس مع
جماعة من الامراء على قتل المظفر فقتلوه على الطريق يوم ١٦ ذي القعدة سنة ٦٥٨ هـ

٥٧٩ - الظاهر بيبرس البندقداري

من سنة ٦٥٨ - ٦٧٦ هـ او من سنة ١٢٦٠ - ١٢٧٧ م

ولما قتل المظفر اجتمع امراء المماليك وبايعوا يببرس البندقداري ولقبوه الظاهر
ثم تقدموا الى مصر فدخلوها في اواخر سنة ٦٥٨ هـ واستقر يببرس على كرسي
السلطنة بها وازال ما كان احداثه سلفه من المكوس . وكان قطز قد استناب علم
الدين سنقر الحلبي بدمشق فلما قتل قطز طمع علم الدين في الاستيلاء على الشام
ودعا الناس الى البيعة له فاجابوه الى ذلك واستقر امره بدمشق وبلغ الخبر للملك
الظاهر يببرس البندقداري فارسل عسكرياً سنة ٦٥٩ هـ مع علاء الدين البندقداري
(وهو استاذ الملك الظاهر) لقتال علم الدين فخرج علم الدين اليهم واقتلوا في ظاهر
دمشق فانهمز الشاميون ودخل المصريون دمشق واستولوا عليها وهرب علم الدين

الى بملك فتبعه عسكر المصريين وقبضوا عليه وحمل الى مصر واعتقل بها واستتب الشام ومصر للملك الظاهر

وفي سنة ٦٦٠ هـ قدم الى مصر جماعة من العرب ومعهم شخص اسمه احمد شهدوا انه ابن الظاهر محمد ابن الامام الناصر العباسي فيكون عم المستعصم الذي قتله التاتار سنة ٦٥٦ هـ ببغداد . فمقد الملك الظاهر بيبرس مجلساً حضر فيها كبار العلماء واثبت القاضي نسب احمد المذكور وبايعه الملك والناس بالخلافة ولقب المستنصر بالله فاصبحت القاهرة من ذلك الحين مقر الخلفاء العباسيين غير ان سلاطنتهم لم تكن تعتبر الا من وحدها الديني فقط وكانوا يلقبون بالائمة

ثم اراد الملك الظاهر بيبرس ان يسترجع بغداد للخلفاء العباسيين فانفق مالا جسيماً في اعداد المعدات واستخدم العسكر ثم نهض من مصر ومعه الخليفة المستنصر بالله المذكور فلما احتلوا دمشق عاد بيبرس الى مصر وتقدم المستنصر بالله قاصداً بغداد وقبل ان يصل اليها وصلت اليه التتر وقتلوه وغالب اصحابه ولم تكن خلافته الا خمسة اشهر وعشرين يوماً . وكان في حلب رجل من العباسيين هو احمد ابو العباسي بن علي نجا مخفياً من بغداد فاستقدمه الملك الظاهر الى مصر وبويع له بالخلافة ولقب الحاكم بامر الله

وكان الصليبيون في ذلك الوقت لا يزالون مالكين مدناً كثيرة في بلاد فلسطين فعزم بيبرس على اخراجهم منها وتجهز للمسير لقتالهم ونهض سنة ٦٦٣ هـ من مصر ونازل قيسرية في ٩ جمادى الاولى من السنة وضايقها وفتحها بعد سنة ايام وامر بها فهدمت ثم سار الى ارسوف ونازلها وفتحها في جمادى الآخرة من السنة وعاد الى مصر

وفي سنة ٦٦٤ هـ خرج الملك الظاهر من مصر ثانية وسار الى الشام وجيز عسكراً الى ساحل طرابلس ففتحوا القليعات وحلبا وعرفا ونزل هو على صفد وضايقها بالزحف وآلات الحصار ولاحق الجند القلعة وكثر القتل والجراح في المسلمين ثم فتحها بالامان وقتل اهلها عن آخرهم . وسير عسكره الى الارمن ووصلوا

الى بلاد سبىس فانتصروا على صاحبها وقتلوا احد اولاده واسروا الاخر ورجعوا
وايديهم ملاءى من الغنائم ثم عاد الظاهر الى مصر ظافراً منصوراً . وفي سنة
٦٦٦ هـ استأنف الظاهر الحرب مع فلسطين فاستولى على يافا والشقيف وطبرية
وارصوف وانطاكية وقراس والفرين وصافيتا ومرقية وايباس ثم عاد الى مصر
وفي سنة ٦٦٨ هـ عاد الظاهر الى الشام واغار على عكا فرأى ان لا مطعم له فيها
وقبض فوجته الى دمشق ثم الى حماة وجيز عسكرياً الى بلاد الاسماعيلية فتسلموا
مصيف وعاد الى دمشق ومنها الى مصر . وفي سنة ٦٦٩ هـ عاد الملك الظاهر من
مصر الى الشام ونازل حصن الاكراد وهو للفرنج وجد في حصاره واشتد القتال
عليه ومالكه بالامان ثم رحل عنه الى حصن عكار وبعد ان نازله استولى عليه
بالامان ايضاً ثم تسلم قاعة العليمة وبلادها من الاسماعيلية . ثم جهز اسطولاً لغزو
قبرس فتكسر الاسطول في مرمى اليمسوس واسر الفرنج من كان فيه فاهتم الظاهر
ببناء اسطول اخر فعمل في مدة يسيرة اسطولاً اعظم واقوى من الذي تكسر
وفي سنة ٦٧٦ هـ توفي الملك الظاهر بيبرس البندقدارى بدمشق ودفن فيها قرب
الجامع الاموي وكنتم مملوكه بدر الدين بلباي (يسلى باي) المعروف بالخاندار
موته وارتحل بالعساكر ومعهم الخفة مظهرآ ان الملك فيها وانه مريض ولما وصل
بدر الدين بالعسكر الى القاهرة اظهر موت الملك الظاهر وبايع لابنه بركة خان
وكانت مدة ملك الملك نحو سبع عشرة سنة

٥٨٠ - السعيد بركة خان به بيبرس

من سنة ٦٧٦ - ٦٧٨ هـ او من سنة ١٢٧٧ - ١٢٧٩ م

واستقر بركة خان في السلطنة بعد ابيه ولقب بالسعيد وقام بامر دولته
مملوك ابيه بدر الدين بلباي ولحسن ظن السعيد به سلمه مقاليد الامور فسعدت
البلاد في ايامه الا ان مدته لم تطل لانه توفي بعد مدة قليلة ولم يكن السعيد يركن

الى غيره من امراء الممالك بل كان يحنسبهم اعداء له ويتهمهم بقتل بلباي ثم وقع اختياره على اق سنقر فولاه الاتابكية وبعد يسير خنقه في احد ابراج الاسكندرية فتباد الامراء عن هذا المنصب واضمروا السوء للملك السعيد وفي سنة ٦٧٧ هـ سار الملك السعيد من مصر الى الشام للنظر في مصالحه فلما وصل بعسكره الى دمشق جرد منها عسكرياً بقيادة الامير سيف الدين قلاوون الصالحى وارسلهم للاغارة على سيمس في بلاد الارمن فشنوا الغارة عليها وعادوا غانمين وقد اجمعوا على الخلاف على الملك السعيد وخلصوه وعبروا على دمشق ولم يدخلوها فارسل اليهم الملك السعيد يستعطفهم ودخل عليهم بوالدته فلم يلتفتوا الى ذلك واتموا السير الى مصر فركب الملك السعيد وسبقهم الى القاهرة ودخل الى قلعة الجبل فدخلت العساكر بعده في ربيع الاول سنة ٦٧٨ هـ فحاصروا الملك السعيد بالقلعة وخامر عليه من كان معه واخذ احدهم يهرب بعد الآخر وينضم الى عسكر المحاصرين ولما رأى السعيد ذلك طأوعهم على الانخلاع من السلطنة وطلب ان يعطي الكرك فاعطوه اياها فساد اليها وتسلمها

٥٨١ — سلامش بن بيرس

سنة ٦٧٨ هـ او سنة ١٢٧٩ م

واتفق اكابر الامراء الذين خلعوا الملك السعيد على اقامة اخيه سلامش في المملكة فبايعوه ولقبوه الملك العادل وكان عمره اذ ذاك سبع سنين وشهوراً واختاروه صغيراً ليكون الامر طوع ايديهم واقاموا الامير سيف الدين قلاوون الالفى الصالحى وصياً عليه . وجهز الامير سيف الدين قلاوون شمس الدين سنقر الاشقر وارسله الى دمشق وجعله نائب السلطنة بالشام . ولم تطل مدة حكم سلامش لان الامراء الذين بايعوه انقلبوا عليه في ذات السنة فخلعوه وبعثوه منفياً الى قلعة الكرك

٥٨٢ - المنصور سيف الدين قلاوون

من سنة ٦٧٨ - ٦٨٩ هـ او من سنة ١٢٧٩ - ١٢٩٠ م

ولما خلع امراء المماليك سلامش كما تقدم بايعوا للامير سيف الدين قلاوون وأجلسوه على منصة الملك ولقبوه الملك المنصور . ولما علم بذلك سنقر الاشقر الذي كان الامير قلاوون قد أرسله الى دمشق خرج عن طاعته بعد سلطنته وحلف له الامراء والعسكر الذين عنده بدمشق واستبد بالملك وتلقب الملك الكامل شمس الدين سنقر فحجز عليه الملك المنصور قلاوون عساكر مصر مع علم الدين سنقر الحلبي (الذي تقدم ذكر سلطنته بدمشق بعد موت قطز) ولما قاربت عساكر مصر دمشق برز اليهم سنقر الاشقر بعساكر الشام واقتتلوا بظهر دمشق فانهمزم الشاميون وولوا الادبار ونهبت العساكر المصرية اثقالهم . وكتب سنجر الحلبي الى الملك المنصور قلاوون يخبره بالنصر . اما سنقر الاشقر فهرب الى الرحبة وكتب اباقا بن هولاءو ملك التتر واطمعه في البلاد وسار من الرحبة الى صهيون واستولى عليها وعلى برزنة والشفر وبكاس وعكار وشيزر وفامية وصارت هذه الاماكن له وكثر الارجاف في الشام بان التتر قادمون الى حلب يجمعوهم فسار قلاوون من مصر ووصل الى غزة قاصداً دفع التتر عن البلاد وكان التتر قد وصلوا الى حلب فعاثوا ثم عادوا فلما علم المنصور بعودهم عاد هو ايضاً الى مصر . ثم عاد الى الشام سنة ٦٨٠ هـ واقام بدمشق يصلح احوالها . وفي هذه السنة (٦٨٠ هـ) حشد اباقا ابن هولاءو ملك التتر جيوشاً كثيفة وسار بها قاصداً الشام فلما وصل الرحبة اقام هو وبعض عساكره يحاصرها وقدم باقي جيوشه بقيادة اخيه منكوتمر بن هولاءو فساروا الى جهة حمص . وكان الملك المنصور قلاوون بدمشق فجمع عساكره وخرج لقاتلهم والتقى الفريقان بظهر حمص الساعة الرابعة من يوم الخميس ٤ رجب الفرد من السنة وبعد قتال شديد انتصر المسلمون انتصاراً باهراً وولى التتر الادبار وانصل خبر الهزيمة باباقا بن هولاءو بمكانه من حصار الرحبة فولى منهزماً . وصرف

وصرف الملك المنصور قلاون العساكر الاسلامية فرجع كل منهم الى محله وعاد هو الى دمشق ومنها الى الديار المصرية . وفي سنة ٦٨١ هـ توفي ابنا (اباقا) ابن هولاكو وتولى الملك بعده اخوه تكدار بن هولاكو ولما جلس في الملك اسلم وتسمي احمد وارسل رسلاً الى الملك قلاون يعلمه باسلامه ويطلب منه الصلح بين المسلمين فتخوف قلاون من الغدر ولم ينتظم ذلك

وفي سنة ٦٨٤ هـ سار الملك قلاون من مصر الى الشام وبعد ان استراح بدمشق اياماً خرج منها بالعساكر المصرية والشامية ونازل حصن المرقب وكان للصليبيين واستولى عليه . وفي سنة ٦٨٦ هـ كان الملك قلاون قد جهز عسكرياً كثيفاً مع نائب سلطنته بالشام حسام الدين طرناطي وارمهم بالمسير الى قلعة صهيون وكان صاحبها حينئذ سنقر الاشقر كما مرّ فنصبت العساكر عليها المجانيق وضائقوها بالحصار فاضطر سنقر الى تسليمها بالامان وحلف له حسام الدين قائد الجيش بان السلطان سيكرمه . وسار حسام الدين الى اللاذقية وكان بها برج للفرنج يحيط به البحر من جميع جهاته فالتقى في البحر حجارة عبر عليها الى البرج فحصره وتسلمه بالامان وهدمه . وتوجه بعد ذلك وصحبته سنقر الاشقر الى الديار المصرية ولما وصلا الى قرب قلعة الجبل في القاهرة ركب السلطان قلاون بنفسه والتقاها واكرمها ووفى بالامان الذي اعطاه حسام الدين لسنقر المذكور

وفي سنة ٦٨٨ هـ خرج الملك المنصور قلاون من مصر الى الشام ثم سار بالعساكر المصرية والشامية ونازل مدينة طرابلس الشام يوم الجمعة مستهل ربيع الاول من السنة ويحيط البحر بغالب هذه المدينة وليس عليها قتال في البر الا من الجهة الشرقية . ونصب السلطان عليها عدة كثيرة من المجانيق ولازمها بالحصار واشتد عليها القتال حتى فتحها يوم الثلاثاء رابع ربيع الآخر من السنة بالسيف ودخلها العسكر عنوة فهرب اهلها الى الميناء فنجأ اقلهم في المراكب وقتل اكثر رجالها وسبيت ذراريهم وغنم منهم المسلمون غنيمة عظيمة

ثم عاد الملك المنصور قلاون الى مصر واخذ يتجهز لفتح عكا فجمع العساكر

وهم بالخروج من مصر لكن لم يمهله القضاء حتى يتم قصده فتوفي يوم السبت ٦
ذى القعدة من سنة ٦٨٩ هـ بعد ان ملك احدى عشرة سنة وثلاثة اشهر

٥٨٣ - الاشرف صلاح الدين خليل بن قلاوون

من سنة ٦٨٩ - ٦٩٣ هـ او من سنة ١٢٩٠ - ١٢٩٣ م

لما توفي الملك المنصور قلاوون تولى بعده ابنه الاشرف صلاح الدين خليل
وفوض نيابة السلطنة الى بدر الدين بيدرا . واتماماً لمقاصد ابيه خرج من مصر
سنة ٦٩٠ هـ بالعساكر المصرية الى عكا وارسل الى امراء الشام ان يقدموا عليه
بالجيوش والات الحصار فقدم امراء الشام وفي طريقهم نازلوا حصن الاكراد
واستولوا عليه ثم وصلوا اخيراً الى عكا واتحدوا مع الملك الاشرف على حصارها
ومنازلتها حتى اقتحموها عنوة يوم الجمعة ١٧ جمادي الاخرى من السنة وفنك
المسلمون بالفرنجة فيها فتمككوا ذريعاً وغنموا منها شيئاً كثيراً يفوق الحصر

ولما استولى المسلمون على عكا وكانت احصن مدن الفرنجة وقع الرعب في
قلوب الفرنجة وأخذ منهم الخوف كل مأخذ فاخذوا صيدا وبيروت بغير قتال
وتسلمها الشجاعى نائب السلطنة بدمشق في اواخر رجب سنة ٦٩٠ هـ وكذلك
هرب اهل صور فارسل السلطان وتسلمها ثم عاد الى مصر . وفي سنة ٦٩١ هـ سار
الملك الاشرف من مصر الى الشام وبعد ان اتحدت عساكر الشام مع العساكر
المصرية توجه الى قلعة الروم (وهي حصن على جانب الفرات في غاية الحصانة)
ونازلها ففتحها عنوة وقتل اهلها ونهب ذراريهم وعاد الملك الاشرف الى حلب ثم
حماة ثم دمشق ثم رجم الى الديار المصرية واستناب بدمشق عز الدين ايبك الجموي
وعزل علم الدين سنجر الشجاعى . وكذلك عزل قرا سنقر المنصور نائب السلطنة
بحلب واصطحبه معه وولى موضعه سيف الدين بلباي وعند وصوله الى مصر قبض
على سنقر الاشقر وآخرين من امراء المماليك فكان اخر العهد بهم

وفي سنة ٦٩٣ هـ كان مقتل الملك الاشرف خليل بن قلاون وبيان ذلك انه ركب للصيد في نفر يسير من اصحابه فقصده بعض امراء الممالك بينهم بيدرا ولاجين وقرا سنقر وغيرهم وكانوا قد اتفقوا فيما بينهم على قتله فابتدروا بيدرا بطعنة في كتفه ثم اردفها لاجين باخرى فوقع الملك الاشرف قتيلاً وتركوه مرمياً على الارض فحمله ايدمر الفخري الى القاهرة . وكان مدة حكمه ثلاث سنوات وشهرين واربعة ايام . واليه ينسب الخان المشهور بخان الخليل او الخان الخليلي في السكة الجديدة في القاهرة وكان في مكانه قبل بنائه مرافق الخلفاء الفاطميين فبني على انقاضها . وفي هذا الخان تباع الان جميع انواع الاقمشة السورية والهندية وما شاكل ذلك

٥٨٤ - الملك القاهر بيدرا

سنة ٦٩٣ هـ او من سنة ١٢٩٣ م

واتفق القاتلون على سلطنة بيدرا فتادوا به وتلقب بالملك القاهر وسار نحو القلعة ليملكها لكنه لم يملك الا يوماً واحداً لان ممالك السلطان المقتول اجتمعوا وانضم اليهم غيرهم وساروا في اثر بيدرا ومن معه فلاحقوهم على الطرانة واقتلوا فانهزم بيدرا وتفرق اصحابه وتبعوا بيدرا فقتلوه ورفعوا رأسه على رمح واستنر لاجين وقرا سنقر

٥٨٥ - الناصر محمد بن قلاوون (اورا)

من سنة ٦٩٣ - ٦٩٤ هـ او من سنة ١٢٩٣ - ١٢٩٤ م

واتفق امراء السلطنة على سلطنة محمد بن قلاون اخي الملك الاشرف فبايعوه ولقبوه الملك الناصر واذ كان سنه لا يزيد عن ٩ سنوات جعلوا الامير

زين الدين كتبغا المنصوري وصياً عليه . ثم ظهر لاجين وقرأ سنقر من الاستتار
واخذ كتبغا لهما من السلطان الامان واقرا لهما الاقطاعات الجليّة وكان ذلك
لفرض سياسي عند كتبغا لانه في سنة ٦٩٤ هـ هجر على السلطان الملك الناصر في
قاعة بقاعة الجبل وحجب الناس عنه . ثم استخلف الناس على سلطنته فبايعوه
وخلعوا محمداً ونفوه الى الكرك

٥٨٦ - الملك العادل كتبغا

من سنة ٦٩٤ - ٦٩٦ هـ او من سنة ١٢٩٤ - ١٢٩٦ م

وجلس كتبغا على سرير الملك ولقب نفسه العادل وخطب له بمصر والشام
ونقشت السكة باسمه وجعل لاجين المذكور نائباً له في السلطنة . وفي هذه السنة
التي جلس فيها العادل على سرير الملك حدث غلاء عظيم لجرب الارض حتى
اكل الناس الميتة والقطط واشد ضيق الناس لدرجة لا تطاق

وفي سنة ٦٩٥ هـ خرج الملك العادل كتبغا من مصر وسار الى الشام فوصل
الى دمشق وتوجه الى جهة حمص وقدم الى جوسية وهي قرية على طريق بعلبك
من حمص وكانت خراباً فشتراها وعمرها فوصل اليها ورآها وعاد الى دمشق
وعزل عز الدين ايبك الحموي عن نيابة السلطنة بالشام وولى موضعه سيف الدين
غرلو مملوكه

وفي سنة ٦٩٦ هـ خرج الملك العادل كتبغا من دمشق متوجهاً الى مصر
ووصل الى نهر العوجا فركب لاجين نائبه وانضم اليه جماعة وبغت الملك العادل
في دهليزه وقتل اثنين من مماليكه وولى كتبغا هارباً راجعاً الى دمشق فالتقاءه
مملوكه غرلو ودخل العادل قلعة دمشق واهتم بجمع العسكر لقتال لاجين فلم يوافقه
عسكر دمشق على ذلك فخلع نفسه عن السلطنة واقام في قلعة دمشق وارسل
يطلب الامان من لاجين وموضعاً يأوى اليه فاعطاه صرخد فسار اليها

٥٨٧ - المنصور لاجين

من سنة ٦٩٦ هـ - ٦٩٨ هـ او من سنة ١٢٩٦ - ١٢٩٩ م

اما لاجين فبعد ان فرّ كتبغا نزل بدهليزه على نهر العوجا واجتمع معه الامراء الذين وافقوه على ذلك وشرطوا عليه شروطاً فالتمزها . منها ان لا ينفرد برأي ولا بساطة ممالكه عليهم كما فعل بهم كتبغا فاجابهم لاجين الى ذلك . ثم رحل بالعساكر الى مصر واستقر بقلعة الجبل واقب بالملك المنصور حسام الدين لاجين وارسل الى دمشق سيف الدين قبجق المنصوري وجعله نائب السلطنة بالشام موضع غرلو مملوك كتبغا

وفي سنة ٦٩٧ هـ جرد الملك المنصور لاجين جيشاً كثيفاً من مصر سيره الى الشام وارسل الى عماله في الشام ان يجردوا عسكرهم وتحمل العساكر الشامية والمصرية على بلاد الارمن فساروا الى حلب ثم اجتمعوا على نهر جيحان وشنوا الاغارات على بلاد سديس وغنموا وعادوا . فامر لاجين ان يجتمعوا ثانية بحلب ويسيروا الى سديس ايضاً فساروا الى حموص وضايقوها واقتنحوها عنوة فخاف ملك الارمن من المسلمين وارسل اليهم يطلب الطاعة الى ما يرسمه سلطانهم فطلب منه العسكر ان يكون نهر جيحان حداً فاصلاً بين املاك المسلمين والارمن وكل ما كان جنوبيه من البلاد والحصون المسلمين فاجابهم الى ذلك فتسلم المسلمون مدناً وحصوناً كثيرة وجعل الملك المنصور لاجين بعض الامراء نائباً فيها وفي سنة ٦٩٨ هـ وثب على الملك المنصور لاجين جماعة من المالك الصبيان الذين اصطفاهم لنفسه فقتلوه وهو يلعب الشطرنج بعد ان ملك ستين وثلاثة اشهر

٥٨٨ - الناصر محمد بن قلاوون (ثانية).

من سنة ٦٩٨ - ٧٠٨ هـ او من سنة ١٢٩٩ - ١٣٠٨ م

وبعد مقتل لاجين اجتمع الامراء واتفقوا على احضار الملك الناصر من الكرك فاحضروه بعد ان استمر تحت الملك خالياً من السلطنة احد واربعين يوماً فحضر الملك الناصر وجلس على تخت المملكة للمرة الثانية وتصرف في المملكة باتم رأي واحسن تدبير . وفي سنة ٦٩٩ هـ خرج قازان بن ارغون ملك التتر بجيوع عظيمة من المغل والكرج وغيرهم وعبر الفرات ووصل الى حلب ثم سار الى حماة ثم نزل على وادي مجع المروج بين حصص وحماة واتصل خبر خروجهم بالملك الناصر فجمع العساكر الاسلامية وبرز بهم من مصر فساروا حتى وصلوا الى ظاهر حصص ثم ساروا الى مجع المروج والتقى العسكران عند العصر من نهار الاربعاء ٢٧ ربيع الاول من السنة في شرقي حصص على نصف مرحلة منها وبعد قتال شديد انهزم المسلمون وتأخر السلطان الى جهة حصص وهرب المسلمون الى مصر وتبعهم التتر واستولوا على دمشق وسافوا في اثر الجفال الى غزة والقدس وبلاد الكرك وكسبوا وغنموا من المسلمين شيئاً كثيراً . وعاد الملك الناصر الى مصر واخذ بتجهيز العساكر لاعادة الكرة على التتر فجمع العساكر وانفق الاموال وازاح الغلل ونهض من مصر سنة ٧٠٢ هـ وحمل على التتر فاجلأهم عن الشام بعد ان كسرهم كسرة هائلة وولوا هاربين وعاد السلطان الى مصر مؤيداً منصوراً

وفي هذه السنة (٧٠٢) حدثت زلزلة عظيمة بالشام ومصر اخرجت قسماً عظيماً من البلاد واخرجت المياه من الآبار الى سطح الارض فاغرقت خلقاً كثيراً واستبد سلاار نائب السلطنة ويبرس الجاشنكير بالامور وتجاوزوا الحد في الانفراد بالاموال والامر والنهي ولم يبق للسلطان معهما الا الاسم فقط فسئمت نفس السلطان الملك الناصر هذا التطاول فخرج من مصر سنة ٧٠٨ هـ مظهراً انه يريد الحج وخرج معه من مصر عدة من الامراء فلما وصل الكرك امر الامراء

الذين حضروا معه ان يعودوا الى مصر وكشف لهم انه جعل السفر الى الحجاز وسيلة للمقام بالكرك

٥٨٩ - بيبرس الجاشنكير

من سنة ٧٠٨ - ٧٠٩ هـ او من سنة ١٣٠٨ - ١٣٠٩ م

ولما وصل الامراء الى مصر واعلموا من بها باقامة السلطان بالكرك اشتوروا فيما بينهم واتفقوا ان تكون السلطنة لبيبرس الجاشنكير وان يستمر سلار على نيابة السلطنة كما كان وحلفوا على ذلك وركب بيبرس بشعار السلطنة الى قلعة الجبل بالقاهرة وجلس على سرير الملك وتلقب بالملك المظفر ركن الدين وارسل الى نواب السلطنة بالشام خلفوا له عن آخرهم وكتب تقليداً للملك الناصر بالكرك ومنشوراً بما عينه له من الاقطاع وارسلها اليه

ولم يكن كل امراء الممالك مخلصين الطاعة لبيبرس الجاشنكير وان اظهروا طاعته خوفاً منه فهو لا ابتدأوا يستميلون الناس في الباطن الى طاعة السلطان الملك الناصر ويقبحون عندهم طاعة بيبرس حتى كثرت احزابهم فلما تحققوا قوتهم ساروا الكرك واعلموا السلطان الملك الناصر بما الناس عليه من طاعته ومحبة فاعاد خطبته بالكرك ثم استدعاه عسكر دمشق ميينين له انهم باقون على طاعته فلما تحقق الملك الناصر صدقهم سار الى دمشق واستولى عليها واخرج منها نائب بيبرس الجاشنكير ثم ابتدأ بتجهيز العساكر للمسير بها الى مصر واخراج بيبرس منها فلما تكاملت عساكره سار بهم من دمشق قاصداً مصر وبلغ بيبرس الجاشنكير ذلك فاستعد للقتال وجمع عسكراً ضخماً وساروا الى المصالحية . ولما وصل الملك الناصر الى غزة قدم الى طاعته عسكر مصر اولاً فاولاً . فلما رأى بيبرس ذلك خلع نفسه من السلطنة وارسل يطلب الامان ويطلب من السلطان ان يعطيه أما الكرك او حماة او صهيون فاجابه السلطان الى ما طلب ورغب ان يعطيه صهيون

اما ييبرس فعاد نفسه وطمع في الملك فهرب الى مصر العليا طامعاً في الاستيلاء عليها فارسل اليه الناصر من تعقبه وقبض عليه فأعتقل في قلعة الجبل وكان ذلك سنة ٥٧٠٩ هـ وكانت مدة ملك ييبرس احد عشر شهراً

٥٩٠ - الملك الناصر محمد قهوه (ثالثة)

من سنة ٧٠٩ - ٧٤١ هـ او من سنة ١٣٠٩ - ١٣٤١ م

وتقدم الملك الناصر ودخل القاهرة وجلس على سرير الملك للمرة الثالثة وكان قد تعلم مما لقاه فيما سبق كيف يدبر امور المملكة بنفسه . ولم يحدث في ايامه حروب او فتن لا خارجية ولا داخلية فصرف جل اهتمامه الى تنشيط الزراعة والصناعة فراجت التجارة في مدته واغنت الناس وكثرت المحاصيل حتى بيع اردب القمح بخمسة دراهم وارذب الشعير بثلاثة دراهم واستمر الحال على ذلك الى ان توفي في ذي الحجة سنة ٧٤١ هـ بعد ان جلس على منصة السلطنة ثلاث مرات كما تقدم واستمر في السلطنة الاخيرة من حين استبد وصفا له الملك اثنتين وثلاثين سنة

٥٩١ المنصور ابو بكر به محمد

من سنة ٧٤١ - ٧٤٢ هـ او من سنة ١٣٤١ - ١٣٤١ م

ولما توفي الملك الناصر محمد بن قلاوون تولى بعده ابنه ابو بكر ولقب بالملك المنصور وقام قوصون وزير ابيه بتدبير مملكته . ولم يكن الملك المنصور ابو بكر اهلاً للسلطنة لانه مذ جلس على تخت المملكة نزع على لذاته وانهمك في شرب الخمر وعشرة النساء وصار يمشي في سكك المدينة متكرراً مخالطاً السوق ففكر الامراء

ذلك عليه وخلمه قوصون مدبر دولته لسبعة وخمسين يوماً من ولايته وذلك اوائل
سنة ٧٤٢ هـ

٥٩٢ - الاشرف علاء الدين كجك بن محمد

سنة ٧٤٢ هـ او سنة ١٣٤١ - ١٣٤٢ م

وبعد خلع ابي بكر ولى قوصون بعده اخاه علاء الدين كجك بن محمد ولقبه
الملك الاشرف واستبد عليه . ولما بلغ الامراء بالشام الخبر باستبداد قوصون على
الدولة غصوا من مكانه واعتزموا على البيعة لاحد ابن الملك الناصر اخي ابي بكر
وكجك (وكان مقيماً بالكرك لان اباه كان ولاه امارتها) فكاتبه طشتمر نائب
حمص واخضر نائب حلب وحثاه على الملك . وبلغ الخبر الى مصر فارسل
قوصون قطلوبغا الفخري في العساكر لحصار الكرك وكتب الى طنبغا الصالحى
نائب دمشق للمسير في عساكره للقبض على طشتمر نائب حمص واخضر نائب
حلب . وكان قطلوبغا مستوحشاً من صاحبه قوصون لاستبداده عليه فلما خرج
بالجند من مصر بعث ببيعته الى احمد ابن الملك الناصر بالكرك وسار الى الشام
يستدعي الناس لمبايعة احمد المذكور . فاستولى قطلوبغا على الشام اجمع بدعوة
احمد وبعث الى الامراء بمصر فاجابوه اليها وهاجوا الشعب لخنل قوصون فنهبوا
بيوته وخربوها واقتحموا القلعة وقبضوا على قوصون وبعثوا به الى الاسكندرية
فمات في محبسه . وخلموا الاشرف علاء الدين كجك بن محمد . وكانت مدة
حكمه خمسة اشهر

٥٩٣ - الناصر شهاب الدين أحمد بن محمد

من سنة ٧٤٢ - ٧٤٣ هـ او من سنة ١٣٤٢ - ١٣٤٣ م

وقدم السلطان احمد من الكرك الى مصر في رمضان سنة ٧٤٢ هـ ومعه طشتمر نائب حمص واخضر نائب حلب وقطلوبغا الفخري فاستوى على عرش السلطنة ولقب الملك الناصر وولى طشتمر نيابة السلطنة بمصر وبعث قطلوبغا الفخري الى دمشق وقبض على اخضر والي حلب وولى عليها مكانه ايدغمش وبلغ الخبر الى قطلوبغا الفخري قبل وصوله الى دمشق فعدل الى حلب وقبض على ايدغمش وبعث به الى مصر فاعقله السلطان واعقل معه طشتمر نائب السلطنة لريبة فيه فاستوحش الامراء من السلطان وارتاب هو بهم فارتحل الى الكرك بعد ثلاثة اشهر من بيعته واخذ معه طشتمر وايدغمش معتقلين . وبعث اليه الامراء بمصر بالرجوع الى دار ملكه فامتنع وقال « هذه مملكتي انزل من بلادها حيث شئت » ثم عمد الى طشتمر وايدغمش فقتلها فاجتمع الامراء بمصر وخلموه وبايعوا لاختيه اسمعيل في محرم سنة ٧٤٣ هـ

٥٩٤ - الملك الصالح اسمعيل بن محمد

من سنة ٧٤٣ - ٧٤٦ هـ او من سنة ١٣٤٢ - ١٣٤٥ م

وجلس اسماعيل على كرسي السلطنة ولقب الملك الصالح وولى اقسنقر السلاوي نيابة السلطنة بمصر . وفي سنة ٧٤٤ هـ سرح العساكر لحصار الكرك والقبض على اخيه الملك الناصر . ونزع عن الملك الناصر بعض العساكر ولحقوا بمصر وكثر القتال بالكرك الى ان اقتحمت عساكر الملك الصالح الملك الناصر وقتلوه سنة ٧٤٥ هـ

واستبد الملك الصالح بالسلطنة لكنه ارتاب بكثير من الامراء وثقبض على نائبه اقسنقر السلاوي وبعث به الى الاسكندرية فقتل هناك . وولى مكانه انجراح

الملك . وفي سنة ٧٤٦ هـ توفي الملك الصالح حنف انفه بعد ان اقام بالملك ثلاث سنين وثلاثة اشهر

٥٩٥ - الكامل زين الدين شعبان به محمد

من سنة ٧٤٦ - ٧٤٧ هـ او من سنة ١٣٤٥ - ١٣٤٦ م

وبويع بعده اخوه زين الدين شعبان بن محمد واقب بالملك الكامل فجعل النيابة بمصر لارغون العلاوي وارسل انجاح الملك ليكون نائباً بصفتهم استرده من طريقه وبعثه معقلاً الى دمشق وتوفي بعد ذلك في محبسه . وارهف السلطان الكامل حده في الاستبداد على اهل دولته فراراً مما يتوهم فيهم من الحجر عليه فتراسل الامراء بمصر والشام . وانتقض عليه طنبغا البختيارى نائب السلطنة بدمشق سنة ٧٤٧ هـ وبرز في العساكر يريد مصر فجرد الكامل العساكر الى الشام واعتقل حاجي وحسيناً اخويه بالقلعة وثار الامراء بمصر وركبوا الى قبة النصر فركب السلطان اليهم في مواليه واقتتلوا فقتل ارغون العلاوي نائبه فرجع السلطان الى القلعة منهزماً ودخل من باب السر مخفياً وقصد محبس اخويه ليقتلها فخال الخدام دونهما واغلقوا الابواب . ودخل الامراء القلعة من بعده فاخرجوا حاجي اخا السلطان من معتقله فبايعوه . وافتقدوا الكامل فوجدوه واعتقلوه مكان حاجي اخيه وقتل في اليوم الثاني في السنة المذكورة وكان ملكه سنة وشهراً واياماً

٥٩٦ - المظفر زين الدين حاجي به محمد

من سنة ٧٤٧ - ٧٤٨ هـ او من سنة ١٣٤٦ - ١٣٤٧ م

واستقر زين الدين حاجي بن محمد الناصر واقب الملك المظفر وهو سادس الاخوة ابنا محمد بن قلاوون الذين تولوا الملك من بعده . وحال جلوسه على كرسي

السلطنة عهد النيابة له بمصر الى ارغون شاه والمجازي وولى طقتمر الاحدي
 النيابة بحلب والصلاحى النيابة بمصر . ولم يكن المظفر اقل استبداداً من اخيه
 الكامل لانه لم يمض على جلوسه على كرسي السلطنة ٤٠ يوماً حتى قبض على
 الحجازي والناصري وقتلها وارسل ارغون شاه نائبه الى صفد للنيابة بها واراهف
 في الاستبداد فاستوحش الامراء بمصر والشام وانتفض اليحياوي نائب دمشق
 وتبعه نواب الشام في الخلاف وبلغ الخبر الى مصر فتواعد الامراء بها للوثوب على
 المظفر ونما الخبر اليه فاستدعاهم من الغد الى القصر وقبض على كل من اتهمه منهم
 بالخلاف وهرب بعضهم فادركوا واعتقلوا جميعاً فقتل بعضهم وبعث بعضهم الى
 الشام فقتلوا في الطريق وولى من الغد مكانهم خمسة عشر اميراً ووصل الخبر الى
 دمشق فلاذ اليحياوي بالمغالطة وقبض على جماعة من الامراء . وكان الملك المظفر
 قد ارسل احد خاصته الى دمشق يستطلع الاخبار فحمل الناس على طاعة المظفر
 واغرامهم بقتل اليحياوي فقتلوه وبعثوا براسه الى مصر . وسكنت الفتنة واستوثق
 الملك للمظفر . ثم تجددت الثورة بمصر وخرج الامراء الى قبة النصر فركب المظفر
 في مواله اليهم وبعض الامراء الذين معه يرون ما يراه خصومه من خلعه ولما
 تورط في الزحف اليهم اسلمه من كان معه الى الامراء المخالفين له فقتلوه على
 ترربة امه خارج القلعة ودفن هناك في ١٢ رمضان سنة ٧٤٨ هـ بعد ان ملك
 سنة وثلاثة اشهر

٥٩٧ - الناصر حسن بن محمد

من سنة ٧٤٨ - ٧٥٢ هـ او من سنة ١٣٤٧ - ١٣٥١ م

وبعد مقتل المظفر تشاور الامراء في من يولونه ثم اجمعوا على مبايعة حسن
 ابن محمد الناصر وهو شابع الاخوة الذين ملكوا بعد ابيهم فبايعوه ولقبوه الملك
 الناصر وقام بيقاروس القاسمي بامر دولته . ثم شرع الناصر بالاستبداد على عادة

اخوته فعمل امراء واستعمل غيرهم وقتل ونفى كثيرين منهم واخيراً قبض على
بيقاروس القائم بامر دولته واعتقله بالاسكندرية واستعمل مكانه احد الامراء
المدعوظاز . ثم استوحش طاز من الناصر وداخل الامراء في الثورة فاجابوه اليها
فركبوا ودخلوا القلعة من غير ممانع وقبض طاز على الناصر واعتقله وكان ذلك
سنة ٧٥٢ هـ . وكانت مدة ملك الناصر ثلاث سنين ونحو عشرة اشهر

٥٩٨ - الصالح صلاح الدين بن محمد

من سنة ٧٥٢ - ٧٥٥ هـ او من سنة ١٣٥١ - ١٣٥٤ م

ولما اعتقل الناصر بايع طاز لاخيه صلاح الدين بن محمد ولقبه الملك الصالح
وهو ثامن الاخوة ابنا محمد الناصر . ولم يلبث طويلاً حتى وقع بينه وبين
الامراء فتن فركبوا عليه فظفر بهم فاخذوا الى السكينة . وفي ايامه كثر فساد
الهربان في الصعيد فجرد لهم الامير شيخو فكسروهم وابادهم بالقتل . وفي ايامه ايضاً
منعت اليهود والنصارى ان يباشروا بالدواوين وان تكون عمائمهم دون العشرة
اذرع ولا يدخل احد منهم الحمام الا بصليب في رقبته ولا يدخلان نساؤهم مع
نساء المسلمين وان تكون ازر النصارى زرقاء واليهود صفراء فهاهم من جراء ذلك
شدة عظيمة . ثم داخل الملك الناصر حسن المعتقل ببعض الامراء في خلع اخيه
الصالح واعادته هو فوافق الامراء على ذلك ودخلوا على الملك الصالح فخلعوه
يوم ٢٢ شوال سنة ٧٥٥ هـ

٥٩٩ - الناصر مسعود بن محمد (ثانية)

من سنة ٧٥٥ - ٧٦٢ هـ او من سنة ١٣٥٤ - ١٣٦١ م

ثم جلس الملك الناصر حسن على كرسي المملكة ثانية فعزل وولى كثيرين

من الامراء واستبد شيخو بالدولة وتصرف بالامر والنهي وكان سرغتمش رديفه في الولاية الى ان وثب يوماً بعض الموالي سنة ٧٥٨ هـ على شيخو بمجلس السلطان وضر به بالسيف ثلاثاً اصاب بها وجهه ورأسه وذراعيه فحمل الى منزله . وأمر السلطان بقتل المملوك الذي ضربه . ثم مات شيخو وهو اول من سمي بالامير الكبير بمصر . واستغل سرغتمش رديفه بتدبير مهام المملكة الى ان استوحش منه السلطان فقبض عليه وعلى جماعة من الامراء سنة ٧٥٩ هـ وحبسهم بالاسكندرية واستبد السلطان بملكه . وجعل السلطان مملوكه يلبيغا امير الف . وكان هذا السلطان يأنس بالعلماء والقضاة ويجمعهم في داره مبتدلاً ويفاوضهم في مسائل العلم ويصلهم ويحسن اليهم

ثم استوحش يلبيغا من السلطان فلزم نخيمه ولم يخرج منه مدة فركب عليه السلطان ليلاً لا عنياله وكان يلبيغا قد علم بالخبر فخرج عن خيامه واكن للسلطان ومن معه فلما كبس السلطان عليه بالنخيم خرج يلبيغا ومن معه من خلفهم فكسروهم وهرب السلطان ومن معه الى القلعة والبس مماليكه فلم يجد لهم خيولاً لان خيولهم كانت في الربيع وحجز يلبيغا ما بينهم وبينها فتيقن السلطان الهزيمة فلبس لبس العرب هو وايدمر الدويدار ونزلا من القلعة في آخر الليل بمفردهما قاصدين الشام فلقبهما بعض المماليك فاحضروهما الى الامير يلبيغا فكان آخر العهد بالملك الناصر وذلك سنة ٧٦٢ هـ وبه انتهى ملك ابناء السلطان الناصر الثانية

٦٠٠ : المنصور محمد بن محمد

من سنة ٧٦٢ - ٧٦٤ هـ او من سنة ١٣٦١ - ١٣٦٣ م

وبعد وفاة الملك الناصر حسن بن محمد نصب يلبيغا نائب السلطنة المذكور محمد بن المظفر حاجي بن محمد بن قلاون ولقبه المنصور وقام بكفالاته وتدير دولته فاستبد بالنقض والابرار . ولما انصل بالشام ما فعله يلبيغا وانه استبد بالدولة وكان

اسندمر نائباً بدمشق امتنع لذلك وعول على الانقراض ووافقه عليه بعض اصحابه فاستولى على قلعة دمشق

وعلم يلغا بذلك فسار في العساكر من مصر ومعه السلطان المنصور ووصلا الى دمشق فاعتصم المخالفون بالقلعة وترددت بينهم القضاة بالشام حتى نزلوا من القلعة على الامان بعد ان حلف لهم يلغا . فلما نزلوا بمش بهم الى الاسكندرية فحبسوا بها . وولى الامير المارداني نائباً بدمشق وقطلو بغا الاحمدي نائباً بحلب ثم عاد السلطان وبلغا الى مصر

وبدا ليلغا استرابة في الملك المنصور فخلعه سنة ٧٦٤ هـ في منتصف شعبان من السنة وحبسه بالقلعة وكانت مدة ملكه سنتين وثلاثة اشهر وستة ايام

٦٠١ - الاشرف شعبان بن حسن

من سنة ٧٦٤ - ٧٧٨ هـ او من سنة ١٣٦٣ - ١٣٧٧ م

وانصب يلغا مكان المنصور محمد بن حاجي شعبان ابن الناصر حسن وكان عمره عشر سنين ولقب الملك الاشرف وتولى كفالته . وفي سنة ٧٦٧ هـ قصد ملك قبرص الاسكندرية في اسطول عظيم يقال بلغ سبعين مركباً مشحونة بالعدة والعدد وانزل عسكره الى البر وزحفوا الى المدينة وحاصروها قليلاً حينئذ واسوارها خالية من الرماة ونائبها غائب . ووصل الفرنج الى الباب فاحرقوه واقتحموا المدينة فاضطرب اهلها وماج بعضهم في بعض واجفلوا الى جهة البر بما امكنهم من عيالهم وولدهم وما اقتدروا عليه من اموالهم وشعر بهم الاعراب اهل الضاحية فتخطفوا الكثير منهم وتوغل الفرنج في المدينة فنهبوا وملأوا سفنهم من المال والمتاع والبضائع وسبوا وأسروا كثيرين . وكثر اليهم الصليحيون من العرب وغيرهم فانكفأوا الى اساطيلهم واقاموا من الغد . واتصل الخبر بمدبر الدولة يلغا العمري فخرج لوقته بساطانه وعساكره ومعهم ابن عوام نائب الاسكندرية فبلغهم الخبر في

طريقهم باقلاع العدو فلم يشنهم ذلك عن السير الى الاسكندرية . وشاهد يلبغا ما وقع بها من معرة الحراب واثار الفساد وقد امتلات جوانحه غيظاً وحنقاً على اهل قبرص فامر بانشاء مائة مركب واعزز على غزو قبرص وبعد ان قادرت العمارة على التمام في بيروت بالمحل المعروف بالمسطبة الآن لم يقدر على اتمام غرضه من الجهاد لما وقع من العوائق كما سيجي

كان استبداد يلبغا على السلطان قد طال وثقلت وطأته على الامراء واهل الدولة وخصوصاً مماليكه وارهدف حده في التأديب لهم حتى يجردع الانوف واصطلام الاذان وكان كبير خواصه اسندير . وكان يلبغا قد اوقع في بعض الايام مثل هذه العقوبة باخي اسندير فاستوحش له وداخل سائر الامراء في الثورة على يلبغا . وكاشفوا السلطان في ذلك سنة ٧٦٨ هـ فمرح يلبغا الى البحيرة واخذ الامراء ينشاورون في نكته فمنا الخبر اليه فعاد الى القاهرة وجمع من كان بها من الامراء والحجاب فخلع الاشرف ونصب اخاه اتوك ولقبه الملك المنصور واستعد للعرب وكان السلطان الملك الاشرف غائباً عن دار ملكه واراد العود اليها فالتقاء يلبغا واصحابه يرشقونه ومن معه بالسهام ويرسلون عليهم الحجارة من المجانيق فاجتمعت المساكر مع السلطان وهاجموا الخونة فانقض اصحاب يلبغا عنه وتركوه اوحش من وتد في قلاع فولى منهزماً الى بيته فاستحضره السلطان وحبسه بالقلعة ثم ضربه بعضهم وهو مقبل للضرع فقطع رأسه . وقام بتدبير امور الدولة اسندير الناصري ورديفه يبقا الاحدي وغيرهما من الامراء وابدوا الاستهتار بالسلطان والرعية ونادوا بخلع السلطان . فركب السلطان في مماليكه وبعض الجند والعامه فهزم هؤلاء المنتفضين وجيء باسندير اسيراً وشفع به الامراء فاطلقه السلطان باقياً على اتابكيته . ثم استأنفوا الانتفاض فركب اليهم السلطان والامراء فهزمهم وقتل كثير من منهم وارسل بعضهم الى الحبس بالاسكندرية . واستبد السلطان بامرهم واستدعى سنكلي بفا من حلب وجهه له أتابكاً وأحضر الامير عليا المارداني من دمشق وولاه النيابة وكان ذلك سنة ٧٦٩ هـ

وفي سنة ٧٧٤ هـ توفي سنكلي بغا الاتابك وكان الجاني اليوسفي امير سلاح عند السلطان فجعله اتابكاً فاسخط السلطان وغط نعمته وانتقض فلاطفه السلطان فبطر . فارسل اليه مماليكه واذنهم بقتاله فقاتلوه وانهمزم امامهم حتى غرق في البحر واستدعى السلطان ايدمر العزي وكان نائباً بطرابلس فولاه الاتابكية مكان الجاني المذكور ورفع رتبته . وولى في نيابة السلطنة منجك اليوسفي نائب السلطنة بالشام . واستقر السلطان الاشرف في دولته على اكمل حالات الاستبداد واذعن الناس اطاعته

واراد الملك الاشرف قضاء فريضة الحج فخرج اليه سنة ٧٧٨ هـ فلما انتهى الى عقبة ايلة انتقض عليه بعض ممالكك يابغا الذين كان قد ردهم الى خدمة الدولة وجاهروا بالخلاف فركب السلطان في خاصته يظن انهم يروعون او يمنح اليه بعضهم فابوا الا قتاله فرجع السلطان الى خيامه منزماً وركب البحر في افيق من خواصه قاصداً العود الى القاهرة . وكان عند سفره عنها استخلف بها ابنه علياً بكفالة قرطاي الطازي فسولت لقرطاي نفسه الانقراض ودخل بعض الامراء به وحضر بجم غفير الى القلعة فحمل الامير علي بن الاشرف وبايه واستدعى الامراء القائمين بالقاهرة فبايعوه وأخذ هو كفالة السلطان وجعل ايبك البدرى رديفاً له واما السلطان فعرف في طريقه بواقعة القاهرة فاسرع في الرجوع بن معه اليها وانتهاوا الى قبة النصر ليلاً وغشيهم النعاس فناموا وانفرد السلطان عنهم واخفى وعرف بهم اهل الثورة فوثبوا عليهم وقتلوه . وجاءت امرأة الى ايبك فدلته على السلطان في بيت جارتها فاستخرجوه من ذلك البيت وسلموه الى ايبك فامتنحه حتى دلهم على الخزينة ثم قتلوه خنقاً في خامس ذي القعدة سنة ٧٧٨ هـ . وكانت مدة حكمه اربع عشرة سنة

٦٠٢ - المنصور علي بن شعبان

من سنة ٧٧٨ - ٧٨٣ هـ او من سنة ١٣٧٧ - ١٣٨١ م

وبعد مقتل الاشرف شعبان تم الامر لابنه علي بن شعبان ولقب الملك المنصور وقام بالدولة قرطاي الطازي ورديفه ايبك البدري . وكان قرطاي غير مهتم بامور الدولة بل منعكفاً على لذاته فانتهز رديفه ايبك البدري المذكور الفرصة للاستبداد بامور الدولة وداخل السلطان في ذلك فوافقه وعهد اليه نيابة المملكة وعلم قرطاي بذلك فلم يمرض وغاية ما فعله انه طلب من ايبك الامان لنفسه فامنه ثم قبض عليه بعد قليل وسيره الى صفد واستبد ايبك بالدولة . ثم انتقض طشتمر بالشام ووافقه على الاتقاض كثيرون من الامراء فنادى ايبك في الناس بالمسير الى الشام فنجحوا وسرح مقدمتهم مع ابنه احمد واخيه قطلوچا ثم خرج بالساقفة مع السلطان والامراء والعساكر . فثار الامراء الذين كانوا في المقدمة مع اخيه فرجع اليه منهزماً فاجل ايبك راجعاً الى القلعة ومعه السلطان والعساكر فخرج اليه ساعة وصوله جماعة من الامراء فسرح اليهم العساكر مع اخيه فوقعوا به وقبضوا عليه فسرح ايبك اليهم من بقي معهم من الامراء ولما تواروا عنه فرّ هارباً مخفياً ثم ظهر من الاختفاء وجاء الى بلاط احد الامراء فبعثوا به الى الاسكندرية فحبس بها . واقام الامراء بيبقا النساطري مكانه لكنهم لم يمضوا له الطاعة وبقي امرهم مضطرباً وأراؤهم مختلفة فاستدعوا طشتمر من الشام ووضعوا زمام الدولة في يده فصار اليه الامر والنهي ثم انتفضوا عليه واستدعوه الى القلعة فقبضوا عليه وبعثوا به الى الاسكندرية . وقام بالدولة من بعده الاميران برقوق وبركة ثم وقع الخلاف بينهما وتقلب برقوق على بركة وبعثه الى الاسكندرية فحبس بها ثم قتل . واستبد برقوق بالدولة وصار صاحب النقض والابرار ولم يكن للسلطان معه سوى الاسم فقط ولم يزل الحال كذلك الى ان توفي السلطان المنصور علي في

صفر سنة ٧٨٣ هـ

٦٠٣ - الصالح ماضي بن شعبان

من سنة ٧٨٣ - ٧٨٤ هـ او من سنة ١٣٨١ - ١٣٨٢ م

ولما توفي الملك المنصور علي بن شعبان استدعى برقوق نائب السلطنة الامراء واتفقوا على تولية اخيه الامير حاجي ولقبوه الملك الصالح وكان صغير السن فقام برقوق بكفالاته فولى كثيرين من الامراء اصحاب يلغا الذين كانوا انصاره لانه منهم فطمعوا في الاستبداد وظفروا بلذة الملك وسمت احوالهم ان يستقل اميرهم بالدولة ويستبد بها . وانس برقوق الرعية بحسن سياسته وجميل سيرته . فامتعض جماعة من الامراء المخلصين بالسلطان وتفاوضوا في الغدر به ونما الخبر الى برقوق بذلك فقبض عليهم وغرب بعضهم الى دمشق وبعضهم الى قوض فاعقلوا بها . ثم تفاوض الامراء اصحاب برقوق في قيامه بامر الدولة مستقلاً فجمعهم لذلك في ١٩ رمضان سنة ٧٨٤ هـ فحضر الخاصة والعامة من الجند والقضاة والعلماء وارباب الشورى واجمعوا على بيعة برقوق وعزل السلطان الصالح وبعث برقوق اميرين من الامراء فادخلا السلطان الى بيته وتناولوا السيف من يده واحضره الى برقوق فلبس شعار السلطنة وخلاعة الخلافة وجلس على تخت المملكة واتاه الناس ببيعتهم وكان الملك الصالح اخر ملوك دولة المماليك البحرية وخلفهم دولة المماليك الجراكسة الآتي ذكرها

٦٠٤ - الملك الظاهر برقوق

من سنة ٧٨٤ - ٨٠١ هـ او من سنة ١٣٨٢ - ١٣٩٩ م

هو اول ملوك دولة المماليك المعروفة بالجراكسة ودعيت هذه الدولة كذلك نسبة الى منشأ سلاطينها فانهم من الشعب الجرکسي (الشرکسي) وهم قبيلة موطنها في نواحي بحيرة بيكال بسبيريا

اما برقوق فهو مملوك منهم اشتراه يلبغا يوم كان نائب السلطنة بمصر فربي في اطباق بيته وتعلم الفقه وسائر العلوم الاسلامية حتى لقبه يلبغا بالشيخ . وتعلم ايضاً اداب الملك واتقن الرماية والثقافة وما زال في خدمة يلبغا المذكور الى ان قضى الله على يلبغا بما قضى وتشتت مماليكه وقبض على بعضهم وسجنوا . فسجن برقوق هذا في الكرك هو وامير اخر يقال له بركة خمس سنين ثم اطلقا فدخلوا في خدمة منجك حاكم الشام يومئذ . واستمر برقوق عنده الى ان استدعاه الملك الاشرف واستضافه لولده الامير علي . فلم يزل برقوق معه حتى صار في دولة علي المذكور نائب السلطنة ولما توفي السلطان علي نصب برقوق اخاه السلطان حاجي ثم طمع في الجلوس على تخت المملكة فتم له ما اراد وخلع السلطان الصالح حاجي وجلس على تخت المملكة يوم ١٩ رمضان سنة ٧٨٤ هـ كما مر ذكر ذلك ولقب الملك الظاهر

ولما استتب الامر للملك الظاهر برقوق قبض على بيبقا الناصري واعتقله في الاسكندرية ثم افرج عنه فسار الى حلب وداخل بعض الامراء في الانتفاض على السلطان . وبلغ ذلك الى السلطان فاعتقل هؤلاء الامراء فاستراب الناصري واضطرب وشرع في اسباب الانتفاض . واجتمع الامراء الى الناصري واعصوبوا عليه ودعاهم الى خلع الطاعة فاجابوه الى ذلك سنة ٧٩١ هـ واتصل الخبر بطرابلس وبها جماعة من الامراء يرومون الانتفاض فعمدوا الى الايوان السلطاني وقبضوا على نائب السلطنة بها وجبسوه . وفعل مثل ذلك اهل حمص وغيرها وبلغ الخبر الى السلطان الملك الظاهر برقوق فسرح المساكر لقتال هؤلاء المنتفضين ولما وصلت عساكر السلطان الى دمشق اختاروا من القضاة وفداً اوفدوه على الناصري وعلى اصحابه بحلب فلم يجيبوا وامسكوا الوفد عنهم وساروا للقاء عسكر السلطان ولما تراءى الجمعان التحم القتال بينهما ودارت الدوائر على عساكر السلطان وتشتت شملهم . ودخل الناصري دمشق واستولى عليها وعاثت عساكرها في نواحيها . واستعد السلطان برقوق للمدافعة واقام رواساً لهساكره مكان من خسرهم بدمشق واقام الناصري واصحابه اياماً بدمشق ثم عمدوا على المسير الى مصر ونهضوا

اليها بجمعهم وخفيت اخبارهم حتى اطالت مقدمتهم على بلبيس ثم تقدموا الى بركة الحاج . وبرز السلطان في مماليكه ووقف امام القلعة بقية يومه والناس من العساكر والعامه يتقاطرون الى الناصري . واستأنم اكثر الامراء الذين مع السلطان الى الناصري فأمهم . فارتاب السلطان بامرهم وعابن انحلال عقده فندس الى الناصري بالصلح وبعث اليه بالملاطفة . فاشار عليه الناصري ان يتواري بشخصه مخافة ان يصيبه احد بسوء . فلما غشيه الليل صرف من بقي من مماليكه وخرج متنكرًا . وباكر الناصري واصحابه القلعة فاستولوا عليها واستدعوا السلطان حاجي ابن الاشرف شعبان (الذي تقدم ذكره وهو الذي خلعه برقوق واستولى على كرسي المملكة مكانه) فاعادوه الى التخت كما كان ولقبوه الملك المنصور واستدعوا الجوباني والامراء المعتقلين بالاسكندرية فاتوا وركب الناصري واصحابه للقائهم واشرك الناصري الجوباني في تدبير الدولة . ثم نادوا بطلب الملك الظاهر برقوق حتى دل عليه بعض المماليك وجاؤا به الى القلعة واشتوروا في امره وكان منطاش وغيره يطلبون قتله وأبى الناصري والجوباني الا الوفاء بعهد الناصري له ثم قر رأيتهم على ارساله الى الكرك فارسلوه اليها واعتقلوه بها ووكل الناصري به احد خواصه واوصاه بخدمته ومنعه ممن يريد به سوء

واما الامراء الثائرون فجمعوا الجوباني اتابك السلطان المنصور والناصرى رأس النوبة الكبرى (أي مدير الدولة) ثم بعثوا بذار نائبا على دمشق وكشيقا نائبا على حلب . وقبضوا على جماعة من الامراء الذين كانوا مع السلطان برقوق منهم النائب سودون والطرنطاي نائب دمشق وغيرهم فحبسوا بعضهم بالاسكندرية وبعضهم بالشام . وتبعوا مماليك السلطان برقوق فحبسوا اكثرهم واشخصوا بقيتهم الى الشام

وكان منطاش ممدخل مع الناصري الى مصر منزباً بالدولة طوايياً جوانحه على القدر برجالها لانهم لم يوفرأوا حظه من الاقطاع ولم يجمعوا له اسماً في الوظائف . فلم يزل يداخل الامراء والمماليك في الثورة على الناصري والجوباني حتى وافقه كثيرون

منهم . وثما الخبر الى الناصري والجوباني فعزموا على اشخاص منطاش الى الشام
فتمارض واقام في بيته اياماً يطاولهم ليحكم التدابير عليهم . ثم عدا على الجوباني
وكان قد اكن في بيته رجالاً للثورة فقبضوا على الجوباني وقتلوه لحينه . وركب
منطاش الى الرملة واجتمع اليه من داخله بالثورة . وبرز الناصري فبين حضر
وامر الامراء بالحملة على اصحاب منطاش فوقفوا ولم يجيبوه الى ذلك فاحجم الناصري
عن الحملة في ذلك النهار . وفي الغد نزايدت جموع منطاش فاقنم الناصري
فانهزم وانفض اصحابه عنه فذهب مختاراً . واستقل منطاش بتدبير الدولة ونصب
في وظائفها من شاء من اصحابه . ثم كتب الى نائب الكرك بان يقتل السلطان
برقوق وكان الناصري قد اوصاه كما مر ان يمنعه ممن يريد به سوء فلم يفعل . وشعر
برقوق ان منطاش يروم اغتياله وعلم باستقلاله بالدولة فخاف على نفسه منه فارسل
غلمانه الذين معه لقتال حامية الكرك فهزمهم وقتلوا قائدهم واستولى السلطان
برقوق على قلعة الكرك وبايعه نائبها واهلها . وفشا الخبر بالنواحي فتسارع اليه
مماليكه من كل جهة . وبلغت اخباره الى منطاش فاوعز الى ابن باكيش نائب
غزة ان يسير في العساكر الى الكرك وتردد السلطان برقوق بين لقائه والنهوض
الى الشام وعزم على المسير الى دمشق فسار من الكرك في الف رجل او يزيدون
من العرب والترك فسرحد جنتمر نائب دمشق العساكر لدفاعه فالتقوا بمحل يسمى
شقحب وكانت بينهم وقعة عظيمة اجلت عن هزيمة اهل دمشق وقتل الكثيرين
منهم واتبعهم السلطان الى دمشق ثم احس بان ابن باكيش وعساكره يتبعونه فكرر
اليهم ليلاً وصحبهم على غفلة فانهزموا ونهبت عساكر السلطان ما معهم . واستفحل
امر السلطان ورجع الى دمشق ونزل بالميدان واغلق الدمشقيون ابواب المدينة
فاقام يحاصرهم الى محرم سنة ٧٩٢ هـ كما سيأتي

وعزم منطاش على المسير الى الشام فنادى في العسكر واخرج السلطان
الملك المنصور حاجي والخليفة والقضاة والعلماء في اخر سنة ٧٩١ هـ . وبلغ خبر

مسيرهم الى السلطان برقوق وهو محاصر دمشق ارتحل في عساكره للقائهم ونزل قريباً من شقحب ولما تراءى الجمعان كانت بينهما وقعة هائلة اجلت عن انتصار السلطان برقوق واستحوازه على الملك المنصور والخليفة والقضاة ودخلهم في حكمه وهزيمة منطاش وجوعه ولحوقه بدمشق . ولما وصل منطاش اليها وهم نائبا جنينهم ان الظفر له وان الملك المنصور مواف على اثره . فركب السلطان برقوق في عساكره من شقحب فهزم منطاش وجمعه واتخذ فيهم ثم عاد الى شقحب وحمل الملك المنصور على التبري من الملك والعجز عنه واحضر الخليفة والقضاة فشهدوا عليه بالخلع وعلى الخليفة بالتفويض الى السلطان برقوق والبيعة له والعود الى كرسيه . واقام السلطان بشقحب تسعة ايام ورحل الى مصر وبلغ الخبر الى منطاش فركب لاتباعه لكنه لم يجسر ان يناوئه وعاد الى دمشق . وواصل السلطان المسير الى مصر حتى اصبح يوم الثلاثاء ٤ صفر سنة ٧٩٢ هـ في ساحة القلعة في القاهرة وقلده الخليفة الملك وعاد الى سريره وافرج عن الامراء الذين كان منطاش قد حبسهم بالاسكندرية وانتظم امر دولته في مصر واستوثق ملكه وصرف نظره الى الشام وتلافيه من فساد منطاش فولى بعض الامراء نواباً عنه في مدن الشام وسيرهم اليها بالعسكر وكان منطاش قد استتب امره بالشام فحصلت بينه وبين عساكر السلطان برقوق فتن وحروب يطول شرحها كان من نهايتها استيلاء عساكر السلطان برقوق على الشام واجلاء منطاش عنه . فهرب منطاش ولحق بجي من العرب يقال له آل فضل ونزوح منهم واقام بينهم فدافعوا عنه بقدر ما في امكانهم وثاروا معه مراراً ولكن بلا فائدة . واخيراً وفد على السلطان برقوق احد امراء آل فضل واستأمن اليه ووعدته بتسليم منطاش وقت طلبه فاحسن السلطان اليه ووعدته ومنه فرجع الامير وقبض على منطاش وبعث الى نائب حلب في من يستلمه فبعث اليه بعض امرائه فسلمه اليهم وارسل معهم الفرسان والرجال حتى اوصلوه الى حلب وبعث السلطان اميراً من القاهرة فاحتز رأسه وطاف به في ممالك الشام وجاء به الى القاهرة سنة ٧٩٥ هـ فعلق على باب القاهرة ثم دفع الى اهله

فدفعوه وانتهت به الفتن والثورات

وفي سنة ٧٩٦ هـ فرأى أحمد بن أوبس صاحب بغداد أمام تيمورلنك التتاري الذي كان قد ملك أكثر البلاد الشمالية وأثنى فيها وحاصر بغداد فأنهزم أحمد المذكور إلى الرحبة ثم إلى حاب ومصر مستصرخاً بالملك الظاهر برقوق على طلب ملكه والانقضاء من عدوه فاجاب السلطان صريحه وجهاز عساكره وسار فيها إلى الشام ومعه أحمد بن أوبس المذكور. وكان تيمورلنك بعد أن استولى على بغداد قد زحف في عسكره إلى تكريت وحاصرها أربعين يوماً وملكها وانتشرت عساكره في ديار بكر إلى الرها فملكوها . وكتب السلطان الظاهر إلى جليان نائب حلب بالخروج إلى الفرات واستيعاب العرب والتركمان الإقامة هنالك رصداً للعدو ثم أرسل إليه العساكر من دمشق مع كشيكا الاتابك وغيره . وكان تيمورلنك قد شغل بحصار ماردین فأقام عليها شهراً ثم ملكها وامتنعت عليه قلعتها فارتحل عنها إلى ناحية بلاد الروم ومر بفلاح الكراد فغارت عساكره عليها واكتسحت نواحيها وبقي السلطان إلى شعبان من السنة المذكورة متربصاً ليرى ما يكون من تيمورلنك أما تيمور فبدأ له حينئذ أن يقصد بلاد الهند فقصدها وشغل بتدوينها فعاد السلطان الظاهر برقوق إلى مصر

وفي سنة ٨٠١ هـ أرسل تيمورلنك إلى الملك الظاهر رسالة يطلب منه أن يخطب له بمصر والشام ويهدده أن ابنه فارس أرسل إليه الملك الظاهر جواباً مزدرياً بتهديداته ومبدياً العزم على قتاله . وابتدأ الظاهر بجمع العساكر والسلاح وتأهب للدفاع أو الهجوم لكنه لم يكد يتم هذه الاستعدادات حتى أدركته الوفاة بدء الصرع في يوم الجمعة ١٥ شوال سنة ٨٠١ هـ المذكورة



٦٠٥ - الناصر فرج به الظاهر برقوق

من سنة ٨٠١ - ٨٠٨ هـ او من سنة ١٣٩٩ - ١٤٠٥ م

ولما توفي الملك الظاهر برقوق اجتمع الامراء و بايعوا لابنه فرج ولقبوه الملك الناصر وكان عمره عشر سنين فظن الناس انه سنكون فتنة عظيمة بعد موت والده فلم يحرك احد ساكنا وانشد ابن الاوحد في ذلك

مضى الظاهر السلطان اكرم ماله الى ربه يرقى الى الخلد في الدرج
وقالوا ستاتي شدة بعد موته فاكذبهم ربي وما جا سوى فرج

وفي سنة ٨٠٣ هـ اغار تيمورلنك التتاري على الشام ونازل حلب وضايقة وافتتحها عنوة ومثل باهلها تمليلاً شنيئاً فخاف اهل الشام وارسلوا بطاعتهم هكذا فعل اهل حماة وحمص . اما اهل بعلبك فامتنعوا بها فصار اليها تيمورلنك وضيق عليها فطلب اهلها الامان فلم يؤمنهم ولم يلتفت الى مقاتلهم ولم يرث لاندلهم بل ارسل فيهم جوارح النهب والاستئصال

وانصل الخبر بالملك الناصر فرج فخرج من معمر في العساكر ولما وصل الى دمشق بلغ تيمور اليها بجيشه الجرار واقام في غربي المدينة بداريا وما يليها وحصلت بين الفريقين مناوشات ليست بذات بال . ثم دخل الخلف عساكر السلطان فعاد فريق منهم الى معمر . ودخل على السلطان احد خواصه فخوفه من بطش تيمور ان هو وقع في قبضة يده فآثر كلامه في السلطان فخرج ليلاً من القلعة قاصداً الرجوع الى معمر ومر بالبقاع العزيزة و بات في سفح لبنان بين قريتي نيجا وجباع الحلاوة لئلا يعلم به احد وسار في طريق الساحل الى معمر

ولما علم تيمور بهرب السلطان احتاط دمشق بالعساكر فملكها وقتل اعيانها وسبي نساءها واحرقها مع الجامع الاموي وكان فيه جم غفير من النساء والاطفال فهلك جميعهم واهرب المساجد والمدارس والمعابد ودك القلعة وارتكب جنوده بها الفظائع وسار تيمور غن دمشق الى جهة اردن وبغداد فملكها سنة ١٤٠١ م وحارب

بايزيد السلطان العثماني سنة ١٤٠٢ م . وفي هذه السنة (١٤٠٢ م) ارسل تيمور رسلاً وهدايا نفيسة الى السلطان فرج واعتذر عما صدر منه بسورية ووقع الصلح بينهما وفي سنة ٨٠٨ هـ وقعت فتن بين الامراء بمصر فخاف السلطان فرج على نفسه واختفى ولم يعلم احد اين ذهب بعد ان ملك ست سنين واشهرًا

٦٠٦ — المنصور عبد العزيز بن برفوق

سنة ٨٠٨ هـ او سنة ١٤٠٥ م

فاجتمع القضاة والامراء عند الخليفة وتشاوروا في من يولونه فقر رأبهم على مبايعة اخيه عبد العزيز بن برفوق فبايعوه ولقبوه الملك المنصور . ثم ظهر الملك الناصر فرج فامسك اخاه المنصور عبد العزيز وجبسه في الاسكندرية ثم قتل سنة ٨٠٩ هـ وكانت مدة ولايته ٤٧ يومًا

٦٠٧ — الناصر فرج بن برفوق (ثانية)

من سنة ٨٠٨ - ٨١٥ هـ او من سنة ١٤٠٥ - ١٤١٢ م

وعاد الناصر فرج الى عرش ملكه . وفي ذات السنة وثب يعبر بن مهني امير العرب في خلق كثير من العرب على دمشق فالتقاه نائبها خارج المدينة والتحم بين الفريقين القتال فانهزم النائب واستولى يعبر على دمشق . وشكت الناس من جور وظلمه فخرج اليه السلطان الناصر فرج . من مصر في العساكر المهرية فازاحه عن دمشق وعن الامصار الشامية وجدد بناء الجامع الاموي وامن الناس ورتب امور البلاد وعاد الى مصر

وفي سنة ٨١٥ هـ اتفق الامير شيخ ونوروز نائب الشام وغيرهما من الامراء على العصيان بالشام فخرج اليهم السلطان فلما وصل الى غزة خامر عليه عسكره

ولحقوا بالامير شيخ ونوروز الى حصص فتوجه السلطان في طلبهم فلما قرب من حصص قصدوا القاهرة من على بعلبك ووادي النيم فعاد السلطان في طلبهم الى ان وصل الى اللجون (بقرب الناصرة) واقتتلوا قتالاً شديداً فانكسر السلطان وهرب الى دمشق فتابعوه وحاصروه بقلعتها اياماً ثم اشتد الحصار على السلطان فطلب الامان فامنوه . فلما نزل من القلعة قبضوا عليه وسجنوه وادعى عليه اعدامه بقتل اخيه ظلماً فحكموه بقتله عوضه فقتلوه وبقي ثلاثة ايام مرمياً على مزبلة عريانة . وأضيفت السلطنة الى الخليفة المستعين بالله ابي الفضل العباس بن محمد العباسي وصار خليفة وسلطاناً مدة سنة اشهر . وكان الامير شيخ المحمودي الذي ثار على الناصر فرج كما تقدم انما يجر النار لقرصه فلما ولي الخليفة السلطنة ولي هو النيابة عنه بمصر ونوروز النيابة عنه بالشام . ثم طمع الامير شيخ المذكور بانتزاع الامر من الخليفة خوفاً ثبوت قدمه بها فدخل امراء الممالك في ذلك وبين لهم الاضرار التي تلحقهم من انتزاع الملك منهم فجاهروا بالعصيان على الخليفة ونادوا بالامير شيخ سلطاناً عليهم فخلعوا المستعين بالله من الخلافة والسلطنة معاً وتولى الخلافة بعده الفضل داود العباسي وتولى السلطنة السلطان الرابع من الجراكسة وهو الملك المؤيد شيخ الآتي ذكره

٦٠٨ - الملك المؤيد شيخ

من سنة ٨١٥ - ٨٢٤ هـ او من سنة ١٤١٢ - ١٤٢١ م

كان الامير شيخ بن عبد الله المحمودي الظاهري من مماليك الملك الظاهر برقوق اعتقه وقدمه في المراتب الى ان صار مقدم الف في دولة الملك الناصر فرج ثم نائب السلطنة بطرابلس ثم بالشام ايضاً واسره تيمورلنك في حلب ثم نجاً من الاسر . وكانت له امور مع الملك الناصر فسجنه مدة . ثم التف الى نوروز نائب الشام في عصيانه المار ذكره ولما قتل الملك الناصر وتسلطان الخليفة العباسي كان

شيخ اتابك المسكر بمصر فخلع الخليفة من السلطنة وتسلطن مكانه سنة ٨١٥ هـ كما تقدم وتسمى الملك المؤيد

وكان السلطان الملك المؤيد عاقلاً حسن السياسة فسعدت البلاد في ايامه ولم يكدر ملكه الا عصيان نوروز نائب الشام عليه لانه لما رأى استبداده بالملكة وخيائته اليهود التي كانت بينهما بقي يخطف باسم الخليفة العباسي على منابر دمشق واستمر واضماً يده على البلاد الشامية من غزة الى الفرات الى سنة ٨١٧ هـ التي فيها سار الملك المؤيد بالعساكر من مصر الى الشام ومعه الخليفة المنصور بالله داود والفضة الاربعة فوجد نوروز قد حصن دمشق فحاصره المؤيد وطال الحصار وفي اخر الامر سلم نوروز نفسه الى الملك المؤيد فقطع رأسه وارسله الى القاهرة فملق على باب زويلة ثلاثة ايام ثم دفن . وكان مقتل نوروز سنة ٨١٨ هـ واقام الملك المؤيد بعد ذلك بدمشق اياماً فنظم البلاد الشامية ثم عاد الى مصر . واستمر الملك المؤيد سلطاناً على مصر والشام الى ان طرقه المرض سنة ٨٢٤ هـ فتوفي يوم الاثنين ٩ محرم من السنة . ومن اثاره جامع المؤيد بالقرب من باب زويلة

٦٠٩ - المظفر احمد بن شيخ

سنة ٨٢٤ هـ او من سنة ١٤٢١ م

لما توفي الملك المؤيد شيخ اجتمع الامراء وبايعوا لابنه احمد بن شيخ وكان طفلاً رضيعاً لم يتجاوز الثانية من عمره فعارض الخليفة في توليته ولكنه اذعن الى قبول ذلك لما رأى اصرار المماليك فبايع له واقبه الملك المظفر . وقام الامير ططر بتدبير الدولة ثم طمع في الملك فخلع الملك المظفر وتسلطن مكانه وذلك في ١٩ شعبان سنة ٨٢٤ هـ

٦١٠ - الملك الظاهر ططر

سنة ٨٢٤ هـ او سنة ١٤٢١ م

واستتب الامر للامير ططر (ويقال تتر) وخطب باسمه على منابر مصر والشام
وتلقب الملك الظاهر ولكنه لم يهنأ بالملك طويلاً لانه توفي يوم الاحد ٤ ذي
الحجة من السنة

٦١١ - الصالح محمد بن ططر

من سنة ٨٢٤ - ٨٢٥ هـ او من سنة ١٤٢١ - ١٤٢٢ م

ولما توفي الملك الظاهر ططر بويع بالسلطنة بعده ابنه محمد واقب الملك
الصالح وكان عمره حينئذ احدى عشرة سنة فقام بتدبير دولته جاني بك الصوفي
فصار صاحب الحل والعقد والابرار والنقض فاستوحش لذلك باقي الامراء ووثب
الامير برس باي على الاتابك جاني بك فهرب منه فقبض عليه بعض المماليك
واحضروه الى الامير برس باي فقيده وارسله الى السجن في الاسكندرية .
ونزل منزله وتولى الحل والعقد مكانه . ثم وقعت نفرة بين برس باي والامير
طرا باي حاجب الحجاب فقبض برس باي عليه وارسله الى السجن بالاسكندرية
وقويت شوكة برس باي وتعمص له جماعة من الامراء فخلعوا الملك الصالح محمد
ابن ططر من الملك ونادوا باسم برس باي ملكاً فكانت مدة سلطنة الملك الصالح
ثلاثة اشهر واربعة عشر يوماً

٦١٢ - الملك الاشرف برسبه باي

من سنة ٨٢٥ - ٨٤١ هـ او من سنة ١٤٢٢ - ١٤٣٨ م

وجلس برس باي على كرسي السلطنة يوم الاربعاء ٨ ربيع الاخر سنة ٨٢٥ هـ
ولقب الملك الاشرف . وكان برس باي عاقلاً حسن السياسة فازال المظالم التي
احدثها سلفه وسعدت البلاد في ايامه واغتنى الفقراء . ومن اعماله التي تستحق
المدح منعه الناس من تقبيل الارض بين يديه كمادة الملوك قبله وابدال ذلك
تقبيل اليد فقط

وفي سنة ٨٢٩ هـ ارسل السلطان الاشرف تجريدة الى قبرس لقتال ملكها
وبلغوا اولاً الى الماغوصة ثم الى الملاحة وكان قتال شديد بين الجيشين
ودارت الدوائر على عسكر ملك قبرس فهتبت عساكر السلطان واسرت نحو ٧٠٠
اسير وملكوا حصن لامسون وانهزم القبرسيون وقتل اخو الملك واسروا الملك
نفسه واتوا به الى مصر بعد ان نهبوا داره واحرقوها واحرقوا دوراً اخرى كثيرة
واخذوا من الغنائم شيئاً كثيراً . ولما بلغوا بلاك قبرس الى القاهرة اصطفت العساكر
امام باب القاعة صفين ودخل الملك بينهما مقيداً راكباً بغلاً وامر السلطان
بسجنه . ثم اتفق ملك قبرس مع السلطان ان يوذي اليه ٢٠٠ الف دينار يدفع
نصفها وهو بالقاهرة والنصف الثاني بعد عوده الى قبرس ويدفع كل سنة ٢٠ الف
دينار فافرج السلطان عنه وعاد الى بلاده

وفي هذه السنة كملت عمارة المدرسة الاشرفية التي بناها الاشرف هذا عند
سوق الوراقين بالقاهرة . وفي سنة ٨٣٣ هـ وقع طاعون شديد الوطأة في مصر
واستمر اربعة اشهر فمات به من الناس كثيرون حتى قيل انه مات في يوم واحد
نحو ٢٤ الف شخص وضج الناس من ذلك وصار يودع بعضهم بعضاً وقال شاعر
في ذلك

قد نقص الطاعون ثاثة الورى واهلك الوالد والوالدة
 كم منزل كالشمع سكاكه اطفاهمو في نفخة واحدة
 وفي سنة ٨٤١ هـ مرض السلطان الملك الاشرف برس باي وحصل له ملحوليا
 فامر بنى الكلاب من القاهرة الى بر الجيزة فاقموا امره . ورسم ان لا تخرج امرأة
 من بيتها فكانت المرأة اذا ارادت الخروج من بيتها لحاجة اخذت ورقة من
 الخدس وجعلتها برأسها لتباح ان تمشي بالسوق الى غير ذلك من الاوامر التي
 لا طائل تحتها . ثم اشتد مرضه وتوفي يوم السبت ١٢ ذى الحجة من السنة المذكورة
 بعد ان ملك ١٧ سنة وستة ايام

٦١٣ - العزيز يوسف بن برسه باي

من سنة ٨٤١ - ٨٤٢ هـ او من سنة ١٤٣٨ - ١٤٣٩ م

فتولى بعده ابنه يوسف بن برس باي ولقب الملك العزيز وكان عمره يوم
 توليته اربع عشرة سنة فقام بتدبير دواته الاتابك جقمق فاستبد بامور الدولة وصار
 صاحب الحل والعقد . وفي سنة ٧٤٢ هـ دبت عقارب الفتنة بين الاتابك جقمق
 وبين الامراء الاشرفية واخذوا يعاكسون الاتابك في ما يعمله من الامور . وكان
 الملك العزيز بيد جقمق كلاب يحركه كيف شاء وليس له من السلطنة الا الاسم
 فقط . وقصد الامراء مرات قتل الاتابك جقمق ولكن النف جماعة من الامراء
 المؤيدية والناصرية عليه وتعصبوا له ووثبوا على الملك العزيز ومعهم كثيرون
 من المماليك السيفية وانتشب القتال بين هؤلاء وبين الامراء الاشرفية فلم تكن
 ساعة حتى انهزم الامراء الاشرفية وتشتتوا . واتفق محاربو جقمق على تمليكته
 واستدعوا الخليفة المعتض بالله داود وقضاة المذاهب الاربعة فخلعوا الملك العزيز
 من السلطنة وولوا الاتابك جقمق الآتي ذكره

٦١٤ - الملك الظاهر بمصر

من سنة ٨٤٢ - ٨٥٧ هـ او من سنة ١٤٣٨ - ١٤٥٣ م

فجلس جقمق على كرسي السلطنة وتلقب بالملك الظاهر . وبعد سلطنته وزع المناصب والاقطاعات كيف شاء فولى نيابة السلطنة بمصر اقبغا التمرازي وهو آخر من تولى نيابة السلطنة بمصر اذا ابطلوا هذه المرتبة

وفي سنة ٨٤٣ هـ خرج اينال الحكمي نائب الشام عن الطاعة وظهر العصيان وتابعه على ذلك تغري برهش نائب حلب فارسل السلطان اليهما العساكر ونهض الاتابك اقبغا التمرازي المذكور نائباً بالشام عوضاً عن اينال الحكمي . فسار التمرازي الى الشام وحارب النواب المنتقضين فكسرهم واسرهم وقطع رؤوسهم وارسلها الى القاهرة فعلقت على باب زويلة

وفي سنة ٨٥٧ هـ توفي الملك الظاهر جقمق الملائي ولما شعر بثقل مرضه دعا الخليفة القائم بأمر الله حمزة وقضاة المذاهب الاربعة وعهد بالملك الى ولده عثمان وخلع نفسه من السلطنة . وقد انشأ الملك الظاهر كثيراً من المساجد والمعابد والقناطر والجسور وكان يكرم العلماء ويصلهم ويحب الفقراء ولا سيما الايتام منهم

٦١٥ - المنصور عثمان بن جقمق

سنة ٨٥٧ هـ او سنة ١٤٥٣ م

هو فخر الدين عثمان بن جقمق جلس على سرير الملك في حياة ابيه اذ خلع نفسه عن السلطنة كما مر سنة ٨٥٧ هـ ولقب بالملك المنصور . وكان اتابك عسكره اينال الملائي

ولم يكن في الخزينة مال فانتقص الملك المنصور من نفقة العساكر وضرب دنانير ذهباً بنقص كل دينار منها عن الاشراف قباطين واراد ان ينفق هذه الدنانير

على المسار فتاب المالك الاشرفية والمؤيدية والتف اليهم جماعة من المالك
السيفية وقصدوا بيت الاتاك اينال الملائي فادركوه على كره منه ودعوا الخليفة
القائم بامر الله حمزة وكتبوا محضراً شهد فيه جماعة بما يوجب خلع الملك المنصور
وبايعوا الاتاك اينال الملائي بالسلطنة ووثبوا على الملك المنصور وحاصروه في
القلعة واستمرت الحرب بينهم من يوم الاثنين الى يوم السبت وقطعوا الماء عنه
ومنعوا الاقوات عن عسكره حتى يئس الملك المنصور وانهمز من كان معه قبض
اينال على الملك المنصور وقبذة وارسله الى الاسكندرية وسجنه بها فكانت مدة
سلطنته ٤٣ يوماً

٦١٦ - الملك الاشرف اينال المملوك

من سنة ٨٥٧ - ٨٦٥ هـ او من سنة ١٤٥٣ - ١٤٦١ م

اما اينال الملائي فبعد مبايعته بالسلطنة سمي الملك الاشرف وكني ابا نعيم
ولقب سيف الدين . وكان عاقلاً حسن السيرة فسعدت الدولة على يده ولم يحصل
في ايامه ما بهم ذكره الي ان توفي سنة ٨٦٥ هـ فكثر عليه الحزن والاسف كما قيل
هي الدنيا اذا كملت وتم مرورها خذلت
وتفعل بالذين بقوا كما في من مضى فعلت
وكانت مدة ملك الملك الاشرف اينال ثمانين سنين وشهرين وستة ايام
وكان عمره ٨١ سنة

٦١٧ - المؤيد احمد بن اينال

سنة ٨٦٥ هـ او سنة ١٤٦١ م

وبويع بعده ابنه احمد بن اينال ولقب الملك المؤيد وكان عمره لما اُختوى

على منصة الملك ٣٨ سنة . وكان اهلاً لسلطنة وبصيراً بصالح الرعية لكن خانه الزمان وغدر به ممالك ابيه لاربعة اشهر من ملكه فخلعوه من السلطنة وبايعوا اتابك العسكر خشقدم

٦١٨ - الظاهر خشقدم

من سنة ٨٦٥ - ٨٧٢ هـ او من سنة ١٤٦١ - ١٤٦٧ م

هذا الملك ليس جركمي الاصل كباقي ملوك هذه الدولة بل هو رومي جلبيه التاجر ناصر الدين فمرق بالناصري واشتراه منه الملك المؤيد شيخ المار ذكره واعنته وصار جماداراً وبقي خاصكياً في دولة الملك المنظر احمد بن المؤيد شيخ الى ان صار مقدم الف بدمشق ولما تغير خاطر السلطان على الامير قاني بك حاجب الحجاب ونفاه استخضر خشقدم من دمشق وانعم عليه باقطاع الامير قاني بك سنة ٨٥٤ هـ . ثم صار خشقدم امير سلاح في دولة الملك الاشرف اينال ولما توفي هذا الملك وتولى بعده ابنه المؤيد احمد استعمل خشقدم اتابك العسكر . ثم خلع المماليك المؤيد وعهدوا بالسلطنة الى خشقدم فبويع بها في ١٧ رمضان سنة ٨٦٥ هـ ولقب الملك الظاهر

وكان الملك الظاهر خشقدم المذكور حكماً باراً حليماً محباً لرعيته شاعراً على راحتهم فاحبته الرعية واجمعوا على طاعته والاخلاص له فحكم ست سنوات ونصفاً كلها سلام ونعيم وتوفي في ١٠ ربيع اول سنة ٨٧٢ هـ

٦١٩ - الظاهر بيلى المؤيدى

سنة ٨٧٢ هـ او سنة ١٤٦٧ م

لما توفي الملك الظاهر خشقدم اتفق الامراء على مبايعة اتابك عسكره الامير

بلباي المؤيدي (نسبة الى الملك المؤيد شيخ) وحضر الخليفة المستنجد بالله يوسف وقضاة المذاهب الاربعة فبايعوه بالسلطنة وسمي الملك الظاهر وكني بابي نصر ولقب بسيف الدين . فلما جلس على منصة الملك جعل تمر بفا اتابك العساكر ووزع باقي المناصب على من اراد وقبض على بعض الامراء وارسلهم الى السجن بالاسكندرية وقطع نفقة بعض الخدام . فنفرت منه قلوب الرعية وحصلت فتنة بين الممالك افضت الى اجتماع الامراء يوم السبت ٧ جمادى الاولى من سنة ٨٧٢ هـ واحضروا الخليفة والقضاة الاربعة وخلصوا الملك الظاهر بلباي واتفقوا على ان يبايعوا بها الاتابك تمر بفا ثم قبضوا على بلباي وقيده وارسلوه الى السجن بالاسكندرية فكانت مدة سلطنة الملك الظاهر بلباي المذكور شهرين الا اربعة ايام

٦٢٠ - الظاهر تمر بفا

سنة ٨٧٢ هـ او سنة ١٤٦٧ - ١٤٦٨ م

فاستقر الامير تمر بفا بالسلطنة (وهو رومي الاصل) ولقب بالملك الظاهر وكني بابي سعيد وكان كفواً للسلطنة وله المام ببعض العلوم والفنون . ولما استوى على عرش السلطنة جعل الامير قايت باي اتابك العساكر ووزع المناصب والاقطاعات على من شاء من الامراء ثم وقعت الوحشة بينه وبين الممالك الخشقدمية . فاتفق مقدمهم خير بك مع باقي الممالك على خلع الملك الظاهر والبيعة له فهجموا على قصر السلطان ليلة الاثنين ٦ رجب وقبضوا على السلطان وعلى جماعة من امرائه وسجنوهم . وظن الامير خير بك ان الامر تم له واخذ يوزع المناصب في تلك الليلة ولسان الحال يناديه « كلام الليل يحويه النهار » وكان الاتابك قايت باي غائباً ولما بلغه الخبر اسرع الى المدينة وشجع جماعة الظاهرية واستمال الاينالية على الامير خير بك ووعدهم ومنامهم فاتفقوا تلك الليلة

ثمّسها على خلع السلطان تمر بنا وتولية الاتابك قايت باي . وعند الفجر اركبوه وصاروا به نحو القلعة فلما رأى خير بك ذلك اضطرب وضاق به الامر فاجرج السلطان تمر بنا من السجن واجلسه على منصفته وقبل الارض قدامه مستغفراً واستثلى امامه وقال « اقتلني فاننا كنت باغياً عليك » فاجابه السلطان « لا انا ولا انت بقي لنا بقاء » ودافع الخشقدمية وخير بك قايت باي وجماعته بقدر طاقتهم ولكنهم انكسروا ونشتتوا وقبض قايت باي على خير بك وبهض غضبه فقدم وسجنهم بمحل بالقلعة وارسل السلطان تمر بنا الى ثغر دمياط دون قيد مكرماً . ودعوا الخليفة والقضاة الاربعة وبايعوا قايت باي بالسلطنة . وكانت مدة سلطنة تمر بنا ٥٨ يوماً

٦٢١ — الملك الاشرف قايت باي

من سنة ٨٧٢ — ٩٠١ هـ او من سنة ١٤٦٨ — ١٤٩٦ م

اصل قايت باي جرکسي جلبه الى مصر تاجر اخيه محمود فنسب اليه فقبيل الحمودي وانصل الى الملك الظاهر جقمق فنسب اليه ايضاً فقبيل الظاهري . والملك الظاهر جقمق هو الذي اعتقه وصيره جداراً ثم خاصبكيّاً ثم داوداراً كبيراً ولما توفي الظاهر جقمق ونسطن الظاهر بلباي جعله رأس نوبة النواب ولما تولى الظاهر تمر بنا جعله اتابك المساكر الى ان اتفق المسكر على سلطنته وبايعه بها الخليفة والقضاة الاربعة سنة ٨٧٢ هـ وسمي الملك الاشرف وكني ابا نصر ولقب سيف الدين

ولما جلس الاشرف على كرسي المملكة كانت البلاد في غاية الاضطراب لتوالي الفتن بها فاستعمل الصرامة والحزم في معاملة المفسدين حتى استتب امره وعادة السكينة الى البلاد وساد الامن وعم العدل ولم يجهل في داخلية البلاد مدة ملكه الطويلة شي من الفتن . فالتفت الاشرف الى خارجة البلاد

ورأى ان بلاده وان امنت من الغنن الداخلية فلا تأمن من عدو خارجي متربص لها يريد ابتلاعها وضمها الى بلاده الواسعة نعتي به بايزيد العثماني الذي بعد ان اتسعت دولته بما فتحه من بلاد الروم طمع في الاستيلاء على الشام ومصر وسير عساكره سنة ٨٩٢ هـ . فلما وصل العسكر العثماني الى اذنة اتصل الخبر بالملك الاشرف فجنده عسكراً لصددهم فكانت بين العسكرين وقعة قتل فيها خلق كثير من الفريقين وعاد العثمانيون الى اذنة فتبعهم المصريون اليها وحاصروها وتسلوها اخيراً بالامان . وعاد المصريون ظافرين

وفي سنة ٨٩٤ هـ لما رجع المصريون طمع العثمانيون في الاستيلاء على البلاد الخلبية فاهتم الملك الاشرف بارسال تجريدة اخرى أمر عليها قانصوه الشامي احد مقدمي الالوف فاستولوا في السنة التالية على بعض الاماكن من الدولة العثمانية ولكن حصل في العسكر المصري قلق من قبل النفقة فمادوا الى مصر سنة ٨٩٦ هـ وبعد قليل حصل الصلح بين بايزيد العثماني والملك الاشرف واطلق الاسرى من الفريقين

وفي سنة ٨٩٧ هـ كان بمصر طاعون شديد الوطأة مات به الوف من السكان وقيل كان يموت بهذا الوباء كل يوم اكثر من الف شخص . وعم الوباء الشام ولم يكن عدد الموتى بدمشق اقل من الموتى بالقاهرة

وفي سنة ٩٠١ هـ حمّ السلطان الاشرف قايت باي وزاد مرضه فاجتمع يوم السبت ١٦ ذي القعدة من السنة الخليفة والقضاة الاربعة وخلعوه من السلطنة وهو في النزاع وبايعوا ابنه محمداً بالسلطنة ولما كان يوم الاحد ١٧ من الشهر المذكور توفي الملك الاشرف وعمره نحو ٨٦ سنة ومدة سلطنته ٢٩ سنة واربعة اشهر واياماً ولم تنفق هذه المدة لغيره من سلاطين هذه الدولة . وقد خلف كثيراً من الآثار التي تحيي ذكره منها مدرسة بمكة المكرمة وعمارة المسجد الشريف فيها ومدرسة بيت المقدس ومدرسة بدمشق واخرى بقرية واخرى بدمياط واخرى بالاسكندرية والجامع الذي بالصحرى والجامع الذي بالروضة الى غير ذلك من معاهد العلم والدين

٦٢٢ - الناصر محمد بن قلاوون

من سنة ٩٠١ - ٩٠٢ هـ او من سنة ١٤٩٦ - ١٤٩٧ م

بويغ بالسلطنة يوم السبت ١٦ ذي القعدة بحياة ابيه ودون رضاه لانه كان في النزاع وكان له من العمر عند مبايعته ١٤ سنة واشهر وكني ابا السعادات ولقب بالملك الناصر وحالما جلس على كرسي السلطنة وزع الوظائف والاقطاعات على من شاء من الامراء وولى وعزل كثيرين . وانغمس في الشهوات الجسدانية وانعكف على الالعب العبيانية حتي ثقلت وطأته على رعيته . فاجتمع الامراء عند قانصوه خمسمائة (لقب بخمسمائة لانه اتبع بالاصل بخمسمائة دينار) اتابك المسكر واحضر والخليفة والقضاة الاربعة فخلعوا الملك الناصر بصورة شرعية وبايعوا قانصوه خمسمائة الاقي ذكره

٦٢٣ - الاشرف قانصوه خمسمائة

سنة ٩٠٢ هـ او سنة ١٤٩٧ م

واستقر قانصوه خمسمائة المذكور بالسلطنة ولقب الملك الاشرف وارسل بعض الامراء ليقبض على الملك الناصر واعتقاله فتمصب له جماعة من المماليك ومنعوا الامراء من دخول القلعة وانتشب القتال بين الفريقين واستمد قانصوه خمسمائة الناس فلم يمدوه بل حاصره مماليك الناصر في باب السلسلة ومعه الخليفة والقضاة الاربعة واستمر الحال على ذلك يومين وفي آخر القتال جرح قانصوه خمسمائة واغمي عليه فجمله بعض غلمانه . ونزل مماليك الناصر الى باب السلسلة وهزموا من كان به وانتهبوا كل ما فيه واتعصر الناصر وعاد الى كرسي مملكته

٦٢٤ - الناصر محمد بن قايث باي (ثانية)

من سنة ٩٠٢ - ٩٠٤ هـ او من سنة ١٤٩٧ - ١٤٩٨ م

وعاد الناصر الى المملكة بعد هزيمة قانصوه خمسمائة كما تقدم وفي ثاني يوم توجه الخليفة والقضاة الاربعة الى قصر الناصر وهناؤه بانتصاره
وعاد الناصر الى ماكان عليه من شرب الخمر وفسرة النساء واللهو واللعب
واهمل امر السلطنة ولم يتعلم مما حدث كيف يحسن سيرته حتى اوغر عليه صدور
المماليك ثانية وتربصوا الفرص لاغتياله
وفي سنة ٩٠٤ هـ سار السلطان الى بر الجيزة واقام هناك ثلاثة ايام في ارغد
عيش وقد خرج عن الحد في اللهو والخلاعة والطيش . وكان لسان الحال
يقول له .

تزود من الدنيا فانك لا تدري اذا جن ليلاك هل تميش الى الفجر
فكم من صحيح مات من غير علة وكم من عليل عاش حيناً من الدهر
وكم من فتي يمشي ويصبح آمناً وقد نسجت اكفانه وهو لا يدري
ثم ركب السلطان في آخر تلك الايام ولم يكن معه الا ابنا عمه وبعض سلحدار يته
ومر على الطالبية وكان هناك طومان باي متوجهاً الى البحيرة فخرج مسرعاً للاقاء
السلطان وسأله ان يحمل عنده فأبى فقدم له طومان باي جفنة من لبن فاخر فوقف
السلطان وهو راكب على فرسه وأخذ يتناول من اللبن وطومان باي ضابط للجام
فرسه واذا بخمسين مملوكاً خرجوا من الخيام التي هناك وعاجلوا السلطان بالجسام
قبل الكلام فقتلوه شز قتلة ونسب قتله الى طومان باي



٦٢٥ - الظاهر قانصوه الاشرفي

من سنة ٩٠٤ - ٩٠٥ هـ او من سنة ١٤٩٨ - ١٥٠٠ م

ولما توفي الناصر اختلف الامراء في من يولونه السلطنة بعده ثم اتفقا على مبايعة قانصوه الاشرفي (وهو خال الملك الناصر) فبايعوه وثلقب بالملك الظاهر وكني ابا سعيد ولما استقر له الملك اسند الى الاميرجان بلاط اتابكية المسكر بمصر واستعمل دولات باي في نيابة حلب والامير قنصروه في نيابة الشام وبلباي في نيابة طرابلس

وكان طومان باي يطمع في السلطنة فلما تولى الملك الظاهر هرب الى الصعيد فارصل اليه السلطان يستدعيه وحلف له انه لا يهينه اذا قابله ولا يقبض عليه فلم يثق طومان باي بذلك الحلف واظهر العصيان . فتحقق الملك الظاهر الثورة عليه واخذ يحصن القلعة ويستعد للحصار بها وفرق السلاح على مماليكه وقبض على بعض الامراء الذين وقعت له بهم الشبهة . وتوجه طومان باي الى الازبكية بمن معه من الامراء وكان الاتابك جان بلاط ساكناً هناك واتفقوا على خلع الملك الظاهر وساروا بهاصرون القلعة . ولم يكن عند الملك الظاهر الا نائب القلعة وبعض الامراء ونحو الف رجل ومع ذلك استمرت الحرب بين الفريقين ثلاثة ايام وبعدها دخل طومان باي باب السلسلة وانهزم الملك الظاهر وتشتت من كان معه بالقلعة . ودخل الملك دار الحريم ولبس زي امرأة وتوجه نحو الترب فاخفى وبقى مختفياً نحو نصف شهر وبعد ذلك ظفر به الملك جان بلاط (الذي تولى بعده كما يأتي) فقيده وارسله الى الاسكندرية ووضعه في البرج فاستمر محبوساً ١٧ سنة وولد له هناك اولاد . وكانت مدة ولايته عاماً واحداً وثمانية اشهر ويومين

٦٢٦ - الملك الاشرف جان بلوط

من سنة ٩٠٥ - ٩٠٦ هـ ومن سنة ١٥٠٠ - ١٥٠١ م

وبعد خلع الملك الظاهر قانصوه الاشرفي المتقدم ذكر اجتماع الامراء وقرأ رأيهم على مبايعة الامير جان بلاط فبايعوه يوم ١٢ ذي الحجة سنة ٩٠٥ هـ ولقب الملك الاشرف فعصي قصره نائب الشام فارس له عسكرياً بقيادة اتابك عسكره الامير طومان باي ولكن هذا عوضاً عن ان يقاتل العاصي اتفق معه وعاد الى القاهرة مع العساكر المجهزة الى الشام فحاصروا القلعة واستمرت نار الحرب ثلاثة ايام وظهر اخيراً ان الدائرة ستدور على الاشرف جان بلاط فاخذ الامراء والجنود ينسحبون من القلعة ويحضرون الى طومان باي . ولما ضاق الامر على الاشرف جان بلاط دخل الى دور الحريم واختفى . ودخل طومان باي وجماعته القلعة وقبضوا على جان بلاط وقيده بريد ثقل ثم ارسلوه الى السجن بالاسكندرية ثم خنقوه بالسجن . وكانت مدة سلطنته ستة اشهر وثمانية عشر يوماً

٦٢٧ - الملك العادل طومان باي

سنة ٩٠٦ هـ او سنة ١٥٠١ م

بويغ له اولاً بدمشق يوم الجمعة ١٥ جمادى الاولى سنة ٩٠٦ هـ ولقب الملك العادل وبعد ان صلى الجمعة بالجامع الاموي دخل قلعة دمشق وسكن بها وخطب له بالشام . ثم سافر من دمشق الى مصر وفي خدمته قصره اتابكه الذي كان نائب الشام . وفي ١٩ جمادى الاخرى طلع الملك العادل طومان باي الى قلعة مصر واحضر القضاة والخليفة وقرئت عليهم مبايعته بدمشق فامضى له الجميع وفرح الناس بذلك لبعثهم لجان بلاط لخبث طويته ورجاء لعدل هذا الملك . ولما تمكن من الملك بعد نصف شهر قتل قصره واستخف بالامراء المقدمين فخذوا عليه

واتفق الامير قنبل امير السلاح والاشرف الغوري الدودار الكبير وغيرها
فركبوا عليه في ١٧ رمضان من السنة فنزل في آخر نهاره من القلعة هارباً واخفى
فتبعه العسكر الى ان ظفروا به فقتلوه وقطعوا رأسه ودفنوه في تربته التي اعدّها
لنفسه ايام امارته في اطراف الصحراء من جهة القبلة فكانت مدة سلطنته ثلاثة
اشهر ونصفاً

٦٢٨ - الملك قانصوه الغوري

من سنة ٩٠٦ - ٩٢٢ هـ او من سنة ١٥٠١ - ١٥١٦ م

وبعد خلع الملك العادل طومان باي اتفق الامراء على تولية الامير قانصوه
الغوري الدودار الكبير فبايعوه ولقبوه الملك الاشرف وقد اختاره امراء مصر
للسلطنة لانه كان لين العريكة سهل الازالة اي وقت ارادوا عزله عزلوه لانه
كان اقلهم مالاً واضعفهم حالاً واوهنهم قوة ولما عرضوا عليه السلطنة قال « لا
اقبل السلطنة الا بشرط ان لا تقتلوني فاذا اردتم خلعي فاخبروني وانا اوافكم وانزل
لكم عن الملك » فعاهدوه على ذلك فقبل وفرح العسكر بولايته . وكان كثير
الدهاء ذا فطنة ورأي الا انه كان شديد الطمع كثير الظلم فاخذ يلقي الفتنة
بين الامراء يأخذ هذا بهذا ويدس لهم السم في الطعام حتى افني كبراءهم
ودعاتهم . ولم يحدث في داخلية البلاد في ايامه امر يستحق الذكر

وفي سنة ٩٢٢ هـ بلغ الملك الاشرف قانصوه الغوري ان السلطان سليمان
الاول العثماني عازم على ان يحمل على سورية ومصر لينتزعها من ايدي الملوك
الجراكسة . فتجهز الملك الاشرف وخرج بالساكر المصرية الى الشام فسار الى
دمشق ومنها الى حلب وهناك وصله وفد من السلطان سليم العثماني للمفاوضة في
الصالح (وكان ذلك خدعة حربية من السلطان سليم لينع قانصوه من الاستعداد)
فخام الملك الاشرف على وفد السلطان العثماني وارسل الى السلطان سليم الامير

مغلباي الدوادار للمفاوضة بامر الصلح . فقبض السلطان سليم عليه ووضعه في الحديد وقصد شنته فشفع به بعض وزرائه . ثم امر السلطان سليم عساكره ان يسبوا نحو حاب فوصلوا الى عنتاب وملكوا قلعة ملطية وغيرها . فلما بلغت هذه الاخبار الملك الاشرف خرج من حلب وسير امامه النواب والعساكر . وعاد اليه الامير مغلباي هائلاً وقص عليه ما انزل به السلطان سليم من التعذيب والتهديد ثم خلى سبيله وقال له « قل لسلطانك ان يلاقينا الى مرج دابق » فاضطرب الاشرف من ذلك

وفي يوم الاربعاء ١١ رجب سنة ٩٢٢ هـ رحل الاشرف الى مرج دابق . وفي ١٥ من الشهر المذكور اقبلت عليه جيوش السلطان سليم وحصات بين الفريقين معركة شديدة انجالت عن هزيمة المصر بين وقتل الملك الاشرف قانصوه الغوري ووثب عسكر العثمانيين على من بقي من عساكر الغوري فقتلوا من ادركوا وشتموا الباقين شذراً مذبذباً وغنموا ما كان في معسكرهم . وكانت مدة سلطنة الغوري ١٥ سنة و٩ اشهر . ومن آثاره جامع الغورية ومدرسة الغورية في اول شارع السكة الجديدة بالقاهرة

ثم دخل السلطان سليم حلب فملكها دون معارض ثم توجه الى حماة فملكها . والى حمص فاستولى عليها ثم قدم الى دمشق فخرج اهلها الى لقائه وطلبوا منه الامان فامنهم وضبط حصون المدينة ومهد امورها . وكذا استحوذ على سورية كلها واقام بها عمالاً من خواصه وسار منها نحو مصر

٦٢٩ — طومان باي

من سنة ٩٢٢ - ٩٢٣ هـ او من سنة ١٥١٦ - ١٥١٧ م

وبعد وفاة الغوري وعود من سلم من الامراء في وقعة مرج دابق الى مصر اجتمع الامراء في القاهرة واتفقوا على تولية طومان باي ابن اخي الغوري الذي

كان يدبر الملك في غيبة الغوري فبايعوه واقبوه الملك الاشرف . وحال جلوسه على كرسي السلطنة ابتداء يستعد بتجهيز العساكر لتخليص الشام من العثمانيين . واكن السلطان سليماً العثماني لم يمهله ريثما يتم قصده . لانه لما تم فتح سورية تقدم الى مصر وقسم عسكره فرقتين فرقة جاءت من تحت الجبل الاحمر وفرقة صدمت المصريين في الريدانية فهزموهم رشتوا شملهم وثبت الملك الاشرف طومان باي يقاتل بنفر قليل الى ان خاف القبض عليه فولى واختفى . ودخل القاهرة جماعة من العثمانيين شاهرين سيوفهم واحرقوا بعض الدور ونهبوا بعضها وذلك في اواخر سنة ٩٢٢ هـ

وفي افتتاح سنة ٩٢٣ هـ امر السلطان سليم بالكف عن النهب . واشتخصوا لديه من قبضوا عليهم من الجراكسة فامر بضرب اعناقهم . وفي يوم الاثنين ٣ محرم سنة ٩٢٣ هـ دخل السلطان سليم القاهرة في موكب حافل . اما طومان باي فلما هرب جمع عسكراً كثيراً ووثب يوم الاربعاء ٥ محرم على محلة السلطان سليم واحتاطها من جميع الجوانب فانتشبت الحرب وحي وطيسها ودامت الليل كله واستأنف القتال في اليوم التالي فانهمز المصريون بعد ان دافعوا دفاع الابطال ولولا البارود والمدافع التي مع العثمانيين وكان المصريون لا يعرفونها لذلك الوقت لما انهزم المصريون ولكن هي الاقدار فاذا اراد الله امراً هياً اسبابه

ولما ظهر لطومان باي عجزه عن مقاومة العثمانيين هرب الى الصعيد ولحق به هناك كثيرون من الامراء والعسكر حتى قوي جمعه فتقدم الى بر الجيزة وبرز اليه العثمانيون من القاهرة وحصات بين الفريقين موقعة اخرى هائلة تغلب في اولها المصريون ولكن دارت عليهم الدوائر في آخرها وولى طومان باي منهزماً فلاقاه حسن بن مرعي في ضيعة اسمها البوطة وكان حسن المذكور صديقاً قديماً لطومان باي فنزل عليه ضيفاً بعد ان حلف له ان لا يخونه ولا يدل عليه واذا بالمر بان احتاطوا عليه من كل جهة وهو لا يدري واعلموا السلطان سائماً فارسل جماعة من عسكره فقبضوا عليه وغلوه واتوا به اليه فاقامه مقيداً عنده اياماً . وفي يوم ١١ ربيع

اول سنة ٩٢٣ هـ شنته على باب زويلة في القاهرة وكانت سلطنته ثلاثة اشهر واربعة عشر يوماً وانقرضت به دولة المماليك الجراكسة واصبحت سورية منذ ذلك الحين الى الان في قبضة سلاطين آل عثمان الفخام واستمرت مصر كذلك مدة طويلة الى ان ظهر محمد علي باشا رأس الدولة المحمدية العلوية فاستولى عليها ولم تزل مصر الى اليوم تحت حكم الدولة المحمدية العلوية ادام الله ظلها . والملك لله يوثيه من يشا وهو العزيز الحكيم

٦٣٠ - بقية اخبار الصليبيين

من سنة ٦٥٩ - ٦٩٠ هـ او من سنة ١٢٦١ - ١٢٩١ م

انتهينا في كلامنا عن الصليبيين في فصل (٤٧١) بهزيمة الملك لويس ملك فرنسا ووقوعه اسيراً في ايدي المصريين الى ان فدى نفسه وسار بمن سلم من رجاله الى فلسطين ومن هناك توجه الى اوربا سنة ١٢٥٤ م . ثم اغار التتر على سورية فاشتغل المسلمون عن الفرنج بهم وكان التتر يأمنون احياناً الفرنج عند غزواتهم لسورية كيلا يتجشموا حرب المسلمين والنصارى معاً . ولم يكن الفرنج المقيمون بسورية على وفاق بينهم بل كانت عداوة شديدة بين اهل جنوة واهل البندقية المتوطنين بمكا . ولم يكن لاورشليم ملك الا بالاسم فقط . وكانت اوربا في اسوأ حال من تهديد البربر لها ومن الاختلافات بين ملوكها والانقسامات الداخلية ايضاً في بعض ممالكها . وزاد في الطينة بلة وفي الطنبور نعمة سقوط مملكة اللاتين في القسطنطينية لان الملك ميخائيل باليولوغوس طرد منها الملك بودين الثاني سنة ١٢٦١ م . ففي هذه الحال السيئة قام في السلطنة الاسلامية الملك الظاهر بيبرس وفي سنة ١٢٦٣ م بعد ان اخرب بلاد انطاكية سار بمساركه المتوافرة الى فلسطين فارتاع الفرنج من دنوه اليهم وارسلوا يطلبون منه الامان فارسل واحرق كنييسة الناصرة ونهبت عساكره كل البلاد التي بين

نايين وجبل طابور واتوا فحلقوا تجاه عكا ومن الغريب ان الملك الظاهر استطاع ان يفري امير صور الافرنجي ليعاونه على عكا فوعده بالاجابة الى ذلك واتفق مع اهل جنوة وحاصر عكا بجرأ حين كان بيبرس يحاصرها برأ . على ان امير صور راجع نفسه وكف عن حصار عكا فاستشاط بيبرس من اخلاف الامير وعده له وجاهر انه سوف ينتقم من الفرنج فاخرب القرى والمزارع وقام سكان المدن على اسوارها ينتظرون يوماً فيوماً قدوم المسلمين اليهم

وفي سنة ١٢٦٥ م قصد بيبرس قيسارية فدافع اهلها شديد الدفاع ولما يشوا تركوا المدينة وامتنعوا بالقلعة لكنها مع مناعتها لم تقو على مهاجمات عسكر بيبرس فافتحوها وساروا منها الى ارسوف وبعد ان حاصروها اربعين يوماً اظهر فيها الفرنج شجاعة فائقة افتتحوها عنوة ودخل المسلمون اليها فصلوا في كنائسها التي حولها جوامع وقتلوا الكثيرين من سكانها واستبعدوا الباقين منهم ثم عاد بيبرس الى مصر . وفي سنة ١٢٦٦ م خرج بيبرس قاصداً فلسطين ونازل صفد وافتتحها بعد قتال شديد ثم تقدم الى يافا فملكها وذلك اسوارها سنة ١٢٦٧ م . وفي سنة ١٢٦٨ م ساق بيبرس عساكره الى انطاكية وبعد ان نازدا ودافع الفرنج عنها بقدر ما في امكانهم دخل المسلمون المدينة عنوة فلم يبقوا على احد ممن وجدوا من سكانها واستحلوا دم الفرنج وعرضهم والواهم . ولما امسى الفرنج بسورية بهذه الحال السيئة سار رئيس اساقفة صور اللاتيني ورئيس الفرسان الهيكليين والاسبنايين الى اوربا يستعرخون البابا والملوك والشعوب لانجادهم فكان جل من لبي دعوتهم لويس التاسع ملك فرنسا فنهض ثانية سنة ١٢٧٠ م بجيش عظيم (وهذه هي امجريدة التاسعة والاخيرة للصليبيين) وقصد اولاً شطوط افريقية لينتقم من التونسيين قبل مسيره الى فلسطين لانهم كانوا قد ازعجوا واقلعوا امنية البحر بتواتر غزوات مراكزهم القرصانية وسلبوا اكثر الذخائر والمهمات التي كانت ترسل من اوربا اسعافاً الى فلسطين فحاصر لويس التاسع المذكور مدينة قرطاجنة وضيق عليها وهزم جيوشها وافتتحها ولكنه توفي في اثناء ذلك مع جانب من جيشه

من امراض وبائية اصابتهم . وبعد وفاة لويس انتصر ابنه الملك فيليب وعساكره على سلطان تونس وارغموه على معاهدة مع الفرنج مذلة له ومشرفة للفرنج وفي جملة موادها اباحة النصارى مباشرة امور دينهم وبناء المعابد لهم . وكان ادوارد بن انريكس الثالث ملك انكلترا قد لحق بلويس التاسع ملك فرنسا الى تونس وبعد وفاته سار الى عكا ومعه نحو ثلثمائة فارس والاف راجل وانضم اليهم فرسان الهيكل والاسبيتال وجماعة من الفرنج حتى صار عسكرهم نحو سبعة الاف مقاتل فزحفوا اولاً الى فونيقى لاعادة الاتصال بين مدن النصارى وكان المسلمون قد قطعوه فعانوا مضض الحر وافرط بعضهم في اكل الفواكه والعسل فمات بعضهم . ثم توجهوا الى الناصرة فملكوها وتذكروا تدمير بيبرس لكنيستها فقتلوا من وجدوا فيها من المسلمين ونهبوا بيوتهم . وبعد هذا الانتصار لم يشاء الامير ادوارد ان يستأنف القتال اما لانه لم يرق قوة كافية للثبات في القتال وأما لانه رأى الافرنج المقيمين بسورية لا يرغبون فيه فعمد هدنة مع الملك الظاهر بيبرس الى مدة عشر سنين وعشرة اشهر وعشرة ايام وعشر ساعات وبعد التوقيع عليها عاد الى انكلترا سنة ١٢٧١ م وهكذا انتهت هذه الحملة التي هي التاسعة والاخيرة من حملات الفرنج على سورية . وانحصرت اخيراً فتوحات الصليبيين في سواحل فلسطين مثل طرابلس وعكا وصور وبيروت وغيرها ولكنهم لم يلبثوا الا قليلاً حتى وافاهم الملك المنصور قلاون ونازل طرابلس وبعد قتال شديد استولى عليها سنة ١٢٨٩ م ثم تجهز للمسير الى عكا لكنه وافاه القضاء قبل اتمام قصده حيث توفي سنة ٦٨٩ هـ او سنة ١٢٩٠ م وتولى بعده ابنه الملك الاشرف صلاح الدين بن قلاون ولم يكن اقل رغبة من ابيه في اخراج الافرنج من فلسطين فخرج من مصر في ذات السنة في جيش عظيم بلغ عدده ٤٠ الف فارس و ٢٠٠ الف راجل وتوجه توجاً قاصداً عكا ونازلها وحاصرها حصاراً شديداً وضربها بالمنجنيق ودافع الفرنج عنها بكل ما في قوتهم واخيراً اقتحم المسلمون عكا ودخلوها بالسيف واثنخوا في الفرنج واشتدت نكايتهم فيها الى درجة لم يسبق لها

نظير حتى تكرست جثث الافرنج وملأت الشوارع واحرقوا كنائسها ودورها
فاحترق فيها جمع كثير . و امر السلطان اخيراً بهدم كل القلاع والحصون
والابرجة والكنائس وامست عكاً قاعاً صنفصفاً وكوم انتقاض اما من نجا من الفرنج
من عكاً فنفرقوا شذر مذر وقل من نجا منها ولحق باوربا

ولما فتح المسلمون عكاً وقع الرعب في قلوب الفرنج الذين بساحل الشام
فاخلوا صيدا وبيروت ونسلمها نائب السلطان وهكذا خرجت سواحل الشام من
ايدى الفرنج بعد ان استمرت في ايديهم نحو ١٩٣ سنة . ومن ذلك الحين انمحت
اخبار الصليبيين من بلاد فلسطين وكان عدد من مات وقتل منهم في هذه الحروب
من باب التقريب نحو مليوني نفس فسبحان المبدى المعيد الفاعل ما يريد
(تنبيه) اخبار الصليبيين تفرقت في هذا الكتاب في الفصول الآتية (٥٤)
و (٥٦) و (٥٩) و (٦٠) و (٦٢) و (٤٧١) و (٦٣٠) فاذا اردت الوقوف
على اخبار الصليبيين جملة فاقرأ هذه الفصول الواحد بعد الآخر حسب الترتيب المتقدم

٦٣١ — الدولة العلية العثمانية

(تمهيد) العثمانيون فصيلة من الاتراك سمو بهذا الاسم نسبة الى عثمان
ابن ارطغرل بن سليمان شاه . وكان سليمان شاه المذكور سلطاناً في بلاد ماهان قرب
بلخ ولما ظهر جنكزخان التتري واخر ببلاد بلخ واخرج منها خوارزم شاه
سنة ٦١٧ هـ ارتحل سليمان في عشيرته الى جهة بلاد الروم ففرق في احد الانهر عند
عبوره به وعاد ابنه ارطغرل فقام في جهات ارزروم وكان ينجد علاء الدين
السلجوقي سلطان قونية في حروبه فكافاه باقطاعه اياه عدة اعمال ومدن وهو
اخذ لنفسه من ملك الروم مدينة قره حصار وغيرها . ثم توفي ارطغرل سنة ٦٨٧ هـ

٦٣٢ - السلطان عثمانه فاه بن ارطغرل

من سنة ٦٨٧ - ٧٢٦ هـ او من سنة ١٢٨٨ - ١٣٢٦ م

ولما توفي ارطغرل عين الملك علاء الدين السلجوقي اكبر اولاده مكانه وهو « عثمان » مؤسس دولتنا العلية العثمانية . ولما اغار التتار سنة ٧٠٠ هـ على اسيا الصغرى وقتل علاء الدين السلجوقي سلطان قونية اسقل من كان تحت سلطته من الامراء وثقاصموا الممالك بينهم فكان نصيب الامير عثمان جزاً من مملكة بورصة وبعض بلاد بر الاناضول فتولى احكام البلاد المذكورة وقرر لها قواعد وتنظيمات وسمي باديشاه (اي سلطان) آل عثمان وجعل قسبة ملكه ايكى شهر واخذ في تحصينها وتحسين ابنيتها وتوسيع مملكته وحارب الروم في نيكومدية وظفر بهم وبعد ان استتب امره وقوي ملكه ارسل الى جميع امراء الروم ببلاد اسيا الصغرى يخبرهم بين ثلاثة امور الاسلام او الجزية او الحرب فاسلم بعضهم وانضم اليه وقبل البعض دفع الخراج واستعان الباقون على السلطان عثمان بالتتار واستدعواهم لنجدتهم . ولما علم السلطان عثمان بذلك جهز جيشاً لمحاربتهم وارسله بقيادة ابنه اورخان وبعد قتال عنيف انهزم التتار وتشنت شملهم فقويت شوكة العثمانيين بهذا الانتصار وسمت همة السلطان عثمان بالاستيلاء على اسيا الصغرى جميعها وقبل ان يشرع في ذلك قسم بلاده بين اولاده واقطعهم اياها وابقى هو لنفسه مدينة ايكى شهر . ولما اطمأن باله من جهة داخلية بلاده وجه همه الى توسيع نطاق مملكته ففتح سنة ٧٠٧ هـ ناحية مرمة وحصن كته وحصن افكه وحصن آق حصار وحصن قوج حصار . وفي سنة ٧١٢ هـ افتتح حصن كبوه وحصن يكيجه طراقوا وحصن تكور بيكاري وغيره . وفي سنة ٧١٧ هـ ابتداء بمحاصرة مدينة بورصة ولما طال حصارها امر ببناء قلعتين في طرفي المدينة واسكن فيها الجند وامرهم بالتضييق على اهل البلد وقطع الميرة عنهم وعاد هو الى مدينة ايكى شهر تاركاً ابنه اورخان لاتمام فتح مدينة بورصة فحاصرها نحو عشر سنوات ودخلها

اخيراً بلا قتال اذ ارسل ملك قسطنطينية اوامره الى عامله على هذه المدينة بالانسحاب فاخلاها ودخلها اورخان وعساكره ولم يتعرض لاهلها بسوء مقابل دفع ٣٠ الفاً من عملتهم الذهبية . وذلك سنة ٧٢٦ هـ . وفي هذه الاثناء توفي السلطان عثمان بن ارطغرل بعلة النقرس وكان شجاعاً كريماً حتى كان لا يسك شيئاً ولم يترك عند موته من جميع الاموال والتحف النفيسة التي استحوذ عليها في حروبه ومغازيه سوى بعض ملابس وامتعة لا تذكر من جماتها سبعة كان يحملها دائماً يقال انها لم تنزل موجودة في دار التحف في القسطنطينية

٦٣٣ - السلطان اورخان به عثمانه

من سنة ٧٢٦ - ٧٦١ هـ ومن سنة ١٣٢٦ - ١٣٦٠ م

ولما توفي السلطان عثمان تولى بعده ابنه اورخان وفي اول ولايته نقل كرسي سلطنته الى مدينة بورصة لحسن موقعها . ومن اهم اعمال السلطان اورخان وضعه نظاماً للجيش العثمانية اذ كانت قبل ذلك الوقت لا تجمع الا وقت الحرب وتصرف بعده . فنجش السلطان اورخان من تحزب كل فريق من الجند الى القبيلة التابع اليها وانفصام عرى الوحدة العثمانية التي كان كل سعيه في ايجادها فاشار عليه احد فحول ذلك الوقت واسمه قره خليل (وهو الذي صار فيما بعد وزيراً اول باسم خير الدين باشا) باخذ الشبان من اسرى الحرب وفصلهم عن كل ما يذكرهم بجنسهم واصلامهم وتربيتهم تربية اسلامية بحيث لا يعرفون لهم ابا الا السلطان ولا حرفة الا الجهاد في سبيل الله ولعدم وجود اقارب لهم بين الاهالي لا يخشى من تحزيمهم معهم . فاعجب السلطان اورخان هذا الرأي وأمر بتنفيذه في الحال ودعا هذا الجيش المنتظم بالتركية « يكيچاري » اي الجيش الجديد ثم صرف في العريية وصار انكشاري وسلك السلطان اورخان مسلك ابيه في توسيع نطاق مملكته فحارب الروم

واخذ منهم نيقية سنة ١٣٣٠ م وساقس سنة ١٣٣٤ م . وما زال يتقدم في فتوحاته حتى اشرف على خليج القسطنطينية وبوغاز غليبولي وكانت الامبراطورية الرومية يومئذ في حالة الانحطاط الكلبي واركانها متزعزعة بسبب الحروب الداخلية التي حدثت فيها بين سنة ١٣٤١ - ١٣٤٧ م في زمن وكالة يوحنا كنتا كوزين الذي كان نائباً للامبراطور يوحنا باليولوغوس مدة حياته فكان ذلك داعياً الى دخول الدولة العثمانية الى بلاد اوربا . وذلك ان النائب المذكور لما رأى نفسه مبعوضاً ومرفوضاً من طوائف الروم استعان عليهم بآل عثمان فامدوه وانتصروا له عند دخولهم اوربا وبهذه الوسطة استولوا على جملة حصون وبلدان في تلك الجهات . وفي سنة ١٣٥٩ م اجتاز الامير سليمان ابن السلطان اورخان بوغاز شناق قلعة وفتح مدينة غليبولي التي هي مفتاح القسطنطينية ثم توفي في عنفوان شبابه سنة ١٣٦٠ م (٧٦١ هـ) فعزّن عليه ابوه السلطان اورخان حزناً عظيماً ومن فرط حزنه استولت عليه الهموم والامراض ولم يمكث بعده الا يسيراً وتوفي في السنة نفسها ودفن بمدينة بورصة

٦٣٤ - السلطان مراد خان الاول ابنه اورخان

من سنة ٧٦١ - ٧٩١ هـ او من سنة ١٣٦٠ - ١٣٨٩ م

وتولى بعده ابنه السلطان مراد خان الاول وكان من شجعان الرجال مجاهداً في نصرة دين الاسلام . وكانت فاتحة اعماله احتلال مدينة انقره مقر سلطنة القرمات وذلك ان سلطان هذا الاقليم واسمه علاء الدين اراد انتهاز فرصة انتقال الملك من السلطان اورخان الى ابنه السلطان مراد لاثارة حمية الامراء المستقلين باسيا الصغرى وتحرر بعضهم على قتال العثمانيين ليقوضوا اركان مملكتهم الآخذة في الامتداد يوماً فيوماً فكانت عاقبة دسائسه انه فقد اهم مدائنه وبعد ضياعها منه ابرم

الصلح مع السلطان مراد وزوجه ابنته لتمكين عرى الاتحاد بينهما وبذلك انضمت مدينة كوتاهية الى المملكة العثمانية لان امير قرمان وهبها لابنته عند زفافها اما في اوربا ففتح البكر بك لاله شاهين مدينة ادرنة (ادريانا بوليس) في سنة ١٣٦١ م وجعلها السلطان مراد عاصمة المملكة العثمانية واستمرت عاصمة لها الى ان فتحت مدينة القسطنطينية . وفتح ايضاً مدينة فيليبية (فيليبوبوليس) قصبة الرومي الشرقي

وفتح القائد افرينوس بك مدينتي وردار وكلجمينا باسم السلطان مراد خان واضطرب لذلك الملوك المسيحيون المجاورون للدولة العلية فالتحد في سنة ١٣٨٨ م اهل الصرب والفلاخ ودلماطيا والمجر والبلغار وتحزبوا جميعاً على السلطان مراد خان قاصدين بذلك تعطيل فتوحاته وتوقيفه عن التقدم . ولما علم السلطان مراد باتحادهم ساق جيوشه اليهم والتقى الفريقان في سهل قوص أوه وبعد قتال شديد انهزم الفرنج وانتصر العثمانيون انتصاراً باهراً خلد لهم ذكراً جميلاً واستولوا على بلاد الصرب . وبعد تمام النصر والغلبة للعثمانيين كان السلطان مراد يمر بين القتلى اذ قام من بينهم جندي اسمه ميلوك كوفلوفتش فطعن السلطان بمديفة فقتله . وكانت وفاته في ١٥ شعبان سنة ٨٧٩١ هـ



٦٣٥ - السلطان بايزيد الاول ابن مراد خان

من سنة ٧٩١ - ٨٠٤ هـ او من سنة ١٣٨٩ - ١٤٠٢ م

وخلفه ابنه السلطان بايزيد الاول وكان على جانب عظيم من الشجاعة وقد تعود مقاساة الخطوب ومشقات الحروب فتبع خطوات ابيه في الغزو والجهاد . وكان اول امر شرع فيه افتتاحه الممالك التركية الصغيرة التي كانت مستقلة في جهات الاناضول . ثم افتح ايلات الرومي ومكدونيا والبلغار . وبعد هذه الانتصارات صمم علي فتح القسطنطينية واخضع الممالك الافرنجية فزحف بجيش عظيم الى نواحي

اوربا واستولى على مدينة سالونيك ثم شن الغارة على بلاد المجر وانتصر على جيش الفرنج في وقعة عظيمة حدثت في ٢٧ سبتمبر سنة ١٣٩٦ م . ثم حول وجهه نحو القسطنطينية وشرع في حصارها . وكان امبراطورها يومئذ مانويل باليولوغوس فاضطرب وبعث الى من جاوره من الملوك يطلب اليهم المساعدة والامداد على المسلمين . وكان السلطان بايزيد قد خاف من اتحاد الملوك النصارى وتحزبهم عليه فعقد مع الروم صلحاً على عشر سنين بشرط ان يدفعوا له ٣٠ الف ريال وان يجعل في القسطنطينية قاضياً من قضاة الاسلام وان يبني بها مسجداً للمسلمين غير انه لم يمكث الا قليلاً حتى عاد الى حصار القسطنطينية ثانية وضيق عليها حتى كاد يفتحها ولكن لما بلغه قدوم تيمورلنك التتري بعساكره على مملكته وافتتاحه كثيراً من بلدانها اضطرب وعظم الامر عليه والزم ان يرفع الحصار عن القسطنطينية و يقفل راجعاً ليصد هجمات التتري عن بلاده . وسبب اغارة تيمورلنك التتري على الدولة العثمانية ان سلطان بغداد المدعو احمد بن اويس التجأ الى السلطان بايزيد حينما هاجمه المغول في بلاده . فارسل تيمورلنك الى السلطان بايزيد يطلبه فابى تسليمه . فاغار تيمورلنك بجيوشه الجزاره على بلاد اسيا الصغرى وافتتح مدينة سيواس بارمينية واخذ ابن السلطان بايزيد المدعو ارطغرل وقطع رأسه ولذلك جمع السلطان بايزيد جيوشه وسار لمحاربة تيمورلنك فتقابل الفريقان في سهل انقره وبعد قتال شديد انهزم التتريون ووقع السلطان بايزيد اسيراً بيد التتار وذلك في ١٩ ذي الحجة سنة ٨٠٤ هـ فاعتقله تيمورلنك الى ان توفي في اعتقاله في ١٥ شعبان سنة ٨٠٥ هـ . وبعد وفاة السلطان بايزيد وقع الخلاف والشقاق بين اولاده ودامت بينهم المنازعة نحو ١١ سنة وكان ولده الامير عيسى قد وضع يده على جميع البلاد الواقعة بالقرب من انقره وسينوب والبحر الاسود فوثب عليه اخوه الامير محمد جلبي فقتله واستولى على تلك الاقاليم اما اخوهما سليمان فاختره العثمانيون ان يكون سلطاناً عليهم في اوربا فبايعوه بعد موت ابيه السلطان بايزيد وكان اخوه الامير موسى يترقب فرصة لكي يفتك به فانقض عليه ذات يوم وهو

راقد في فراشه وطعمه بنجدر في صدره فقتله وكان ذلك سنة ١٤١٠ م ثم انقسم السلطنة مع اخيه محمد جلبي المتقدم ذكره . وفي سنة ٨١٦ هـ الموافقة ١٤١٣ م وقع بين الاخوين خلاف افضى الى القتال فتخاربا وكانت الدائرة على الامير موسى فولى هارباً فقبضه فارس من فرسان اخيه محمد جلبي وقبض عليه واحضره بين يدي اخيه فامر بقتله

٦٣٦ - السلطان محمد جلبي به بايزيد

من سنة ٨١٦ - ٨٢٤ هـ او من سنة ١٤١٣ - ١٤٢١ م

وبعد ذلك انفرد السلطان محمد الاول بالسلطنة وصفت له الايام وتوافد اليه رسل ملوك الفرنج والروم مقدمين له التهاني بالنيابة عن ملوكهم فاحترمهم واکرمهم ثم شرع في تهذيب الامور وعقد الصلح مع الدول الاجنبية وقوى معهم روابط المحبة والاتحاد ليتمكن من التفرغ لاصلاح داخلية بلاده . فاعاد رونق السلطنة بعد ذبوله ووسع نظامها ونظم امورها وجعلها على امن اساس بعد ذلك الخراب الذي اصابها من وقائع تيمورلنك والمنازعات التي وقعت بين الاخوة ابناء السلطان بايزيد كما تقدم . وبالجملة كان سعيد الطالع عادلاً كريماً شفوفاً على الرعية واستمر عزيزاً جليلاً الى ان توفي سنة ٨٢٤ هـ

٦٣٧ - السلطان مراد الثاني ابنه محمد

من سنة ٨٢٤ - ٨٥٥ هـ او من سنة ١٤٢١ - ١٤٥١ م

وتولى بعده ابنه السلطان مراد الثاني ولاول ولايته عقد صلحاً مع امير قرمان وعقد هدنة مع ملك المجر الى خمس سنين . وقد طلب منه عمانوئيل ملك الروم ان يتعهد له بان لا يجار به مطلقاً وان يسلمه اثنين من اخوته رهينة لقيامه بهذا التعهد

والا فيطلق سبيل الامير مصطفى (عم السلطان مراد الذي كان في حوزة هذا الملك) واذا لم يجبه السلطان الى طلبه أطلق الملك عما نوبيل الامير مصطفى واعطاه عشرة مراكب باخرة ديمتريوس لاسكاريس فاتي مصطفى بها وحاصر كليبولي فسلمت اليه القلعة . فتركها وقصد ابن اخيه السلطان مراد بادرنة فخافه بعض قواده وتركه اكثر جنوده فاضطر الى الانهزام وعاد الى كليبولي فسلمه بعض اتباعه الى ابن اخيه السلطان مراد فكان اخر العهد به

وسار السلطان مراد الى القسطنطينية ليأخذ بثأره من ملك الروم الذي اطلق عنه فحاصر هذه المدينة في ٢٤ اغسطس سنة ١٤٢٢ م الموافق ٣ رمضان سنة ٨٢٥ هـ فلم يتمكن من فتحها لعصيان احد اخوته عليه واستعانت به عليه ببعض امراء اسيا فاخذ السلطان مراد هذه الفتنة ايضا بقتل اخيه وارهاب محازبيه واسترد الولايات التي كان تيمورلنك قد اعادها الى استيلائها وانصرف عزمه الى استرداد ما كان للعثمانيين في اوربا فكانت له محاربة شديدة مع ملك المجر فانتصر عليه واجبره على معاهدة من فحواها ان ينحلي ملك المجر عن كل ماله على عدوة نهر الدانوب اليميني ليكون هذا النهر فاصلا بين املاك الدولة العلية والمجر . ولما رأى امير الصرب جورج برنكوفيتش عجزه عن مناوأة السلطان مراد عاهده ان يدفع اليه كل سنة ٥٠ الف دوك ذهباً وان يقدم له فرقة من جنوده في وقت الحرب . وفي سنة ١٤٣٠ م اعاد السلطان مراد فتح سالونيك التي كان ملك الروم قد تخلى عنها الى جمهورية البندقية وقصد البانيا فاطاعه سكان يانية وغيرهم مشروطين عدم التعرض لهم في امور دينهم وعوائدهم . وفي سنة ١٤٣٣ م اعترف امير الفلاخ بسيادة العثمانيين عليه تخلصاً من غوائل الحرب ثم ثار هو وامير الصرب على السلطان مراد بتحسين ملك المجر لها الانتفاض على السلطان فحاربهما وقهرهما . وحارب ملك المجر واثخن في مملكته وعاد سنة ١٤٣٨ م من هذه الحرب بجح غفير من الاسرى . ثم حاصر بلغراد عاصمة الصرب ولم يتوفى الى فتحها . فلما ذاع في اوربا خبر فتوح الاتراك ارتعدت فرائص الممالك الافرنجية خوفاً من ضياع القسطنطينية وتقدم العثمانيين

على باقي الممالك النصرانية فنهض البابا اوجينيوس وشرع في عقد تحالف بين الدول
الافرنجية لاجل مقاومة المسلمين فتصدى لذلك لادسلاس ملك المجر وبولونيا وتقدم
بعساكره تحت قيادة رئيسهم يوحنا هونيادس الشهير وانضم اليهم جم غفير من
المجاهدين الفرنساويين والجرمانيين وصدموه الا تراك في معركتين عظيمتين
واستظفروا عليهم حتى اضطر السلطان مراد ان يعقد معهم صلحاً وينسحب وكان
ذلك سنة ١٤٤٣ م . فلما سكنت الفتن والقلاقل تنازل السلطان مراد عن كرسى
السلطنة الى ولده محمد الثاني (الملقب بالفاتح) واتقطع في داره منفرداً عن
الناس وعكف على العبادة . فانتهز لادسلاس ملك المجر تلك الفرصة لفسخ
الهدنة المذكورة وتقدم ثانية لمحاربة الا تراك بعد ان حرض ملك القرمانيين على مقاتلتهم
ولما رأى السلطان مراد هذه الاحوال خاف من عواقب الامور واضطر ان يعود
الى الملك ثانية فجهز جيشاً عرمرماً وسار لمصادمة الافرنج فتلاقى الفريقان في ١٠
نوفمبر سنة ١٤٤٤ م تجاه مدينة فارنا على سواحل البحر الاسود فشبت بينهما نيران
القتال وثبتت جيوش النصارى امام صفوف المسلمين في تلك المعركة الهائلة
وقاومت الجيوش العثمانية اشد المقاومة مع انهم اقل عدداً منهم بسبب انسحاب
معاذهم الفرنساويين والجرمانيين الذين كانوا قد رجعوا لبلادهم بعد الانتصار
الاول . ولكن حمية لادسلاس ملك المجر وبولونيا وشجاعته الخالية من التبصر حملته
على اقتحام مواكب الاعداء فقتل في ساحة المعركة وبموته انهزمت جنوده وتفرق
شملهم . فاخذ هونيادس قائدهم يجمع شتيت العساكر ويحرضهم على الرجوع
والثبات فلم ينجح لان الرعب كان قد استولى عليهم وكان عدد قتلاهم عشرة الاف
نفس . وبعد تمام النصر واستخلاص مدينة فارنا رجع السلطان الى عزلته وتنازل
عن الملك ثانية الى ابنه السلطان محمد الثاني الفاتح ولكنه لم يلبث في عزله طويلاً
لان الانكشارية ازدروا ملكهم محمداً وعصوه ونهبوا ادرنة فعاد السلطان مراد
واخذ فتنهم سنة ١٤٤٥ م ولكي يشغلهم بالحرب اغار على بلاد اليونان وقصد
مدينة كورنتية (كورنثوس) وكانت محصنة ففتحت مدافع العثمانيين (هذا كان

اول استعمال العثمانيين المدافع) ثلما في اسوارها دخلت منه الجنود الى هذه المدينة وماكوها ولسكنهم لم يتادوا باخذ باقي البلاد لثورة اسكندر بك واثارته الغتن في بلاد البانيا كما نذكره الان انشاء الله

اسكندر بك هذا ابن رجل يدعى يوحنا كاتريو كان حاكماً بالارث على قسم صغير من تلك البلاد فلما رأى قدوم السلطان بالعساكر الجرارة لحار به خاف سوء العواقب وعقد معه صلحاً وعاهده على دفع الجزية وانه يتقاد لجميع اوامره بشرط ان يبقه في ولايته وان يكون من جملة عماله فاجابه السلطان الى ذلك بعد ان اخذ اولاده الاربعة رهينة عنده فاخطط ثلاثة منهم بمبايكة السلطان حتى صاروا لا يمتازون عنهم في العوائد والملابس واما الرابع وهو اصغرهم المسمى جورج فارتقى في باب السلطان الى درجة سامية بسبب ذكائه وشجاعته ثم اسلم بعد ذلك ولقب باسكندر بك وصرف معظم ايامه في الحروب في خدمة الدولة العثمانية ولكنه ندم اخيراً على ما فرط منه في محاربة الطوائف المسيحية فارتد الى مذهبه الاصلى ودخل البانيا ودعا رؤساء قبائل الالبانيين فوافقوه على استخلاص بلادهم من يد العثمانيين وجمعوا الرجال وطردهم العثمانيين من اكثر مدن بلادهم فسار السلطان في جيش كثيف وحاصر مدينة آق حصار مدة ولما لم يجد سبيلاً الى فتحها لضعف جيوشه بسبب هذه الحروب المتواصلة اراد ان يتفق مع اسكندر بك على الصلح بان يقلده اماره البانيا في مقابلة جزية سنوية ولما لم يقبل اسكندر بك هذا الاقتراح رفع السلطان الحصار عن المدينة وعاد الى ادرنة عاصمة ممالكه ليجهز جيوشاً جديدة لقمع هذا الثائر ولكنه توفي في يوم ٥ محرم سنة ٨٥٥ هـ

٦٣٨ - السلطان محمد الثانى الفاتح ابن مراد خان

من سنة ٨٥٥ - ٨٨٦ هـ أو من سنة ١٤٥١ - ١٤٨١ م

وخلفه ابنه السلطان محمد الثانى الملقب بالفاتح (لقب بالفاتح لانه فاتح

مدينة القسطنطينية) ولد سنة ١٤٢٩ م واستوى على عرش الملك وله اثنتان وعشرون سنة فنقل جثة ابيه الى بورصة وأخذ يتأهب لفتح ما بقي من بلاد البلقان ومدينة القسطنطينية وكان يومئذ على القسطنطينية الامبراطور قسطنطين دراغاسيس ابن الامبراطور عمانوئيل فلما بلغه هذا الخبر انزعج وتأثر وارسل الى السلطان محمد يلاطفه بالكلام فطرد رسله وجعل يبني حصونا وابراجا على جهات بوزاز القسطنطينية ثم بعث اليه سفارة ثانية يقول له « ان بنا هذه القلاع والحصون ما وراءها الا الخصاص وجيوش الشر والحرب فان لم تحملك اليهود والمواثيق على عقد الصلح بيننا فذاك اليك وقد فوضت امري الى الله تعالى فان هداك وعطف قلبك كان ذلك غاية المراد وان كان قد قضي لك بفتح القسطنطينية فلا مرد لقضاء احكامه والا فلا ازال ادا فعنها بكل طاقتي وجهدي الى آخر نسمة من حياتي » فلم يلتفت السلطان محمد الى ذلك المفال بل حاصر مدينة القسطنطينية سنة ١٤٥٣ م من جهة البر بجيش لا يقل عن مائتي الف جندي ومن جهة البحر باسطول مؤلف من ١٨٠ سفينة . وكان الامبراطور قسطنطين المذكور قد استمد ملوك اوروبا فلي دعوته جمهورية جنوة وارسلت اسطولا بامرة جوستينباني فكانت حرب هائلة بين الاسطولين انتصر فيها الجنوبون ورفع الروم لهم السلاسل الحديدية المانعة لدخول سفن العثمانيين فدخلت سفن جنوة واعادوا تلك السلاسل وراءهم . فهد السلطان محمد طريقا في البر ورصفه بالواح صب عليها زيتا ودهنا لتزلق السفن عليها وبهذه الطريقة تمكن في ليلة واحدة ان يدخل سبعين سفينة الى البحر داخل السلاسل . وفي اليوم التالي هاجم المدينة بجيشه البري وبين كانوا بالسفن فافتتحها بعد أن قتل امبراطورها قسطنطين في المعركة وذلك في ٢٠ جمادى الاولى سنة ٨٥٧ هـ (سنة ١٤٥٣ م)

وأرخ بعض الشعراء هذا الفتح بقوله

حازه بالنصر قوم آخرون

رام امر الفتح قوم أولون

ودخل السلطان محمد كنيسة أجيا صوفيا شاهراً سيفه في يده قائلاً « اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمداً رسول الله » وأمر ان يؤذن فيها اعلاناً يجعلها جامعاً للمسلمين . وبعد الفتح عزم السلطان محمد على جعل القسطنطينية مقر سلطته فرخص لكل من اراد الرجوع اليها من الروم ان يبقى على دينه رغبة في عمارها لكن لما كان ذلك غير كافٍ لترميمها وتحسينها امر بجمع نحو عشرة الاف عائلة من ولايات مختلفة لياتوا اليها ويسكنوها . وولى على الاروا بطاريكا واعطاه عصا البطريركية وختامها حسبما جرت به عادة القباصرة في الازمنة السافرة وقسم باقي المدينة من كنائس ومعابد بين النصارى والمسلمين وجعل لكل من الفريقين حدوداً لا يتعداها

ومن ذلك الوقت دعيت مدينة القسطنطينية اسلامبول (تحت الاسلام او مدينة الاسلام) . وبعد فتح السلطان القسطنطينية سار قاصداً فتح المورة فارسل ديمتريوس وتوماس اخوا قسطنطين الملك حاكما المورة بعرضان عليه قبول دفع جزية سنوية قدرها اثنا عشر الف دوك فاكتفى السلطان بذلك وسار الى بلاد الصرب فسأل اميرها الصلح مع السلطان على ان يدفع كل سنة ثمانين الف دوك فاجابه السلطان اليه وكان ذلك سنة ١٤٥٤ م لكنه اعاد الكرة في السنة التالية على بلغراد عاصمة الصرب وحاصرها . وكان هونيادس القائد المجري الشهير قد دخل اليها قبل الحصار فدافع عنها حتى اضطر السلطان الى رفع الحصار عنها سنة ١٤٥٥ م . وكان هونيادس قد اصيب بجراح مات بسببها بعد رفع الحصار فارسل السلطان بعد موته الصدر الاعظم محمود باشا فاتم فتحها من سنة ١٤٥٨ - ١٤٦٠ م وزال استقلال الصرب قطعياً . وفي هذه المدة عاد السلطان الى المورة فاستحوذ عليها وهرب توماس الى ايطاليا ونفى ديمتريوس اخاه الى جزيرة في الارخبيل وبعد عوده من المورة صالح اسكندر بك (الذي تقدم خبر ثورته على السلطان مراد) وترك له ولاية البانيا وايبيروس . وسار الى اسيا الصغرى يدوخ ما بقي بها غير خاضع له ففاز بما تمنى . ودخل مدينة طرايزون دون مقاومة شديدة واتى

بصاحبها داود كورين اسيراً الى القسطنطينية

وقصد السلطان بعد ذلك بلاد الفلاخ فتظاهر ملكها بطلب الصلح على ان يدفع كل سنة عشرة الاف دوك فاجابه السلطان الى ذلك . لكن هذا الملك اتحد مع ملك المجر وانتفض على السلطان فسار اليه بمائة وخمسين الف مقاتل فهزمه وشتت جمعه وانتهى الى بخارست عاصمة ملكه وانهزم ملك الفلاخ الى ملك المجر فعزله السلطان ونصب اخاه مكانه وضم بلاده الى املاك الدولة العلية . وفي سنة ١٤٦٢ م حارب السلطان امير البشناق لامتناعه عن دفع الجزية واسره هو وابنه وامر بقتلها فدانت له البشناق . وفي سنة ١٤٦٤ م حاول ملك المجر اخذ البشناق فهزيمته جيوش السلطان واصبحت البشناق ولاية عثمانية وخسرت ما كان لها من الامتياز . ومنذ سنة ١٤٦٣ م ابتدأت العداوة بين السلطان وجمهورية البندقية فاستحوذ العثمانيون على مدينة ارغوس وكانت للبنادقة فارسات الجمهورية اسطولاً الى المورة فثار سكانها وقاتلوا الحامية التي بها وحاصروا قرنتية واستردوا ارغوس فهب السلطان اليهم في ثمانين الفاً فارجعوا ما كان البنادقة قد اخذوه . ولكن ثار اسكندر بك الشهير والي البانيا وحارب العثمانيين في مواقع كثيرة وشغل العثمانيين عن قتال البنادقة مدة حتى توفي سنة ١٤٦٧ م . ثم استئناف القتال بين العثمانيين والبنادقة فافتتح العثمانيون اجريريوس مركز مستعمرات البنادقة في بحر الروم سنة ١٤٧٠ م . وفي هذه السنة ضم السلطان بلاد قرمان الى مملكته وفي سنة ١٤٧٥ م حاربت العساكر العثمانية بلاد البغدان فلم تغز بالنصر فعزم السلطان على فتح بلاد القرم ليستعين بفرسانها على فتح بلاد البغدان فدانت له بلاد القرم واصبحت ولاية من ولاياته وعاد جيشه الى البغدان فاشهر اسطفانوس الرابع اميرها بالمدافعة سنة ١٤٧٦ م فلم تنل العساكر العثمانية مأرباً من هذه البلاد . ثم جرت معاهدة صلح بين السلطان والبنادقة سنة ١٤٧٩ م بعد تخليهم عن اشقوردة للسلطان

وفي سنة ١٤٨٠ م صمم السلطان محمد على افتتاح جزيرة رودس فارسل لها

عمارة بحرية مشحونة بمائة الف مقاتل تحت قيادة ميشطس باشا الذي هو من العائلة الباليولوجية وكان قد اعتنق الديانة الاسلامية بعد فتح السلطان محمد مدينة القسطنطينية فحاصر الجزيرة المذكورة ثلاثة اشهر بدون نتيجة ثم ارتحل عنها . وفي هذه السنة فتحت عساكر السلطان الجزر الواقعة بين بلاد اليونان وإيطاليا ومدينة اوترانت في جنوبي ايطاليا

وكان هذا السلطان العظيم لا تكمل همته ولا تغتر عن الفتوحات وشن الغارات فجهز سنة ١٤٨١ م جيشين عظيمين احدهما لمحاربة جزيرة قبرص تحت قيادة احد وزرائه وقاد الثاني بنفسه لقتال العجم وبينما هو في اثناء الطريق ادركته الوفاة فمات بمدينة ازناكيد وذلك يوم ٤ ربيع الاول سنة ٨٨٦ هـ الموافق ٣ مايو سنة ١٤٨١ م . وكان هذا السلطان من اشهر سلاطين آل عثمان موصوفاً بالشجاعة وقوة الجنان وعلو الهمة وقد قال فيه بعض واصفيه

تاج الملوك محمد من دوخت هام الملوك من العدا سطواته
فخر السلاطين العظام وبابه شرف الانام رفيعة درجاته
بملكه طاب الزمان وقد صفت اوقاته واستعدت ساعاته
وكانت مدة ملكه ٣١ سنة تم في خلالها مقاصد اسلافه ففتح القسطنطينية ووسع السلطنة

٦٣٩ - السلطان بايزيد ناه بن محمد

سنة ٨٨٦ - ٩١٨ هـ أو من سنة ١٤٧١ - ١٥١٢ م

وخلفه في الملك ابنه السلطان بايزيد الثاني الذي كان حاكماً باماسية وكان ميالاً الى السلم اكثر من ميله الى الحرب . وكان له أخ يسمى جم (ويسميه الفرنج زيزم) كان حاكماً بقرمان فلما بلغه خبر وفات ابيه سار في من لاذ به فدخل مدينة بورصة عنوة وراسل أخاه السلطان بايزيد في ان يقسما المملكة بينهما فلم

يحببه أخوه الى ما طالب . فمزّم جم على اغتصاب المملكة من يداخيه وتقدم بحارزبيه نحوه وبرز السلطان بايزيد لقتاله فالتقى المسكران في المكان المعروف بسلطان أوكي على شاطي نهر ايكي شهر فوق بينهما قتال شديد تم انتصر السلطان بايزيد وانهزم أخوه جم الى طرف حلب مستنصرأ بالملك الاشرف قايت باي ولما وصل الى مدينة القاهرة اكرمه السلطان قايت باي اكراماً عظيماً ثم بداله ان ينجح الى بيت الله الحرام ولما اتم مناسك الحج عاد الى البلاد القرمانية وجمع لنفسه احزاباً ونهض بهم الى قتال اخيه ثانية وعزم على حصار مدينة قونية فصدّه واليها عنها وراسل اخاه في ان يقطعه بعض الولايات فأبى . فالتجأ الامير جم الى فرسان القديس يوحنا برودس طالباً أن يساعده علي نيل اغراضه فقبلوه بالجلّة والاكرام فارسل السلطان بايزيد الى رئيس هولاء الفرسان أن يبقّي أخاه عندهم ويتمهد له بعدم التمرض لاستقلال جزيرتهم مدة ملكه ويدفع لهم كل سنة ٤٠ الف دوك فقبل الفرسان ذلك ووفوا بهدم وارسلوا الامير محفوظاً الى نيس ثم الى شمبيري وبقي متنقلاً في فرنسا الى سنة ١٤٨٩ م ثم انتقل الى رومة . وفي هذه الاثناء حاصر ملك فرنسا رومة وطلب من البسا با تسليم الامير جم فسلمه اياه وبقي مع جيش فرنسا الى سنة ١٤٩٥ م حين توفي بنابولي ونقلت جثته الى بورصة . اما السلطان بايزيد فقل ما كان له من الفتوحات ولكن كانت له وقعات مع بعض المتأخمين لمملكته فصدّهم عن السطو عليها . وحصلت بينه وبين قايت باي سلطان مصر وسورية حرب وذلك لان الاخير كان قد آوى أخاه جم واکرمه فاغتاظ من ذلك السلطان بايزيد ووجه جيشاً لقتال قايت باي وبرز قايت بالعساكر المصرية والشامية لقتال السلطان بايزيد والتقى الفريقان عند جبل امان في قرمان وبعد قتال شديد انتصر قايت باي وعاد السلطان بايزيد بدون فائدة ثم قصد بلاد اوربا سنة ١٤٨٦ م واستولى على جانب عظيم من بلاد البغدان وغيرها من اقاليم تلك الاطراف . وفي سنة ١٤٩٧ م زحف على بلاد بولونيا فوقع بها واستولى على جانب عظيم منها . وكانت للسلطان بايزيد علاقات حسنة مع روسيا وكانت مخابرات بين

السلطان وبين البابا اسكندر السادس وملك نابولي ودوك مديولان وجمهورية فلورنسا طمعاً بمساعدة العساكر العثمانية لهم بشؤونهم . ثم استجد الخلاف بين السلطان والبنادقة . وارسل البنادقة فحاصروا جزيرة مدالي (متيلين) ليمنعوا العثمانيين عن السطو على بلادهم فانتصر العثمانيون على البنادقة ولكن اضطربت احوال المملكة الداخلية لعصيان أولاد السلطان عليه فاضطر أن يقعد صلحاً مع محاربيه ليتفرغ لتمهيد داخلية بلاده

وكان للسلطان بايزيد ثمانية أولاد مات خمسة منهم صغاراً وبقي له ثلاثة وهم كركود واحد وسليم وكان كركود من اهل العلم والادب لاهتم بالسياسة والحرب فلم يكن له معهم شأن يذكر وكان احمد محبوباً من الاعيان والامراء اما سليم فكان بطلاً شجاعاً فاجتبه الجنود عامة والانكشارية خاصة . وخشي والدهم ان اختلاف النزعة بينهم يؤدى بهم الى النزاع فنصب كلاً منهم في ولاية . وكان نصيب سليم طرابزون فلم يرضه وطلب الى ابيه ان يوليه احدى ولايات اوربا فأبى السلطان اجابة طلبه . فانتفض سليم على والده وجاهر بالعصيان وسار في جيش من قبائل التتر الى الروملي وأرسل والده جيشاً لارهابه فلم يهرب وسار الى ادرنة وسعى نفسه سلطاناً عليها فارسل أبوه جيشاً فانهزم منه لكن أرغم والده على العفو عنه للاحاح الانكشارية فعفا عنه ونصبه والياً على سمندرية وبينما هو سائر بهالاته الى الانكشارية في طريقه واتوا به الى القسطنطينية باحتفال عظيم وساروا به الى القصر وسألوا السلطان أن يتنازل عن الملك فقبل واستقال في يوم ٧ صفر سنة ٩١٨ هـ سنة ١٥١٢ م وسافر للاقامة بدموتيقا فتوفي في طريقه في ١٠ ربيع الاول من السنة



٦٤٠ — السلطان سليم الاول ابنه بايزيد

من سنة ٩١٨ — ٩٢٦ هـ او من سنة ١٥١٢ — ١٥٢٠ م

وحالما جلس السلطان سليم الاول على كرسي المملكة نازعه اخوه الامير احمد وبرز السلطان سليم لقتاله فتقاتلا امام مدينة ايكي شهر فانتصر السلطان سليم على اخيه وامر به فخنق وحملوا جسده ودفنوه في مدينة بورصة . وبعد ان اخمد السلطان هذه الثورة الداخلية عزم على قصد بلاد المعجم لقتال شاه اسماعيل سلطان المعجم لانه كان يساعد الامير احمد بن بايزيد سرًا ويجهتد ان يتحد مع ملك مصر على قتال السلطان سليم . فلما رأى السلطان هذه المظاهر العدوانية نهض في جيش كثيف في سنة ٩٢٠ هـ قاصداً بلاد المعجم وبرز شاه اسماعيل بظاهر تبريز للدفاع عن بلاده فحصلت بين الفريقين معركة شديدة دامت ساعات طويلة وكانت الدائرة فيها على الاعجام فولوا الادبار واركضوا الى الفرار بعد ان قتل منهم عدد عظيم وقتل من العثمانيين اربعون الفا حتى عدوا ذلك اليوم الذي انتصروا فيه من الايام المشؤمة ثم دخل السلطان مدينة تبريز وهي لذلك الوقت كرسي المملكة وصلى فيها الجمعة وخطب باسمه وبعد ان استراح بها ثمانية ايام قام بجوشه واخلى مدينة تبريز لعدم وجود المؤنة الكافية لجيوشه بها مقنفاً اثر الشاه اسماعيل حتى وصل الى شاطئ نهر الرس وعندها امتنع الانكشارية عن التقدم لاشتداد البرد وعدم وجود الملابس والمؤنة اللازمة لهم فقفل راجعاً الى مدينة اماسيا بالصغرى للاسترخاء زمن الشتاء والاستعداد للحرب في اوائل الربيع

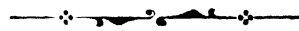
وعندما اقبل فصل الربيع رجع السلطان الى بلاد المعجم ففتح قلعة كوماس الشهيرة ثم عاد الى القسطنطينية وزرك قواده يستكملون فتح باقي مدن الشاه اسماعيل ففتحوا ماردن والركة والموصل وكان ذلك سنة ٩٢١ هـ الموافقة سنة ١٥١٥ م

وفي سنة ٩٢٢ هـ (١٥١٦ م) سار السلطان سليم قاصداً فتح الشام ومصر واستخلاصهما من ايدي المماليك الجراكسة . وكان سلطان مصر في ذلك الوقت قانصوه الغوري فلما علم بتقدم السلطان سليم الى الشام خرج من مصر في جيش كثيف المدافعة عن بلاده فتقابل الجيشان في مرج دابق وبعد قتال شديد انهزم المصريون والشاميون وقتل سلطان الجراكسة قانصوه الغوري في المعركة وعلى اثر هذا الانتصار دخل السلطان سليم مدينة حلب واستولى عليها وبغير كثير غناء وضع يده على مدائن حمص وحماة ودمشق وفي مدة قريبة صارت الشام احدى الايالات العثمانية اما مصر فبعد مقتل الغوري بايعوا السلطان طومان باي فوضع يده عليها وابتدأ بالاستعداد لاجراج العثمانيين من الشام . ثم ارسل السلطان سليم الى طومان باي المذكور يعرض عليه الصلح بشرط اعترافه بسيادة الدولة العثمانية على القطر فظن طومان باي انه لولا ضعف العساكر العثمانية وعدم مقدرتهم قطع الرمال المحرقة بين الشام ومصر لما ارسل اليه السلطان سليم بطلب الصلح فتكبر وتغطر صواظهم والاستعداد لاجراج العثمانيين من الشام أيضاً . فلما عاد الرسول الى السلطان سليم واعلمه بما كان من هذا الجر كسي تقدم مسرعاً الى الديار المصرية بجيشه الظافر ولم يمض طويل وقت حتى اطلت مقدمته على القاهرة فحسب بجيشه بالخانقاة (الخانكة) في اواخر ذي الحجة سنة ٩٢٢ هـ . وفي ٢٩ ذي الحجة من السنة المذكورة انشب القتال بين الطرفين بجهة العادلي (جهة الوايلي) ودام القتال والمناوشات مدة حتى تم الظفر للعثمانيين ودخل السلطان سليم القاهرة في ٨ محرم سنة ٩٢٣ هـ . اما طومان باي فالتجأ في من بقي معه الى بر الجزيرة وصار يناوش العثمانيين ويقتل كل من يأسره منهم لكنه لم يلبث ان وقع في ايدي العثمانيين بخيانة بعض من معه وشنق بامر السلطان سليم في يوم ٢١ ربيع الاول سنة ٩٢٣ هـ الموافق ابريل سنة ١٥١٧ م ومن ذلك الوقت انقرضت دولة المماليك الجراكسة وصارت مصر ولاية عثمانية

وكانت مدينة القاهرة مقر الخلافة الاسلامية من بني العباس بعد دخول

بغداد في حوزة التتر وكان الخليفة منهم في ذلك الوقت المنوكل على الله محمد أفلا دخل السلطان سليم القاهرة تنازل له هذا الخليفة عن حقه في الخلافة الاسلامية وسلمه الاثار النبوية الشريفة وهي الراية والسيف والبردة وسلمه ايضاً مفاتيح الحرمين الشريفين . ومن ذلك الوقت صار كل سلطان عثماني اميراً للمؤمنين . وصارت اليهم السلطة الدينية والدنيوية معاً

وفي اوائل شهر سبتمبر سنة ١٥١٧ م سافر السلطان سليم من القاهرة عائداً الى القسطنطينية التي صارت من ذلك الوقت مقراً للخلافة الاسلامية المظمية وكان سفره عن طريق بلاد الشام فوصل الى دمشق في ٢٠ رمضان سنة ٩٢٣ هـ ومكث بها الى ٢٢ صفر سنة ٩٢٤ هـ ثم سافر الى مدينة حلب فاقام بها شهرين يدبر شؤنها ثم سار الى القسطنطينية عاصمة ملكه ولم يبق بها الا عشرة ايام للاستراحة وارتحل الى ادرنة فوصلها في ٧١ رجب سنة ٩٢٤ هـ (سنة ١٥١٨ م) . وهناك اتاه سفير من قبل ملك اسبانيا يسأله اباحة النصرارى الحج الى اورشليم كما كان في دولة المماليك الجراكسة فاجابه السلطان الى ذلك على شرط دفع المبالغ الذي كان يدفع قبلاً للمماليك . وأخذ السلطان في تجهيز عمارة بحرية للحملة على رودس واعداد عساكر لمحاربة شاه المعجم ثانية ولكن عاجلته المنية قبل انجاز ذلك فتوفي في ٩ شوال سنة ٩٢٦ هـ » سبتمبر سنة ١٥٢٠ م



٦٤١ - السلطان سليمان فاه الاول القانونى ابنه سليم

من سنة ٩٢٦ - ٩٧٤ هـ او من سنة ١٥٢٠ - ١٥٦٦ م

وتولى بعده ابنه السلطان سليمان خان الاول الملقب بالقانونى . ولما وصل خبر ارتقائه تحت السلطنة الى دمشق سولت لافزالي واليها نفسه الخروج وجاهر بالعصيان واستولى على قلعة دمشق وارسل احد اتباعه ليحتل بيروت وجد في استمالة خير بك والي مصر الى غرضه مبيناً له سهولة النجاح لبعدهما عن مقر الخلافة وحدائره

سن السلطان فلم يحبه خير بك الى ما طلب بل ارسل للسلطان كتاب الغزالي اليه
فبعث السلطان فرحات باشا احد وزرائه في جيش كثيف لكبت الغزالي واتحاد
نار ثورته قبل امتدادها . فسار فرحات باشا في آخر ذي الحجة سنة ٩٢٦ هـ ولما
وصل الى حلب وجد الغزالي محاصراً لها فعاد الغزالي دون قتال الى دمشق
فتحصن بها فتأثره فرحات باشا وحاصره بدمشق وخرج الغزالي لقتاله في ١٧ صفر
سنة ٩٢٧ هـ فهزم وقتل اغلب من كان معه وفر هو متنكراً ولكن خانة بعض
اصحابه وقبض عليه وسلمه الى فرحات باشا فقتله وارسل رأسه الى القسطنطينية .
وكان السلطان سليمان قد ارسل سفيراً الى ملك المجر يطلب منه دفع الجزية
او الحرب فقتل ملك المجر هذا السفير . فاغناظ السلطان سليمان لذلك جداً
وزحف بعسكر جرار سنة ١٥٢١ م على بلاد المجر واقام الحصار على مدينة بلغراد
وبعد قتال شديد استولى عليها ومع ان هذه النعمة فتحت له الباب للتقدم الى اوربا
اثني راجعاً وصمم على افتتاح جزيرة رودس فارسل اليها ٢٠٠ الف مقاتل مع
عمارة بحرية مؤلفة من ٤٠٠ سفينة تحت قيادة صهره وييري باشا فاقاموا عليها
الحصار ولم يكن فيها يومئذ من العساكر الا ٦٠٠٠ من الفرسان وجات شغاليرية
ماري يوحنا المدعويين انصار بيت المقدس وكان قائدهم اذ ذاك يسمى شغاليردي
ليل آدم وكان من شجعان ابنا زمانه موصوفاً بالذكاء والحزم فعظم عليه الامر وارسل
من يومه يستعين بالامبراطور شارلكان ملك اسبانيا وفرنسيس الاول ملك فرنسا
ويطلب اليهما المساعدة والامداد فلم يجيباه الى هذا الطالب بسبب المنازعات الواقعة
بينهما في ذلك الوقت . فاستمر الحصار عليها نحو ستة اشهر واظهر ليل آدم المذكور
في اثناء هذه المحاصرة من البسالة والثبات ما لا مزيد عليه حتى كلت همه الانكسارية
وبينا كانوا قد عولوا على الانسحاب اتاهم السلطان سليمان بنفسه وشدد الحصار
وانقض العزائم وضايق المحصورين من كل جهة غير مبال بخسران الرجال . فاضطر
اخيراً رئيس تلك الجزيرة ان يسلم بعد ان امست خراباً . فتمعجب السلطان سليمان
من شجاعته فاحترمه ومدحه على شهامته وعزاه على مصيبنه واجابه الى الشروط التي

كان قد عرضها عليه وهي ان تبقى الكنائس على حالها وان يكون للنصارى الصيانة والحرية في دينهم وان لا يتكلفوا الى دفع شيء مدة خمس سنين . ثم انسحب ليل آدم من الجزيرة وتبعه ٤٠٠٠ من اهل رودس فاعطاهم البابا مدينة وتيررية فاقاموا بها الى ان نقلهم الامبراطور شارلكان سنة ١٥٣٠م الى جزيرة مالطة فاقاموا بها الى ان استخلفها منهم بونابرت وهو آت الى مصر سنة ١٧٩٨ م . وبعدما فرغ السلطان سليمان من هذه الحرب عاد الى القسطنطينية

وفي هذه الاثناء كانت حرب بين شارلكان ملك اسبانيا وهولاندا والمانيا وبين فرنسيس الاول ملك فرنسا انهزم فيها ملك فرنسا ووقع أسيراً بين يدي الامبراطور شارلكان فاعتقله مدة ثم خلى سبيله . فلما عاد فرنسيس الاول المذكور الى بلاده من اسره راسل السلطان سليمان وطلب اليه أن يعقد معه معاهدة هجومية دفاعية ضد الامبراطور شارلكان فيحاربه السلطان سليمان من المشرق وفرنسيس الاول من المغرب . فاحتق السلطان سليمان بسفير الملك فرنسيس الاول واجاب ملك فرنسا الى ما طلب وجهز في سنة ١٥٢٧ م جيشاً يبلغ عدده ٣٠٠ الف مقاتل وزحف به الى بلاد المجر فالتقاه ملكها لويس الثاني بثلاثين الف مقاتل فقط ولعدم معرفته بادارة الحروب قلد يواس طوموري احد اساقفة بلاده قيادة الجيش وسار معه لمصادمة الاتراك فالتقيا بهم بازاء مدينة موهاكز واشتبك القتال بين الفريقين فكانت واقعة عظيمة قتل فيها الملك لويس وهلك أكثر من عشرين الفا من جنوده وانهزم الباقون واستولى السلطان سليمان على الحصون والقلاع الواقعة على الجهة الجنوبية من تلك المملكة ثم قفل راجعاً الى القسطنطينية محمواً بالظفر والغنائم وبعد موت الملك لويس المذكور اقام السلطان سليمان قائد جيوشه يوحنا زابولي حاكماً على المجر من قبله على مال يؤديه اليه فلما رجع السلطان الى القسطنطينية طمع الملك فردينند ملك النمسا في استخلاص المجر من يد يوحنا زابولي المذكور وسار في جيش كثيف ونازل مدينة بود (من ضمن مقاطعة المجر التي يحكمها يوحنا زابولي) فاستنجد يوحنا زابولي بالسلطان فأمدّه في سنة ١٥٢٨ م

بجيش بقيادة ابراهيم باشا . ثم سار السلطان بنفسه في جيش عرمرم وانتهى الى مدينة بود فتركها الملك فردينند ولحق بفينا عاصمة ملكه فقتلعه السلطان اليها وحاصرها وسلط مدافعه على اسوارها ولكن طال الحصار واقبل الشتاء بيرده الفارس فعاد السلطان في جيشه الى المجر ثم الى الاسنانة

وفي سنة ١٥٣١ م ارسل ملك النمسا جيشاً لمحاصرة مدينة بود واستخلاصها فلم يقو على فتحها . واتصل الخبر بالسلطان سليمان فخرج من القسطنطينية بجائنة وعشرين الف مقاتل واربع مائة مدفع وعند وصوله الى مدينة فينا نصب خيامه بالقرب منها واقام عليها الحصار وكان ملك النمسا قد استعد للمدافعة عن المدينة استعداداً كبيراً فلم يقو السلطان على فتحها ودنت ايام الشتاء فافرج السلطان عنها وعاد الى القسطنطينية . وفي سنة ١٥٣٣ م راسل ملك النمسا السلطان بعقد الصلح فقبل السلطان أن يعقد أولاً هدنة على شروط اختارها ولما قبلت عقدت معاهدة الصلح في ٢٢ يونيو سنة ١٥٣٣ م . ومن بنودها ان ترد النمسا مدينة كورون للسلطان ولا يرد السلطان شيئاً مما فتحه في بلاد المجر

وفي سنة ١٥٣٤ م أرسل السلطان سليمان الصدر الاعظم ابراهيم باشا الى بلاد العجم للتنكيل بشريف بك خان مدينة بدليس . وقبل وصوله كان شمس الدين ابن والي اذربيجان قد قتل شريف بك المذكور وجاء برأسه الى ابراهيم باشا . فمضى الصدر الاعظم فصرف ايام الشتاء في حاب ثم سار منها الى تبريز فدخلها بالامان وبني بها قلعة واقام بها حامية عثمانية ثم افتتح مدينه بغداد . ثم خرج السلطان بنفسه بالعساكر تابعا اثر الصدر الاعظم حتى انتهى الى تبريز ومنها سار الى بغداد ثم انثنى راجعاً الى القسطنطينية وهناك وشوا له على وزيره ابراهيم باشا المذكور فامر بقتله وفي هذه الاثناء كان قد اشتهر خير الدين باشا المعروف في كتب الفرنج باسم بروس (أي ذي اللحية الحمراء) وأصله من اروام جزيرة مدالي (ميتلين) احدى جزائر الروم وكان هو واخ له يدعى اوروج يشغلان بالفرصانية يبحر الروم ثم اسلما ودخلا في خدمة السلطان محمد الحفصي صاحب تونس واستمرا في

القرصانية وهي امر مراكب المسيحيين التجارية واخذ ما بها من البضائع وبيع ركبها واهلها بصفة رقيق . وفي ذات يوم ارسل الى السلطان سليم الاول احدى الراكب المأسورة اظهاراً لخضوعهم لسلطانه فقبلها منها وأرسل لها خلعاً سنياً وعشر سفن ليستعينوا بها على غزو مراكب الفرنج فقويت شوكتها وأشرأت اعناقها لاهللال بعض سواحل الغرب باسم سلطان آل عثمان فاستولى خير الدين باشا على ثغر شرشل باقليم الجزائر . اما اخوه اوروج فبعد ان استولى على مدينة الجزائر نفذها ففتح أيضاً مدينة تلمسان سنة ٩٣٢ هـ (١٥٢٥ م) وقتل بعد قليل في محاربة الاسبانيين الذين ارسلهم شارلكان لمساعدة صاحب تلمسان . لكن لم يتمكن هؤلاء من استخلاص تلمسان والجزائر بل حفظها خير الدين باشا وقتل أمير الجزائر . وارسل من قبله احد اتباعه الى السلطان سليم (وكان قد اتم فتح مصر) ليخبره بفتح الجزائر باسمه الشريف فقابله السلطان وعين خير الدين باشا المذكور بكاربكا على اقليم الجزائر وبذا صار هذا الاقليم ولاية عثمانية

وبعد ذلك استمر خير الدين باشا في غزو مراكب الفرنج والنزول على بعض شواطئ ايطاليا وفرنسا واسبانيا واخذ كل ما وصلت اليه يده من اموال واهالي الى ان امتدعه السلطان سليمان سنة ١٥٣٣ م واتفق معه على انشاء مراكب لفتح اقليم تونس . وبعد انشائها سار بها خير الدين باشا سنة ١٥٣٤ م وحاصر تونس سنة ١٥٣٥ م واحتلها ولكن استخلصها منه شارلكان ملك اسبانيا . وفي سنة ١٥٣٨ اتفق السلطان سليمان مع ملك فرنسا على محاربة النمسا فجمع السلطان جيشاً كبيراً في البانيا قاصداً شن الغارة على ايطاليا من الشرق وارسل عمارة بحرية بقيادة خير الدين باشا المذكور فدخلت العمارة البحرية الارخبيل الرومي واستولت على عدة جزائر لجمهورية البنادقة بعد ان شتت خير الدين باشا عمارتهم . ثم حصلت هدنة بين ملك فرنسا والامبراطور شارلكان فعاد السلطان الى القسطنطينية

وفي سنة ١٥٤٠ م توفي زاويولي والي المجر من قبل السلطان فاغارت جيوش النمسا على المجر واحتلوا بست وحاصروا مدينة بود المقابلة لها . فنهض السلطان

سليمان بنفسه فرفع حصار النمساويين عن بود ودخلها وجعل بلاد المجر ولاية عثمانية وتمهد كتابة لارملة زابولي انه لا يحتمل المجر الا مدة طفولية ابنها فاذا بلغ رشده ردها اليه

وفي سنة ١٥٤١ م عاد النزاع بين ملك فرنسا والامبراطور شارلكان فارسل ملك فرنسا المسيو بولان الى الاستانة يستنجد السلطان . فتردد السلطان اولاً لرويته تغلب فرنسيس الاول ملك فرنسا لكنه سير اخيراً خيراً الدين باشا في اسطوله مع السفير فباغ الاسطول العثماني مرسيليا وهناك انضم الى الاسطول الفرنسي واقبلوا الى مدينة نيس ففتحوها سنة ١٥٤٣ م ولكن لم يحتلوها للخلاف بين العسكريين . وفي سنة ١٥٤٤ م ابي ملك فرنسا مساعدة لاسطول العثماني له لمهاجم النصارى عليه ونسبتهم له المروق لاستعانة المسلمين وعقد الصلح مع شارلكان فعاد خير الدين باشا باسطوله الى القسطنطينية فتوفي بها سنة ١٥٤٦ م

وفي سنة ١٥٤٧ م عقدت هدنة بين السلطان سليمان وفردينند ملك النمسا اجلها خمس سنوات بعد ان تمهد فردينند ان يدفع الى السلطان سليمان جزية سنوية قدرها ٣٠ الف دوك . وفي سنة ١٥٥١ م استئنفت الحرب بين السلطان سليمان وملك النمسا لان ايزابلا وصية ملك المجر نخلت لملك النمسا عن اقليم ترانسلفانيا خلافاً للمعدة . وفي سنة ١٥٥٢ م انتصر العثمانيون على النمساويين في عدة مواقع ولكن اضطرهم فصل الشتاء على العود الى الاستانة وفي سنة ١٥٥٣ م بعد وفاة فرنسيس الاول ملك فرنسا وخلافاً لابنه هنري الثاني عقدت بين السلطان سليمان وهنري المذكور معاهدة على ضم الاسطول العثماني الى الاسطول الفرنسي لفتح جزيرة كورسيكا . فسارت مراكب الدولتين وفتحت الجزيرة ولم يستمر الاحتلال بها لوقوع النفرة بين القائدين وعاد الاسطول العثماني الى الاستانة . وفي سنة ١٥٦٥ م ارسل السلطان عمارة بحرية لافتتاح جزيرة مالطة تحت قيادة مصطفي باشا وبعد حصار شديد وهجمات متعددة ارئد هذا الوزير راجعاً من غير طائل بعد ان فقد من جيشه نحو عشرين الفا

وفي سنة ١٥٦٦ م عاد السلطان الى بلاد المجر لان مكسيميليان بن فردينند ملك النمسا اخذ مدينة توكاي من الشاب امير المجر فقصد السلطان كبت ملك النمسا وسار ليأخذ قلعة ارلو الشهير ولكن بلغه في طريقه ان امير سكودار (في المجر) تغلب على فرقة في جيشه فاراد ان يكبح جماحه قبل حصار ارلو فحاصر مدينته فاخلها اهلهما وتحصنوا بقلعتها فاقام السلطان محاصراً لها وفي اثناء ذلك مرض وتوفي في ٢٠ صفر سنة ٩٧٤ هـ (١٥ سبتمبر سنة ١٥٦٦ م وله من العمر ٧٦ سنة . وكانت مدة سلطته ٤٦ سنة فحزن عليه الناس حزناً شديداً ورثاه الشعراء بكل لسان فمن ذلك مرثية المفتي ابي السعود التي يقول في مطلعها

اصوت صاعقة ام نفخة الصور فالارض قد ملئت من نقر ناقور
ومنها

ام ذاك نعي سليمان الزمان ومن قضت اوامره في كل مامور
ومن ومن ملأ الدنيا مهابة وسخرت كل جبار وتيمور
وكان السلطان سليمان رحمه الله رفيع القدر موصوفاً بالحكمة والحزم واتب
بالتقانوني لانه انشأ قوانين جديدة وبها ضبط سلطنته واحسن سياستها وقسم ممالكه
الى عدة ولايات واقام في كل ايلة فرقة من العساكر للمحافظة ورتب مع غاية
الاتقان جميع ما يلزم لضبط العساكر . ونظم ايضاً منوالاً جديداً لدخل الدولة
وخرجها . واقام فيها جملة ابنية فاخرة فازدادت شوكة الدولة في ايامه وتحسنت
احوالها جداً

و بالجملة نقول ان السلطان سليمان كان سلطاناً عظيماً لم يعم بين سلاطين آل
عثمان اعظم منه حتى ان جميع اهل الارض كانت ترعد فرائصهم عند اسماع
وتقدمت الفئوحات في ايامه تقدماً عظيماً لم تصل اليه بعده وبلغت الدولة اوج
سمادتها واخذت بعدها في الوقوف تارةً والتقهقر اخرى حتى وصلت الى الحالة
التي عايناها الآن

و بعد وفاة السلطان سليمان كتم الوزير خبر موته خوفاً من فشل الجيش

وبعد ثلاثة ايام فتح العثمانيون القلعة ودخلوها وكان المحصورون قد لغموها فانفجرت الارض وسقط بناء القلعة فاهلك من كان بها ومن دخلها واعلن الوزير هذا الانتصار بكافة الجهات باسم السلطان سليمان حرصاً على عدم اذاعة موته الذي لم يذمه الا بعد ان اتت اليه اخبار اكيده من الاستانة بوصول ولده السلطان سليم اليها واسنلامه مهام الاعمال بها

٦٤٢ - السلطان سليم الثاني ابن سليمان

من سنة ٩٧٤ - ٩٨٢ هـ او من سنة ١٥٦٦ - ١٥٧٤ م

وكان السلطان سليم الثاني في ايام ابيه اميراً على امارة كوثاهية فلما توفي ابوه بظاهر سكندوار كما تقدم ارسل اليه الوزير يعلمه الخبر سراً ويطلب اليه الاسراع الى القسطنطينية فنخص السلطان سليم ودخل القسطنطينية على حين غفلة من اهلها وجلس على سرير الملك يوم الاثنين ٩ ربيع الاول سنة ٩٧٤ هـ . وبعد ان اقام السلطان بالاستانة يومين اسرع الى سكندوار للاحتفال بنقل جثة المغفور له والده الى القسطنطينية

ولم يكن السلطان سليم اهلاً للسلطنة كايه بل كان محباً للذات والملاهي ولولا وجود الوزير الطويل محمد باشا صقلبي المدرب على الاعمال الحربية والسياسية من ايام السلطان سليمان للتحقق الفشل بالدولة لا محالة ولكن حسن سياسة هذا الوزير وعظم اسم الدولة ومهابتها في قلوب اعدائها حفظتها من السقوط مرة واحدة فتم الصالح بينها وبين النمسا بمعاهدة مورخه ١٧ فبراير سنة ١٥٦٨ م ومن شروطها حفظ النمسا املاكها في الجبل ودفعها الجزية السنوية المقررة بالعهود السابقة واعترافها بتبعية ترانسلفانيا والفلاخ والبغدان للدولة العلية . وتجددت ايضاً الهدنة مع ملك بولونيا باعتراف الباب العالي بالتحالف الذي حصل بين ملك بولونيا وامير البغدان . ثم تجدد الاتفاق مع شارل التاسع ملك فرنسا تأييداً لما كان بين ملوك فرنسا والسلطان سليمان الاول وزيد على ذلك اتفاق الدولتين على ترشيح هنري دي

قالوا اخي ملك فرنسا لعرش بولونيا ليكون لهما نصيراً ضد النمسا من جهة وروسيا من اخرى

وفي سنة ١٥٧٠ م امر السلطان سليم الثاني بفتح جزيرة قبرس وكانت بيد البنادقة وتوجهت اليها المراكب الحربية وقيل ان عدد ما حملته من المساكر كان مائة الف جندي يقودها مصطفى باشا فاخذوا الملاحة اولاً ثم انتقلوا الى حصار الافسية وبنوا عابها برجاً ودام الحصار عليها من أول الصوم الى آخر شهر اغسطس ثم حاصروا الماغصة وقيل انه كان فيها نحو الف مدفع ودافع اهلها والحامية التي كانت فيها مدافعة الابطال . ودنا فصل الشتاء فخذت نار الحصار ثم اضطربت في ابريل سنة ١٥٧١ م ولم تفتح الا في ٦ اغسطس من السنة المذكورة اذ عاز المحصورين القوت والبارود فألجئوا الى التسليم . واستمرت قبرس تحت ولاية الدولة العلية الى ان احتلها الانكليز سنة ١٨٧٨ م

ولما رأى البنادقة تغلب العثمانيين خافوا انبساط سطوتهم في غير قبرس من املاكهم فتفقوا مع ملك اسبانيا وفرنسا مائة وجرزوا اسطولاً يزيد على ٢٠٠ سفينة وقصدوا الاسطول العثماني الذي كان نحو ٣٠٠ سفينة وتسعرت نار الحرب بين الاسطولين بقرب لياننا فانتهصر المتحدون على العثمانيين واخذوا منهم نحو ٣٠ سفينة وغرقوا سفناً اخرى واخذوا ٣٠٠ مدفع وبعض الاسرى فكانت عند الافرنج افراح عظيمة وصنعوا تذكاراً لتلك الغلبة عيداً يعيدونه في اليوم السابع والعشرين من شهر اكتوبر . ولما بلغت هذه الاخبار الى الاسنانة هم المسلمون بقتل المرسلين فتدارك الامر الوزير محمد باشا صقلبي واخرج المرسلين آمنين بناء علي طلب سفير فرنسا . ثم أخذ الوزير المذكور ينشيء سفناً حديثة وبذل قصاري جهده في تجهيزها وتسليحها حتى جهز في سنة واحدة مائتين وخمسين سفينة . وفي غضون ذلك ارسلت مشيخة البندقية تعتذر اليه وتطلب منه الصلح على وجه آئيل الى شرف السلطنة فاجابها الى ذلك واوقف الحرب

اما الاسبانيون فقصد اسطولهم تونس في آخر سنة ١٥٧٢ م فاحتلوها دون

معارضة ولا مقاومة واعادوا اليها ساطانها المولى الحسن الذي كان قد التجأ اليهم عند احتلال العثمانيين بلاده . ولكن لم تمض ثمانية اشهر حتى استردها سنان باشا للدولة العلية . وفي ٢٧ شعبان سنة ٩٨٢ هـ الموافق ٢١ ديسمبر سنة ١٥٧٤ م توفي السلطان سليم الثاني وعمره ٥٢ سنة قريية ومدة حكمه ٨ سنين و ٥ أشهر

٦٤٣ - السلطان مراد الثالث ابنه سليم

من سنة ٩٨٢ - ١٠٠٣ هـ او من سنة ١٥٧٤ - ١٥٩٥ م

وتولى بعده ابنه السلطان مراد الثالث . وكانت باكورة اعماله انه حظر شرب الخمر الذي كان قد استغرق وفشا استعماله ولا سيما عند الانكشارية فثار هو لاه وباعة الخمر وصانعوه حتى غص النظر عن تناول مقدار منه لا يتأتى منه ذهول العقل والاخلال براحة العموم ونصب رئيساً على الانكشارية رجلاً اسمه شيكالا اصله ايطالي واسلم من عهد قريب فازداد الشعب والقلق في هذه الجروقة . وكان بين الدولة العلية والنمسا في ذلك الحين نوع من السلم وان طرأت حيناً بعد حين مناوشات ومنازعات بين عساكر الالمين لكنها لم تكن لتقضي الى اعلان حرب بل كانت مصلحة الفريقين تقضي ببقاء الوفاق وابرمت بينهما مهادنة لمدة ثمانى سنين بدووها سنة ١٥٧٧ م . وكانت العلاقات بين السلطان مراد ودولة فرنسا حسنة جداً وكذلك بينه وبين جمهورية البندقية وأيد لهما الحقوق القنصلية والتجارية بل زاد وازاد اليها مواد اهمها ان يكون سفير فرنسا مقدماً على سائر سفراء الدول في المقابلات والحفلات الرسمية . واتفق مع ايزابال ملكة انكلترا ان ترفع مراكب الانكليز العلم الانكليزي عند دخولها المرافىء العثمانية وكانت جميع السفن الادرباوية لا تدخل بلاد الدولة الا وعليها العلم الفرنساوي بمقتضى عهد كانت في ايام السلطان سليمان وابنه السلطان سليم الثاني . واهم الحروب التي كانت في ايام السلطان مراد الثالث هي حربه مع العجم فكانت المناوشات

بين رجال الدولتين قد تواترت من مدة طويلة على التخوم وكان السلطان يرغب في ابعاد الانكشارية عن العاصمة واشغالهم بالحروب عن سطوتهم وشغبهم فيها . وكان شاه المعجم المسمى طهماسب قد توفي سنة ١٥٧٦ م وخلفه ابنه حيدر فقتل للخال وخلفه اخوه اسماعيل فمات مسموماً سنة ١٥٧٧ م وخلفه اخوه محمد وكانت البلاد منقسمة عليه . فرأى محمد باشا صفالي الصدر الاعظم حينئذ انتهاز فرصة هذه الفتن في المعجم فحسن للسلطان اعلان الحرب وارسل السلطان جيوشه بقيادة مصطفى باشا فسار فيها الى بلاد الجركس التابعة للمعجم ففتحها واحتل مدينة تفليس سنة ١٥٧٨ م ونصب في هذه البلاد عمالاً من امراء الكرج ومضى يصرف فصل الشتاء في مدينة طرابزون فحشد ملك المعجم في الشتاء جيشاً امر عليه حمزة ميرزا فاسترد بعض المدن من العثمانيين ولكنه لم يقوَ على اخذ تفليس . ثم توفي مصطفى باشا قائد الجيش العثماني فاقام السلطان مكانه عثمان باشا فاستولى على طاغستان على شاطئ بحر الخزر سنة ١٥٨٢ م وبعد ان انتصر في حروب اخرى عاد الى الاسطانة فنصبه السلطان صديقاً عظيماً وقائداً للجيش الذي في بلاد الكرج فسار في جيش يربو على ٢٠٠ الف مقاتل فدخل مدينة تبريز عاصمة المعجم بعد انتصاره على حمزة ميرزا . وبعد ان استمرت هذه الحروب سجالاً ست سنين عقد الصلح بين الدولة العلية والمعجم في ٢١ مارس سنة ١٥٨٥ م وتناخت دولة المعجم للدولة عن اعمال الكرج وشروان ولورستان وبعض اذربيجان ومدينة تبريز وعاد بعض الجيش الى الاسطانة

وعاد الانكشارية الى نعتهم وشغبهم وثاروا على ناظر المالية مدعين انه دفع اليهم ذراهم ناقصة العيار وانه لم يوفهم كل ما لهم فقتلوه في داره . ثم ثاروا مرة اخرى سنة ١٥٩٣ م واتفقوا مع غيرهم من العساكر ودخلوا الى ديوان السلطان وارسلوا يطلبون محمداً الشريف الدفترى يومئذ مدعين انه لم ينقدم جوامعهم فامتنع السلطان من تسليمه اليهم خيفة ان يقتلوه فاصروا على طلبهم فخرج عليهم بعض الحامية والخدم والغلمان واخذوا يرمونهم بالحجارة فاندفعوا مذعورين

وتراكموا في الباب ووطىء بعضهم بعضاً وقتل منهم ١١٧ رجلاً وتمرد
الانكشارية في بودابست وقتلوا واليها وصنعوا كذلك في القاهرة وتبريز وكثير
الشغب والقلق في المملكة كلها وغلت ايدي الولاة وضعفت سلطتهم

ولم يجد السلطان مراد حيلة للتخلص من هذه الحال الا بان يشغل
الانكشارية والعسكر بالحرب فاعلن الحرب على النمسا التي كانت قد ملت شعنها
وجددت قواها في مدة ٣٠ سنة قضتها بالسلم . واوعز سنان باشا الصدر الاعظم
في ذلك الوقت الى حسن باشا والي البشناق ان يخترق بعسكره تخوم المجر اعلاناً
للحرب . واتقدت نار الحرب في المجر سنة ١٥٩٣ م فكانت سجالاً وكان النصر
طوراً للعثمانيين وطوراً للمجرين والنمساويين ثم قتل من العثمانيين حسن باشا
والي المرسك وانهمز الجيش الى بودابست وفتحت جيوش النمسا عدة قلاع
عثمانية ثم استرد بعضها سنان باشا سنة ١٥٩٥ م . ومما زاد في الطينة بلة وفي
الظنهور نعمة اشهار الفلاح والبغدان وترنسلفانيا المصيان على الدولة ومحالفتهم
لرودلف الثاني ملك النمسا وامبراطور المانيا فسار اليهم سنان باشا الى مدينة
بوخارست سنة ١٥٩٥ م ولكن انتصر عليه ميخائيل امير الفلاح ودخل بعض
المدن العثمانية وقتل حاميتها ونكل باهلها فاضطر العثمانيون الى التقهقر الى ما وراء
الدانوب وتبعهم الامير ميخائيل المذكور وانتصر عليهم مرة اخرى واخذ منهم
عدة مدن منها مدينة نيكوبولي . ثم مرض السلطان مراد الثالث وتوفي مساء
٨ جمادى الاولى سنة ١٠٠٣ هـ الموافق ١٨ يناير سنة ١٥٩٥ م

٦٤٤ - السلطان محمد الثالث ابوه مراد

من سنة ١٠٠٣ - ١٠١٢ هـ او من سنة ١٥٩٥ - ١٦٠٣ م

وتولى بعده ابنه السلطان محمد الثالث وكانت المملكة مخفوفة بالمخاطر من
الخارج مرتكبة في الداخل من جرأ مطامع الوزراء وتعنت الانكشارية وغيرهم من

الجنود . وكان ميخائيل امير الفلاخ قد طرد العثمانيين الى ما وراء الدانوب بمساعدة جنود النمسا فارسل اليه السلطان محمد جيشاً بقيادة سنان باشا . ولما بلغ سنان باشا الى اخر تخوم المملكة التقاه الامير ميخائيل وعساكر النمسا ومن اتحد معهم فرأى من نفسه العجز عن المقاومة لهم فارسل الى السلطان يطلب منه ارسال نجدات فاستهزت الحمية والنخوة السلطان محمداً فنهض بنفسه وسار في جيش كثيف الى باغراد ثم الى ساحة الحرب آخذاً بنفسه قيادة جيوشه فعاودتهم الحمية والبسالة والرغبة في الاستموات امام سلطانهم ففتح قلعة ارلو الشهيرة سنة ١٥٩٧ م بعد ان انتصر على جيوش النمسا والمانيا . وكانت له وقائع اخرى مع عساكر المتحدين ولكن لم تكن الوقائع فاصلة ثم مات سنان باشا واراد السلطان العود الى الاستانة فترك قيادة جيشه لسيكالا المعروف عند العرب والأتراك بجفالا وهو ابن القائد جفالا باشا الجنوبي الاصل

اما جفالا باشا فسرحد فريفاً من الجيش من اسيا الصغرى ليعودوا الى اوطانهم وقبل وقعت له مظنة فطردهم وفي الحالين اضعف قوة جيشه . ولما وصل هؤلاء الى بلادهم رفعوا راية العصيان على الدولة وبقدمتهم رجل يسمى قره يازيجي وتغلبوا على بعض ولاية قرمان فاتبعوا الدولة مع انشغالها بحرب المجر والنمسا خاصة وارسات اليهم الجنود فجرح قره يازيجي ومات من جراحه ولكن قام اخوه والي حسن الاخذ بثاره واخذ عدة مدن فحاربه الجيوش السلطانية واكرهته اخيراً ان يرمي سلاحه وعين والياً في البشناق فسار اليها في اخلاط جنوده حيث بادوا في حربهم مع المجر والنمسا . وعصى ايضاً والي القرم فارسل السلطان اليه ابراهيم باشا الذي كان محافظاً على تخوم المملكة فنكل باهل القرم واخرب بلادهم . وعقب ذلك ثورة الفرسان في القسطنطينية طالبين التوصل عما فاتهم من اقطاعاتهم في الاناضول بسبب ثورة قره يازيجي واخيه والي حسن وحاولوا نهب ما في المساجد من التحف الذهبية والفضية فاحدثت الدولة ثورتهم بواسطة

الانكشارية . وفي يوم ١٦ رجب سنة ١٠١٢ هـ الموافق ٢٠ ديسمبر سنة ١٦٠٣ م توفي السلطان محمد الثالث ابن السلطان مراد وعمره ٣٧ سنة ومدة حكمه ٩ سنين

٦٤٥ - السلطان احمد الاول ابنه محمد

من سنة ١٠١٢ - ١٠٢٦ هـ او من سنة ١٦٠٣ - ١٦١٧ م

وبعد وفاة السلطان محمد الثالث تبوأ كرسي الخلافة ابنه السلطان احمد الاول ولم يكن له من العمر سوى ١٥ سنة . وكان له أخ يسمى مصطفى فلم يشأ أن يفتله كما جرت عادة بعض اسلافه . وبعد ارتقائه مسند الخلافة ببضعة أشهر توفي وزيره الاول فلم يقم عوضاً عنه من الوزراء المقيمين بدار الخلافة بل بعث الى مراد باشا بككر بك المقيم بمصر وكان شيخاً مسناً ذا دراية وحذق وامانة خارقة العادة فحضر واستلم زمام منصبه الرفيع . ثم أخذ السلطان احمد في اتمام ما كان قد شرع فيه سلفه من حرب الاعجام واصدر الاوامر في التجهيزات اللازمة وارسل جيشاً عظيماً تحت قيادة محمد باشا فانتصر على العجم في اول الامر ولكنه تواني اخيراً وعاد من غير طائل فغضب السلطان عليه واراد قتله ثم عفا عنه . وكان السلطان قد ارسل تحت قيادة علي باشا جيشاً لمحاربة المجر فمات في اثناء الطريق فميت مكانه محمد باشا المذكور . وكان السبب في هذه الحرب لا طائل تحته . ثم سعى مراد باشا بين السلطان والمجر في الصلح على مدة عشرين سنة وترك الحرب بين الدولة والامبراطور روداف ملك المانيا تحت شرط ابطال دفع الجزية التي كانت دولة النمسا تدفعها سنوياً للدولة وانه من ذلك اليوم فصاعداً تكون التحارير التي ترسل من السلطان الى الامبراطور المذكور حادية شعائر الوداد والاعتبار المتبادل ككتابة الاخ لاختيه وان يقام سفراء من الطرفين في عاصمة كل من الدولتين وجرت العادة على ذلك من ذلك اليوم . ثم عذبت مثل هذه المعاهدة مع دولة فرنسا وكان ذلك سنة ١٦٠٦

ثم سعى السلطان احمد في قطع دابر البغاة الذين عصوا الدولة في ايام والده وايامه أيضاً منهم حسين باشا الذي كان والياً على الحبشة وقرة سعيد وجان بولاد حاكم الاكراد وامير فخر الدين الذي كان حاكماً على جبل لبنان وغيرهم من الخوارج فبعث بمراد باشا مع جيش عظيم فبدد شملهم وقبض على بعضهم وقتلهم واسترجع منهم ما كانوا استملكوه من البلدان بطريق التعدي والطغيان

وفي بداية سنة ١٦١١ م امر السلطان مراد باشا ان يقود الجيوش لمحاربة الاعجام فامتلأ امر سيده كرهاً واخذ نصوح باشا اول معاون حرب معه . وكان مراد باشا لا يؤمل بمظلم فائدة من هذه الحرب ولذلك سار سيراً بطيئاً فبعث نصوح باشا برسالة سرية الى السلطان احمد بها يقول له ان مراد باشا نظراً لشيخوخته لم يعد يصلح لركوب الاخطار ومشقات الحروب وبها لمخ للسلطان انه هو يكون اصلح لمثل ذلك اما السلطان فاذا كان يحب مراد باشا لاماته ونشاطه بعث اليه برسالة لطيفة العبارة وضمنها رسالة نصوح باشا وفوض اليه ان يفعل به ما يشاء . ولما وقف مراد باشا على الرسالة المشار اليه استحضر نصوح باشا واطلعه عليها وعلى رسالة السلطان مولاهما فارتعدت فرائص نصوح باشا عند ذلك . على ان مراد باشا عامله معاملة الاب لابنه وقل « اني قد طعنت في السن ولا عدت اصلح حسب زعمك لركوب الاخطار وما انني قد تنازات لك عن منصبى السياسى والحربى معاً » ووجه قيادة الجيش وكتب الى السلطان بذلك وانسحب الى بلاد ديار بكر حيث قضى باقى ايامه ومات هناك بعد هذه الحادثة ببضعة اشهر وله من العمر ٧٩ سنة . اما نصوح باشا فتقدم لمحاربة الاعجام واستظهر عليهم وقهرهم واستولى على تبريز وقهر الشاه عباس والتجأ ببعض الجبال وارسل يطلب الصلح فاجابه نصوح باشا الى ذلك بعد ان اشترط عليه ان يخاطب للسلطان احمد في جوامع بلاد المعجم وان تدفع الدولة الفارسية مصاريف الحرب وتقوم بتجميع الخسارة التى احدثتها في بلاد الدولة العثمانية . فعلى هذا الوجه تمت المصالحة وانسحبت العساكر الشاهانية من تلك البلاد . غير انه في سنة ١٦١٦ هـ نكث شاد المعجم تلك العهد

ولم يف بالشروط ففتحت الحرب ثانية بين الدولتين واستولت الجيوش العثمانية على بعض القلاع بعد حصار شديد ثم تأخرت من كثرة الثلوج والبرد وهلك منهم جانب عظيم واضطرت الدولة ان تنعهد للشاه عباس بترك كل ما فتحته من بلاد المعجم من عهد السلطان سليمان الاول . واعتنى السلطان احمد كثيراً بالرحميين واصلاح ماثر كثيرة بمكة والمدينة وارسل هدية لقبر النبي فصين من الماس قيمتهما على ما قيل ثمانون الف دينار فوضعا فوق الكوكب الدرري وهو مسمار من الفضة في الجدار . وكان لا يفتر عن عمارة المساجد وفعل الخيرات ومن آثاره في القسطنطينية الجامع المعروف باسمه له ست منارات حسنة الوضع . وفي يوم ٢٣ ذي القعدة سنة ١٠٢٦ هـ الموافق ٢٢ نوفمبر سنة ١٦١٧ م توفي السلطان احمد الاول بعد ان اوصى بالخلافة من بعده لاختيه مصطفى لصغير سن ابنه عثمان

٦٤٦ - السلطان مصطفى الاول ابنه محمد

من سنة ١٠٢٦ - ١٠٢٧ هـ او من سنة ١٦١٧ - ١٦١٨ م

فاقام القوم بحق الوصية وبايعوا اخاه السلطان مصطفى الاول ابن محمد ولكنه لم يلبث في الملك الا ثلاثة اشهر تقريباً ثم عزله ارباب الغايات من اركان الدولة في اول ربيع الاول سنة ١٠٢٧ هـ الموافق ٢٦ فبراير سنة ١٦١٨ م

٦٤٧ - السلطان عثمان الثاني ابن احمد

من سنة ١٠٢٧ - ١٠٣١ هـ او من سنة ١٦١٨ - ١٦٢٢ م

وانصبوا مكانه السلطان عثمان الثاني ابن السلطان احمد الاول ولم يكن له من العمر اذ ذاك سوى ١٢ سنة . وكان عمه السلطان مصطفى قد اعتقل في السجن سفير فرنسا وكانب مره وترجمانه بسبب ان كاتب السفارة ساعد احد اشراف بولونيا على الفرار من السجن الذي كان فيه واوشكت نار الحرب ان تضطرم بين فرنسا والدولة العلية فلما تبوأ

السلطان عثمان تحت المملكة اخرج السفير وترجمانه وكتبه من معتقلهم وارسل حسين جاووش مندوباً من قبله الى ملك فرنسا يعتذر عما حصل فانحسرت بذلك النازلة وفي هذه الاثناء تداخلت بولونيا في شؤون اماره البغدان فاتخذ السلطان عثمان هذا التداخل سبباً في اشهار الحرب على مملكة بولونيا وتحقيق امنيته وهي فتح هذه المملكة وجعلها فاصلاً بين املاك الدولة العلية ومملكة روسيا واراد ان يمهّد لذلك بالتخوط من بعض علائق داخلية فانقص ما كان للفتي من السلطة في تعيين اصحاب المناصب وعزلهم وقصرها على الافناء فقط ليأمن شر دسائسه لئلا يعزله كما عزل عمه السلطان مصطفى فكان الامر بخلاف ما تمنى كما ستراه ان شاء الله تعالى ثم سير الجيش لمحاربة ملك بولونيا وهاجم العثمانيون البولونيين في عدة حصون لكنهم ارتدوا خامرين وطلب الانكشارية الكف عن الحرب . فاضطر السلطان عثمان ان يعقد الصلح مع البولونيين فتم ذلك في يوم ٦ اكتوبر سنة ١٦٢٠ م وعاد السلطان الى القسطنطينية وقد اخذ منه الخنق على الانكشارية كل مأخذ لعدم سماعهم اوامره ولعارضتهم له وعزم على الفتك بهم وافنائهم وارسل يحشد جيوشاً في اسيا وينظمها ويدربها على القتال ليسهل له بواسطتهم ما اراد من ملاشاة الانكشارية . ودري الانكشارية بذلك فهاجوا وهاجوا واتفقوا على خلع السلطان ونمّ لهم ذلك بعد موافقة المفتي في يوم ٩ رجب سنة ١٠٣١ هـ الموافق ٢٠ مايو سنة ١٦٢٢ م

٦٤٨ السلطان مصطفى الاول ابن محمد (ثانية)

من سنة ١٠٣١ - ١٠٣٢ هـ او من سنة ١٦٢٢ - ١٦٢٣ م

واعادوا الى الملك السلطان مصطفى الاول الذي تقدم خبر خلعه ولم يكتفوا بذلك بل حملتهم الجسارة والفتحة على ارتكاب فظيعة لم يسبق لها مثيل في تاريخ الدولة العثمانية فانهم ادخلوا السلطان عثمان الى القلعة المعروفة بحصن سبعة الابراج وقتلوه وصارت الحكومة بعد ذلك العوبة في ايدي الانكشارية فكانوا ينصبون من يشاؤون ويولون المناصب من اجزل لهم المواهب واصبحوا فوضى ليس لهم وازع ولا رادع وسرت عدوى هذا الوباء الى سائر ولايات المملكة واشهر بعض الولاة الانتفاض على السلطنة

والاستقلال بولاياتهم . وسئمت نفوس اهل الاستانة هذه الاحوال . فقرأهم
اخيراً على تولية علي باشا كمانكش منصب الصدارة العظمى فاشار بعزل السلطان
مصطفى ثانية لضعف عزيمته ووهن قواه العقلية فعزلوه في ١٥ ذي القعدة سنة ١٠٣٢ هـ
الموافق ١١ سبتمبر سنة ١٦٢٣ م وولوا مكانه السلطان مراد الرابع ابن احمد الاول

٦٤٩ — السلطان مراد الرابع ابن احمد الاول

من سنة ١٠٣٢ — ١٠٤٩ هـ او من سنة ١٦٢٣ ... ١٦٤٠ م

وكان عمره اذ ذاك ١٥ سنة ومع ذلك كان ذا عقل ثاقب تلوح عليه علامات
شجاعة وقوة الجنان والقلب وحسن المستقبل . وكانت الدولة يومئذ في احتياج عظيم
الى رجل فيه اللياقة والكفاءة لادارة مهامها اذ باتت في خطر عظيم من ترمد الانكشارية
والعصيان في الداخل وفي الخارج . وكان الشاه عباس ملك العجم قد انتهر فرصة هذه
الارتباكات وسطا على املاك الدولة العلية قاصداً التهامها . واخذ خانات الترابيض في
نواحي القرم وازوف يتعدون على حدود الدولة ويوقعون فيها السلب والنهب . وبالجملة
نقول ان السلطان مراداً عندما تبوأ مسند الخلافة كان في مركز صعب جداً لا سيما
وهو صغير السن . فاخذ يسعى في سد الاختلال الواقع في كل الجهات فابتدأ اولاً في
استئصال دابر العصاة الذين كانوا سبباً لقتل اخيه السلطان عثمان وبردع تعدياتهم
وعصيان وكلاء الدولة في اسيا وبعد ان اهدأ الثائرة ارسل جيشاً سنة ١٦٢٤ م
بقيادة حافظ باشا الصدر الاعظم لقتال العجم واسترداد مدينة بغداد التي كانوا قد
قد استولوا عليها من زمن غير بعيد . فسار حافظ باشا الى بغداد وحاصرها وضيق عليها
مدة الا انه لم يزل منها مارباً فتذمر الانكشارية وامتنعوا عن الحرب حتى اضطر الصدر
الاعظم الى رفع الحصار والرجوع الى الموصل ثم الى ديار بكر حيث ثار الجنود ثانية
فعزل السلطان حافظ باشا الصدر الاعظم وولى مكانه خليل باشا . وكان اباضه باشا
والي ارضروم قد اظهر الانتقاد والعصيان فسار خليل باشا اليه وحاصره فلم يقوَ عليه
فعزله السلطان واقام مكانه خسرو باشا فسار هذا الى ارضروم وداخل اباضه باشا في
سلك الطاعة ونصبه والياً في البشناق سنة ١٦٢٨ م

وفي هذه الاثناء توفي الشاه عباس وتولى مكانه ابنه الشاه ميرزا وكان صغير السن فسار خسرو باشا الى العجم طامعاً ان يستولي عليها وبلغ الى مدينة همدان فدخلها فجأة سنة ١٦٣٠ م ثم قصد بغداد وبعد ان انتصر في طريقه ثلاث مرات على جيوش العجم بلغ الى بغداد وحاصرها ودافع عنها قائد حاميتها دفاعاً شديداً واضطر خسرو باشا ان يرفع الحصار عنها لقرب فصل الشتاء وان يرجع الى الموصل . واراد في الربيع العود الى بغداد فلم يمتثل جنوده امره فسار الى حلب خوفاً من مهاجمة الاعداء له في الموصل وهو غير واثق بجنوده فعزل السلطان خسرو باشا عن منصبه واقام به حافظ باشا . فظهر خسرو باشا لجنوده انه لم يعزل الا لانه رفق بهم وطاوعهم على ما يرغبون فثاروا وارسلوا الى الاستانة يطلبون بقاءه في منصبه ولما لم يجبههم السلطان الى ذلك ساروا الى الاستانة وقاموا سنة ١٦٣٢ م بثورة كبرى خيف منها على حياة السلطان وقتلوا حافظ باشا الصدر الاعظم الجديد فاغتاز السلطان لوقاحتهم وامر بقتل خسرو باشا لاعتقاده انه سبب هذه الفتنة

وولي السلطان في منصب الصدارة بيرام محمد باشا ومن ذلك الوقت اخذ السلطان مراد يظهر شديد العزم والتسوة في مجازاة رؤساء الانكشارية وغيرهم من المتلقين العائين ويأمر بقتل كل من ثبت عليه الاشتراك في ثورة او فتنة فتوات مهاجرة القلوب وخشيه الاكابر والاصغر وأمن الناس على نفوسهم واموالهم من التعدي واستتبت الراحة بالاستانة وسائر انحاء المملكة . وفي سنة ١٦٣٥ م سار السلطان مراد بنفسه الى بلاد العجم ففتح مدينة روان وبرز وعاد الى الاستانة فتغلب العجم ثانية على روان سنة ١٦٣٦ م فسار السلطان ثانية في جيش كثيف قيل بلغ ٣٠٠ الف مقاتل وحاصر مدينة بغداد اياماً طويلة وافتتحها عنوة بعد ان هلك نحو ٢٠ الفا من جيش العجم ونحو ثلث جيشه وعاد الى القسطنطينية تاركاً كبير وزرائه للخبايرات شأن الصالح . وفي سنة ١٦٣٩ م تقرر شروطه تحت ارجاع مدينة روان للعجم وبقاء بغداد للدولة آل عثمان واقيم فيها وزير . وقد اكثر الناس من نظم الاشعار في فتح بغداد فمن ذلك قول بعضهم

خليفة الله مراد غزا قلعة بغداد فارداها

وعند ما حاصرها جيشه اندك للأسفل اعلاها

واعاد السلطان مراد الى الدولة العلية سابق هيبتها وسطوتها الا ان المنون لم تمهله طويلاً اذ قصفت عود حياته الرطيب وهو في مقتبل الشباب فتوفي يوم ١٦ شوال سنة

١٠٤٩ هـ الموافق ٩ فبراير سنة ١٦٤٠ م وسنة ٣١ سنة ومدة حكمه ١٦ سنة و١١ شهراً

٦٥٠ - السلطان ابراهيم الاول ابن احمد

من سنة ١٠٤٩ - ١٠٥٨ هـ او من سنة ١٦٤٠ - ١٦٤٨ م

وتولى بعده اخوه السلطان ابراهيم الاول ابن احمد ولم يكن تولى منصباً في الدولة كغيره من السلاطين بل عاش بين الحرم ولم يكن ميالاً للحرب فاعز الى امير ترانسلفانيا ان لا يحرك ساكناً يثير النمسا . لكنه كان شديد الوطأة على من يتعدى على شرف الدولة ولذلك لما سطا التتوزاق سنة ١٦٤٢ هـ على مدينة ازوف واحتلوها ارسل اليهم جيشاً نكل بهم واسترد المدينة من ايديهم بعد ان كانوا قد احرقوها . وجهاز اسطولاً عظيماً وسيره بقيادة يوسف باشا لفتح جزيرة كريت من يد البنادقة لانهم قبضوا على اغات السراري (فيزلاغاسي) وزوجته وابنه وقتلوا اغات السراري واعتقلوا امراته ونصرها وابنه وربوه تربية مسيحية وكان السلطان ابراهيم مغرمًا بامرأة اغات السراري هذه فلما بلغه الخبر جهز الاسطول وسيره فاقطع الاسطول من الاسنانة باحتفال عظيم ولما وصل الى الجزيرة القت سفنه مراسيها امام مدينة خانيا في ٢٩ ربيع الآخر سنة ١٠٥٥ هـ الموافق ٢٤ يونيه سنة ١٦٤٥ م فاستحوذ العثمانيون على المدينة المذكورة لتأخر سفن البندقية عن الوصول اليها في الوقت المناسب . فلما علم البنادقة بهذا الاعتداء حملوا على املاك الدولة في بلاد اليونان فاحرقوا بتراس وكورون ومودون بالمورة . ويقال ان السلطان ابراهيم اراد في مقابلة ذلك ان يهلك النصارى في مملكته فعارضه المفتي اسعد زاده ابوسعيد افندي في ذلك وقيل ان الفرنج حشوا هذه القصة في تواريخهم وليس لها اصل والله اعلم

وفي سنة ١٦٤٦ م فتحت عساكر السلطان ابراهيم اكثر الجزيرة وفي السنة التالية حاصرت مدينة كنديا عاصمة هذه الجزيرة فحال دون فتحها ثورة الجنود في الاسنانة وتفصيل الخبر ان السلطان ابراهيم سئم من عسف جوقه الانكشارية لتدمرهم وانتقادهم اعماله ورغبتهم في التداخل في شؤون المملكة فاراد ان يفتك بروؤسائهم في ليلة زفاف احدى بناته فعملوا بمقصد السلطان واثمروا عليه واجتمعوا بمسجد يقال

له اورطه جامع وانضم اليهم بعض العلماء والمفتي عبدالرحيم افندي . وهيجوا الانكشارية وغيرهم من العسكر وقرروا جميعاً عزله فتم لهم ما ارادوا وعزلوا السلطان ابراهيم يوم ١٨ رجب سنة ١٠٥٨ هـ الموافق ٨ اغسطس سنة ١٦٤٨ م

٦٥١ - السلطان محمد الرابع ابنه ابراهيم

من سنة ١٠٥٨ هـ — ١٠٩٩ هـ او من سنة ١٦٤٨ — ١٦٨٧ م

ونصبوا في كرمي الخلافة ابنه السلطان محمد الرابع ولم يكن له من العمر اكثر من ٧ سنوات وبعد عشرة ايام اظهرت العساكر عدم رضاها بما تم وطلبوا اعادة السلطان ابراهيم الى عرش الخلافة فغشي رؤساء العصابة مما عساه ان يكون واسرعوا بسفك دم السلطان ابراهيم برماً فراح شهيد المطامع والغايات . ف وقعت الفوضى في الدولة وصارت الجنود لا ترحم صغيراً ولا توفّر كبيراً وسرت عدوى هذا الفساد الى الجنود الذين كانوا محاصرين كنديا عاصمة كريت حتى اضطر قائدهم السر عسكر حسين باشا ان يرفع الحصار عن المدينة واتصل اللخل الى جميع الجنود البحرية حتى تمكن اسطول البنادقة من الانتصار على الاسطول العثماني سنة ١٦٤٩ م واحتل البنادقة بتندوس ولندوس وغيرها من الجزر والثغور ومنعوا السفن الحاملة المؤن من الوصول الى الاستانة فغلت الاسعار واستمرت هذه الحال الى ان قبيض الله ان يتولى منصب الصدارة محمد باشا كوبرلي وكان رجلاً مسناً حاذقاً ذا اختبار لان طول الايام علمه مالم يعلمه غيره . وحالما استلم عنان مأموريته شرع في سد اللخل الذي كان قد اوقع الدولة في الانحطاط وعامل الانكشارية بالقسوة وقتل منهم خلقاً كثيراً عند ما ثاروا كهادتهم فمحدث جذوة تعديهم وعثوم . وارسل سنة ١٦٥٧ م اسطولاً لمحاربة سفن البنادقة المحاصرة للدردنيل فحاربها ولم ينح الله حينئذ النصر للعثمانيين ولكن بعد ان توفي موشنجو قائد الاسطول البندقي انتصر الاسطول العثماني واسترد من البنادقة ما احتلوه من الجزر والثغور واراد الوزير ان يجعل حكم سيده ذا شهرة واعتبار فاخرجه الى عالم الشهرة وجهر جيشاً وشار على السلطان ان يأخذ قيادته وبذهب به الى دلماتيا لمحاربة اهل البندقية . فذهب السلطان الى مدينة ادرنة ليستلم قيادة الجيش سنة ١٦٥٨ م واقام محمد باشا

بمنصبه بالعاصمة . وبعد وصول السلطان الى ادرنة ببضعة شهور حدثت ثورة عظيمة في نواحي حلب والموصل بدسيسة ابراهيم باشا واليها وذلك ان رجلاً ادعى انه ابن السلطان مراد الرابع وسمي نفسه بايزيد زاعماً انه نجا من القتل عند ما أمر بقتله وعضده جمهور غفير فبعث محمد باشا بجيش صغير لمحاربة ذلك المدعي زوراً ولاطفاء نار الثورة فانكسر الجيش ولم يثبت فاضطر الى اعادة الجيش الذي ذهب به السلطان الى ادرنة وارسال كل قوة الدولة لاختاد نار العصاة فانهمزم المدعي المذكور وتمزق جمعه وتفرق ثم قبض عليه في الاسكندرية مع ابراهيم باشا الذي كان سبباً في ذلك وقتلا وعادت الراحة الى الدولة . وفي سنة ١٦٥٨ م انتقض راكوتزكي صاحب ترانسلفانيا على الدولة وحارب جنودها وظهر عليهم فسار اليه محمد باشا كوبرلي الصدر الاعظم فقعه وطرده من البلاد وانصب مكانه والياً شارطاً عليه ان يدفع كل سنة ٤٠ الف دوك . ثم انتقض امير الفلاح ايضاً واتحد معه امير ترانسلفانيا المذكور فعاد اليهما الصدر الاعظم وانتصر عليهما نصراً مبيناً وبينما كان محمد باشا كوبرلي الصدر الاعظم راجعاً من هذه الحرب دهمته الوفاة في ادرنة سنة ١٦٦١ م . وحزن السلطان جداً لفقده فاقام مكانه ابنه احمد فاضل باشا وكان كايه في الذكاء والحذق فسلك مسلك ابيه في تحسين امور الدولة ونجاحها . وكاشفته دولة النمسا وجمهورية البندقية بالصلح فاباه وقاد الجيوش بنفسه لمحاربة النمسا وحاصر قلعة ثمغرل ومع حصانتها ومناعتها اكره احمد باشا حاميتها على التسليم بشرط خروجهم منها سالمين وتركهم فيها كل ما كان عندهم من السلاح والذخائر واخلوها فعلاً في ٢٥ صفر سنة ١٠٧٤ هـ الموافق ٢٨ سبتمبر سنة ١٦٦٣ م . فارتاعت دول اوربا من سطوة العثمانيين ولا سيما ليوبولد ملك المانيا واستغاث بالبابا اسكندر السابع سائلاً اياه ان يرسل اليه ستة آلاف جندي افرنسي و٢٤ الفاً من محالفيه الالمانيين بقيادة الكونت كوليني . وانضم هؤلاء الى الجيش النمساوي وتسعرت نار الحرب فانتصر العثمانيون اولاً واحتلوا بعض المدن ولكن انتصر عليهم اخيراً القائد النمساوي العام مونتيكوكولبر سنة ١٦٦٤ م فاجمعوا جميعاً على عقد الصلح وقبل ليوبولد ذلك بمزيد الفرح سنة ١٦٦٥ م

وكان السلطان محمد الرابع قد جعل دار اقامته من سنة ١٦٥٨ م مدينة ادرنة كما كان قد اشار عليه وزيره السابق فتذمر اهل القسطنطينية لسبب غيابه منها واطهروا

عدم الرضاء فاشار عليه وزيره احمد باشا بالرجوع اليها فعاد ولم يلبث الا اياماً قليلاً حتى عاد الى مكانه بحجة طلب الصدم القنص لانه امسى يخشى غدر المفسدين كما غدروا قبلاً بسلفائه . وفي سنة ١٦٦٨ م ذهب احمد باشا الصدر الاعظم الى كريت لانجاز امر الحرب هناك وافتتاح ما كان باقياً في ايدي مشيخة البندقية . فارسلت المشيخة المذكورة تستعين بدول الفرنج فانجدهم الفرنسيون والبابا وسائر دول ايطاليا وفرنسا مالطة فلم يأت كل ذلك بادنى فائدة بل فتح العثمانيون الجزيرة بعد حرب شديدة وبعد ان اقام الصدر الاعظم فيها المحافظين وبنى ما كان قد تهدم من حصونها وابراجها قفل راجعاً بياقي الجيش الى العاصمة سنة ١٦٧٠ م

وفي سنة ١٦٧٢ م فثت الحرب ثانية في المانيا وبولونيا ودامت الى سنة ١٦٧٥ م وكانت تارة لهم وتارة عليهم . وفي السنة نفسها توفي الصدر الاعظم احمد باشا فخرن السلطان لفقده لانه كان من افضل الوزراء الذين قاموا في دولة آل عثمان الى ذلك العصر . خلفه فره مصطفى باشا ولم يكن في السطوة دون سلفه على انه كان بينه وبين ذاك بون عظيم في الحدق والدراية فوقع بينه وبين قوزاق اوكرينية نفور افصى الى حمل السلاح فطلب هؤلاء الاعانة من دولة الروسية فلبت دعوتهم ووقعت الحرب سنة ١٦٧٨ م فغار القوزاق والروسيون على العثمانيين ولما بلغ السلطان محمد اذلك خرج بنفسه الى ساحة القتال فلم يأت خروجه بالمرغوب ولما رأى وزيره تلك الحال خامره الخوف والوجل وكان القيصر الروسي قد عرض عليه الصلح فقبل به حالاً

وفي سنة ١٦٨١ م سار هذا الوزير الى المجر قاصداً محاربة النمسا وبعد ان انتصر على عساكرها قصد مدينة فينا عاصمة النمسا فحاصرها سنة ١٦٨٣ م واستحوذ على قلاعها الخارجية وهدم اسوارها بالمدافع ولم يبق عليه لثمة الفتح الا المهاجمة الاخيرة اذ اقبلت طلائع سويساسكي ملك بولونيا وقد انضم اليه جماهير غفيرة من اقطار المانيا كبافاريا وسكسونيا وغيرها وهجموا دفعة واحدة على صفوف العساكر العثمانية واشتبك بينهما قتال هائل دام من الصباح الى المساء حتى تحضبت الارض بالدماء وتغطي كبد السماء من الدخان وقد فعل سويساسكي وجموعه فعلاً تكل عنها صناديد الرجال وقاومت العساكر العثمانية مقاومة الاسود ولكن اضطر اخيراً مصطفى باشا ان يطلب الفرار وتشتت جيشه في تلك البراري والقفار بعد ان هلك منهم خلق كثير . ولما عاد مصطفى باشا الي بلغراد اخذ الناس وقواد العساكر بتذمرهم عليه ويطلبون قتله اذ كان

هو السبب في ذلك الانهزام فامر السلطان بقتله واقام مكانه قره ابراهيم باشا وبعد انهزام العثمانيين في وقائع فينا تألفت النمسا والبندقية وبولونيا وروسيا على محاربة الدولة العلية وزحفت عساكر الدول المتحدة على المملكة العثمانية من كل صوب فسارت عساكر سويسياكي ملك بولونيا نحو بلاد البغدان وسفن البندقية ومالطة الى بلاد اليونان والمورة فاحتلت جيوش البنادقة اكثر مدن اليونان سنة ١٦٨٦ م . وزحفت عساكر النمسا الى المجر فاحتلت عدة حصون وقلاع سنة ١٦٨٥ م . فعزل السلطان ابراهيم باشا الصدر الاعظم ونفاه الى جزيرة رودس وولى مكانه السر عسكر سليمان باشا وكان مشهوراً بشجاعته وحسن تدبيره ولكن تعسر كثيراً عليه انهاض الدولة بعد هذا التقهقر . وكانت جيوش النمسا بقيادة الدوك دي لورين الشهير وهو في ذلك الوقت محاصر لمدينة بودا فاسرع سليمان باشا لانقاذ المحصورين بمدينة بودا فلم يتمكن من رفع الحصار عنها بل دخلها الدوك دي لورين سنة ١٦٨٦ م وقتل حاكمها واربعة آلاف من جنوده فخرجت هذه المدينة من املالك الدولة الى اليوم

وجمع سليمان باشا من بقايا الجنود العثمانيين جيشاً مؤلفاً من ٦٠ الف جندي يعززهم ٧٠ مدفعاً وصرف مدة الشتاء في تدريب العساكر وتجهيز المعدات ثم هاجم عساكر الدول المتحدة في سهل موهاكر في ٣ شوال سنة ١٠٩٨ هـ (١٢ اغسطس سنة ١٦٨٧ م) واشتد القتال فانهمز العثمانيون وغنم الفرنج مدافعهم وسلاحهم وذخائرهم واحتلوا اقليم ترانسلفانيا وعدة قلاع من غرواسية . ولما بلغ خبر هذا الاندحار الى الاستانة هاج الجنود الباقون بها وارسلوا الى بقايا عسكر سليمان باشا ان يثوروا عليه فثاروا ولولا فراره الى بلغراد لقتلوه . ثم ارسلوا وفدًا الى الاستانة يطلبون من السلطان ان يأمر بقتل سليمان باشا فامر بقتله اخماداً لثورتهم وتفادياً من خنقهم وخيف على المملكة من الداخل والخارج فقرّر بعض الوزراء والعلماء خلع السلطان محمد الرابع فخلعوه في يوم ٢ محرم سنة ١٠٩٩ هـ الموافق ٨ نوفمبر سنة ١٦٨٧ م بعد ان حكم ٤٠ سنة قرابة وخمسة اشهر . ثم توفي معزولاً سنة ١١٠٤ هـ الموافقة ١٦٩٢ م



٦٥٢ - السلطان سليمان الثاني ابن ابراهيم

من سنة ١٠٩٩ - ١١٠٢ هـ او من سنة ١٦٨٧ - ١٦٩١ م

وبايعوا بالخلافة بعده السلطان سليمان الثاني ابن السلطان ابراهيم الاول فكان مبدأ حكمه مشوشاً من الداخل ومن الخارج . ولما رأى السلطان تلك الحال والاختار المحدقة بالدولة بعث الى حكومتي النمسا والبندقية يطلب اليهما الصلح فلم يجيباه الى طلبه فاضطر الى دفع القوة بالقوة وعزم ان يقود الجيش بنفسه . ولما وصل الى بلغراد خاف ان يتقدم اكثر من ذلك لجهله فن الحرب فولج قائداً خلافة سنة ١٦٨٩ م فكسره الفرنج وشتتوا جيشه . وتولى الصدارة يومئذ مصطفى باشا كوبرلي المشهور وكان قد ورث من ابيه وجده جراتهما الحربية والسياسية فأخذ قيادة الجيش وانتصر على النمسا سنة ١٦٩٠ م وسنة ١٦٩١ م واستخلص منها بلغراد واما كن اخرى كانت ربحتها قبل ذلك . ومن جهة اخرى كانت الاعلام العثمانية فائزة ايضاً في البندقية . وفي اثناء ذلك توفي السلطان سليمان الثاني في يوم ٢٦ رمضان سنة ١١٠٢ هـ الموافق ٢٣ يونيو سنة ١٦٩١ م عن غير عقب بعد ان حكم ثلاث سنوات وثمانية اشهر

٦٥٣ - السلطان احمد الثاني ابنه ابراهيم

من سنة ١١٠٢ - سنة ١١٠٦ هـ او من سنة ١٦٩١ - ١٦٩٥ م

فارتقى كرسي الخلافة بعده اخوه السلطان احمد الثاني ابن السلطان ابراهيم الاول فابق الصدر الاعظم على منصبه لاعتماده عليه في التدبير والحرب على ان المنية عاجلت هذا الوزير الخطير فتوفي في ١٨ اغسطس سنة ١٦٩١ م في ساحة القتال عند مهاجمة الجيوش النمساوية فكانت وفاته طامة كبرى على الدولة لعدم كفاءة عربه جي علي باشا الذي اخلفه في منصب الوزارة . ولم يحدث في ايام هذا السلطان شيء يستحق الذكر سوى احتلال البنادقة جزيرة سافس سنة ١٦٩٤ م . ثم توفي السلطان احمد الثاني في يوم ٢٢ جمادى الثانية سنة ١١٠٦ هـ الموافق ٦ فبراير سنة ١٦٩٥ م بعد ان حكم ٤ سنين و ٨ اشهر

٦٥٤ - "سلطان مصطفى الثاني ابن محمد

من سنة ١١٠٦ - سنة ١١١٥ هـ او من سنة ١٦٩٥ - ١٧٠٣ م
فتولى بعده السلطان مصطفى الثاني ابن السلطان محمد الرابع . وكان السلطان مصطفى شجاعاً ثابت الجأش فاعلن بعد سلطنته بثلاثة اشهر رغبته في ان يقود الجيش بنفسه لمحاربة بولونيا وسار اليها مستعيناً بفرسان القوزاق وانتصر على البولونيين في عدة وقائع وبلغ الى مدينة لمبرج وكانت في غابة المناعة فلم يتيسر له حربها . وحارب ايضاً بطرس الاكبر قيصر روسيا اذ كان محاصراً مدينة ازوف ببلاد القرم واضطره الى رفع الحصار عن هذه المدينة سنة ١٦٩٥ م ولكن تغلب عليها القيصر سنة ١٦٩٦ م ولم تزل تابعة لروسيا

ثم اغار السلطان مصطفى بجيوشه على بلاد المجر وفتح بعض حصونها وانتصر على قتراني قائد جيوش النمسا وقتل من جيشه ٦ آلاف واخذه اسيراً الا ان الامير اوجان دى سافوا الذي تولى قيادة جيوش النمسا سنة ١٦٩٧ م دهم الجنود العثمانية عند عبورهم احد الانهر فقتل منهم خلقاً كثيراً وفي مجملتهم محمد باشا الصدر الاعظم وغرق منهم كثيرون في النهر ثم تتبع الامير اوجان الباقين ودخل بلاد البشناق فاتحاً . واقام السلطان في منصب الصدارة حسين باشا كوبرلي فاوقف الامير اوجان عن التوغل باملاك الدولة بل اجبره على التقهقر وترك بلاد البشناق . واسترد قائد الاساطيل العثمانية جزيرة ساقس بعد انتصاره في موقعتين على اساطيل البندقية ثم تدخل لويس الرابع عشر ملك فرنسا في اصلاح ذات البين بين المتحاربين وبعد مفاوضات طويلة تم عقد الصلح بين الدولة العلية والنمسا وروسيا والبندقية في معاهدة كارلوفتش في ٢٦ يناير سنة ١٦٩٩ م وكان من شروط هذه المعاهدة ان تخلى الدولة العلية عن بلاد المجر برمتها وعن اقليم ترانسلفانيا لدولة النمسا وان تنزل عن مدينة ازاق وفرضتها لروسيا وان ترد الى مملكة بولونيا بعض المدن التي كانت قد تملكتها . وتخلت للبندقية عن المورة واقليم دلماسيا على البحر الادرياتيكي فخسرت الدولة بهذه المعاهدة قسماً كبيراً من املاكها باوربا وازدادت مطامع الدول الاوروبية ببلادها . وفي سنة ١٧٠٢ م استقال حسين باشا كوبرلي من منصب الصدارة فعين السلطان مكانه مصطفى باشا وهذا كان ميالاً للحرب وغير راضٍ عما تم عليه الاتفاق مع دول الفرنج وعزم ان يخرق معاهدة

كارلوفتش المذكورة وان يثير الحرب علي النمسا . ولما شعرا عيان المملكة وجنودها بضار هذه السياسة وماتسببه من تألب دول اوربا علي الدولة العلية ثانية سألوا السلطان عزله فعزله وعين مكانه رامي محمد باشا فصار علي خطة حسين باشا كوبرلي وطفق يبطل المفاسد ويعاقب اصحاب الرشوات ويمنع المظالم فثار عليه الانكشارية وسألوا السلطان عزله فلم يجبههم الي ما طلبوا وارسل لقمعهم فرقة من الجنود فانضموا الي الثائرين وخلعوا السلطان مصطفى الثاني في ٢ ربيع الآخر سنة ١١١٥ هـ الموافق ١٥ اغسطس سنة ١٧٠٣ م . وكانت مدة حكمه ٨ سنوات و ٨ اشهر

٦٥٥ - السلطان احمد الثالث ابنه محمد

من سنة ١١١٥ - ١١٤٣ هـ او من سنة ١٧٠٣ - ١٧٣٠ م

واقاموا بعده اخاه السلطان احمد الثالث ابن السلطان محمد الرابع . ولما تبوأ هذا السلطان مسند الخلافة كان السلام سائداً في جميع انحاء الدولة العلية . وكانت يومئذ الحرب قائمة علي ساق وقدم بين بطرس الاكبر قيصر روسيا وكارلوس الثاني عشر ملك اسوج ودامت الحرب بينهما الي سنة ١٧٠٩ م حين انكسر اخيراً كارلوس المذكور في معركة بلتوفا وفاز عليه بطرس الاكبر فانهمز ودخل حدود الدولة ونزل في بندر . فامر السلطان وقتئذ بان يكرم غاية الاكرام وان تكون مصاريف كل تبعته من خزينة الدولة . اما كارلوس فاخذ يطلب من السلطان نجدة لقتال القيصر الرومي فلم يجبه الي ذلك نظراً للمعاهدة التي كانت بين الدولتين ولكن لمداومة كارلوس الالحاح علي هذا الطلب ولشهرته الفاتحة التي نالها في بلاط السلطان حتي كانت ام السلطان تميل اليه وتلقبه بالاسد اعتمدت الدولة اخيراً علي اجابة طلبه وشهرت الحرب علي روسيا سنة ١٧١١ م وارسلت جيشاً عظيماً تحت قيادة محمد باشا البلطجي فاشتبك القتال بين الطرفين عند نهر بروت وبعد كفاح شديد تقهر جيش القيصر وامسى الامبرطور في خطر مبين ولولم تدارك الامر زوجته كاترينا بحذقها ودرايتها لاصبح زوجها اسيراً ولكنها

بذات كل مرتخص وغال في ارضاء خاطر الوزير العثماني الذي لما امتلأت يده من الاصغر الوهاج رفع الحصار عن القيصر واكتفى بتوقيع القيصر على معاهدة فلكزن التي تخلى بمقتضاها عن مدينة ازوف وتعهد بان لا يتداخل في شؤون بولونيا. ولو اخاص الوزير لنال من القيصر في هذه الفرصة ما هو انظم من ذلك كثيراً ولذلك كاد كارلوس الثاني عشر ملك اسوج يتمزق غيظاً من عقد الصلح على هذه الشروط وسعى لدى السلطان بعزل الوزير عن منصبه وابعاده الى جزيرة لمنوس ففعل السلطان ذلك وولى الصدارة بعده يوسف باشا وهذا لم يكن ميالاً للحرب فوقع مع القيصر على معاهدة جديدة تقضي بهدنة مدة ٢٥ سنة فيئس عندئذ كارلوس الثاني عشر ملك اسوج من مساعدة الدولة له على روسيا وترك بلاد الدولة بعد ان اقام بها سنتين

وتولى في هذه الاثناء منصب الصدارة علي باشا داماد وكان ميالاً الى الحرب هائماً بان يرد الى الدولة ما أخذ من املاكها فاثار الحرب على جمهورية البندقية فاسترد منها المورة وما كان باقياً لها من المدن في جزيرة كريت ولم يبق للبنادقة في بلاد اليونان الا جزيرة كورفو فاستنجد البنادقة بكارلوس الثالث ملك النمسا فاسرع لانجادهم وطلب الى السلطان ان يرد عليهم كل ما اخذه منهم والاً فيكون امتناعه عن الاجابة اعلاناً للحرب فابى السلطان قبول ما اقترحه فتأججت نار الحرب وكان قائد جيش النمسا اوجان دي سافوا المشهور فانتصر على العثمانيين في ٥ اغسطس سنة ١٧١٦ م وقتل الصدر الاعظم لاقترامه ساحة القتال بنفسه مؤثراً الموت مجاهداً على الانهزام واستحوذ جيش النمسا على عدة مدن عثمانية ودخلوا بلغراد في ١٩ اغسطس سنة ١٧١٧ م عنوة . ثم دارت المحابر بين الدولتين لعقد الصلح وتم ذلك وعقدت بينهما المعاهدة المعروفة بمعاهدة يشاروفش ووقع عليها في ٢١ يوليو سنة ١٧١٨ م ومن شروطها ان تأخذ النمسا بلغراد وقسماً كبيراً من بلاد الصرب وقسماً من بلاد الفلاخ وان يبيى البنادقة محتلين ثغور دلماسيا وان تبقى المورة في حوزة الدولة العلية

واراد السلطان احمد ان يمتاض عما خسره من ولاياته باوروبا فانتهاز فرصة الاضطرابات التي حدثت في ذلك الوقت في بلاد العجم لغارة الافغانين بقيادة سلطانهم محمود بن ويس واستيلائهم على عاصمة العجم ونزول الشاه حسين الصفوي شاهنشاه العجم للسلطان محمود الافغاني المذكور عن كرسي المملكة فارس جيشاً كثيفاً للغارة على بلاد العجم ودخل جيش الدولة بلاد ايران واستولى على مدن وقلاع اهمها همذان واروان وتبريز . ثم انتصر شاه طهماسب بن شاه حسين على اعداء ابيه وغلب جلوسه على سرير الملك ارسل يطلب من السلطان ترجيع الاملاك التي كان استولى عليها واذ لم يلتفت السلطان الى ذلك الطالب اغار الاعجام على تبريز واستولوا عليها

ولعدم ميل السلطان الى الحرب ورغبته في الصلح ثار الانكشارية واهاجوا الاهالي فاطاعوهم طمعاً بالسلب والنهب في ١٥ ربيع الاول سنة ١١٤٣ هـ الموافق ٢٧ سبتمبر سنة ١٧٣٠ م وطلب زعيم هذه الثورة المدعو بترونا خليل من السلطان قتل الصدر الاعظم والمفتي واميرال اساطيل البحرية بحجة انهم مائلون لمسالمة العجم فامتنع السلطان عن اجابة طلبهم ولما رأى منهم التصميم على قتلهم طوعاً او كرهاً فخوفاً من ان يتعدى اذاهم الى شخصه سلم لهم بقتل الوزير والاميرال دون المفتي فقبلوا والقوا جيشهم الى البحر لكن لم يمنهم انصياع السلطان لطلباتهم من التطاول اليه بل جراهم نساؤه معهم على العصيان عليه جهاراً فاعلنوا اسقاطه في مساء اليوم المذكور عن منصة الاحكام ونادوا بابن اخيه السلطان محمود خليفة واميراً للمؤمنين فنزل السلطان عن كرسي المملكة دون معارضة وعاش معزولاً الى سنة ١٧٣٦ . وفي ايام هذا السلطان دخل فن الطباعة في بلاده واستست دار الطباعة في الاسنانه بعد اصدار المفتي الفتوى بذلك مشروطاً بعدم طبع القرآن الشريف خوفاً من التحريف



٦٥٦ - السلطان محمود الاول ابنه مصطفى

من سنة ١١٤٣ - ١١٦٨ هـ او من سنة ١٧٣٠ - ١٧٥٤ م

لما خلع الثائرون السلطان احمد الثالث ابن السلطان محمد الرابع اقاموا بعده ابن اخيه السلطان محموداً الاول ابن السلطان مصطفى الثاني ولما جلس هذا السلطان على كرسي الخلافة كان النفوذ حينئذ لبطريرك خليل زعيم الثائرين يولي من يشاء ويعزل من يشاء على حسب اهوائه حتى عيل صبر السلطان واعتدى هذا الزعيم على بعض روساء الانكشارية فقتلوا للغدر به تخلصاً من شره فقتلوه ولم يقو محاربوه على الاخذ بشاره فعادت السكينة واستتب الامن

واستأنف السلطان محمود الحرب مع العجم وتغلبت الجيوش العثمانية في عدة مواقع على جنود شاه طهما سب المار ذكره حتى طلب الصلح فمقد بين الدولتين في ١٠ كانون الثاني سنة ١٧٣٢ م (الموافق ١٢ رجب سنة ١١٤٤ هـ او ١٠ يناير سنة ١٧٣٢ م) على ان يترك العجم للدولة العلية كل ما فتحته ما عدا تبريز واوردهان وحمدان فلم يقبل نادرخان (صار فيما بعد نادر شاه وهو الفاتح الشهير وتجد ترجمته فيما يأتي بفصل ٧٤٢ ان شاء الله) اكبر قواد العجم هذا الصلح وقلب المجن لشاه طهما سب وقصده بجيشه الى اصفهان وخلعه وولى مكانه ابنه عباساً القاصر واقام نفسه وصياً عليه وزحف الى المدن العثمانية حتي حصر مدينة بغداد . فاسرع الوزير طوبال (الاعرج) عثمان باشا لكتبته فكانت عدة وقائع قتل في احداها عثمان باشا المذكور . واخيراً عقدت معاهدة صلح بين الدولتين في ٢٤ سبتمبر سنة ١٧٣٦ م وبن شروطها ان تعترف الدولة العلية بأن نادر شاه ملك العجم وترد اليه ما اخذته منه وان تكون التحوم بين الدولتين كما تقررت في معاهدة سنة ١٦٣٩ م في عهد السلطان مراد الرابع

وبينا كانت الدولة العلية منشغلة في هذه الحروب انتهزت الروميا الفرصة فانفقت مع النمسا على اذلال بولونيا او ملاشاة دوايتها تبعاً لسياسة بطرس الاكبر

وكان اوغست الثاني ملك بولونيا قد توفي سنة ١٧٣٣ م وانتخب اعيان المملكة ستاناسلاس ملكا عليها فاعلنت روسيا والنمسا الحرب على بولونيا واقامت اوغست الثالث ابن اوغست الثاني ملكاً على بولونيا ولم ينتخبه الشعب فاعلنت فرنسا الحرب على النمسا انتصاراً للعدل ولبولونيا وسعت لدى الباب العالي لتحمل الدولة على مساعدة بولونيا في الدفاع حفظاً لهذا الحاجز الحصين بينها وبين روسيا فلم يلق معتمد فرنسا اذناً صاغية لدى وزراء الدولة ولذلك تغلبت روسيا على ستاناسلاس واحتلت جنودها بولونيا . ولما شعرت النمسا بسعي فرنسا في الاستانة خافت عقد محالفة بين فرنسا والدولة العلية فيحيط مسماها مع روسيا في بولونيا فاسرعت الى ارضاء فرنسا وأبرمت بينهما معاهدة في فيينا سنة ١٧٣٥م وأخذت تنأهب للاشتراك مع روسيا في محاربة الدولة العلية واوعزت الى روسيا لتفتتح الحرب . فوجدت روسيا حجة لاعلان الحرب سنة ١٧٣٦م واغارت جيوشها على بلاد القرم واحتلت الثغور التي على شاطئ البحر الاسود فكان ذلك داعياً للدولة الى الصلح مع نادر شاه العجم على شروط محجفة بحقوق الدولة

ولحسن حظ الدولة العلية تقلد منصب الوزارة في هذا الوقت الصعب رجل حنكه الدهر واشهر بالسياسة وسمو المدارك وهو الحاج محمد باشا فمخشد الجيوش واعد المعدات الحربية حتى استطاع في وقت وجيز ايقاف الروس عن التقدم في بلاد البغدان بل اضطرهم الى التقهقر وانتصرت الجنود العثمانية في جهة اخرى على عسكر النمسا الذي كان قد اغار على بلاد البشناق والصرب والفلاخ فتهقر النمساويون الى ما وراء الدانوب سنة ١٧٣٧ حتى طلبت النمسا الصلح بواسطة سفير فرنسا فعقد هذا الصلح في ٤٨ سبتمبر سنة ١٧٣٩ م بين الدولة العلية والنمسا وروسيا ووقعت هذه الدول على المعاهدة المعروفة بمعاهدة بلغراد ومن شرائطها ان تتخلى النمسا للدولة العلية عن بلغراد وعماء اعطي لها قبلاً من بلاد الصرب والفلاخ بمقتضى معاهدة كارلوفتش المار ذكرها ونهدت روسيا بهدم قلاع ميناء ازوف و بعدم انشاء سفن حربية او تجارية بالبحر الاسود او بحر ازوف وبان

ترد للدولة كل ما فتحته من بلادها فاستردت الدولة العلية جزءاً كبيراً مما كانت قد فقدته من بلادها . وهكذا انتهى الحال وزال الشقاق والاختلال وعظم السلام في السلطنة الى ان توفي السلطان محمود الاول ابن السلطان مصطفى الثاني في يوم الجمعة ٢٧ صفر سنة ١١٦٨ هـ الموافق ١٣ ديسمبر سنة ١٧٥٤ م

٦٥٧ - السلطان عثمان الثالث ابنه مصطفى

من سنة ١١٦٨ — ١٠٧١ هـ او من سنة ١٧٥٤ — ١٧٥٧ م

وتولى بعده اخوه السلطان عثمان الثالث ابن السلطان مصطفى الثاني وهذا كان يحب الانفراد فلم يحصل في ايامه شيء يذكر الى ان توفي يوم ١٦ صفر سنة ١١٧١ هـ الموافق ١٣٠ أكتوبر سنة ١٧٥٧ م

٦٥٨ - السلطان مصطفى الثالث ابنه احمد

من سنة ١١٧١ — ١١٨٧ هـ او من سنة ١٧٥٧ — ١٧٧٤ م

وخلفه السلطان مصطفى الثالث ابن السلطان احمد الثالث وكان ميالاً الى الاصلاح راغباً في تقدم مملكته فاخذ حالاً في تنظيم احوال السلطنة وسلك احسن سلوك مع الرعايا وكان يعتمد على وزيره محمد راغب باشا الموصوف بحسن السياسة والتدبير وهو صاحب الجامع والمسكبة الوقفية الشهيرة المعروفة الان باسمه في مدينة القسطنطينية ولكن لم تطل ايام هذا الشهم اذ توفي سنة ١٧٦٨ م

وبعد موت هذا الوزير انتشبت نار الحرب بين الدولة العلية وروسيا فان اوغست الثالث ملك بولونيا توفي في تلك الاثناء فسمعت كاترينا الثانية قيصرية الروس باقامة سبتانسللاس بونياثوسكي ملكاً خلافاً لما تعهدت روسيا للدولة العلية ان لا تتدخل بشؤون بولونيا وبحجة تأمين بولونيا وحمايتها من الحرب

الداخلية احتلت جنود روسيا فرسوفيا بالاتفاق مع بروسيا فأقام السلطان مصطفى
الحجة على هذا الاحتلال فأجابه روسيا وبروسيا أن لا غرض لهما الا تأمين
بولونيا وانه واذا أراد فليشترك معهما في ذلك ولم يكن ذلك الا خدعة . وتوفي
بطرس الاكبر قيصر روسيا فخلفته كاترينا الثانية أدهى نساء عصرها واقواهن
فزادت المسألة ارتبا كاً واهمية واتفق ان بعض سكان الفلاخ النصارى انهزموا
الى ارض روسيا فطلب الباب العالي اخراجهم منها فكان الجواب مهيناً استخط
السلطان جدّاً فأوعز الى كريم كراي خان القرم أن يوجد سبباً للحرب فخرش بعض
القوزاق التابعين لروسيا أن يعتدوا على بعض المدن التابعة للدولة فأغاروا على
احدى المدن العثمانية وقتلوا بعضاً من سكانها فأعلنت الدولة العلية الحرب على
الروسيا واغار كريم كراي على اقليم سربيا الجديدة وخرب بعض مستعمرات
الروس واخذ بعض الاسرى منهم . وسار الوزير الاعظم محمد أمين باشا بجيش
عظيم للدفاع عن أملاك الدولة في الفلاخ والبغدان فانهمز أمام أعدائه لسوء تدبيره
فأمر السلطان بقتله سنة ١٧٦٩ م ونصب مكانه في الصدارة وقيادة الجيش
مولدواني باشا فكان اكثر خبرة بأمر الحرب ولكن بينما كان جيشه يعبر على
جسر من السفن نهراً كان الجيش الروسي على ضفته الاخرى فاض النهر فقلب
السفن وغرق من كان عليها وقتل الروس من عبروا اليهم عن آخرهم فاحتل الروس
ايالتي الفلاخ والبغدان . وكانت روسيا في هذه الاثناء تبذل الجهد باثارة رعايا
الدولة عليها فهيجت سكان المورة على العصيان واخرجت بعض سفنها من بحر
البلتيك فدارت حول أوروبا الغربية وبلغت بلاد اليونان فاستحوذت على بلاد
كورون لتجري اليونان على خلع الطاعة فسارعت الدولة الى اطفاء الفتنة وخرجت
مراكب الروس من كورون قاصدة جزيرة ساقس فالتقت بالاسطول العثماني في
المضيق الذي بين الجزيرة وساحل اسيا الصغرى فتلظت نار الحرب ساعات وكان
النصر للاسطول العثماني الذي عاد بعد الظفر الى ميناء جشمة وتبعته سفينتان
روسيتان ظن العثمانيون انهما هاربتان من الاعداء وقاصدتان للانضمام الى

اسطولهم فلم يتعرضوا لدخولهما في المرفأ فالتقنا في الحال ناراً حامية على المراكب العثمانية على حين غفلة منها فاشتعل البارود الذي فيها وأحرق المراكب وغرقها في يوم ١١ ربيع الاول سنة ١١٨٤ هـ الموافق ٤ يوليو سنة ١٧٧٠ م وعزم الاميرال الروسي أن يهاجم الاسنانة فلم يوافقه أحد أركان حربه وآثر احتلال جزيرة لمنوس أولاً لتكون مركزاً لاعمالهم الحربية ولكن تمكن البارون دي تون المجري الذي دخل في خدمة الدولة ان يحصن أثناء حصار لمنوس مضيق الدردنيل بما أمكن من السرعة حتى استحبال على مراكب الروس العبور بهذا المضيق وحول عدة مراكب تجارية الى سفن حربية وجهازها بالمدافع بسرعة غريبة حتى تمكن حسن بك الذي تولى قيادة هذا الاسطول الجديد ان يقاتل الاسطول الروسي على لمنوس ويبيده عنها . ولم ينجح الروس في طرابزون أيضاً التي حاولوا الاستيلاء عليها لكنهم احتلوا بلاد القرم واعلنوا انفصالها عن الدولة واستقلالها تحت سيادة روسيا وحمايتها وجعلوا شاهين كراي خاناً عليها خاضعاً للقبصرة كاترينا الثانية وفي سنة ١٧٧٢ م تهادن الفريقان وتفاوضوا في أمر الصلح ودامت المخابرات الى سنة ١٧٧٣ م بلا نتيجة لان معتمدي روسيا طلبوا طلبات مجحفة بحقوق الدولة فلم يقبها الباب العالي فاستثفنت الحرب وصدرت الاوامر للجيش العثماني في ٢٢ مارس سنة ١٧٧٣ م بمعاودة القتال في أعمال الدانوب فانتصر العثمانيون في عدة مواقع وتقهقر الروسيون

وكان الاسطول الروسي باقياً في البحر المتوسط وكان علي بك احد امراء المماليك في مصر لذلك بالوقت قد استبد بشؤونها وأصبح مستقلاً بها ورأى ان تمام لمقاصده أن يستمد الروسيين فخابر الاسطول الروسي ليده بالذخائر والاسلحة فارتاح الاميرال الى ذلك رغبة في اشغال الدولة بحروب داخلية وأسرع الى مساعدته وبذلك امكن علي بك فتح مدائن غزة ونابلس وأورشليم ويافا ودمشق وكان يتجهز للاغارة على الاناضول لكن ثار عليه أحد امرائه محمد بك الشهير بابي الذهب فماد علي بك الى مصر لمحاربه فانهزم

وبعد أن تحصن في القلعة التجأ الى الشيخ طاهر الذي كان عاملاً على مدينة عكا من قبل الدلة العلية واستأثر بها واتحد معه على محاربة العثمانيين بالاتحاد مع الروس وتخليص مدينة صيدا التي كانوا يحاصرونها فساروا الى هذه المدينة والتقىا بالعثمانيين خارجها وانتصروا عليهم بمساعدة المراكب الروسية التي كانت ترسل مقدوفاتها على الجيش العثماني . ثم اطلقت السفن الروسية قنابلها على مدينة بيروت فأخربت منها نحو ثلثمائة بيت وبعد ذلك عاد علي بك الى مصر في محرم سنة ١١٨٧ هـ لمحاربة محمد بك ابي الذهب وانضم الى جيوشه أربعمائة جندي روسي فقابلهم أبو الذهب عند الصالحية بالشرقية وفاز عليهم بالنصر وأسرع علي بك وأربعة من ضباط الروس بعد أن قتل كل من كان معهم ورجع الى مصر حيث توفي علي بك من الجراح التي أصابته فقطع أبو الذهب رأسه وسلمه مع الاربعة ضباط الروسين الى الوالي العثماني خليل باشا وهو أرسلهم الى الاستانة . ثم توفي السلطان مصطفى الثالث في ٨ ذي القعدة سنة ١١٨٧ هـ الموافق ٢١ يناير سنة ١٧٧٤ م

٦٥٩ - السلطان عبد الحميد الاول ابنه احمد

من سنة ١١٨٧ - ١٢٠٣ هـ أو من سنة ١٧٧٤ - ١٧٨٩ م

فتولى بعده اخوه السلطان عبد الحميد الاول ابن السلطان احمد الثالث . وكانت روسيا تستعد استعداداً هائلاً لتسترد ما أخذ منها في أيام السلطان مصطفى الثالث وتأخذ ما أمكنها من املاك الدولة العلية وقد زحفت جيوشها في يونيو سنة ١٧٧٤ م فاجتازت نهر الطونة قاصدة مدينة فارنا فالتقت بعسكر عثماني اميره عبد الرازق افندي فهزمته وتقدمت نحو معسكر محسن زاده الصدر الاعظم . فطلب الصدر الاعظم من أمير الجيوش الروسية المهادنة وتوقيف القتال وأرسل اليه مندوبين للتخاطبة في الصلح وشروطه . فاجتمع المندوبان العثمانيان بسفير روسيا

بمدينة قينارجة وبعد مخابرات طويلة تمّ عقد الصلح على شروط أهمها استقلال النهر وفتح أبواب كل البحر الدولة للسفن الروسية . ومع ذلك كله لم تقنع دولة روسيا بل كانت تنعدي من حين الى حين على حدود الدولة العلية حتى انها اغارت على القرم واستتوت عليها . وكان السلطان عبدالحيد الاول يتحمل تلك التعديات بمرارة عظيمة زمناً طويلاً وهو غير قادر أن يأتبها بالعلاج الشافي . ولما رأى ان كل املاك دولته ما وراء الطونة وقعت في قبضة الاجانب شرع في استعدادات جديدة للحرب وبينما كان مهتماً على القيام وافته المنية في ٧ ابريل سنة ١٧٨٩ م الموافق ١٢ رجب سنة ١٢٠٣ هـ

٦٦٠ - السلطان سليم الثالث ابنه مصطفى

من سنة ١٢٠٣ - ١٢٢٢ هـ أو من سنة ١٧٨٩ - ١٨٠٧ م

فتولى بعده ابن أخيه السلطان سليم الثالث ابن السلطان مصطفى الثالث . وحالما تبوأ هذا السلطان مسند الخلافة همّ حالاً لنشل الدولة من تلك الحالة السيئة وبعث بالمساركة لمجهزة لمحاربة الجيوش الروسية والنمساوية فالتقى الفريقان في البغدان وبعد قتال شديد انتصر الروسيون والنمساويون في سبتمبر سنة ١٧٨٩ م واستحوذ الروس على مدينة بندر الحصينة واحتلوا معظم بلاد الفلاح والبغدان وبسارايا . ودخل النمساويون بلغراد وفتحوا بلاد السرب فتدخلت جينتر بروسيا وانكلترا بين ليوبولد امبراطور جرمانيا والدولة العلية في شأن الصلح وقر القرار فيه بأن يصير ارجاع بلغراد وكل الاراضي التي فتحتها النمسا خلاشوكريم لحد نهاية الحرب مع روسيا وتعينت ساقية كزارما حداً فاصلاً بينهما وذلك سنة ١٧٩١ م أما روسيا فكانت لا تزال مقيمة الحرب على قدم وساق حتى حاصرت قلعة اسماعيل وهي من اهم حصون الدولة العلية وامنعها وبعد حصار شديد فتحتها فتدخلت ايضاً انكلترا وبروسيا وانتهى النزاع والحرب وحملنا روسيا ان ترجع

للدولة العلية كل الاماكن التي فتحها خلا او كزا كوف والاراضي الواقعة بين نهري بدخ ودينستر (حيث اقامت الامبراطورة كاترينا الثانية مدينة اودسا سنة ١٧٩٢م) وبعد ان وضعت الحرب اوزارها سعى السلطان سليم في ترقية اسباب تقدم بلاده وعمرانها وارسل يطلب من فرنسا مهندسين ومعلمي صنائع وضباطاً الى غير ذلك فبعثت له بجانب عظيم . على ان علاقاته الحبية مع فرنسا تكدرت سنة ١٧٩٨ م حين دخل الفرنسيون مصر بقيادة بطلم الشهير نابوليون بوناپرت على غير علم الدولة (وسنذكر هذه الحادثة اكثر تفصيلاً في ذكر مقدمة الدولة المحمدية العلوية) واقاموا فيها الى سنة ١٨٠١ م فانزمت الدولة العلية ان تشهر ضدها السلاح واخرجتها من اراضيها المصرية بمعاوضة انكلترا . ثم حدثت في مصر حوادث كان نهايتها اسناد ولاية مصر الى محمد علي باشا مؤسس الدولة المحمدية العلوية وسنذكر ذلك باوضح بيان في ذكر الدولة المحمدية العلوية ان شاء الله تعالى

وفي سنة ١٧٩٩ اتحدت روسيا مع الدولة العلية على اخذ السبع الجزر التي كانت لجمهورية البندقية وكانت فرنسا يومئذ مستولية عليها منذ سنة ١٧٩٧ م فاتحدت اساطيلها وفتحت الجزر المذكورة . وهذه هي المرة الاولى والاخيرة التي اتحد فيها هاتان الدولتان . وفي سنة ١٨٠٠ م صار الاتفاق بين الدولتين المشار اليهما في صيرورة الجزر المذكورة حكومة مستقلة خاضعة للسلطنة العثمانية تحت اسم جمهورية السبع الجزر

وفي سنة ١٨٠٢ م عقد بوناپرت معاهدة صلح مع الدولة العلية . ولما ارتقى المذكور الى منصب الامبراطورية بعث سفيراً الى الدولة العلية لكي تعرفه امبراطوراً فتأخرت من جرى تهديدات روسيا وانكلترا ولكن لما بلغها صدى انتصاراته على النمسا وروسيا في اوسترليتز سنة ١٨٠٥ م عرفته اخيراً سنة ١٨٠٦ م وجددت مع فرنسا علاقات الوداد . وارسل بوناپرت الجنرال سبستيان الى الاسطانة وكانت له حظوة كبرى لدى السلطان وبمساعدته عزل السلطان اميري

الفلاح والبغدان المحازبين لروسيا . فاستاءت روسيا من هذا العزل وخشيت من امتداد نفوذ فرنسا في المشرق فجهزت جيشاً احتل الامارتين المذكورتين دون اعلان حرب مدعية ان تغيير اميري الفلاح والبغدان مضر بحقوق جوارها فانشب نار الحرب بين الدولتين وناصرت انكلترا روسيا فارسلت اسطولاً بقيادة الورد دوك فسطا على مدخل الدردنيل ورفع سفيرها بلاغاً الى الباب العالي طالباً عقد محالفة بين الدولة العلية وانكلترا وتسليم الاساطيل وقلاع الدردنيل لانكلترا والتخلي عن ولايتي الفلاح والبغدان وطرد الجنرال سبستيان من الاستانة والا فتضطر انكلترا ان تجازر بوغاز الدردنيل وتطلق مدافعها على الاستانة . فابت الدولة العلية اجابة انكلترا الى هذه المطالب واخذت بتحسين البوغاز المذكور وانشاء القلاع على ضفتيه على ان الانكليز لم يتركوا لهم وقتاً كافياً لهذه التحصينات بل اخترق اميرال الاسطول الانكليزي بوغاز الدردنيل دون ان تناله مضرة تذكر من مقذوفات القلاع ودمر السفن العثمانية الراسية في فريضة كاليولي ومكث خارج البوسفور ينتظر تنفيذ الشروط التي اقترحها على الباب العالي . واستولى الرعب على قلوب سكان الاستانة وحرار الوزراء فيما يعملون وبمد مداولات طويلة جزموا ان يذعنوا لمطالب انكلترا وارسلوا يكافون الجنرال سبستيان بالخروج من الاستانة خيفة من تفاقم الخطب فاستدعى الجنرال مستخدمي السفارة والضباط الافرنسيين الموظفين بجيوش الدولة وبحريتها واجاب رسول الباب العالي « لا اخرج من الاستانة الا مكرهاً » . وطلب ان يقابل السلطان فاجيب الى ذلك فعرض له ان فرنسا مستعدة لمساكنته وان امبرطورها نابوليون بونابرت اصدر اوامره لجيوشه العسكرية في سواحل لادرياتيك ان تسير مسرعة الى الاستانة لانجاده على انكلترا وبند مطالبها فاقتنع بلالة السلطان بما عرضه له وامر بتحسين العاصمة وانشاء القلاع حولها وتسليحها بالمدافع الضخمة وتجند من نزاله الافرنسيين بالاستانة مشتاً مقاتل واكثرهم من المدفعية لمقاومة انكلترا وجد كل من بالاستانة بهذه التحصينات الشيوخ والاحداث والنساء وكان

الساغان بنفسه ينظر هذه الاشغال ويبحث المشتركين بها على مواصلة الليل بالنهار لانتم القلاع ولم تمر ايام الا واصبحت الاسنانة في مأمن من كل طارىء ووقفت عدة سفن في مدخل البوسفور لمنع المهاجمة . فلما رأى الاميرال الانكليزي انه اصبح مستحيلاً عليه ان يدخل البوسفور وخاف من حصر اسطوله في ما بين البوغازين البوسفور والدردينل قفل راجعاً الى البحر الابيض المتوسط سنة ١٨٠٧ واراد الاميرال الانكليزي ان يداري هزيمته فقصده ثغر الاسكندرية ومعه خمسة الاف جندي ما عدا البحرية فاحتل هذا الثغر وارسل فرقة من الجنود لاحتلال ثغر رشيد فلم تنل منها مأرباً واعاد الكرة على رشيد فغاب امله من الاحتلال فيها لارسال محمد علي باشا النجيدات اليها فلما رأى الاميرال ما في فتح مصر من العقبات والمصاعب مع اشتغال دولته بالحروب باوربا عدل عن مقصده واقبلع باسطوله وجنوده من مصر في ١٤ سبتمبر سنة ١٨٠٧ م . وكان السلطان سليم يرغب ان يلاشي وجاه الانكشارية ويقيم مكانه عسكرياً على الطريقة الافرنكية لانهم كانوا قد زعزعوا اركان الساطنة بعصيانهم وعدم انقيادهم وكان قد نظم في العام السابق بعض الفرق من النظام الجديد فهاج الانكشارية من جراء ذلك واثاروا على المدينة شغباً عظيماً وصاروا يعتدون على الاهالي ويقتلون من وقعت ايديهم عليه فاصدر السلطان امراً بالغاء النظام الجديد فلم يكتف الثائرون بذلك بل قرروا خلع السلطان اثلاً يعود الى تنفيذ مشروعه وساعدهم على ذلك شيخ الاسلام الذي هو محرك هذه الفتنة فافتي بان كل سلطان يدخل نظام الفرنج وعوائدهم ويجبر الرعية على السلوك بها لا يصلح للملك (تأمل) . واستمرت الثورة يومين ثم نودي في ٢١ ربيع الاخر سنة ١٢٢٢ هـ الموافق ٢٨ يونيو سنة ١٨٠٧ م بخلع السلطان سليم الثالث بعد ان حكم ١٩ سنة وبقي الى ان توفي في ٤ جمادي الاولى سنة ١٢٢٣ هـ

٦٦١ - السلطان مصطفى الرابع ابنه عبد الحميد

من سنة ١٢٢٢ - ١٢٢٣ هـ او من سنة ١٨٠٧ - ١٨٠٨ م

واقاموا مكانه السلطان مصطفى الرابع ابن السلطان عبد الحميد الاول وهذا لم يستطع ان يكبح جماح الثائرين فاثبت الوزراء الذين كانوا يحاربونهم . ولما بلغت اخبار ما كان بالاسنانة الى الجيوش العثمانية المشتغلة بمحاربة الروس شعر الانكشارية بما كان لرفاقهم من الفوز ولما رأوا قائدهم العام حلمي ابراهيم باشا الصدر الاعظم آسفاً على ما حدث في الاسنانة قتلوه واقاموا مكانه چاي مصطفى باشا . ولولا اشتغال معظم جيوش الروس بمحاربة نابوليون بونايرت لفعل الروس ما ارادوا بالجوش العثمانية لكن نابوليون انتصر حينئذ على الروس في وقعة فريدلاند فتعقدت الجنود الروسية المختلة بالبغدان دون حرب . وعقب ذلك الصلح بين فرنسا وروسيا بمقتضى معاهدة تيلست سنة ١٨٠٧ وكان من شروطها ان تكف روسيا عن محاربة الدولة العلية الى ان يتوسط نابوليون الصرف بينهما وان تنجلي عساكر الروس عن ولايتي الفلاح والبغدان ولا تدخلها العساكر العثمانية الى ان ينقعد الصلح بين الدولتين . وقبل الفريقان ذلك ولكن لم تقم روسيا بما وعدت من اخلاء الولايتين المذكورتين

اما في الاسنانة فوقعت الثورة وطلب بعضهم اعادة السلطان سليم الى منصة الملك فغاف السلطان مصطفى من حركتهم وامر بقتل السلطان سليم فقتل ورعي بجسته اليهم وكان السلطان مصطفى يؤمل ان يكف الثائرون عند ما يرون السلطان سليماً مقتولاً فجاء الامر بعكس ما امل لانهم ازدادوا هياجاً ونادوا بخلع السلطان مصطفى فتم لهم ذلك في اواخر شهر يونيو سنة ١٨٠٨ م وحجروا عليه فكان اخر العهد به



٦٦٢ - السلطان محمود الثاني ابنه عبد الحميد

من سنة ١٢٢٣ - ١٢٥٥ هـ او من سنة ١٨٠٨ - ١٨٣٩ م



|| ش ١ — السلطان محمود الثاني (عن الهلال)

وولوا مكانه اخاه السلطان محمود الثاني ابن السلطان عبد الحميد الاول . وكانت يومئذ العساكر الروسية تتقدم الى جهة الدانوب مسرعة فبعث السلطان جيشاً عظيماً لمصادمتهم فلم يقدر ان يوقف مسيرهم فطلبت فرنسا ان تتوسط امر الصلح بينهما فرفض السلطان محمود مداخلتها لانه تأثر جداً من الشروط السرية التي عقدها نابليون مع اسكندر الرومى في نيلست التي من شأنها اقتسام دول اوربا فيما بينهما بما فيها الدولة العلية واستمر في مقاومة الروسيين ومحاربتهم ولكن من غير فائدة . واستولى الروسيون على مدينة شوملة وعلى عدة مراكز حسنة وضابقوا العساكر العثمانية اشد مضايقة . وبينما كانت المصائب محيطة بالدولة من كل جهة اذ اتاها الفرج من حيث لا تحتسب وذلك ان نابليون بونابرت كان قد اشهر الحرب على روسيا سنة ١٨١٢ م وسار اليها بجيشه الجرار فازم ذلك روسيا ان تسحب اكثر جيوشها من حدود الدولة العلية وعقدت في بخارست في ٢٨ مايو سنة ١٨١٢ م مع الباب العالي صلحاً موافقاً جداً للدولة العثمانية وكان من شروطه بقاء ولايتي الفلاخ والبغدان للدولة العلية وعود السرب الى حوزتها مع بعض امتيازات وحفظت روسيا لنفسها بساريا وغير ذلك . ولما علم السربون ان

معاهدة بوخارست قضت عليهم بعودهم الى حوزة العثمانيين وذهب سدّى ما بذلوه من الاموال والارواح آثروا الغناء بالدفاع عن رجوعهم الى حوزة الدولة . وارسلت الدولة العلية جيوشها عليهم فاخضعتهم لسلطانها فهاجر زعماء الثورة الى النمسا والمجر منتظرين فرصة لاهاجة الامة ثانية وبقي احدثهم المدعو ميلوش اوبرينوفتش في بلاده مظهرًا الولاء للدولة العلية فعينه في منصب حقير . اما هو فدأب على بث روح الحرية والثورة الى ان جمع سنة ١٨١٥ م عصابة كبرى من الاهلين وجاهر بالعصيان وعاد المهاجرون الى اوطانهم وامتدت الثورة في انحاء السرب فزحفت اليهم الجيوش العثمانية فقاتلتهم سنتين الى ان قبل ميلوش اوبرينوفتش المذكور بالنيابة عن امته الرجوع الى سلطة الدولة على شرط انها لا تداخل في شؤونهم الداخلية بل يعين لادارة البلاد مجلس مؤلف من اثني عشر عضوًا ينتخبهم اعيان الامة وهم ينتخبون رئيسًا عليهم يكون بمنزلة حاكم عام وتكتفي الدولة العلية بالمراقبة واحتلال الحصون والقلاع . ونصبت الدولة مرعشلي باشا واليًا للسرب وانتخب ميلوش رئيسًا لمجلس الامة سنة ١٨١٧ م فاستبد مملك مطلق التصرف لا سلطة للوالي العثماني الا الاحتلال في الحصون والقلاع

وفي سنة ١٨٢١ م تحرك اليونان في المورة وجاهاروا بالعصيان على الدولة وكانوا يهجمون بمراكبهم على سواحل البحر فيقتلون ويسلبون ويدسون الفتن في جميع الاطراف فشق ذلك على الدولة وارسلت العساكر لدعهم وادخلهم في حيز الطاعة فشبّت الحرب بينهما وقامت على ساق وقدم . وبعث الباب العالي الى محمد علي باشا عزيز مصر يأمره بأن يرسل جيشًا لمحاربتهم فارسل ولده ابراهيم باشا المشهور بخمسة وعشرين الف مقاتل مع عمارة بحرية . ولما وصل الى المورة انضم بجيشه الى جيش الدولة وزادت نيران الحرب انقاديًا ولما بش اليونانيون من النجاة ونوال الاستقلالية استجدوا بالدول الاوربية فبادرت دولتا فرنسا وانكلترا الى توسط امرهم لدى الدولة ولما لم يجيب السلطان محمود سؤلها ارسلتا عمارتيهما وانضمت اليهما العمارة الروسية وعند وصولها الى ميناء نافارين بعثوا جميعًا الى ابراهيم باشا يطلبون اليه ان يوقف الحرب فاجاب انه لا يقدر على ذلك الا بامر السلطان فعند ذلك دخلوا ميناء نافارين واطلقوا النار على عمارتي الدولة ومحمد علي باشا فاحرقوها وكان ذلك في ٢٨ ربيع الاول سنة ١٢٤٣ هـ الموافق ٢٠ اكتوبر سنة ١٨٢٧ م ولما بلغ ذلك الخبر السلطان محمودًا اضطّر الى اجابه سؤل الدول المتحدة وامضى الشروط التي عرضت عليه بخصوص ابطال الحرب

واستقلال اليونان

وفي وسط هرج هذه الحروب اصدر السلطان محمود أمراً بتدمير وفاق الانكشارية فهجمت عليهم العساكر المستجدة والآهلون في العاصمة وباقي الولايات وبادوم عن آخرهم وارتاح الناس من جورهم والدولة من انقالمهم وذلك في شهر ذي القعدة سنة ١٢٤١ هـ الموافق شهر يونيو سنة ١٨٢٦ م . وفي تلك الاثناء غير السلطان محمود لبسه ونزى بالزي العثماني الحالي غير ملتفت لاعتراض المعترضين



(ش ٢ اغا الانكشارية وبعض رجاله) (عن الهلال)

وفي سنة ١٨٢٩ م زحفت العساكر الروسية لمحاربة الدولة العلية عند شواطئ البرانون وسار جيش الى جهة اسيا فارسلت الدولة عسكرياً لمصايدتهم فتغلبت عليه العساكر الروسية وكسرنه في سيلبستريا وشوملة ثم كسرنه ايضاً كسرة اخرى عند كاليثوفا وقطعت مضيق البلقان واستولت على ادرنة واخذت تهدد العاصمة . وكانت جنود روسيا التي قصدت جهات اسيا قد استولت على القرص وبايزيد وطراق قلعة ابرزرورم ولما بلغت كل هذه المصائب السلطان محموداً اضطرب جداً علي انه اظهر الثبات وقوة الجنان والقلب في وسط تلك الاخطار المحدقة به وبدولته ثم تداخلت انكلترا في انهاء تلك الشرور المهلكة وسلم السلطان محمود بكل الشروط التي طلبت منه وفي ١٤ سبتمبر سنة ١٨٢٩ م حررت معاهدة الصلح في مدينة ادرنة وخلاصة ما في معاهدة ادرنة هذه ان السلطان محموداً قبل التصديق على قرار الدول المتحدة بمؤتمر لوندرا سنة ١٨٢٧ م

باستقلال اليونان وان تعين حدود مملكتهم بمعرفة نواب عن هذه الدول وعن الباب العالي وان يكون لولايي الفلاخ والبغدان (رومانيا) استقلال اداري بحسب الامتيازات الماضية وان اميري الولايتين يكونان لمدة حياتهما ولا يعزلان الا لدواعٍ كبيرة تصادق عليها روسيا والدولة العلية . وان تبقى للسرب الامتيازات المبينة في العهدة السابقة وان تعين التحوم بين روسيا والدولة العلية في اوربا وفي اسيا وان يكون لروسيا حق المرور في بوغازي البوسفور والدردنيل دون تفتيش مراقبيهم وان تدفع الدولة تعويضاً لتجار الروس ١٦ مليوناً فرنكاً . ثم أضيف الى هذه المعاهدة ان التعويض لتجار الروس يدفع انجماً على اربع سنين وان تدفع الدولة غرامة حرية للروس خمسة ملايين ليرة انكليزية مقسطة عشرة اقساط على عشر سنين ويكون جلاء عساكرهم تدريجياً بحسب دفع الاقساط المذكورة . وفي ٧ ذى الحجة سنة ١٢٤٥ هـ الموافق ٣٠ مايو سنة ١٨٣٠ م اعلن الباب العالي باستقلال اليونان

وفي سنة ١٨٣٠ م احتلت فرنسا اقليم جزائر الغرب بدعوى منع تعدى قرصانات البحر المسلمين على مراقبيها التجارية والحقيقة ليكون لها مركز حربي بشمال افريقية حتى لا تكون انكلترا صاحبة السيادة بمفردها على البحر الابيض المتوسط باحتلالها معاقل جبل طارق وجزيرة مالطة

وفي سنة ١٨٣١ م جهز محمد علي باشا عزيز مصر ولده ابراهيم باشا بثلاثين الف مقاتل لافتحاق الاقطار الشامية انتقاماً من عبد الله باشا والي عكا فسار اليها واستولى عليها وهزم الجنود العثمانية التي ارسلها الباب العالي لاستخلاص الشام منه في عدة وقائع (وسند كرهذه الحوادث اكثر تفصيلاً في ذكر الدولة المحمدية العلوية ان شاء الله تعالى) وخصوصاً في واقعة نصيبين التي شنت فيها ابراهيم باشا شمل جيش عثماني كثيف ولم يصل خبر واقعة نصيبين هذه الى اذان السلطان محمود فانه توفي في يوم ١٩ ربيع الثاني سنة ١٢٥٥ هـ الموافق اول يوليو سنة ١٨٣٩ م

٦٦٣ - السلطان عبد المجيد به محمود

من سنة ١٢٥٥ - ١٢٧٧ هـ او من سنة ١٨٣٩ - ١٨٦١ م

وخلفه ابنه السلطان عبد المجيد ابن السلطان محمود الثاني واول عمل باشره اجتهاده في استخلاص الشام من يد المصريين وتمكن بمساعدة انكلترا وروسيا من ارجاع المصريين على اعقابهم (وسنذكر ذلك اكثر تفصيلاً في ذكر الدولة المحمدية العلية) ولما عاد الشام الى حيزة الدولة العلية كما كان وعادت المياه الى مجاريها اخذ السلطان عبد المجيد في اجراء ما كان قد شرع فيه جناب والده من الترتيبات والتنظيمات على مقتضى الشرع والقوانين السياسية فاصدر فرمان الاصلاحات المعروف بفرمان الكلغانة في ٣ نوفمبر سنة ١٨٣٩ م ضمنه عدة اصلاحات ونظامات مفيدة واعلن به التسوية بين رعاياه من اي مذهب كانوا وامر بنشره في اقطار السلطنة العثمانية ليعيط الجميع به علماً فانعشت ارواح الرعايا بمجلوس هذا السلطان واستبشروا به

ومن اهم الاحداث في ايام السلطان عبد المجيد الحرب بين الدولة العلية والروسيا وهي المعروفة بحرب القرم وسببها انه كان وقع اختلاف بين طائفتي الروم واللاتين في القدس من عدة سنين بسبب كنيسة القيامة وبعض الاماكن المقدسة فكانت كل طائفة منهما تدعي لنفسها حق الرئاسة والتقدم على الاخرى باستلام مفاتيحها ثم اخذت هذه المسألة لتعاضم بينهما وتمتد يوماً بعد يوم الى ان آل الامر الى النزاع والجهد في سنة ١٨٥١ م فوقع الباب العالي في حيرة وارتباك من جهة تسكينها واتحاد نازها لان روسيا كانت تحامي عن حقوق الروم وفرنسا تنتصر لللاتين فتدخل سفير انكلترا اللورد ستراتفورد دي ريكليف في صرف هذا المشكل ورسم ترتيباً موافقاً لاختلاف المذنبين المتخالفين فقبلته فرنسا واما روسيا فلم تقبله لان مقصدها الوحيد لم يكن مقتصرًا على محاربة كايروس الروم بل كان لها غايات اخرى طالما كانت تجتهد على نوالها وتترقب الفرص لاستحصالها وهي ابعاد الدولة العلية من قارة اوربا والاستيلاء على اقاليمها وولاياتها . فانهز الامبراطور نقولا قيصر الروس تلك المنازعة فرصة مناسبة لنوال بغيته وبلغ اربه فارس الامير منشيكوف الى القسطنطينية سنة ١٨٥٢ م لمقابلة السلطان عبد المجيد بعد ان كان بعث جيشاً يبلغ ١٤٤ الفاً الى نهر الدانوب

ليكون مستعداً لوقت اللزوم والحاجة • فلما وصل الامير منشيكوف الى القسطنطينية رفض مواجهة فؤاد باشا وزير الخارجية ودخل رأساً على الحاضرة الشاهانية وصحبته سفير روسيا واعرض له طلب الامبراطور نقولا في المسئلة المتعلقة بالاماكن المقدسة ثم قال له « ان الامبراطور يطلب ايضاً ان جميع الروم الذين من تبعة الدولة العلية يكونون تحت ظل حمايته من الآن وصاعداً استناداً على احد بنود معاهدة سنة ١٧٧٤م المعقودة في كوجك قيزحي وان بطرك الروم القسطنطيني وباقي اساقفة العائفة يكون انتخابهم وتغييرهم منوطاً به وان الشكاوي والدعاوي التي تصدر عليهم من جهة تصرفاتهم وسلوكهم تعرض رأساً اليه لينظر فيها » فاستعظم السلطان هذه الطلبات ورفضها رفضاً باتاً لانها مخلة باستقلالية الدولة • فاشتى الامير منشيكوف راجعاً من حيث أتى وأعلم الامبراطور نقولا بواقعة الحال فاستشاط غضباً واصدر امراً الى العساكر التي ارسلها الى اطراف الدانوب ان تعبر نهر البروث وتستولي على تلك الاطراف فاجتازت النهر وشتت الغارة على امارات الفلاخ والبغدان واستولت عليها • ولما تحقق الباب العالي قدوم ذلك الجيش الى اطراف بلاده علم ان مقاصد روسيا في طلباتها لم تكن الا وسيلة لاشهار الحرب فجهز جيشاً وارسله الى تلك الحدود تحت قيادة عمر باشا المجري لردع الروسيين

ولما تأكدت الدول الاوربية بغية روسيا ومقاصدها بادرت انكلترا وبروسيا والنمسا الى عقد جمعية للنظر في اجراء الوفاق بين الدولتين وارسلت كل دولة منهما معتمداً من طرفها الى مدينة فينا حيث وافاهم سفير من طرف روسيا واخر من طرف الدولة العلية وعقدوا هناك مجلساً في ٣١ تموز (يوليو) سنة ١٨٥٣ م لم يأت بالمرغوب فلما لم يعد سبيل الى الصلح اشهر الباب العالي الحرب اشهاراً نهائياً وصدم سليم باشا العساكر الروسية في آسيا وانتصر عليهم في عدة مواقع بينما كان عمر باشا يهاجمهم في اوربا حيث كسرهم بالقرب من اولتيتيزا وفاز عليهم عند قلفاظ واما كن أخرى • اما العهارة الروسية التي كانت في البحر الاسود تحت قيادة الاميرال ناشيموف فهدمت العهارة العثمانية عند سينوب في ٢٧ تشرين الثاني (نوفمبر) واستظهرت عليها بعد حرب شديدة فالتفتها عن آخرها

اما انكلترا وفرنسا فاذيقنتاسوء نتائج هذه الحرب انتصرنا لمعونة السلطان واعلنتا الحرب على روسيا في ١١ تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٨٥٣ م وفي اوائل سنة ١٨٥٤م

ابتدأنا في نقل رجالها ومهماتهما الى ساحة الحرب واشتبكتا في القتال . اما باقي دول اوربا فلزمت الحياد . وكانت الدولة الانكليزية قد ارسلت عمارة حربية الى بحر بلتيك تحت قيادة الاميرال نايار فاستولت على قلعة يومارستود لخمس عشرة بقية من شهر اغسطس ثم على جزيرة الاند ولكنهما لم تقدر على استخلاص القلعة نظراً لحصانتها . واذ كانت سباستبول اعظم قوات روسيا التي يعول عليها في البحر الاسود وجهت انكلترا وفرنسا قواتهما لافتحاها والاستيلاء عليها فارسلتا في ١٤ ايلول (سبتمبر) فرقاً من عساكرهما يبلغ عددها ٦٠ ألفاً وكان اكثرهم فرنساويين فنزلوا في يوبانوريا وفيما كانوا يتقدمون الى سباستبول صدمتهم العساكر الروسية . وكان فرنساويون تحت قيادة المارشال سنت ارنو والانكليز تحت قيادة اللورد راكلان فاقتتل الفريقان اقتتالاً شديداً الى ان دارت الدائرة على الروسيين فانكسروا عند نهر الماء . اما العساكر الروسية فكانت اذ ذاك تحاصر مدينة سيلستريا ولم تقدر على اخذها فخرجت العساكر العثمانية من المدينة واقفحتهم فانتصرت عليهم وفرقتهم فذهبوا عن المدينة خائبين وانضموا الى اخرين وقصدوا القرم لنجدة حصار قلعة سباستبول التي اليها وجهت روسيا كل قواتها من عساكر ومهمات وذخائر . واما جيش الانكليز ففعلت فوارسهم فعل الاسود الضواري اذ صادموا جيشاً عرمرماً من الروسيين عند بالا كلافافازوا بهم فوزه خلد لهم ذكراً جميلاً بعد ما فقد منهم خلق كثير . ثم ان الروسيين المحاصرين في انكرمان وعددهم ٦٠ ألفاً خرجوا من مكان حصارهم واقفحموا العساكر العثمانية والانكليزية والفرنساوية ودارت بينهم معركة شديدة الخسران على الفريقين انجلت بانهزام الروسيين ولزومهم حصن المدينة . ولم يكن حينئذ في طاقة الدول المتحدة استلام سباستبول مع انهم كانوا يزيدون قواتهم الحربية ويكثرون هجماتهم وقنابلهم ولم يقدروا على استخلاص تلك القلعة أو ان يمنعو المساعدة التي كانت تأتيها من داخل البلاد . ولقد فاست العساكر المتحدة ولا سيما الانكليز في شتاء سنة ١٨٥٤ م وشتاء سنة ١٨٥٥ م اهوالاً وشدائد يكل اللسان عن وصفها وتمدادها فان الامراض والايوجاع قد اخذت في العساكر كل مأخذ واهلكت كثيرين هذا فضلاً عن الجوع والتعرض لبرد تلك البلاد والابجرة المنتمة التي كانت تنصاعد من جثث القتلى والحيوانات

وفي هذه الاثناء اتفق فكتور عمانوئيل ملك بامونقي مع الدول المتحدة ضد روسيا وارسل الى القرم ١٨ الف مقاتل بعدما تعهدت له انكلترا بدفع مبلغ مليون

ليرة على سبيل الاعانة واشتهرت رجاله في تلك المعامع بالشجاعة والثبات وفي خلال ذلك توفي الامبراطور نقولا في ٢ اذار (مارس) سنة ١٨٥٥ م وخلفه ولده اسكندر الثاني وفي اليوم الثامن من شهر ايلول (سبتمبر) من السنة المذكورة حدثت واقعة هائلة بين الروسيين والعساكر المتحدة كانت الدائرة فيها على الروسيين واستولت جيوش فرنسا على قلعة ملاكوف ببسالة لا مزيد عليها . واذ لم يمد لروسيين استطاعة على حفظ مراكزهم تركوا سباسبول في مساء ذلك اليوم وهولوا على الهزيمة والفرار ودخلت العساكر المتحدة الى القلعة وامتلكتها فانفتحت حينئذ مخابرات الصالح وعقدت جمعية في باريس في ٢٥ شباط (فبراير) سنة ١٨٥٦ م حضرها اثنان من طرف كل دولة من الدول الست المتحاربة وهي انكلترا وفرنسا وتركيا والنمسا وبروسيا وسردينيا . وفي ٣٠ اذار (مارس) امضيت شروط الصلح متضمنة ٢٤ بنداً وهم شروط هذه المعاهدة ان الدولة العلية يكون لها الامتيازات التي لباقى دول اوربا من جهة القوانين والتنظيمات السياسية وانها تكون مستقلة في ممالكها كغيرها من الدول الافرنجية و ان البحر الاسود يكون بمنزل عن جولان مراكب حربية فيه من اي جنس كان ما عدا روسيا وتركيا فان لها حقاً في ادخال عدد قليل من المراكب الصغيرة الحربية لاجل محافظة اساطيلها وان لا يكون لروسيا ولا لتركيا ترسخانات بحرية حربية على شواطئ البحر الاسود الى غير ذلك من الشروط . وهكذا انسحبت العساكر الى مواطنها وانتهت الحرب التي لم يكن لافتتاحها داع سوى المطامع والغايات

ولما وضعت الحرب اوزارها وعادت السكينة الى الدولة بعد تلك الاحوال انتهز السلطان عبد المجيد هذه الفرصة لاصلاح داخلية بلاده ولكن ارباب الغايات من الفرنج ساءم ان يروا الدولة في هدوء وسلام فعادوا الى القاء الفتن والشقاق في داخلية بلاد الدولة فأروا ان الشام اكثر استعداداً من سائر ولايات الدولة لقبول بذور الفساد لتعدد الجنسيات واختلافهم في الدين والمشرع ووجود العداوة بينهم خصوصاً بين المارونية والدروز ومساعدة فرنسا المارونية ومساعدة انكلترا

للدروز فقامت بينهم اسباب الشقاق ودواعي الخلف الي ان تعدى المارونية بالقتل على الدروز في اواخر سنة ١٨٥٩ م وقام الدروز للاخذ بالثار ثم امتدت الفتنة الى جميع انحاء الشام وكثر القتل والنهب وحصلت عدة مذابح في طرابلس وصيدا واللاذقية وزحلة ودير القمر ومنها الى مدينة دمشق الشام وامتاز الامير عبد القادر الجزائري (هو الامير الجزائري الذي دافع عن بلاده حين احتلالها الفرنسيون سنة ١٨٣٠ م دفاعاً لم يسمع بمثله في بلاد المشرق التي وطئها الاجانب واستمر في دفاعه ١٧ سنة متوالية انتصر في خلالها عدة مرات واعترفت له فرنسا وجميع الامم بالبراعة والشجاعة . ولما استشهدت اغلب عساكره وكثر توارد الجيوش الفرنسية وتباعاً الى الجزائر وايقن ان لا مناص له من التسليم سلم نفسه في ٢٣ ديسمبر سنة ١٨٤٧ م فاعتقلته فرنسا نحو ١٦ سنة ثم افرجت عنه سنة ١٨٦٣ م فهاجر الى مدينة بورصة ثم الى مدينة دمشق واقام بها الى ان توفي سنة ١٨٨٣ م) بحماية كثير من المسيحيين . واتهم الاروبيون عثمان بك قائم مقام حاصبيا بتسهيل المذبحة وكذلك اتهموا احمد باشا والي دمشق بمساعدة الدروز وقتل كل من التجأ الى دار الحكومة من المسيحيين واداعوا هذه الاخبار في جميع انحاء اوربا . فعرضت دولة فرنسا على الدول انها مستعدة لارسال جيوشها الى بلاد الشام لقمع الفتنة ومجازاة مشيرها وحماية المارونية فلم تقبل الدول هذا الاقتراح في اول الامر خوفاً من عدم خروج فرنسا من الشام لو احتلتها عسكرياً . ولما حصلت مذبحة دمشق التي قتل فيها نحو ستة آلاف نسمة ارسلت جميع الدول الى الباب العالي تهده بالتدخل ان لم يضع حداً لهذه الفتن فارسل السلطان جيشاً عظيماً بقيادة فؤاد باشا لقمع الثورة بالشام فسافر هذا البطل على جناح السرعة ووصل الى بيروت في ١٧ يوليو سنة ١٨٦٠ م ومنها قصد دمشق في خمسة آلاف جندي وشكل مجلساً حربياً وحاكم روءساء الفتنة بكل صرامة وبذل همه في اعادة الامن الى البلاد

وفي اثناء ذلك اتفقت الدول على ان ترسل فرنسا الى الشام ٦ آلاف جندي لمساعدة الجيش العثماني على اعادة السكينة لوعجز عن تأدية هذه المهمة . وفي ١٠

اغسطس سنة ١٨٦٠ م نزلت الجنود الفرنسية الى بيروت فوجدت السكينة ضاربة اطنابها في ربوع الشام ولم تجد سبيلاً لعمل اي حركة عسكرية . ومع انه لم يكن ثمة داع لحضور العساكر الفرنسية الى الشام ولكن هكذا قضى نعت دول اوربا . والاغرب من ذلك ان هذه الدول قررت انه يجوز لفرنسا تكميل الجيش الى ١٢ الف جندي وانه يستمر محتلاً للشام الى ان تقاص الدولة مهيجي الثورة ويستتب الامن في الشام فاستمرت العساكر الفرنسية بالشام الى ان خرجت منه في ٥ يونيو سنة ١٨٦١ م بدون ان تعمل عملاً يذكر

وفي اثناء ذلك انعقدت بمدينة بيروت لجنة اوروية مشكلة من مندوبين معينين من قبل الدول الموقعة على معاهدة باريس وبعد مداولات طويلة اتفقوا مع فؤاد باشا على ان يمطوا المسيحيين الذين حرقت دورهم مبلغ ٧٥ مليون غرش بصفة تعويض وان يمنح اهالي جبل لبنان حكومة مستقلة تحت سيادة الدولة العلية يكون حاكمها مسيحياً وأن يكون للباب العالي حامية من ثلثاية جندي تقيم في حصن على الطريق الموصل من دمشق الى بيروت . واخير اعين داود افندي الارمني الجنس اميراً للجبل لمدة ٣ سنوات لا يمكن عزله في خلالها الا باتفاق الدول وبذلك انتهت هذه المسألة بحسن مساعي فؤاد باشا

وفي يوم ١٧ ذي الحجة سنة ١٢٧٧ هـ توفي السلطان عبد المجيد بعد أن حكم ٢٢ سنة ونصفاً



٦٦٤ - السلطان عبد العزيز به محمود

من سنة ١٢٧٧ - ١٢٩٣ هـ او من سنة ١٨٦١ - ١٨٧٦ م

وتولى بعده اخوه السلطان عبد العزيز بن محمود ومن الاحداث التي كانت في ايامه الحرب في الجبل الاسود فان امير هذا الجبل المسمى دانيال كان قد طلب من مفوضي الدول في مؤتمر باريس سنة ١٨٥٦ م الاعتراف باستقلاله فلم

ينزل طلبه قبولاً بل أشاروا عليه ان ينقاد للدولة العلية وهي تقبلي له عن بعض املاكها في الهرسك لتوسيع تخومه وتولييه رتبة مشير وتعين له راتباً مالياً في كل سنة . فلم ينفق على الحدود فحصلت لذلك عدة مواقع بين الجبلين وعساكر الدولة سنة ١٨٥٨ م وقتل الامير دانيال سنة ١٨٦٠ م فخلفه ابنه المسمى نقولا وساعد اهل الهرسك في ثورتهم فاحمد عمر باشا ثورتهم وحاصر اماره الجبل فارغم الامير نقولا ان يوقع على الشروط التي وضعها له عمر باشا سنة ١٨٦٢ م وفي جملتها ان تبني الدولة قلاعاً في الطريق بين اشقودرة والهرسك وتوسطت دول اوربا ولاسيا فرنسا وروسيا فعدت الدولة عن بناء القلاع في ارض الجبل على شرط ان امير الجبل يتعهد بحفظ هذه الطريق ويكفل ما يسلب من اموال التجار العثمانيين فيها فقبل الامير هذا الشرط فانتهت الحرب وزال الخلاف سنة ١٨٦٤ م . وكان قد تقرر في مؤتمر باريس سنة ١٨٥٦ م استقلال السرب تحت سيادة الباب العالي وان يكون للدولة الحق في اقامة حامية في ست قلاع في هذه البلاد فلما كانت سنة ١٨٦٢ م حصلت فتنة بين المسلمين والنصارى فيها وتداخل قائد الحامية العثمانية بنجدة المسلمين فمقد مؤتمر في الاستانة حضره مندوبو الدول الموقعة على عهدة باريس وتقرر فيه اخلاء قلعتين من الجنود العثمانية وبقاؤها في اربع قلاع من الست وان من بقي من المسلمين خارجاً عن القلاع الاربع لزمه ان يبيع املاكه ويهاجر وان لا يتداخل القواد العثمانيون في ادارة البلاد بالمرة وجات العساكر العثمانية عن السرب سنة ١٨٦٧ م

اما الفلاح والبغدان فكانت معاهدة ادرينا نو بل وضعت الفلاح تحت حماية روسيا وحدها ولكن في معاهدة باريس سنة ١٨٥٦ م جملت تحت حماية دول اوربا الموقعة على تلك المعاهدة وفي سنة ١٨٥٩ م ضمت الى البغدان ونسبت الاماراتان رومانيا وكان يليها معاً الامير كوزا ولهما مجلس شورى واحد ووزارة واحدة وسمي الامير كوزا المذكور يوحنا اسكندر الاول . وفي اواخر سنة ١٨٦١ م صدر فرمان باجازه انضمام الولايتين قثار الاهلون على اميرهم يوحنا اسكندر

الاول المذكور وارغموه على الاستقالة . واجتمع مفوضو الدول في باريس يتداولون
بامر الخلافة للامير اسكندر الاول فقرروا ان يكون الوالي من اشراف البلاد فلم
يرض الاهلون بذلك بل انتخبوا الامير شارل دي هنزولرن من اسرة بروسيا
المالكة وسمي ملكاً بعد حرب روسيا الاخيرة

ومما كان في ايام السلطان عبد العزيز أيضاً ثورة اهل كريت واتحاد عالي
باشا لها وانعقاد مؤتمر بباريس من مفوضي الدول الموقعة على معاهدتها سنة
١٨٥٦ م وانتهت المسألة في ذلك الحين باصدار السلطان ارادة سنية في ١٩
سبتمبر سنة ١٨٦٩ م منح بها الجزيرة بعض امتيازات وأعفى اهلها من دفع المال
الاميري سنتين ومن الخدمة العسكرية

ومما امتاز به السلطان عبد العزيز خلافاً لعادة اسلافه زيارته القطر المصري
سنة ١٨٦٣ م وزيارته لباريس سنة ١٨٦٧ م واقامة لجنة لتأليف مجلة الاحكام
العالية سنة ١٨٦٩ م

وتحقق السلطان عبد العزيز بضرر تداخل الدول الأوروبية في مسائل الدولة
الداخلية وعزم تلافياً لهذا الضرر على التحالف مع روسيا واكثر اجتماعه بسفير هذه
الدولة في الاستانة و يظن انه وضعت قواعد لهذه المحاولة اخصها انها تكون محالفة
هجومية ودفاعية يكون من اهم بنودها الاختصاص بجميع بلاد الشرق على ان
تتبع الولايات الاسلامية او التي يغلب فيها العنصر الاسلامي للدولة العلية وضم
جميع الاقاليم المسيحية او التي يسود فيها العنصر المسيحي لروسيا . فلما شاع هذا
المشروع لم يرق في اعين الدول الأوروبية وخصوصاً انكليزاً فاخذ عملهم وسفراؤهم
الظهورون والسريون يلقون الوسواس في عقول اهل الاستانة مثبتين لهم بتعميهاهم
ان جلالة السلطان عادلاً يصلح لادارة مهام الملك حتى اقنعوا الوزراء بوجوب
عزله وحملوا شيخ الاسلام خير الله افندي على الفتوى بصحة خلعهم فتم لهم ما
ارادوا وخلعوه في ٦ جمادى الاولى سنة ١٢٩٣ هـ الموافق ٢٩ مايو سنة ١٨٧٦ م .

٦٦٥ - السلطان مراد بن عبد الحميد

سنة ١٢٩٣ هـ او سنة ١٨٧٦ م

وباع المتأمرين السلطان مراد بن السلطان عبد الحميد وغب جلوسه على سرير الملك اصدر فرماناً بابقاء الوزراء وجميع المأمورين على مناصبهم مبدئاً فيه خطة الاصلاح الذي يريد ان يجري عليها . نكنه لم يسمح له الله بابراز مقاصده الخيرية الى حيز العمل لانه ظهرت عليه امارات الاضطراب العصبي بعد المبايعة له باسبوع واحد ثم اخذت في الازدياد . وكان الصدر الاعظم يكتنم خبر انحراف صحة السلطان عن العامة ولكن كان يديه عدم احثاله بتسليم السيف السلطاني في جامع ابي ايوب كالمادة وعدم مقابلته سفراء الدول . ولما اشتد مرضه دعا الوزراء الطبيب ليدزورف النمساوي الشهير وبعد ان فحص جلالاته ولازمه عدة ايام حكم بتعسر شفاه من مرضه فتشاور الوزراء وعرضوا على اخيه عبد الحميد افندي ان تسلم اليه مقاليد السلطنة لعدم لياقة اخيه لادارة شؤنها فاجابهم رعاه الله انه لا ينبغي التسرع في الامر عسى ان يمن الله على اخيه بالفرج والعود الى ما كان عليه من حسن الذهن والذكاء فامثل الوزراء على انهم رأوا بعد ذلك ان اختلال شعوره يتزايد فاجتمعوا في ١٠ شعبان سنة ١٢٩٣ هـ الموافق ٣٠ اغسطس سنة ١٨٧٦ م وقرروا لزوم مبايعة السلطان عبد الحميد ثم اجتمعوا ثانية واستدعوا شيخ الاسلام خير الله افندي وجميع الكبراء والعلماء والامراء والاعيان واستفتوا شيخ الاسلام فافتي بوجوب عزله وهذا نص الفتوى « اذا جن امام المسلمين جنونا مطبقاً ففات المفصود من الامامة فهل يصح حل الامامة من عهده » والجواب « يصح والله اعلم »

كتبه الفقير حسن خير الله

٦٦٦ - السلطان الغازى عبد الحميد ثمانى

(اطال الله ايامه وزادها يمنًا وسعدًا وجعل الاقبال والرغد له رقبًا وعبدًا)



(ش ٣ السلطان عبد الحميد)

ولد أعزه الله في ١٦ شعبان سنة ١٢٥٨ هـ (١٩ سبتمبر سنة ١٨٤٢ م) وارتقى الى عرش السلطنة في ١٨ شعبان سنة ١٢٩٣ هـ الموافق ٧ سبتمبر سنة ١٨٧٦ م فاستلم ادارة الاعمال بهمة ونشاط واطهر للوزراء رغبته في الاصلاح فأصدر فرمانًا في ٢١ شعبان سنة ١٢٩٣ هـ الموافق ١٠ سبتمبر سنة ١٨٧٦ م موجهًا الى محمد رشدي باشا الصدر الاعظم بين فيه تقريره الوزراء في مناصبهم وشديد رغبته في الاصلاح . ثم استقال محمد رشدي باشا من منصب الصدارة لتقدمه في السن فعهد بهذا المنصب الى احمد مدحت باشا في ٤ ذي الحجة سنة ١٢٩٣ هـ وبعد اربعة ايام اصدر اليه الخط الشريف الهادي مرفقًا اليه بالقانون الاساسي وامر بتنفيذه

وعند استواء جلالته على العرش العثماني كانت المملكة محفوفة بالخطار من قبل الثورات التي اثارها اصحاب المآرب السياسية في بلغاريا والمغرب والجزيل

الاسود والمهرسك والبشنق واجتمع موفتم في الاستانة حضره مفوضو الدول في ٢٣
 ديسمبر سنة ١٨٧٦ م فاقترحوا على الدولة اقتراحات منغضة من كرامتها مضررة
 بمصالحها فأبى الباب العالي الا رفضها ونبذها فاشهرت روسيا الحرب على الدولة
 العلية بعد ان عقدت مع دولة رومانيا معاهدة سرية وضمت رومانيا بمقتضاها جميع
 مخازنها وموانئها و ذخائرها تحت تصرف روسيا فارسلت الدولة العلية بعض مراكبها
 في الطونة لاطلاق قنابلها على سواحل رومانيا معاقبة لها على هذه الخيانة فكان
 ذلك داعياً لان تعلن رومانيا رسمياً الحرب ضد الدولة العلية واشتركت فعلاً مع
 روسيا في الحرب وانضم جيشها البالغ ٦٠ الف جندي الى الروس . وفي ٢٢
 يونيو سنة ١٨٧٧ م عبرت العساكر الروسية نهر الطونة وفي ٢٧ منه احتلت مدينة
 ترنوه . وفي اواسط يوليو احتل البارون دي كرور مدينة نيكوبلي واحتل الجنرال
 جوركو مضائق البلقان الموصلة لمضيق شيبكا الشهير . وعند وصول هذه الاخبار
 الى الاستانة استولى الرعب والقلق على سكانها اذ لو اجتاز الروسيون مضيق شيبكا
 لخيف على دار السعادة نفسها من الوقوع في قبضة الروس . وفي ٢٤ مايو سنة
 ١٨٧٧ م وضعت الاستانة تحت الاحكام العرفية توقيفاً للفتن والقلاقل . وقد
 نسب تقهقر العثمانيين المستمر امام الروسيين لعدم كفاءة السردار عبد الكريم باشا
 وناظر الحربية رديف باشا فعزلوا في ٢٢ يوليو وتعين محمد علي باشا الروسي الاصل
 قائداً عاماً للجيش العثمانية وأستدعي سليمان باشا الذي كان يحارب سكان الجبل
 الاسود وانتصر عليهم في عدة مواقع لحضوره مع جيوشه المدربة للمساعدة على
 صد الروس

وفي اثناء ذلك اتى الغازي عثمان باشا من معسكره بمدينة ودين لمساعدة مدينة
 نيكوبلي ولما وصله خبر سقوطها في ايدي الروس قصد مدينة بلغاريا لاهمية موقعها
 الحربي ووجودها على ملتقى الطرق العمومية الموصلة بين مضائق جبال البلقان
 وبلغاريا الغربية والطونة واقام حولها الماقل والحصون المنيعة حتى ظن ان الاستيلاء
 عليها من رابع المستحيلات . وفي يوم ٣٠ يوليو سنة ١٨٧٧ م هاجم الروس مدينة

بلغنا فارتدوا عنها خامسين وبعد هجوم ودفاع كثيرين تمكن الروس من حصر مدينة بلغنا في ٢٤ اكتوبر سنة ١٨٧٧ م واصبح وصول المدد اليها مستحيلًا فدافع عنها عثمان باشا دفاعاً خلد له ذكرًا لا تمحوه كرور الايام حتى نفذ ما كان عنده من الذخائر والمؤمن فعزم على الخروج بجيوشه والمرور من وسط الروس المحاصرين للمدينة فاما ان يسلموا ويسلم معهم او يموتوا جميعاً شهداء الدفاع عن الوطن . فلما كان يوم ١٠ ديسمبر سنة ١٨٧٧ م اخلت الجنود العثمانية جميع القلاع المحيطة بالمدينة وخرجوا جميعاً من جهة واحدة هلالين مكبرين فقابلهم الروس بمقدوفاتهم الجهنمية اما العساكر العثمانية فلم تبعاً بهم بل استمرت في سيرها عدواً نحو الاستحكامات التي اقامها الروس حول المدينة على ثلاثة خطوط متماقبة و نفذوا على مدافع الخط الاول والثاني وكادت تستولي على الخط الثالث لولا ان أصيب قائدهم عثمان باشا الغازي برصاصة نفذت من ساقه الايسر وقتلت حصانه فسقط هذا الشجاع على الارض وظنت عساكره أنه استشهد وبمجرد ما شاع خبر موته الكاذب اسبولى الفشل على جميع الجنود وارادت الرجوع الى المدينة وكان قد اجتمعتها الروس عقب خروجهم منها فقابلهم الروس بالذيران من الخلف فصار العثمانيون بين نارين وبعد ان دافعوا عن انفسهم دفاعاً حسناً التزموا برفع الراية البيضاء علامة التسليم فاوقف الروس اطلاق الذيران وسلمت العساكر العثمانية سلاحها . اما عثمان باشا الغازي الذي وقع جريحاً في اثناء القتال فعاد بعد التسليم الى مدينة بلغنا ريثما يشفى من جرحه وهناك قابل الامبراطور اسكندر الثاني بعد دخوله بلغنا وعند ما دخل على الامبراطور قام اجلالاً له وسلم عليه واظهر له اعجاباً لحسن دفاعه وصرح له ان يتقلد سيفه ثم عاد الى منزله . وفي ١٦ ديسمبر سنة ١٨٧٧ م انزل في قطار مخصوص الى مدينة كركوف حيث أمر بالاقامة الى انتهاء الحرب اما في جهة اسيا فكان النصر اولاً في جانب العثمانيين وانتصر عليهم احمد مختار باشا في عدة وقائع مشهورة ولكن لما توالى ورود المدد للروس هاجم الجنرال لوريس مليكوف مدينة قارص وحاصرها وفتحها عنوة في ١٨ نوفمبر سنة ١٨٧٧ م

وكان مختار باشا في مدينة ارضروم وحاول مساعدة قارص وانتصر على الروس في
موقعة دوه بيون لكن لما وقعت قارص في ايدي الروس قصد جيشهم مدينة
ارضروم وحاصرها وبها مختار باشا

وبمجرد وصول خبر سقوط قارص في نوفمبر وبلغنا في ١٠ ديسمبر ايقر
السر بيون ان الفوز والنجاح سيكونان بجانب روسيا فاعلنوا الحرب على الدولة
العية واتحدت عساكرهم مع عساكر الروس . وكذلك قام امير الجبل الاسود
طالباً توسيع تخومه وناوش العساكر العثمانية وكان من جراء ذلك تعطيل جزء
ليس بقليل من عساكر الدولة العلية

ولما توات الحوادث المذكورة طلب الباب العالي من الدول المتوسط بينه
وبين روسيا لابرام الصلح وحقن الدماء وارسل بذلك منشوراً الى الدول الست
العظام فلم يرد له جواب شاف فاستمر القتال في الشتاء بدون انقطاع ودخلت
جيوش الروس الى ادرنة في ٢٠ يناير سنة ١٨٧٨ م وهددت الاستانة بالحصار
فارتأى الباب العالي ان يرسل نامق باشا وسرور باشا لمخابرة الفرانديق نيقلوا
بتوقيف الحرب فساروا اليه ومعهما نجيب باشا وعثمان باشا من جانب الجيش العثماني
وفي ٢٠ يناير سنة ١٨٧٨ م وقع الفريقان على اتفاقين الاول وقع عليه الفرانديق
نيقلوا ونامق باشا وسرور باشا ومفاده منح الدولة العلية الاستقلال الاداري
للبلغار والاستقلال السيامي لرومانيا والجبل الاسود وتعديل تخومها والتخلي لها عن
بعض املاك الدولة وتقرر غرامة حرية لروسيا تدفع نقداً او يستعاض عنها باخذ
بعض القلاع والحصون والاتفاق الثاني وقع عليه نجيب باشا وسرور باشا ومفوضان
من قبل الجيش الروسي مفاده توقيف الحرب وشروط الهدنة

ولما بلغ دول اوربا الاتفاق على مباديء الصلح وحصول الهدنة طلبت النمسا
الى انكلترا عقد مؤتمر يجتمع فيه مفوضو الدول الموقعة على معاهدة باريس سنة
١٨٥٦ م خشية ان يكون في هذا الصلح ما يحجف بحقوق الدولة فاجابت انكلترا
النمسا الى هذا الطلب واقترحت ان يكون عقد المؤتمر في مدينة باد . وشاع حينئذ

ان روسيا ترغب في ان يكون الصلح مع الباب العالي بميزل عن الدول وشاع
ايضاً ان عساكر الروس احتلت الاستانة فامرت انكثرا اسطولها ان يدخل
البوسفور لحماية رعاياها فدخل الاسطول جبراً واكتفى الباب العالي باقامة الحجبة
على دخوله فاشتغمت روسيا فطالب قائد جيشها ادخال فرق من الجيش المنحيم قريباً
من الاستانة الى المدينة بحجة المخافة عن النصارى فعارضت انكثرا كل المعارضة
فعدلت روسيا عن ذلك . وطلب الفرانديق نقولا ان ينقل مركز الخابرات من
ادرنه الى سان اسطفانو بجوار القسطنطينية فقبلت الدولة ذلك . وفي ٢٤ فبراير
سنة ١٨٧٨ م انتقل الفرانديق الى البلدة المذكورة بالف جندي بصفة حرس له ثم
تزايد عدد الجنود الروسية هناك حتى بلغ نحو عشرين الف مقاتل وحضر الى هناك
صفوت باشا ناظر الخارجية وسعد الله بك سفير الباب العالي في المانيا والجنرال
اينياتيف مفوض روسيا وبعد عدة اجتماعات طلب المفوض الروسي التصديق على
اعمال المعاهدة قبل اليوم الثالث من شهر مارس الواقع فيه عيد جلالة قيصر الروس
مهدداً بابطال الهدنة وسوق العساكر الى الاستانة اذا لم يجز التصديق في اليوم
المعين فاضطر مندوب الدولة العلية الى التوقيع قبل التروي الكافي في مواد المعاهدة
وخلاصة مواد هذه المعاهدة انه تقرر تصحيح الحدود بين الدولة العثمانية
والجبل الاسود بموجب خريطة صنعت لذلك وأن يثبت الباب العالي استقلال
امارة الجبل المذكور وان تكون امارة السرب مستقلة ومضبوطة تخومها بموجب
خريطة وان المسلمين الذين لهم املاك في البلاد الملتحقة بالسرب لهم الخيار في ان
يأجروها او يقيموا وكلاء عنهم في ادارتها . وان يثبت الباب العالي استقلال
رومانيا وان تكون البلغار امارة ممنازة تدفع مبلغاً معلوماً الى الدولة العلية ويكون
مأمورو الحكومة والعسكر من النصارى وان امير بلغاريا ينتخبه الاهلون ويثبته
الباب العالي بحيث لا يكون من اقارب ملوك اوربا الجالسين على عرش الملك
ولا يبقى حق لعساكر الدولة ان تقيم في القلاع القديمة . وان اصحاب الاملاك
من المسلمين اذا ارادوا الاقامة في خارج الامارة ان يهجرُوا املاكهم او يفوضوا

من ارادوا بادارتها وان الاصلاحات التي تقرر في اول مجلس من مؤتمرات الاستانة ينبغي تنفيذها دون تأخر في البشناق والمهرسك مع التعديلات التي سوف تقرر بين الدولة العلية ودولتي الروسيا والنمسا . وان الباب العالي يتعهد باجراء احكام النظام الاساسي الذي وضع لجزيرة كريت سنة ١٨٦٨ م طبق طلب الاهالي وان يصدر عفواً عاماً عن جميع المتهمين بالاحداث الاخيرة و يطلق الاسرى والمسجونين لهذا الداعي وان مبالغ التعويضات التي طلبها القيصصر وتعهد الباب العالي بدفعها هي ٢٤٥٢١٧٣٩١ ليرة عثمانية . واعلم القيصصر ان يأخذ بقسم كبير من هذه المبالغ املاكاً للدولة العلية جري تميميها . وان خليج الاستانة وخليج جنناق قلعة يكونان مفتوحين للسفن التجارية التي تمر الى بلاد روسيا . الى غير ذلك

وقد رأت دول اوربا هذه المعاهدة معظمة لانفوز الروسي في الممالك المحروسة ومجابهة الخوف من استخوذ روسيا على الاستانة العلية فطلبت تعديل معاهدة سان اسطفانو هذه . وفي ٧ فبراير سنة ١٨٧٨ م دعت النمسا جميع الدول لعقد مؤتمر في برلين تحت رئاسة البرنس بسمارك الذائع الصيت . وطلبت انكلترا ان المؤتمر له الحق في تمحيص جميع مواد معاهدة سان اسطفانو وانكرت روسيا ذلك على انها رأت انه لا بد من الاجابة الى هذا الطلب . ودعا بسمارك الدول لارسال مفوضيهم الى برلين لعقد المؤتمر في ١٣ يونيو سنة ١٨٧٨ م فعدوا عشرين مجلساً في مدة شهر الى ١٣ يوليو سنة ١٨٧٨ م

واليك خلاصة ما تقرر في هذا المؤتمر . تقرر استقلال امارة البلغار في امورها الداخلية وان تدفع كل سنة خراجاً للباب العالي وتبقى تحت سيادة الحضرة السلطانية ويكون حاكمها مسيحياً وعساكرها وطنية وعين المؤتمر تخومها من كل جهاتها وقرر ان اهل البلغار لهم الحرية التامة ان ينتخبوا اميرهم وللباب العالي ان يقرره يرضى الدول العظام بشرط ان لا يكون من بيوت الملوك المالكة وبعد انتخابه تجتمع اعيان البلغار لئسن نظاماً لامارتهم وان اختلاف المذهب بين البلغاريين

لا يخرج احدهم من الحقوق العمومية والمدنية والخراج الذي يدفعه البلغار للحضرة السلطانية يصير تقديره عند ختام السنة الاولى من العمل بالنظام الجديد باتفاق بين الدول ومراعاة حالة الدخل وقيمة ما يتحمله البلغار من ديون الدولة العامة وان تجلى المساكر العثمانية عن البلغار وتهدم القلاع التي لها في هذه البلاد . تم تقرر ان تشكل على جنوب البلغار ولاية تسمى الروملى الشرقية تبقى على تابعيتها السياسية والعسكرية للباب العالي ولكنها حائزة على استقلال اداري ويكون واليها مسيحياً الى مدة خمس سنين منصوباً من الباب العالي برضى الدول وحدد الموتر حدود هذه الولاية . وتعهد الباب العالي ان يجري النظام الجديد في جزيرة كريت مع بعض التعديل الذي يرى ضرورة اجرائه . وتقرر ان تحتل عساكر النمسا والمجر ولايتي البشناق والمهرسك ويناط بها أمر ادارتهما وتتفق مع الدولة العثمانية على المواد المتعلقة باحتلال عساكرها هذه . واعترف الباب العالي باستقلال الجبل الاسود واعترفت له بذلك الدول التي لم تقر له به قبلاً وتقرر ان اختلاف المذهب لا يخرج احداً من اهل الجبل عن الاهلية المدنية والسياسية وعينت تخوم هذا الجبل وان المسلمين الذين يحبون السكن خارجاً عن الجبل تبقى لهم الحرية بالتصرف باملاكهم ويلزم الجبل الاسود ان يتحمل جانباً من الديون العامة على الدولة العلية . ثم وطد الموتر استقلالية السرب وعين تخوم هذه البلاد وان تكون معاملة رعايا السرب القاطنين في السلطنة العثمانية بحسب اصول الاحكام المتداولة بين الدول . وان تتحمل السرب قسماً من ديون الدولة العامة . وتقرر ان اختلاف المذهب لا يخرج احداً رومانياً عن الحقوق المدنية والوظائف العامة في هذه الامارة وان ترد هذه الامارة على روسيا اراضي بيسارابيا التي كانت قد أخذت من روسيا في معاهدة سنة ١٨٥٦ ثم تقرر ان الباب العالي يسلم الى روسيا في اسيا واردهان وقارص وباطوم وغيرها وتعيّن التخوم الفاصلة بين المملكتين وان ترد روسيا على المملكة العثمانية اودية الثغرا ومدينة بايزيد . وان الباب العالي يتعهد بان يجري دون تأخر في الولايات التي سكانها من الارمن الاصلاحات والتحسينات التي تحتاجها في

امورها الداخلية و بان يأمن الارمن من تعدي الشراكسة والاكراد وان يفيد الدول عما يصنعه بذلك وهي تراقب كيفية اجرائه . ولما كان الباب العالي اظهر رغبته في حفظ اصول حرية الدين فالدول الموقعة على هذا المؤتمر تنزل هذه الرغبة منزلة العمل فاختلف الدين لا يخرج احد العثمانيين عن الاهلية لشيء من الحقوق المدنية والسياسية والدخول في الوظائف الاميرية او نيل مراتب الشرف او استعمال الصنائع وان يؤذن لجميع الناس ان يؤدوا الشهادة في المحاكم دون تمييز في الدين ويحق لجميعهم استعمال امور دينهم بتمام الحرية ويكون الاكليروس والزوار والرهبان من جميع الامم الذين يسافرون في الممالك العثمانية حائزين حقوقاً متساوية ومفوض الى قناصل الدول ونوابها ان يحاموهم ويحموا محلاتهم الدينية والخيرية حماية رسمية في الاماكن المقدسة وغيرها اما الحقوق المقررة لفرنسا فبقي مرعية الاجراء ومن المقرر انه لا يسوغ تبديل حال من الاحوال الحاضرة في الاماكن المقدسة . ثم قرروا اخيراً ان تبقى معاهدة باريس سنة ١٨٥٦ م ومعاهدة لوندرد سنة ١٨٧١ م مرعيتي الاجراء في جميع المواد التي لم تنسخها او تعدلها هذه المعاهدة . ووقع نواب الدول على هذه المعاهدة ووضعو عليها اختامهم في ١٣ يوليو سنة ١٨٧٨ م وربما استغرب القاري الكريم كيف انت الدولة التي سادت على اغلب ممالك العالم والقت الرعب في ملوكها لم تستمر في نموها وتقدمها حتى التزمت ان ترضخ الى شروط نظير هذه والحال انه اذا نظر الى هذه الامر بعين خالية من الغرض يحق الاستغراب من وجه آخر وهو كيف امكن هذه الدولة ان تحتمل كل تلك الصدمات الشديدة والمقاومات الرائعة من اعدائها في اوربا واسيا وافريقية مع عدم فنور الخلل في داخليتها بسبب اصحاب البغي والفساد ولم تنزعزع اركانها بل استمرت في سلك الثبات العجيب ولم تستطع قوة او سبب آخر ان يثنيها . فهذا اعظم برهان على عظمتها وقوتها

وبعد ان عقد الصلح ساد السلام في اطراف المملكة العثمانية فانتهز جلالة السلطان هذه الفرصة لاصلاح داخلية البلاد بظننته المعهودة فمته الزراعة والتجارة ونهضت

البلاد العثمانية نهضة علمية عظيمة فاستست المدارس والمسكاتب والمطابع وترجمت الكتب الى اللغة التركية . وفي سنة ١٨٩٨م كانت حرب بين الدولة العلية واليونان بسبب جزيرة كريت ومع ان جيوش الدولة العلية هزمت عساكر اليونان مرات متوالية ولكن وساطة الدول الاوروبية اضطرت الباب العالي الى توقيف الحرب ومنح الجزيرة المذكورة نوعاً من الاستقلال وتعين البرنس جورج ابن الملك جورج ملك اليونان والياً على الجزيرة المذكورة تحت مراقبة الدول نفسها . وكثيراً ما نسمع في هذه الايام من وقت الى آخر بسعي اليونان لضم الجزيرة الى املاكها ولكنها الان لم تتحقق هذه الامنية . وفي ٢١ اغسطس سنة ١٩٠٦ استقال البرنس جورج فعينت الدول بدله المسيو زاميس . وفي سنة ١٣٢٤ هـ (١٩٠٦م) فترت العلاقات بين مصر والدولة العلية حتى صارت الحرب على قاب قوسين او ادنى بسبب الاختلاف على الحدود بين مصر والشام فانتصرت انكلترا لمصر ونسأهل جلالة السلطان في الامر فعرف هذا المشكل بحكمته بان اجاب مصر وانكلترا الى ما طلبنا وسحب عساكره من النقط التي كان قد احتلها من الحدود المصرية

٦٦٧ - الدولة الوطاسية بمراكش

(تمهيد) بنو وطاس فرقة من بني مرين غير انهم ليسوا من بني عبد الحق ولما دخل بنو مرين المغرب واقتسموا اعماله حسبما تقدم في ذكر الدولة المرينية كان لبني وطاس هؤلاء بلاد الريف فكانت ضواحيها لنزولهم وامصارها ورعاياها لجبايتهم وكان بنو الوزير منهم يسمون الى الرياسة ويرومون الخروج على بني عبد الحق وقد تكرر ذلك منهم حسبما مر . ثم اذعنوا الى الطاعة وراضوا انفسهم على الخدمة فاستعملهم بنو عبد الحق في وجوه الولايات والاعمال واستظهروا بهم على امور دولتهم فحسن اثرهم لديها وتعدد الوزراء منهم فيها

٦٦٨ - ابو عبد الله محمد بن ابي زكريا الوطاسي

من سنة ٨٧٦ هـ - ٩١٠ هـ او من سنة ١٤٧٢ - ١٥٠٤ م

هو ابو عبد الله محمد بن ابي زكريا يحيى بن زيان بن عمر بن علي الوطاسي كان
ابوه ابو زكريا وزيراً للسلطان عبد الحق اخر المرينيين ثم توفي فقام بالوزارة ابنه
يحيى فاستراب السلطان عبد الحق من الوطاسيين فقتل وزيره يحيى وجماعة من عشيرته
وفر اخوه ابو عبد الله محمد الملقب بالشيخ الى الصحراء وجعل يتردد ما بينها وبين البلاد
المهبطية حتى ملك آصيلا وذلك قبل استيلاء البرتغال عليها . ولما ملك الشيخ آصيلا
واستفحل امره بها تشوفت اليه الاعيان من اهل فاس والرؤساء من اهل دولة السلطان
عبد الحق وصاروا يكتبونه ويقدمون اليه الوسائل سرّاً وربما دعوه الى القدوم على
ان يبذلوا له من الطاعة والنصرة ما شاء واستمر الحال كذلك مدة

ولما ثقلت وطأة السلطان عبد الحق المريني على اهل المغرب وارهدف في الاستبداد
تشاوروا فيما بينهم وقروا على خلعه وقتله فتم ذلك يوم الجمعة ٢٧ رمضان سنة ٨٦٩ هـ
وبه انقرضت دولة بني عبد الحق المرينية . وبايع اهل المغرب من بعده ابا عبد الله محمد
ابن علي الادريسي الجوطي العمراني من بني عمران فرقة من ادارة فاس . وكان
هذا الشريف بومثذي بلي نقابة الاشراف بفاس - فاستدعوه فحضر وبايعوه في اواخر
رمضان سنة ٨٦٩ هـ . فلما علم محمد الشيخ الوطاسي بمكانه من آصيلا حدوث هذه الفتنة
بفاس طمع في الاستيلاء عليها فجمع جنداً صالحاً وزحف الى فاس فبرز اليه الشريف
والتقوا باحواز مكناسة فوقعت بينهما حرب عظيمة كانت الكرة فيها على الوطاسي ثم جمع
عسكرياً اخر وزحف به الى فاس وحاصرها نحو سنتين والشريف فيها مع ارباب دولته
وفي اثناء الحصار ورد عليه الخبر باستيلاء البرتغال على آصيلا وعلى بيت ماله الذي كان
بها وعلى حظايا واولاده فافرج عن فاس ورجع مبادراً الى آصيلا فحاصرها ولما امتنعت
عليه عقد مع البرتغال هدنة وعاد سريعاً الى فاس فحاصرها وضيق على الشريف بها
حتى خرج فارّاً بنفسه واسلمها اليه في رمضان سنة ٨٧٦ هـ فدخلها محمد الشيخ وتمت
ببعته وصفا له ملك المغرب

وفي سنة ٨٩٧ هـ استولى الاسبانيون على مقاطعة غرناطة وطردها المسلمين منها

فتوافد المسلمون الى السلطان ابي عبد الله محمد الشيخ الوطاسي هذا فاكرم ملتقاهم ورحب بهم فطلبوا منه ان يعين لهم موضعاً يسكنون فيه فعين لهم خرائب تطاوين فبنوها وسكنوها

وفي السنة المذكورة لما استولى الاسبانيون على غرناطة انتقل سلطانها ابو عبد الله ابن الاحمر الى حضرة فاس فاستوطنها تحت كنف السلطان محمد الشيخ بعد ان خاطبه من انشاء وزيره ابي عبد الله محمد العربي العقيلي بقصيدة بارعة يقول في صدرها

مولي الملوك ملوك العرب والمعجم رعيًا لما مثله يرعى من الذم
بك استجرتنا ونعم الجار انت لمن جار الزمان عليه جور منتقم
حتى غدا ملكه بالرغم مستلبًا وافظع الخطب ما بأتني على الرغم
حكم من الله حتم لا مرد له وهل مرد لحكم منه فنحنم

وهي طويلة . واستمر السلطان ابن الاحمر بفاس الى ان توفي سنة ٩٤٠ هـ وبقيت ذريته بها الى ان انقرضوا جميعاً ولم يبق منهم احد فسيحان الدائم

وفي ايام السلطان محمد الشيخ الوطاسي استولت دولة البرتغال على كثير من ارض المغرب من ذلك البريجة التي اضطروا لتشديد الحصار عليها ان يبنوا بقرها مدينة دعوها الجديدة . ومن ذلك سواحل السوس حيث بنوا حصن فونتي قرب اكادير وفي سنة ٩١٠ هـ توفي السلطان ابو عبد الله محمد الشيخ الوطاسي وتولى بعده ابنه

٦٦٩ - محمد بن محمد الشيخ

من سنة ٩١٠ — ٩٣١ هـ او من سنة ١٥٠٤ — ١٥٢٥ م

وهو المشهور بالبرتغالي . وكان نصارى سبتة وطنجة وآصيلا قد استحوذوا على بلاد الهبط وضابقوا المسلمين بها حتى الجؤوهم الى قصر كتامة فكان هذا الثغر بومئذ بين بلاد المسلمين وبلاد النصارى . وعني السلطان محمد البرتغالي هذا بجهادهم وترديد الغزو اليهم والاجلاب عليهم حتى شغل بذلك عن البلاد المراكشية وسواحلها فكان ذلك سبباً لظهور الدولة السعدية بها سنة ٩١٥ هـ على ما نذكره ان شاء الله تعالى

وكان دولة البرتغال علت بضعف الدولة الوطاسية فظمعت في المغرب ورددت الغزو اليه فاستولت في مدة هذا السلطان على ثغرا آسني وثغر ازموور وثغرا ممورة ولم

يقدر السلطان محمد البرنقالي على دفعهم . وفي سنة ٩١٥ هـ ظهرت الدولة السعدية ببلاد السوس وما زال امرهم في الزيادة الى ان كانت دولة ابي العباس الاعرج منهم فاستفحل امره وبعد صيته وفتك بنصاري السوس فكاتبه امرأه هنتانة صاحب مراکش ودخلوا في طاعته فانتقل اليها وملكها في حدود الثلاثين وتسعمائة . ولما اتصل خبره بالسلطان محمد البرنقالي وهو يومئذ بفاس قامت قيامته واقبل في جموع عديدة . فلما رأى ابو العباس السعدي مالا قبل به تحصن بمراكش وشحن اسوارها بالرماة فتقدم السلطان محمد ونصب الانقاط على مراکش ودام الحصار عليها اياماً . وبينما هو يحاصرها ورد عليه الخبر بان بني عمه قاموا عليه بفاس وبذوا دعوته فانكفأ راجعاً الى فاس لمداغتهم وقاتلهم فاخذوا الى السكينة ثم عزم على جمع الجموع لاستخلاص مراکش من السعديين لكن لم يمهله القضاء لانتهام غرضه اذ توفي سنة ٩٣١ هـ

٦٧٠ - ابو مسعود به محمد الشيخ

من سنة ٩٣١ - ٩٣٢ هـ او من سنة ١٥٢٥ - ١٥٢٦ م وتولى بعده اخوه ابو الحسن علي بن محمد الشيخ ويعرف بابي حسون البادمي ولم تطل مدة ملكه اذ قام عليه ابن اخيه ابو العباس احمد بن محمد البرنقالي وقبض عليه وخلعه . واشهد عليه بالخلع في ذى الحجة سنة ٩٣٢ هـ

٦٧١ - ابو العباس احمد به محمد

من سنة ٩٣٢ - ٩٥٦ هـ او من سنة ١٥٢٦ - ١٥٤٩ م هو ابو العباس احمد بن محمد البرنقالي بن محمد الشيخ بن ابي زكريا يحيى بن زبان الوطاسي بويج يوم خلع عمه آخر ذى الحجة متم سنة ٩٣٢ هـ وكأنت باكورة اغتاله عقده الصلح مع البرنقاليين ليتفرغ لقتال السعديين الذين زاحموا الوطاسيين في الدولة . فبعد ان تم عقد الصلح جمع السلطان ابو العباس جيوشه وحارب السعديين في عدة وقائع كان النصر فيها متبادلاً أشهرها وقعة انماي قرب مراکش وبعد هذه الوقعة تم

الصلح بين الوطاسيين والسعديين على ما نذكره

لما رأى اهل المغرب ما وقع بين السلطان ابي العباس احمد الوطاسي صاحب فاس وابي العباس احمد صاحب مراکش من التقاتل على الملك والتهالك عليه وفناء الخلق بينهم دخلوا في الصلح بينهم والتراضي على قسمة البلاد وحضر لذلك جماعة من العلماء والاعيان وتواسطوا في الامر وقرروا الصلح بين السلطانين ابي العباس الوطاسي وابي العباس السعدي على ان يكون للوطاسي من تادلا الى المغرب الاوسط وللسعدي من تادلا الى السوس . فلما تم عقد الصلح على الكيفية المتقدم ذكرها عكف ابو العباس احمد الوطاسي على اصلاح داخلية بلاده ومن اعظم آثار اصلاحه بناء قنطرة الرصيف بفاس سنة ٩٥١ هـ . وفي ذلك يقول الفقيه ابو مالك عبد الواحد بن احمد الوائشري مؤرخاً بناء هذه القنطرة

جسر الرصيف ابو العباس جدده فخر السلاطين من ابناء وطاس
فجاء في غاية الانفاق مرتفقاً لمن يمر به من عدواني فاس
وكان تجدده في نصف عام غنا من هجرة المصطفى المبعوث للناس

٩٥١

الآن ان الصلح بين الوطاسيين والسعديين لم يدم طويلاً لان محمداً الشيخ السعدي الملقب بالمهدي تغلب على اخيه ابي العباس احمد السعدي الاعرج وانتزع منه الملك وسجنه كما سياتي ذكر ذلك في تاريخ الدولة السعدية . فلما استولى المهدي السعدي هذا على مراکش من يد اخيه لم يعترف بعقد الصلح المعقود بين اخيه المذكور وبين الوطاسيين بل طمع في الاستيلاء على فاس وانتزاعها من يد الوطاسيين فردد اليهم البعث والسرايا واكثر فيهم شن الغارات وصار يستلبهم البلاد شيئاً فشيئاً واخيراً نهض سنة ٩٥٦ هـ بجموع كثيرة الى فاس وحاصرها وضيق عليها وبعد قتال شديد انهزم الوطاسيون وتحصنوا بفاس حتى قلت الاقوات عندهم وحصل لاهل فاس من جراء ذلك جهد عظيم وعجز الوطاسيون عن الدفاع فنزل اهل فاس على حكم السعدي فقبض على ابي العباس احمد الوطاسي وقتله وجماعته من اهله ولم ينج من امراء الوطاسيين الا الامير ابا حسون فانه فرّ الى الجزائر وكان من خبره ما نذكره

٦٧٢ - ابو مسعود بن محمد الشيخ (ثانية)

من سنة ٩٥٦ - ٩٦١ هـ او من سنة ١٥٤٩ - ١٥٥٤ م

لما دخل السلطان محمد الشيخ السعدي الملقب بالمهدي مدينة فاس سنة ٩٥٦ هـ وقبض على بني وطاس بها حسبما تقدم فرأى ابو حسون هذا الى المغرب الاوسط وكان قد دخل تحت ظل السلطنة العثمانية فالتجأ ابو حسون الى الترك فاكرمه صالح باشا قائد جيوش الترك لذلك العهد . ولم يزل ابو حسون عند صالح باشا يحسن له الاستيلاء على المغرب ويعظمها في عينيه ويقول « ان المتغلب عليها قد سلبني ملكي وملك آباي وغلبي علي تراث اجدادي فلو ذهبت معي لقتاله لكنا نرجو من الله تعالى ان يتيح لنا النصر عليه ويرزقنا الظفر به ولا تعدمون انتم مع ذلك منفعة من ملء ايديكم غنائم وذخائر » ووعدهم بالجزيل فاجابه صالح باشا الى ما طلب ونهض معه بجيشه الظافر حتى اقتحموا حضرة فاس بعد حروب عظيمة ووقائع شديدة وفر عنها الشيخ السعدي . وكان دخول السلطان ابي حسون الى فاس ثالث صفر سنة ٩٦١ هـ والنقاه الناس بفرح لا مزيد عليه

ولما فر السلطان محمد الشيخ السعدي امام الاتراك بفاس وصل الى مراكش فاستقر بها وصرف عزمه لقتال ابي حسون فاخذ في استنفار القبائل وانتخاب الابطال وتعبئة العساكر والاجناد فاجتمع له من ذلك ما اشتد به ازره وقوى به عضده ثم نهض بهم الى فاس فخرج اليه السلطان ابو حسون في رماة فاس ومن انضم اليهم من جيش العرب و بعد قتال شديد انهزم ابو حسون ورجع الى فاس وتحصن بها فتقدم الشيخ السعدي وحاصره الى ان ظفربه في وقعة كانت بينهما في الموضع المعروف بمساحة فقتله واستولى على حضرة فاس وصفا له امرها وذلك يوم السبت ٢٤ شوال سنة ٩٦١ هـ وبقتل السلطان ابي حسون انقرضت الدولة الوطاسية بالمغرب والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين

٦٧٣ - الدولة الصنوية بإيران

(تمهيد) تنسب هذه الدولة الى الشيخ صفي الدين بن جبرائيل وهو اول من جمع العسكر من هذه العائلة الا انه لم يحارب احداً لان خطته كانت سلمية فكان لا يأمر بغير الطيب والاحسان وخلفه ابنه صدر الدين وهذا كان في ايام تيمورلنك النوري وقد أخذه مقلداً مدينة اردبيل فزاره يوماً فتيورلنك وسأله عما اذا كان يلزمه شيء وانه مستعد لضائه في الحال فطلب منه ان يطلق سبيل الاسرى الذين اتى بهم من بلاد الاتراك ففعل تيمور باشارته وحفظ الاتراك اصدر الدين هذا الجليل وعائلته من بعده وهم السبب في توليتها الملك كما سيجي

ثم توفي صدر الدين وخلفه ابنه خواجه علي ثم توفي وخلفه ابنه الشيخ ابراهيم ثم توفي وخلفه ابنه الشيخ جنيد وهو اول من غزا من هذه الطائفة فانه جمع عسكراً من محبيه ومحبى ابيه فغزا الكرج وقتلهم وغنم منهم شيئاً كثيراً ثم توفي وخلفه ابنه الشيخ حيدر فسلك مسلك ابيه في جمع العسكر ومباشرة الغزاة حتى اجتمع عنده من العسكر سنة آلاف مقاتل فغزا الكرج واتخذ التاج من الجوخ الاحمر وثقي عشرة رقعة وسمى بتاج الحيدرية ثم طعم في الاستيلاء على ما حوله من البلدان فهاجم مدينة شروان لكنه انهزم امام صاحبها ووقع هو واولاده اسيراً بين يديه فقتلهم صاحب شروان سوى ولديه اسماعيل وعلي وظلت عائلة صفي الدين في خطر دائم حتى أتىح لاسماعيل بن حيدر جمع العساكر وتجنيد الجنود ولم شعث الدولة كما سئرى وهو في عرف المؤرخين اول ملوك هذه الدولة

٦٧٤ - شاه اسماعيل به مير

من سنة ٩٠٥ - ٩٣٠ هـ او من سنة ١٤٩٩ - ١٥٢٣ م

لما قتل الشيخ حيدر بقي ابناه اسماعيل وعلي مدة في زوايا النسيان حتى اتاح الله لاسماعيل قوماً دوله على قوم من الاتراك ابناء عائلته فذهب اليهم وعرفهم بنفسه

فقبلوه بترحاب عظيم واجابوه الى ما طالب من مساعدته علي امره وصحبه منهم جند ليس بقليل فعاد اسماعيل بن انضم اليه الي لاهجان . وفي اواسط محرم سنة ٩٠٥ هـ توجه اسماعيل من لاهجان بطائفة من العسكر الي اذربيجان وغلب عليها واستولى علي جميع نواحيها وسعي بالشاه وخطب له علي منابرها . ولما قوي امره قصد في سنة ٩٠٦ هـ صاحب شروان قاتل أبيه وقتله واستولى علي بلاده ثم سار الي ديار بكر وقاتل صاحبها واستولى علي غالب بلاده وتوجه الي بلاد العراق واسترد بغداد واستولى علي جميع العراق وعدا علي صاحب خراسان وما وراء النهر فكسره وقتله وجعل جمجمة رأسه مثل القدح يشرب منه الخمر مدة حياته

وكان شاه اسماعيل صوفياً مثل افراد عائلته وليس له اعداء واعوانه كثر فاستحسن ان يدخل مذهب الشيعة الاثنا عشرية الجعفرية الي ايران ويجعلها مذهب السلطنة ففعل ذلك وفاز بمراذه ولم يلق معارضة تذكر لان الايرانيين فضلوا مذهب القائلين بتكريم الامام علي بن أبي طالب (رضه) ومن ذلك اليوم صارت بلاد ايران مقر الشيعة بين المسلمين

وفي هذه الاثناء عصى اولاد السلطان بايزيد الثاني العثماني علي أبيهم فساعد شاه اسماعيل الامير احمد ابن السلطان بايزيد علي ابيه ثم علي اخيه السلطان سليم من بعده وقبل من فر من اولاده عنده وراسل سلطان مصر في الاتفاق والاتحاد معاً علي محاربة السلطان سليم العثماني مظهرآ له انه ان لم يتفقا حاربت الدولة كلاً منهما علي حدته وقهرته . فلما علم السلطان سليم العثماني باجراءات شاه اسماعيل العدوانية اغتاز جداً حتي أمر بقتل جميع الشيعة في بلاده المتخمة لبلاد العجم فقتلوا بطريقة سرية وقيل ان عدد كل من قتل بلغ ٤٠ ألفاً . وبعد ذلك اعلن السلطان سليم الشاه اسماعيل بالحرب واقبل في جيوشه سنة ٩٢٠ هـ فبرز الشاه اسماعيل لمدافته لكنه تقهر أمامه خدعة حربية لينهك التعب الجنود العثمانية فينقض عليهم واستمر في تقهيره الي ارباض تبريز فوقع القتال بين الجيشين في ٢ رجب سنة ٩٢٠ هـ فانهضت الجنود العثمانية نصراً ميبناً . وفر الشاه اسماعيل بن بقي معه . ودخل

السلطان سليم تبريز واستولى عليها وبعد ان مكث بها ثمانية ايام لراحة جيوشه نهض مقتفياً اثر الشاه اسماعيل الا ان عساكره لم تطاوعه على الايفال في بلاد العجم فاضطر ان يرجع الى بلاده تاركاً كل فتوحاته . فعاد الشاه اسماعيل من مقره وجلس على سرير ملكه . ولما توفي السلطان سليم العثماني سنة ٩٢٦ هـ طمع الشاه اسماعيل في الاستيلاء على بعض بلاد الدولة العلية العثمانية والانتقام منهم فتقدم الى بلاد الاتراك فاحضع بلاد الجركس وهي يومئذ تابعة للدولة العثمانية وعاد عنها فمرّج على أردبيل ليزور اجداده ففضي نجبة هناك سنة ٩٣٠ هـ ودفن فيها مأسوفاً عليه

٩٧٥ - شاه طهماسب بن اسماعيل

من سنة ٩٣٠ - ٩٨٤ هـ او من سنة ١٥٢٣ - ١٥٧٦ م

وتولى بعده ابنته طهماسب وهو في العاشرة من عمره فانتهزت بلاد خراسان هذه الفرصة العصيان على عاداتها فاحضها بغير عاء كثير ثم وقعت الماسافات بين فئات الاتراك الذين ساعدوا هذه الدولة على الملك وكثر الخصام بين طائفتين منهم فانحاز طهماسب الى احدها ونجحت الاخرى فطلبت القبض عليه وعند ذلك هاج الدم في عروقه واستغاث بمرؤة جنوده واعوانه الايرانيين فاغاثوه وتقدموا معه لمحاربة هؤلاء الاتراك فنكّلوا بهم واذاقوهم البلاء الاكبر وانتصروا عليهم انتصاراً تاماً . وفي سنة ٩٤٠ هـ تقدم السلطان سليمان خان العثماني على بلاد ايران فاستولى على اذربيجان وبغداد وغيرهما من الاراضي الغربية التي كانت لايران بعد ان فتك بالعجم فتكادريماً ثم عاد الى بلاده فلما علم طهماسب برجوعه جمع جيشاً كبيراً وتقدم به على بلاد الترك وملك ارمينية وما يجاورها ولكنه اضطر الى الرجوع لما بلغه ان القلاقل كثرت ببلاده بسبب قيام قبائل الاوزبك من من التتر على حكومته في الشرق بايعاز من السلطان سليمان العثماني وعصيان أخيه القاض يرزا وهو الذي التجأ الى السلطان سليمان العثماني واتفق معه على اقتسام

ايران . وكان لهذا الامير اعوان كثيرون في ايران فحشي طهماسب العاقبة سيما بعد ان فتح جيش الاتراك تبريز وتقدم على السلطنة . ولكن التقادير خلصت ايران بخصام القاص والسلطان العثماني وفرار الاول ورجوع الثاني من بعد ان فقد معونة اعوان الامير القاص . اما القاص ففر الى ديار بكر فقبض عليه صاحبها وارسله الى أخيه طهماسب فأمر باعدامه . وقضى طهماسب كل ايامه يحارب العثمانيين من جهة والتتر من جهة اخرى الا ان ما كان فيه من الرأي وحسن التدبير مكنه من حفظ المملكة امام أعدائه الكثيرين

وهو الذي نقل كرسي مملكة ايران الى قزوین وكان متحزباً للإسلام على الطريقة الشعبية وهو اول من زاره سفراء الفرنج من ملوك ايران جاءه انكليزي اسمه جنكسن من قبل المملكة البصبات . ملكة انكلترا لذلك الوقت فسأله حال وقوع نظره بعد ان ظل يستأذن باشول لديه ستة اشهر « هل انت مسلم او كافر » قال « اني است مسلماً ولا كافراً بل انا نصراني » قال « ليس بي حاجة الى مخابرة الذين هم ليس على ديني فرح في حال سبيلك » وخرج الرجل وقد تبعه ايراني يرش الرمل من ورائه في القصر حتى يعرف محل وقع اقدامه وينظف الدار بعد خروجه

وكان لطهماسب ابناء كثيرون ابعد بعضهم واعتقل بعضهم في حياته خوفاً من مزاحمته في المملكة والغريب انه وقع في ما كان يخاف منه لان ابنه الامير حيدر اعز لوالده بقتل ابيه ليتسلطن مكانه ففعلت هذه الغادرة باشارة انها وسمت زوجها شاه طهماسب فتوفي في الحال وكانت وفاته في ٧ صفر سنة ٩٨٤ هـ

٦٧٦ - شاه حيدر به طهماسب

سنة ٩٨٤ هـ او سنة ١٥٧٦ م

وتولى بعده ابنه شاه حيدر وهو ثالث ابنائه لكنه لم يهنأ بالملك بل نال جزاء خيائه وبيان ذلك انه كان لطهماسب ابنة تدعى يرى خان وكانت عائلة فطنة

فلما علمت ما جرى لابيها ارسلت لاختيها حيدر ان يزورها فأجاب طلبها وذهب الى قصرها . وكانت قد أعدت رجالاً مسلحين للفنك به حال دخوله . فلما دخل القصر انقضَّ عليه أولئك الرجال وقتلوه لايام من ولايته

٦٧٧ - شاه اسماعيل بن طهماسب

من سنة ٩٨٤ - ٩٨٥ هـ او من سنة ١٥٧٦ - ١٥٧٧ م

ولما قتلت بيرى خان اخاها كما تقدم أرسلت وأخرجت شقيقها اسماعيل من معتقله لانه كان محبوساً في قلعة الموت مدة حياة ابيه فأخرجته وفوضت اليه الامر جميعاً . ثم ارادت بيرى خان ان تشرك شقيقها في الامر والهي فلما انس شاه اسماعيل منها هذا الميل امر بقتلها فقتلت . وكان شاه اسماعيل سيئ السيرة منهكاً بلذاته غير ملتفت لامر المملكة فبازعه اخوه محمد خدا بندا واستولى على خراسان واستقل بها ولم يقدر شاه اسماعيل على اخذها منه وفي ٣ رمضان سنة ٩٨٥ هـ توفي شاه اسماعيل بن طهماسب مسموماً لانه كان يتعاطى اكل الزياق ويبالغ فيه فسموه في الزياق

٦٧٨ - محمد خدا بندا بن طهماسب

من سنة ٩٨٥ - ٩٩٣ هـ او من سنة ١٥٧٧ - ١٥٨٥ م

ولما بلغ محمد خدا بندا ملك خراسان وفاة اخيه شاه اسماعيل قدم من خراسان الى قزوین واستقر على سرير الملك وكان يرجى منه الخير والعدل ثم ظهر منه ما يخالف ذلك . وانتهز العثمانيون فرصة هذه الفتن الداخلية التي حصلت في بلاد ايران وطعموا في الاستيلاء عليها فارسل السلطان مراد خان اثلاث العساكر العثمانية بقيادة لاله مصطفى باشا . فسار هذا القائد بجيوشه قاصداً اقليم الكرج من بلاد الجركس سنة ٩٨٥ هـ وكانت تابعة الى مملكة العجم وفتحها واحزل مدينة تفليس

عاصمة الكرج بعد ان انتصر على جنود الشاه ولكن اضطر العثمانيون للعود الى طرابزون لدخول فصل الشتاء الذي لا يمكن استمرار القتال في غضونه لشدة البرد وتراكم الثلوج في هذه الاصقاع وقبل ان ينقضي الشتاء توفي مصطفى باشا قائد العثمانيين فأهمل اعادة الكرة على ايران

وفي سنة ۹۹۲ هـ ارسل السلطان مراد خان الثالث العثماني جيشاً كبيراً بلغ مقداره ۲۶۰ الف مقاتل بقيادة عثمان باشا لمانزلة ايران . فسار هذا الجيش العرمرم قاصداً بلاد اذربيجان فاخترقها بدون كثير مقاومة ثم قصد مدينة تبريز فبرزت اليه عساكر الايرانيين بقيادة حمزة ميرزا اخي الشاه وبعد قتال شديد اظهر فيه حمزة ميرزا ما خلده ذكره جليلاً انتصر العثمانيون بعد ان قتل حمزة ميرزا قائد جيوش ايران ودخلوا مدينة تبريز فاضطر الشاه محمد خدا بندا ان يعقد معهم صلحاً على ان يتنازل للسلطان مراد عن اقليم الكرج وشروان ولورستان وجزء من اذربيجان ومدينة تبريز وفي هذه الاثناء توفي عثمان باشا قائد العثمانيين فقوي جانب الايرانيين نوعاً ما

ولما رأى الايرانيون ضعف سلطانهم الشاه محمد خدا بندا وعدم تمكنه من حفظ الدولة اخذوا ابنه الامير عباساً وذهبوا به الى خراسان وهناك نادوا به شاهاً عليهم ثم تقدموا الى قزوین ولما قربوا منها ثار على محمد خدا بندا العساكر التي قزوین وقتلوه شر قتله وكان ذلك سنة ۹۹۳ هـ

۶۷۹ - شاه عباسه الكبير بن محمد خدا بندا

من سنة ۹۹۳ - ۱۰۳۷ هـ او من سنة ۱۵۸۵ - ۱۶۲۸ م

فدخل الثائرون قزوین ونادوا بالامير عباس شاهاً عليهم وهو يومئذ صغير . واختاروه صغيراً لكي يكون اطوع اليهم من غيره فعملوا تعضيده واسطة لاعلاء كلمتهم ومنفعة انفسهم ولكن كانت علامات النجابة والشجاعة ظاهرة على الشاه عباس



(ش ٤ - شاه عباس)

الفتى فلما لما ثبوا تحت السلطنة كانت البلاد كمشعلة نار من جراء الثورات الداخلية وطلب كل قبيلة الاستقلال فنهض الشاه عباس واخضع الجميع في مدة قريبة . ثم عمد لاستخلاص ما التهمته الدولة العثمانية من املاك ايران فخارب العثمانيين وانتصر عليهم واحتل مدائن تبريز ووان وغيرها وكانت الدولة العثمانية مشغولة في ذلك الوقت بمحاربة الثائرين عليها شرقاً وغرباً فاضطر السلطان احمد خان الاول ان يعقد مع الشاه عباس صلحاً على ان تترك الدولة العثمانية لمملكة العجم جميع الاقاليم والبلدان والقلاع والحصون التي فتحها العثمانيون من عهد السلطان الغازي سليمان الاول ليتفرغ لاصلاح داخلية بلاده . فقبل الشاه عباس هذه الشروط وصالح العثمانيين عليها ليتفرغ هو ايضاً لقتال قبائل الاوزبك وكانوا قد ضايقوا دولته . فنهض الشاه عباس الى مدينة مشهد التي كانت قد احتلتها قبائل الاوزبك فاستخلصها منهم وانتصر عليهم بقرب مدينة هرات سنة ١٥٩٧ م

وفي سنة ١٠٢٦ هـ (١٦١٧ م) توفي السلطان احمد الاول سلطان العثمانيين وتولى بعده اخوه السلطان مصطفى ثم عزل سنة ١٠٢٧ هـ واقام ارباب الدولة مكانه ابن اخيه السلطان عثمان بن احمد الاول ثم عزل سنة ١٠٣١ هـ وأعيد السلطان مصطفى

ثانية ثم عزل سنة ١٠٣٢ هـ وولي مكانه السلطان مراد خان الرابع ابن السلطان احمد الاول . فانتزع الشاه عباس هذا الاختلال في الدولة العثمانية لتوسيع املاكه من جهة حدودها فنقض بجيش كثيف الى مدينة بغداد وحاصرها ثلاثة اشهر وفتحها بخيانة ابن واليها املاً في ان يوليّه الشاه عليها اذا دخلها ظافراً ولكن الامر جاء بالعكس لان الشاه عباساً لم يدخل مدينة بغداد امر بابن الوالي المذكور فقتل جزاء خيانتة . وحاول العثمانيون استرجاع بغداد لكنهم ردوا عنها خاسرين . ثم زحف شاه عباس الى نهاوند فذكر حصونها دكاً واخذها من الاتراك ثم تقدم على تبريز وتفليس وغيرها من الانحاء الشمالية فحارب الاتراك فيها ومع ان عساكرهم كانت تقدر بضعفي عساكره انتصر عليهم وكسره شر كسرة وملك تلك البلاد منهم وأوقع الرعب في قلوبهم . فظل شاه عباس من بعد تلك المواقع يسترد شيئاً بعد شيء مما اخذه الاتراك من مملكة ايران القديمة حتى استرجع كل بلاد اذربيجان وشطوط بحر قزوين وبلاد الشراكسة والموصل وديار بكر وكردستان . ومن لهم الفضل في انتصار عساكر الشاه على العثمانيين المسترروبوت شارلي الانكليزي الاصل وكان قد حضر الى ايران هو واخوه المسترانتوني شارلي فالتقاهما الشاه عباس واكرمهما اكراماً زائداً واستشار المسترانتوني في امر الحرب مع الاتراك فاشار عليه بتعليم جنوده مبادئ العلوم العسكرية وبمجازبة دول اوربا على الاتراك فرضي شاه عباس بقوله واندبه سفيراً لينوب عنه امام حكومات اوربا في عقد الاتفاق واعطاء فرماناً بذلك يدل على ثقته التامة بهذا الشريف الانكليزي . وبقي المسترروبوت شارلي في قزوين يدرب عساكر شاه عباس ويعلمهم ما يلزمهم لانفاق فن الحرب فكان ذلك سبباً في انتصارهم على الاتراك

ومن فضائل الشاه عباس انه تساهل تساهلاً لم يسبق له نظير مع الفرنج والمسيحيين اجمالاً واصدر منشوراً الى رعاياه يقول لهم فيه ان النصراني اصدقائه وحلفاء بلاده وانه يأمرهم باحترامهم واكرامهم اين حلوا وفتح مين بلاده لتجار الفرنج وأوصى ان لا تؤخذ الرسوم على ابعثتهم وان لا يتعرض لهم احد الحكام او الاهالي بسوء . وهو اول من فعل ذلك من سلاطين المسلمين في بلاد ايران

ومن الادلة على تساهل الشاه عباس مع المسيحيين وحسن معاملته لهم انه انعم على المسترروبوت شارلي الانكليزي الذي تقدم ذكره بفتاة شركسية رزق منها اولاداً وكان شاه عباس عراب اولهم وليس في التاريخ دليل اكبر من هذا على التساهل في

حربية الاديان وجعل شاه عباس مدينة اصفهان قاعدة ملكه وقرر الامن في البلاد ونظم احوالها واحسن التدبير في كل امورها حتى خبطت البلاد في ايامه خطوة واسعة في سبيل العظمة والتقدم سيما بعد ان كثرت متاجر الفرنج في ايران وكثر تردد التجار والسياح منهم على بلاده . وكانت علاقاته طيبة مع كل الدول الاوروبية ومع سلطان الهند ايضا ولم يحارب احدى الدول الا فرنجية الأمرة واحدة وذلك ان البورتغاليين انشأوا مستعمرة زاهرة زاهية في جزيرة ارموس في خليج العجم وكان عباس شاه يسمع منها وبكثرة مواردها فلم يرق له ان تكون لدولة اجنبية وهي في مياه بلاده فوجه همه الى امتلاكها واتفق مع حكومة الهند الانكليزية وهي بومئذ في يد شركة تجارية على اخراج البورتغاليين منها فارسلت له الشركة الانكليزية سفناً اوصلت عساكره الى الجزيرة فدسروها تدميراً وخرّبوا معاملها واخرجوا البورتغاليين منها واستولى عباس شاه عليها . ولكن لم يحسن اهل ايران ادارة ما فيها من المعامل فخربت واقفرت الجزيرة ولم يستفد الشاه ولا الانكليز من هذا العمل

وانشأ عباس شاه الصروح الفخيمة وزين المدائن وامر بالعدل وترك ما يخلد له الذكر من الآثار العظيمة في البلاد منها آثاره في اصفهان التي لبس لها مثيل في بلاد الشرق وهو اشهر ملوك هذه الدولة لم يقم فيها واحد اهتم اهتمامه باصلاح شؤون البلاد ولم شعثها واقامة الآثار فيها حتى ان الاهالي يطلقون عليه اسم عباس شاه الكبير ويظنون الآن ان كل ما في ايران من الآثار القديمة بني في ايامه . غير ان عباسا اشتهر بالقسوة الهائلة اشتهاره بالحكمة والبسالة وحب التقدم لبلاده فقد كان يشدد الوطأة على الولاة والامراء الذين تبدو منهم هفوة توجب العقاب واكثر من ذلك قسوته على اولاده واهل بيته . وقد كان لهذا السلطان العظيم اربعة اولاد هم قرّة العين وكان ولعاً بهم الى أن شبوا وصار يرى الناس بعضهم حسب عاداتهم في تكريم اولاد الملوك فدخلته الشكوك وبدأ يخاف من اولاده ويسيء معاملتهم . ثم توفي سنة ١٠٣٧ هـ في مدينة فرح آباد لسبعين سنة من عمره بعد ان حكم ٤٣ سنة

٦٨٠ - شاه صفی الثاني

من سنة ١٠٣٧ - ١٠٥١ هـ أو من سنة ١٦٢٨ - ١٦٤١ م

ولما توفي الشاه عباس الكبير تولى بعده حفيده شاه صفی الثاني وكان ظالماً عاتياً سفاكاً للدماء لا هم له غير الاشتغال بقتل الارياء حتى لم يبق لكبير او امير في بلاد ايران امان على نفسه في مدة هذا الظلم . وقتل من اعضاء العائلة المالكة ما بين نساء ورجال حوالي ثلثين شخصاً بلا ذنب يعرف غير خوفه من مزاحمتهم له ولما توفي عباس شاه انتهز التتر فرصة للهجوم على خراسان ونهب اموالها ولكن عساكر الايرانيين انتصرت عليهم . وردتهم على اعقابهم خاسرين . وفي سنة ١٠٤٥ هـ تقدم السلطان مراد الرابع العثماني بنفسه في جيش كثيف لاسترجاع فتوحات سليمان الاول القانوني ببلاد العجم ففتح مدينة اربوان في ٢٥ صفر سنة ١٠٤٥ هـ ثم تقدم الى مدينة تبريز وفتحها عنوة في ٢٨ ربيع الاول من السنة ثم عاد الى القسطنطينية فاشتد عزم العجم برجوع السلطان وحاربوا الجيوش العثمانية وانتصروا عليها واستردوا مدينة اربوان وتلقبوا العثمانيين حتى كسروهم كسرة شنيعة في وادي مهر بان سنة ١٠٤٦ هـ . ولما علم السلطان مراد الرابع العثماني بانهم زام جيوشه امام عساكر الشاه عاد بجيش عظيم وحاصر مدينة بغداد في ٨ رجب سنة ١٠٤٨ هـ وفتحها عنوة في ١٨ شعبان من السنة فخاف الشاه صفی من تقدم السلطان مراد على بلاده وارسل يعرض له الصلح على ان تكون بغداد تابعة للدولة العلية العثمانية واربوان تابعة للدولة الصفوية فقبل السلطان ذلك وتم عقد الصلح في ٢١ جمادى الاولى سنة ١٠٤٩ هـ

وكان الشاه صفی الثاني منغمساً في الشهوات مسلماً الادارة كلها الى وزرائه الذين كان يأمر بقتلهم لاقبل علة . ثم مات في مدينة كاشان سنة ١٠٥١ هـ



٦٨١ - شاه عباس الثاني به صفى

من سنة ١٠٥١ - ١١٧٥ هـ أو من سنة ١٦٤١ - ١٦٦٤ م

وتولى بعده ابنه شاه عباس الثاني بن شاه صفى اثنا عشر سنة وعمره اذ ذاك عشرين فتولى الامر في مدة صغر هذا الشاه الوزراء وكانوا من اصحاب العقل والذمة واشتهروا بالفضائل والتقوى فامروا بابطال شرب الخمر من القصر وشددوا في عقاب الذين يسكرون . وكان السكر رذيلة عمت في ايام عباس شاه الاول وحفيده ولما بلغ عباس الثاني اشده تولى الامر بيده فافرط في التمتع باللذات وعاد الى المسكر فارتكب الهفوات الكثيرة واسقط مقام الملك ولكنه لم يصل الى درجة ابيه . ومع ذلك كان عباس الثاني حسن التدبير شديد البطش على الاعداء فاسترجع الايرانيون في ايامه مدينة قندهار وكان والده شاه صفى اضاعها في ايامه . وتمكن شاه عباس من عقد الصلح مع الاتراك من جهة والتمر من جهة اخرى فساد الامن في مدة حكمه السعيد ونمت المتاجر وتقدمت العلوم والصنائع ورتعت البلاد في بحبوحة الامن والراحة الى ان توفي سنة ١٠٧٥ هـ

٦٨٢ - شاه سلیمان بن عباس

من سنة ١٠٧٥ - ١١٠٦ هـ أو من سنة ١٦٦٤ - ١٦٩٤ م

وكان لعباس الثاني ابنان اكبرهما صفى ميرزا فاتفق ارباب الدولة على تولية اصغرهما حمزة ميرزا فعارض في ذلك الخصي مبارك آغا واقنع الجميع بضرورة مبايعة صفى ميرزا لانه احق من اخيه لكبر سنه فوافقه على ذلك وانتهت الدسيسة ورفى صفى ميرزا على كرسي اجداده بشهادة هذا الخصي وافضل ما يروى عن صفى ميرزا انه لم ينتقم من الاشراف على خيانتهم ودسيستهم هذه . واتخذ صفى ميرزا يوم رقى عرش السلطنة اسم شاه سلیمان ولم يحدث في ايامه شيء يستحق الذكر غير انه كان خاملاً ضعيف الرأي ولماً بالانتماس في الملذات والشهوات الى ان توفي سنة ١١٠٦ هـ

٦٨٣ - شاه حسين بن سليمان

من سنة ١١٠٦ - ١١٣٥ هـ او من سنة ١٦٩٤ - ١٧٢٢

وتولى بعده ابنه شاه حسين بن شاه سليمان (او صفى ميرزا) . وكان الشاه حسين طيب القلب سليم النية شديد التمسك بدينه فامر حال صعوده على تخت المملكة بابطال السكر وكسر انية الخمر التي وجدها في قصوره وقرب المشايخ والعلماء فاعطاهم المناصب العالية وحرم الامراء والقواد منها فظلت البلاد عشرين عاماً في ايامه متمعة بالراحة الى ان ظهر الامير محمود سلطان افغانستان الغلجائي واغار على ايران يجيوشه واكسحها امامه ووصل اخيراً الى مدينة اصفهان وحاصرها مدة ودافع عنها الشاه حسين دفاعاً محموداً الا ان خيانة بعض بطانته افسدت عليه الحال حتى اضطر اخيراً ان يتنازل عن الملك للامير محمود الغلجائي ولكنه قبل ان يخلع نفسه عن كرسي المملكة نزل الى الاسواق حافياً واخذ يطوف في شوارع اصفهان وهو يصبح قائلاً « لا تحزنوا ايها الناس على فراقى عنكم لان الشاه محموداً هو اخبر مني وادرى في تدبير امورك واصلاح شأنكم لاسيما في ادارة الحروب وسياسة الاحكام » وكان اكثر سكان المدينة يمشون وراءه وهم يبكون وينتحبون على فراقه . وسنذكر استيلاء الشاه محمود على دولة ايران باكثر تفصيل في ذكر الدولة الغلجائية فراجعهم هناك

وكان الشاه حسين اخر ملوك الدولة الصفوية الشهيرة وباستيلاء الافغانين على اصفهان سنة ١١٣٥ هـ انقضت هذه الدولة والبقاء لله وحده

٦٨٤ - الدولة السعدية بمراكش

(تمهيد) تدعى هذه الدولة بدولة لاشراف السعديين ويقال لها دولة الاشراف لانصال نسبهم بآل البيت الكريم ويقال لها دولة السعديين او الدولة السعدية لسعد الناس بهم واول من قام بالملك من هذه الدولة ابو عبد الله محمد القائم بامر الله

ابن عبد الرحمن بن علي بن مخلوف بن زيد بن احمد بن محمد بن ابي القاسم بن محمد بن الحسن بن عبد الله بن ابي محمد بن عرفة بن الحسن بن ابي بكر بن علي بن حسن بن احمد بن اسماعيل بن القاسم بن محمد بن عبد الله الاشراف بن محمد النفس الزكية ابن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن ابي طالب . واول من دخل المغرب منهم الحسن بن عبد الله بن ابي محمد بن عرفة الخ وهو الجد الثامن لابي عبد الله محمد القائم بأمر الله رأس هذه الدولة وكان دخوله اليه سنة ٦٦٤ هـ فاقام بدرعة ولم يزل نسله بها الى ان كانت المائة التاسعة للهجرة وانقرضت دولة بني مرين وتولى المغرب الدولة الوطاسية ولم تكن شوكتها كافية لضبط بلاد المغرب جميعه وضايقتها دولة البورتنال واستولت على كثير من ثغور ومدن المغرب كما مر ذكر ذلك في اخبار الدولة الوطاسية فلما رأى ابو عبد الله محمد القائم بأمر الله فشل ريج الوطاسيين حدثته نفسه بالملك . وكان اهل السوس يشعرون بعمد مقدرة الدولة الوطاسية على رد هجمات البورتنالين عنهم فضاقت بهم الامر جداً وصاروا يبحثون عن يولونه امرهم حتى استدلووا على الشريف ابي عبد الله محمد القائم بأمر الله بدرعة فذهبوا اليه وبايعوه سنة ٩١٥ هـ

(٦٨٥) ابر عبد الله محمد القائم بأمر الله بن عبد الرحمن

من سنة ٩١٥ - ٩٢٣ هـ او من سنة ١٥٠٩ - ١٥١٧ م

ولما بايعه اهل السوس سنة ٩١٥ هـ جمع الجموع وجند الجنود مظهرًا للجهاد البرتنال واخراجهم من المغرب وقتال من سالمهم من المسلمين (اذ لم يأت له اذ ذاك التصريح بخلع السلطان الوطاسي) فحارب البرتنالين وانتصر عليهم في عدة مواقع فتبين الناس بطمئنته وتفاءلوا بطائرته الميمون ونقيبته . واجتمع الناس عليه واطمأنت به في البلاد السوسية الدار وطاب له بها المقام والفرار . فلما رأى من الناس حسن الولاء اليه نديهم الى بيعة اكبر ولديه وهو الامير ابو العباس المعروف بالاعرج . ثم وفد عليه اشياخ حاحة والشيياضة لما بلغهم من حسن سيرته ونصرة لوائه

فشكروا اليه امر البرنقال ببلادهم وشدة شوكتهم واستطاعتهم عليهم وطلبوا منه ان ينقل اليهم هو وولده ولي العهد المذكور فاجابهم الى ذلك ونهض معهم هو وابنه ابو العباس الى الموضع المعروف بآفقال من بلاد حاحة بعد ان استخلف ابنه الاصغر ابا عبد الله محمد الشيوخ بالسوس ليرتب الامور ويمهد المملكة . واستمر ابو عبد الله القائم بامر الله بمكانه من آفقال مسموع الكلمة الى ان توفي سنة ٩٢٣ هـ

(٦٨٦) ابو العباس محمد بن ابي عبد الله محمد

من سنة ٩٢٣ — ٩٤٦ هـ او من سنة ١٥١٧ — ١٥٣٩ م

وتولى بعده ابنه وولي عهده ابو العباس احمد الاعرج ابن ابي عبد الله القائم بامر الله فسلط مسلط اليه من جهاد البرنقال وكانت له معهم وفائع مشهورة انتصر في جميعها حتى بعد صيته وانتشر في البلاد ذكره واهرع اليه الناس من كل جانب ودخلت في طاعته سائر البلاد السوسية وكتبه امرائه حنتاة اصحاب مراکش يخطبون مودته ويرومون الدخول في طاعته فاجاب داعيهم وانتقل الى مراکش فدخلها سنة ٩٣٠ هـ واستولى عليها

ولما استولى السلطان ابو العباس احمد الاعرج على مراکش وصفا له امرها اتصل خبره بصاحب فاس ابي عبد الله الوطاسي المعروف بالبرنقال فاقبل في جموع نديدة . فلما رأى ابو العباس ما لا طاقة له به تحصن ببراكش وشحن اموارها بالرماة والمقاتلة وزحف الوطاسي الى الحضرة فنصب عليها الانقاض ووالى عليها الرمي اياماً واشتد الامر على الناس . ثم بلغ ابا عبد الله الوطاسي بان بني عمه قاموا عليه بناس فأفرج عن مراکش وانكفأ مسرعاً الى فاس وبعد ان اسكن الفتنة بها عزم على اعادة الكرة على السعديين لكنه توفي قبل اتمام غرضه سنة ٩٣١ وتولى بعده اخوه ابو حسون ثم خلع سنة ٩٣٣ هـ وتولى بعده ابن اخيه ابو العباس احمد بن ابي عبد الله وهذا حالما جلس على كرسي السلطنة بفاس اهتم بامر السعديين وجمع الجموع انتقاماً فكانت له معهم وفائع مشهورة كوقعة آفماي ووقعة ابي عقبة وغيرها انتصر السعديون في جميعها فاضطر ابو العباس الوطاسي ان يعقد مع ابي العباس السعدي صلحاً يعترف له ببراكش والسوس واستقر كل منهما بعمله الى ان كان ما نذكره ان شاء الله تعالى

كان السلطان ابو العباس شجاعاً شامعاً حسن التدبير وكان اخوه ابو عبد الله الشيخ اصغر منه سناً وكان تحت طاعته . وكان السلطان ابو العباس يستشير به في اموره وبفواضله في مهماته ويستعين بخدماته في الحروب والمعارك ويسضي به برأيه في الحوادث الحوالك وكانت كلمتهما واحدة الى ان دخل بينهما الوشاة فافسدوا قلوبهما وافضى الحال الى الحرب والقتال وانقسم الجند حزبين وانصرفت كل طائفة الى متبوعها وبقائلا مدة . وكانت جل القبائل السوسية الى الشيخ منذ تركه ابوه عندهم عند انتقاله الى آفغال كما مر فاستفحل أمره وغلب على اخيه ابي العباس واستولى على ما بيده واجتمعت كلمة اهل السوس عليه ثم اودع اخاه واولاده السجن وكان ذلك سنة ٩٤٦ هـ

٦٨٧ - ابو عبد الله محمد المهرى المعروف بالشيخ ابيه ابي عبد الله

من سنة سنة ٩٤٦ هـ — ٩٦٤ هـ او من سنة ٥٣٩ — ١٥٥٧ م

ولما استقل ابو عبد الله الشيخ بالمملكة صرف عزمه الى جهاد البرنقاليين واخراجهم من المغرب فخار بهم وانصر عليهم واخرجهم من حصن فونتي سنة ٩٤٧ هـ ومن حصن اسفي سنة ٩٤٨ هـ . ولما رأى البرنقاليون شدة نكباته فيهم خانوا سطوته وتركوا اغلب ما ملكوه بالمغرب مثل حصن ازموور وغيره . وكان السلطان ابو عبد الله الشيخ بعد القبض على اخيه واستقلاله بالامر قد اقام بالبلاد السوسية مشابراً على جهاد البرنقال حتى قلع عروهم منها . وكانت مراکش في هذه المدة قد توقفت عن بيعته وترى عن الدخول في طاعته انقضاء للوطاسيين وارتياباً من امره الى ماذا يؤذل واستمر الحال الى سنة ٩٥١ هـ فانتادت له حيثاً وباعه اهلها فقدمها واستولى عليها . ولما صفت له مراکش واعمالها طمحت نفسه الى الاستيلاء على بقية بلاد الغرب وامصاره وقطع جرتومة الوطاسيين من سائر انظاره فجمع الجوع وتقدم بهم الى اعمال فاس فانتزع مكناسة ثم تقدم يفتح بلداً بلداً ومصرأ مصرأ الى ان اتى عليها اجمع واخيراً حاصر حضرة فاس والحاً عليها القتال حتى ضاق الامر على اهلها جداً فنزلوا على حكم السلطان ابي عبد الله الشيخ السعدي ونهضوا له ابواب المدينة فدخلها وذلك سنة ٩٥٦ هـ وقبض على ابي العباس احمد الوطاسي وقتله وجماعة من اهلها ولم ينج منهم الا ابو حسون بن محمد الشيخ الوطاسي فانه تمكن من الحرب ولحق بالجزائر

ولما فتح السلطان ابو عبد الله حضرة فاس في التاريخ المتقدم تافت نفسه الى الاستيلاء على المغرب الاوسط وكان يعز عليه استيلاء الترك عليه مع انهم اجانب من هذا الاقليم ودخلاء فيه فيقبح باهله وملوكه ان يتركهم يغلبون على بلادهم لا سيما وقد فر اليهم عدو من اعدائه وعيىص من اعياص افتاله فرأى الشيخ من الرأي واظهار القوة في الحرب ان يبدأهم قبل ان يبدأوه فنهض من فاس قاصداً تلمسان في جموعه الى ان نزل عليها وحاصرها تسعة اشهر وفتحها عنوة يوم الاثنين ٢٣ جمادي الاولى سنة ٩٥٧ هـ واخرج الترك منها . لكنه لم يستقر بها طويلاً حتى كرت عليه الاتراك واخرجوه من تلمسان فعاد الى مقره في فاس

ولم يزل ابو حسون بالجزائر عند تركها يحسن لهم الاستيلاء على المغرب حتى وافقوه واجابوه الى ما طلب وتقدم ابو حسون وجيش الترك بقيادة صالح باشا حتى اتوا فاساً فبرز اليهم السلطان ابو عبد الله الشيخ وفاتلهم لكنه انهزم اخيراً وفر من امامهم فاستولى ابو حسون والترك على فاس ودخلوها في ٣ صفر سنة ٩٦١ هـ اما السلطان ابو عبد الله الشيخ فلحق بمراكش وصرف عزمه لقتال ابي حسون فاستنفر قبائل السوس وجمع الجموع وزحف الى فاس فدارت بينه وبين سلطانها ابي حسون حروب شديدة كان الظفر في آخرها للشيخ فقتل ابا حسون واستولى على فاس وصفا له المغرب . وكان استيلاء السلطان الشيخ على فاس يوم السبت ٢٤ شوال سنة ٩٦١ هـ واستمر بها الى ان توفي مقتولاً قتله غيلة بعض مواليه سنة ٩٦٤ هـ في آخر ذي الحجة من السنة المذكورة

٦٨٨) ابو محمد عبد الله الغالب بالله بن محمد الشيخ

من سنة ٩٦٥ - ٩٨١ هـ أو من سنة ١٥٥٧ - ١٥٧٤ م

وتولى بعده ابنه ابو محمد عبد الله ولقب الغالب بالله ولم يحدث في أيامه فتن ولا حروب فساد الامن في البلاد وعم العدل وصرف هو همه الى اصلاح البلاد وبناء العمارات وتنشيط الزراعة والصناعة فحطت مراكش في أيامه خطوة واسعة في سبيل العظمة والتقدم وتوفي يوم الجمعة ٢٨ رمضان سنة ٩٨١ هـ فدفن بأسواق

عليه في قبور اجداده ومما كتب بالنعش على رخامة قبره هذه الايات :
 أيا زائري هب لي الدعاء ترحماً فاني الى فضل الدعاء فقيرُ
 وقد كان أمراؤهم مملوكهم اليّ وصيتي في البلاد شهير
 فها أنا ذا قد صرت ملقاً بحفرة ولم يغن عني قائد ووزير
 تزودت حسن الظن بالله راحي وزادي بحسن الظن فيه كثير
 ومن كان مثلي عالماً بجنائنه فهو بنيل العفو منه جدير
 وقد جاء ان الله قال ترحماً الى ما يظن العبد بي سيصير

(٦٨٩) ابو عبد الله محمد المتوكل على الله به عبيد الله

من سنة ٩٨١ - ٩٨٣ هـ أو من سنة ١٥٧٤ - ١٥٧٦ م

لما توفي السلطان الغالب بالله بحضرة مراکش كان ابنه محمد بفاس وكان
 ولي عهد ابيه فاجتمع اهل الحل والعقد بمراكش واستأنفوا له البيعة وكتبوا بها اليه
 وهو بفاس أوائل شوال سنة ٩٨١ هـ فبايعه اهل فاس وتم أمره وتلقب المتوكل
 على الله

ولما توفي السلطان الغالب بالله ابن السلطان محمد الشيخ كان اخواه ابو مروان
 عبد الملك بن محمد الشيخ وابو العباس احمد بن محمد الشيخ مقيمين بالجزائر وقد
 هربا اليها خوفاً على انفسهما منه فلما علما خبر موته داخلوا الترك المستولين على
 المغرب الاوسط في مساعدتهما على استخلاص المغرب لهما فاجاب الترك صريخهما
 وبعثوا معهما العساكر فتقدم أبو مروان عبد الملك واخوه ابو العباس بعساكر
 الترك حتى انتهوا الى الموضع المعروف بالركن من احواز فاس . فلما سمع السلطان
 أبو عبد الله محمد المتوكل على الله بذلك برز لقاتلهم بنفسه ولما انتفى الجمعان خاف
 علي المتوكل على الله اغلب عساكره وانضموا الى جيش عميه فلما رأى المتوكل
 على الله ذلك ارتاع جدها وأيقن الهزيمة وانقلب راجعاً الى فاس وبعد أن أخذ

منها ما يميز عليه من الذخيرة خرج على وجهه الى مراكش لا يلوي على شيء
وذلك في شهر ذي الحجة سنة ٩٨٣ هـ

٩٦٠ - أبو مروان عبد الملك المنصم بالله بن محمد الشيخ

من سنة ٩٨٣ - ٩٨٦ هـ أو من سنة ١٥٧٦ - ١٥٧٨ م

ولما انهزم المتوكل على الله واجفل الى مراكش تقدم عمه أبو مروان الى
فاس فدخلها واستولى عليها يوم الاحد ٧ ذي الحجة سنة ٩٨٣ هـ وبأبيه اهلها
وتلقب بالمنصم بالله ثم طمحت نفسه الى اتباع ابن أخيه الى مراكش ولم عزم
على النهوض اليه طالبه الترك بأن يردم الى بلادهم وان يعطيهم ما اشترط عليه
من المال فأعطاهم ما طابت به نفوسهم وركب لوداعهم الى نهر سيوا ثم رجع
الى فاس

ثم نهض السلطان عبد الملك من فاس في جنده وتقدم الى البلاد المراكشية
قاصداً حرب ابن أخيه ونشر يده عنها . ولما سمع ابن أخيه بخروجه اليه وقصده
ايابه تنهياً لملاقاته وسار الى منازلته فالتقى الجمعان بموضع يسمى خندق الريحان
بالقرب من احواز سلا فكانت الهزيمة ابضاً على المتوكل على الله وفر من المعركة
ولحق بمراكش فقبضه أبو العباس أحمد بن محمد الشيخ فلما سمع المتوكل بإتباعه فر
عنها الى جبل درن ودخل أبو العباس أحمد مراكش زنباً عن أخيه وأخذ له
البيمة على اهلها ثم لحق به السلطان أبو مروان عبد الملك فدخلها يوم الاثنين ١٩
ربيع الثاني سنة ٩٨٤ هـ وبعد أن أقام بها أياماً خرج في طلب ابن أخيه فلم
يقفله على أثر فماد الى مراكش وأقام بها وبث أخاه أبا العباس أحمد الى فاس
نائباً عنه بها

اما أبو عبد الله المتوكل على الله فبعد فراره عن مراكش جعل يجول بلاد
السوس ويتنقل في قبائلها واحياؤها الى أن التفت حوله عصاة قوية ففادهم وجاء

بهم الى مراکش فسمع به السلطان أبو مروان فخرج للاقائه فحالفه المتوكل وسلك طريقاً غير طريقه وقصد مراکش فدخلها باتفاق أهلها . وبلغ الخبر إلى مروان باستيلاء المتوكل على مراکش فرجع عوده على بدئه إلى أن وافى الحضرة فحاصره بها وكتب إلى أخيه أبي العباس أحمد عامله على فاس أن يأتيه بجيش منها فأتاه به أحمد مسرعاً . ولما جاء أحمد بجيش فاس أسلم المتوكل شيعته من أهل مراکش وفر إلى السوس وتبعه أحمد وكانت بينهما حروب انتصر فيها أحمد . أما أهل مراکش فبقوا متمادين على الحصار إلى أن اتفق السلطان أبو مروان مع اعيان جراوة فادخلوه من بعض الاسوار والانقاب واستولوا عليها

أما المتوكل على الله فإنه بعد تولي المهزائم عليه فر إلى جبل درن ومنه إلى باديس فاقام بها مدة ثم ذهب إلى سبتة ثم دخل طنجة واستنجد بدون سباسبان ملك البرتغال فاعتنمها فرصة لتدخل في شؤون المغرب فنهض بجيش كثيف قبل بلغ . ٤ ألفاً واجاز البحر إلى طنجة ومن هناك تقدم بجيشه ومعه أبو عبد الله محمد المتوكل على الله إلى داخل بلاد المغرب واكتسح أطرافه . ولما علم السلطان عبد الملك بقدم هذا الجيش العرمرم استنفض همه أهل المغرب الجهاد العدو وطاول الفرنج حيلة منه لكي يتوغلوا في داخلية البلاد فينقض عليهم . فلما وصل البرتغاليون إلى وادي المخزن وجدوا جيش المسلمين على استعداد تام لقتالهم فالتقى الجمعان يوم الاثنين . ١٠ من ربيع الثاني سنة ٩٨٦ هـ الموافق ١٤ أغسطس سنة ١٥٧٨ م فدارت بينهما حرب شديدة انتصر فيها المسلمون انتصاراً مبيناً وكسروا البرتغاليين كسرة شديدة وقتلوا ملكهم سباسبان ولم ينج منهم إلا طويل العمر . ومن الغريب أن السلطان أبا مروان عبد الملك لم يعلم بنتيجة هذه الحرب لأنه توفي عند الصدمة الأولى وكان مرضاً فكتب حاكمه مولاه رضوان خبر موته . صار يصدر الأوامر إلى قواد الجيش عن لسانه حتى تم الظفر للمسلمين وقتل المتوكل في هذه الواقعة أيضاً

٦٩١ - ابو العباس احمد المنصور به محمد الشيخ

من سنة ٩٨٦ - ١٠١٢ هـ او من سنة ١٥٧٨ - ١٦٠٣ م

وبعد ان توفي السلطان ابومروان عبد الملك وكنتم حاجبه خبر موته حتي تم النصر
للمسلمين كما تقدم ذاع الخبر حينئذ وبايع اهل المغرب لاختيه ابي العباس احمد
ولقب المنصور

وكان السلطان المنصور شجاعاً مقداماً حسن التدبير عظيم السياسة فساس
الرعية بحكمة وفطنة لا مزيد عليهما حتي عم العدل وساد الامن وبلغت دولة
مراكش في ايامه الى اعلى درجات القوة والعظمة وهو اعظم سلاطين هذه الدولة
السعدية لم يتم قبله منها ولا قام بعده من هو اعظم منه . وكان محباً للفز والفتح
فطامحت نظاره الى التغلب على بلاد ليكوارين وتوات من ارض الصحراء فبعث
اليها جيشاً كثيفاً وبعد قتال شديد انتصر جيش المنصور واستولى على تلك النواحي
سنة ٩٩٠ هـ فذاع صيت السلطان المنصور في اقطار السودان وارسل اليه سلطان
برنو يهاديه ويدخل في بيعته فقبل المنصور منه ذلك . ثم سمت همة المنصور
الى الاستيلاء على جميع بلاد السودان ولكنه تهب من ذلك وصار يقدم رجلاً
ويؤخر اخرى الى ان كانت سنة ٩٩٧ هـ فقوي عزمه واشتغل بتجهيز آلة الحرب
وما يحتاج اليه الجيش من آلة السفر ومهمات وبعده ان تم له تجهيز ما اراد ارسل
جيشاً كثيفاً بقيادة مولاة جوذر باشا فنهضوا من مراكش في يوم ١٦ ذي الحجة
سنة ٩٩٨ هـ فمروا بتانسفيت ثم بدرعة ثم دخلوا القفر وساروا الى مدينة تنبكتو
فغر السودان فاراحوا بها اياماً ثم ساروا قاصدين كاغو وملكها اسحق سكية . ولما
سمع اسحق سكية بقدومهم اليه احتشد امم السودان وقبائله وبرز لقتال اهل
المغرب والتقى الجمعان وتقاتلا وصبر اهل السودان امام نار المدافع صبراً لم يسمع
بمثله حتي فني اغلبهم فلاذ الباقيون بالفرار ودخل السلطان اسحق سكية كاغو وتحصن
بها وتقدم جوذر باشا بعساكره وحاصره وضيق عليه فلما رأى اسحق سكية ما هو

فيه من الشدة راسل جوذر باشا في الصلح على ان يدفع له حالا مصاريه الحرب
وجزية سنوية وكانت عساكر جوذر باشا قد تعبت من القتال بعد هذا السفر الطويل
فتقبل منه هذا الصلح وعاد الى تنبكتو ومن هناك كتب الى السلطان المنصور
بالنصر وبما اتفق عليه من امر الصلح وانتظر الجواب . ولما بلغ المنصور خبر الصلح
اشتد غيظه على جوذر باشا وبعث عسكرياً آخر بقيادة محمود باشا أخى جوذر
باشا وقلده القيادة العامة لعساكره وعزل جوذر باشا وأمره أن يستولى على كاغو
ويقطع منها دابر آل سكية المستولين عليها . فخرج محمود باشا في من معه وقطع
القفر في نصف المدة التي قطعه فيها جوذر باشا ووصل الى تنبكتو سنة ١٠٠٠ هـ
فأراح بها ثلثاً واتحد مع عساكر جوذر باشا ثم تقدم بالجميع الى مدينة كاغو قاعدة
ملك السلطان اسحق سكية . فجمع اسحق جيشاً أكثر من الاول وبرز للقائه محمود
باشا ومن معه وبعد قتال شديد انهزم اسحق سكية وفر الى القفر فتقدم محمود باشا
ودخل مدينة كاغو واستولى عليها باسم السلطان المنصور . وبعد ان استراح بها
اياماً ترك اخاه جوذر باشا بمدينة كاغو وخرج هو ينتبع السلطان اسحق سكية
فكانت له معه ثلاث وقائع انتصر محمود باشا في جميعها واستولى على اموال اسحق
سكية وحرره وفر الى القفر وهلك فيه . ثم عاد محمود باشا الى مدينة كاغو وكتب
الى مولاه المنصور بالفتح . ولما بلغه هذا الفتح كان عنده ذلك اليوم عبداً من
الاعباد اخرج فيه الصدقات واعتق العبيد واقام مهرجاناً عظيماً بظاهر الحضرة ونظم
الشعراء قصائدهم ورفعوا امداحهم واجازهم بما تحدث به الناس دهر اطويلا ومما قيل
في ذلك من الشعر ما انشده الكاتب ابو فارس القشغري

جيش الصباح على الدجا متدفق	فياض ذا لسواد ذلك يمحق
وكانه رايات عسكريه التي	طلعت على السودان بيضاً تخفق
نشرت لبطوي منه ايلا دامساً	اضحى بسيفك ذي الفقار يمزق
ارسلته جوائحاً وجوارحاً	في كل مغلبيها غراب ينشق
سحقاً لاسحق الشقي وحزبه	فلقد غدا بالسيف وهو مطوق

رام النجاة وكيف ذاك وخلفه من جيش جوذرك الغضنفر فيلق
جيش اواخره يبابك سيله عرم وارله بكاغو محقق
وهي طويلة :

ومن آثار المنصور قصر البديع الذي بناه في حضرة مراكش وصرف عليه
اموالاً طائلة واستغرق بناؤه من سنة ٩٨٦ - ١٠٠٢ هـ حتى جاء قصرًا يقصر
الاسان عن وصفه ومما قبل فيه

كل قصر بعد البديع يذم فيه طاب المجني وطاب المشم
منظر رائق وماء ندير وثرى عاطر وقصر اشم
ان مراكشاً به قد تباغت مفخرًا فهي املا الدهر تسو

وبقي المنصور كل مدة ملكه سلطاناً مطاعاً مهيأً لم ينزعه الامر احد الى ان
كانت سنة ١٠٠٣ هـ فثار عليه الناصر ابن السلطان الغالب بالله وكان من خبره
انه كان في ايام ابيه عاملاً له على تادلا ولما توفي ابوه وقام بالامر اخوه المتوكل
قبض على الناصر فاعتقله فلم يزل معتقلاً عنده سائر ايامه الى ان قدم المعتصم
بالله بجيش الترك وانتزع الملك من يد المتوكل كما مر فاطلق الناصر من اعتقاله
واحسن اليه فلم يزل عنده في ارغد عيش الى ان توفي المعتصم يوم وادي الخازن
وافضى الامر الى المنصور ففر الناصر الى اصيل وهو للفرنج يومئذ ثم عبر البحر منها
الى اسبانيا وبقي بها مدة طويلة الى ان سرجه ملك اسبانيا الى المغرب بقصد تفريق
كلمة المسلمين واحداث الشقاق بينهم فخرج الناصر بمليّة ونزل بها في ٣ شعبان سنة
١٠٠٣ وتسامعت به الفوغاء والطغام من اهل تلك البلاد فاقبلوا اليه وتوفرت
جيشه واهتز المغرب بأسره لذلك . ثم خرج الناصر من مليّة قاصداً تازا فدخلها
واستولى عليها ونزحت اليه القبائل المجاورة كالبُرانس وغيرهم ولما بلغ المنصور خبره
اهمه الامر جدّاً وخاف العاقبة وبعث اليه جيشاً وافراً فهزمهم الناصر واستفحل
امره وتمكن ناموسه . فارسل المنصور اليه جيشاً كثيفاً بقيادة ابنه وولي عهده
الأمور فخرج اليه في تعبئة حسنة وهيئة تامة فلما التقى الجمعان انهزم الناصر وفر

من الممركة فتبعه المأمون حتى قبض عليه واحتز رأسه وارسله الى ابيه المنصور
بمراكش وذلك سنة ١٠٠٥ هـ ورجع المأمون الى فاس واستقر بها الى ان كان
من ثورته على ابيه ما يأتي ذكره

كان محمد الشيخ ابن السلطان المنصور الملقب بالمأمون عاملاً لايه على فاس
ولكنه كان سيء السيرة مدمناً للخمر سفاكاً للدماء غير مكترث بامور الدين . فلما
علم الناس منه هذا الفساد شكوا امره الى والده المنصور فارسل اليه ينصحه فلم
ينتصح ويردعه فلم يرتدع . فلما رأى المنصور ما عليه ابنه من خلافه وعدم
طاعته لاوامره عزم على الذهاب الى فاس ليؤدب ابنه بما يكون رادعاً له وعبرة
لغيره فسمع المأمون بالخبر فعزم على اللحاق بتهلسان واستنجد الترك على ابيه .
فلما بلغ المنصور ما عزم عليه ابنه المأمون من الذهاب الى تهلسان تخلف عن
الخروج من مراكش وكتب الى ابنه يلاطفه ويأمره ان لا يفعل وولاه سجلماسة
ودرعة وتخلي له عن خراجهما فاظهر المأمون الامتثال وخرج يوم سجلماسة فلما انفصل
عن فاس ندم ورجع اليها واجمع على الانتفاض . ولما علم المنصور بالخبر خرج في
جيش كثيف الى فاس وسبق خبره وبغت المأمون على حين غفلة منه فلما رأى
عساكر ابيه قد احاطت به لاذ بالفرار فارسل المأمون من يتعقبه فقبض عليه واتى
به الى ابيه في خبر طويل فاعقله بسجلماسة ودخل المنصور دار الملك من فاس
الجديد وشكر الله على ما اولاه من الظفر والنصر من غير اراقة دماء وذلك
سنة ١٠١١ هـ

وفي سنة ١٠١٢ هـ انتشر الوباء بالمغرب فتوفي به المنصور بفاس يوم الاثنين
١٦ ربيع سنة ١٠١٢ هـ ودفن بفاس ومما نقش على رخامة قبره هذه الايات

هذا ضريح من غدت	به المعالي	تفتخر
احمد منصور اللوا	لكل	مجد مبتكر
يا رحمة الله اسرعي	بكل	نعمى تستمر
وباكري الرمس بما	من	رضاه منمهر

وطيبي ثراه من نذ كذكره العطار
وافق تاريخ الوفاة دون تنفيذ ذكر
مقعد صدق داره عند ملك مقتدر

٦٩٢ - ابو المعالي زبير بن به احمد المنصور

سنة ٥١٠١٢ هـ أو سنة ١٦٠٣ م

لما توفي احمد المنصور تولى بعده ابنه ابو المعالي زيدان فاس وكان اخوه
ابو فارس بمراكش فاخذ البيعة على اهلها لنفسه . ولما علم زيدان بمبايعة اهل
مراكش لاختيه ابي فارس خرج من فاس لقتالهم فاخرج ابو فارس اخاه المأمون
من محبسه وامتد بجيش كثيف لقتال زيدان بعد ان اخذ عليه الموائيق ان لا
ينتقض عليه اذا تم له النصر فبرز المأمون وقاتل زيدان وانتصر عليه وهرب
زيدان الى فاس فتعقبه المأمون اليها فهرب منها ولحق بتلمسان واقام بها الى ان
كان من خبره ما ذكره ان شاء الله تعالى

٦٩٣ - ابو فارس بن احمد المنصور

من سنة ١٠١٢ - ١٠١٥ هـ او من سنة ١٦٠٣ - ١٦٠٦ م

واستقر ابو فارس بملك مراكش واستتب امره الا انه لم يهنأ بالملك لان اخاه
محمد الشبيخ المأمون لما طرد ابا المعالي زيدان من فاس واستولى عليها طلب
البيعة من اهلها لنفسه فأجابوه الى ما طلب وبعد ان استقر امره بها ارسل جيشاً
بقيادة ابنه عبدالله لاستخلاص مراكش من اختيه ابي فارس . فسار عبدالله بن
الشبيخ لحرب عمه وبرز عمه ابو فارس للاقائه وبعد قتال شديد انهزم ابو فارس
ونهب محلة وفر هو بنفسه الى مسفيوة ودخل عبدالله بن الشبيخ مراكش في ٢٠

شعبان سنة ١٠١٥ هـ واخذ البيعة على اهلها لاييه . اما ابوفارس فبقي قاراً الى ان قتل سنة ١٠١٨ هـ

٦٩٤ - محمد الشيخ المأمون به احمد المنصور

من سنة ١٠١٥ - ١٠١٧ هـ او من سنة ١٦٠٦ - ١٦٠٩ م

فخلص المغرب للسلطان محمد الشيخ الملقب بالمأمون . وكان السلطان زيدان ابن احمد (فصل ٦٩٢) لما فر من فاس الى تلمسان كما مر اقام بها مدة واستمد ترك الجزائر فلم يصغوا له فلما يش منهم توجه الى سجلماسة فدخلها من غير قتال ثم انتقل عنها الى درعة ومنها الى السوس . وكان عبدالله بن الشيخ لما استولى على مراکش من يد عمه ابي فارس واستولى عليها وخطب فيها لاييه اساء السيرة بما لا طاقة للناس باحتماله فلما اشتدت وطأته على المراكشيين بعثوا الى السلطان زيدان بمكانه من بلاد السوس وطلبوا اليه ان يقدم اليهم على ان ينصروه على امره فقدم اليهم واخرج عبدالله بن الشيخ من مراکش واستقر بها وذلك في اواخر سنة ١٠١٥ هـ

اما عبد الله بن الشيخ ففر ناجياً بنفسه الى ابيه بفاس فلما رأى السلطان محمد الشيخ ما حل بابنه قامت قيامته وجهز جيشاً كثيفاً وسيره بقيادة ابنه عبد الله المذكور لقتال السلطان زيدان فتقدم عبد الله بن الشيخ في عساكر ابيه الى مراکش فوصلها في شعبان سنة ١٠١٦ هـ وبرز السلطان زيدان لقتاله لكنه انهمز امامه وفر ناجياً بنفسه وظل يتنقل بالجبال الشائخة الى ان كان من خبره ما سنده انه ان شاء الله تعالى . ودخل عبد الله بن الشيخ مراکش واستولى عليها واساء السيرة في اهلها اكثر من الاول حتى ضاق الامر على المراكشيين جداً . واخيراً هربت شرذمة من اهل مراکش الى جبل جيليز واجتمع هناك منهم عصابة واتفق رأيهم على ان يقدموا للخلافة محمد بن عبد المؤمن ابن السلطان محمد

الشيخ (فصل ٦٨٧) وكان رجلاً خيراً ديناً فبايعه اهل مراكش هنالك والتفوا عليه فخرج عبد الله بن الشيخ لقتالهم واقتبض على اميرهم المذكور ولما التقى الجمعان انهزم عبد الله وولى اصحابه الادبار فخرج من مراكش مهزوماً في ٦ شوال سنة ١٠١٦ هـ ودخل محمد بن عبد المؤمن مراكش واستولى عليها لكنه احسن الى من بقي فيها من اصحاب عبد الله بن الشيخ فأساء ذلك اهل مراكش وكاتبوا السلطان زيدان بالجبل سرّاً فاتهم وخيم بظاهر البلد فخرج محمد بن عبد المؤمن الى لقائه فانهمزم ابن عبد المؤمن ودخل السلطان زيدان مراكش واستولى عليها. ولما باغ السلطان محمد الشيخ صاحب فاس خبر استيلاء السلطان زيدان على مراكش ثانية ارسل اليه جيشاً كثيفاً بقيادة ابنه عبد الله بن الشيخ فبرز السلطان زيدان وقاتلهم وهزمهم واخذن فيهم وفرّ عبد الله ناجياً بنفسه وسمع الشيخ بهزيمة ابنه فخاف العاقبة وخرج من فاس ولحق بالعرانش واحتل بالقصر الكبير ولحق به هناك ابنه عبد الله منهزماً امام السلطان زيدان . ثم بعث السلطان زيدان جيشاً بقيادة قائد عساكره مصطفى باشا لمانازلة فاس فسار اليها واستولى عليها في ذى القعدة سنة ١٠١٧ هـ

٦٩٥ ابو المعالي زبير بن احمد المنصور (ثانية)

من سنة ١٠١٧ - ١٠٣٧ هـ او من سنة ١٦٠٩ - ١٦٢٧ م

وتقدم السلطان زيدان ودخل مدينة فاس واقام بها الى فاتح سنة ١٠١٨ هـ ثم اتصل به خبر قيام بعض الثوار عليه بناحية مراكش فنهض اليها بعد ان استخلف على فاس قائد جيوشه مصطفى باشا ولما اتصل خبر نهوضه بعبد الله بن الشيخ زحف الى فاس في من انضم اليه فبرز اليه مصطفى باشا والتقى الجمعان ودارت بينهما رحى الحرب واجلت الوقعة عن مقتل مصطفى باشا وانهزام عساكره ودخل عبد الله بن الشيخ فاساً وذلك في يوم ١٧ ربيع الثاني سنة ١٠١٨ هـ

ولما سمع السلطان زيدان وهو بمراكش بمقتل مصطفي باشا نهض الى فاس وجاء على طريق الجبل وكان الاسبانيون يومئذ قد نزلوا على العرائش وحاولوا الاستيلاء عليها وذلك باذن الشيخ كما سيأتي . وكان عبد الله بن الشيخ بفاس فسمع بنزول الاسبانيين على العرائش فتهباً لجهادهم . وبينما هو قد نهض لذلك اذ أقبل السلطان زيدان من ناحية أدخسان وقد انزل بها محلته وتقدم الى جهة فاس وضرب بانقاضه فانهمز الناس عن عبد الله ودخل السلطان زيدان فاساً وامر عساكره بنهبها فلم يبقوا لاهلها شيئاً . ثم جمع عبد الله بن الشيخ جموعاً واعاد الكرة وقاتل السلطان زيدان وهزمه واخرجه عن فاس واستولى عليها . اما السلطان زيدان فلما اعياء امر فاس أعرض عنه وصرف عنايته الى ضبط ما خلف وادي أم ربيع الى مراكش واعمالها وتوارث بنوه سلطته على ذلك النحو من بعده . وبقي عبد الله بن الشيخ بفاس الى أن توفي وقام بأمر فاس من بعده ثوارها وسيابها على ما نذره ان شاء الله تعالى . والآن نذكر خبر استيلاء الاسبانيين على العرائش فنقول . قد تقدم لنا ما كان من خبر السلطان محمد الشيخ المأون وفراره الى العرائش فبعد ان أقام بها مدة ركب البحر الى اسبانيا مستنجداً بملكها فاشترط عليه فيليب الثالث ملك اسبانيا أن ينزل له عن ثغر العرائش فاجابه الشيخ الى ما طالب فسير معه عسكراً فاستولى على العرائش في ٤ رمضان سنة ١٠١٩ هـ وسلمها الى الاسبانيين كما شرط على نفسه ثم تقدم الى تطاوين واستولى عليها . ولم يزل السلطان الشيخ يحول في بلاد الفحص ويعسف اهلها الى ان ملته القلوب واتفق الناس على قتله لما رأوا من انحلال عقيدته فقتلوه في ٥ رجب سنة ١٠٢٢ هـ

وفي سنة ١٠٢٠ هـ ثار على السلطان زيدان شخص يدعى ابا العباس احمد ويعرف بابي محلي وادعى انه من نسل العباس بن عبد المطلب فكثير جمعه وقوى امره وطمع في الملك فتقدم الى سجلماسة واستولى عليها . ثم استولى على درعة وتقدم الى مراكش فبرز السلطان زيدان لقاتله فانهمز امامه ودخل ابن ابي محلي مراكش

واستولى عليها سنة ١٠٢١ هـ . اما السلطان زيدان فلحق ببلاد السوم واستنجد
بكبيرها ابي زكريا يحيى بن عبد المنعم فانجده بجيش من اهل النجدة فتقدم بهم الى
مراكش وقاتل ابن ابي محلي وقتله واستخلص منه مراكش سنة ١٠٢٢ هـ وفي
الحرم فاتح سنة ١٠٣٧ هـ توفي السلطان زيدان

٦٩٦ - ابو مروان عبد الملك بن مروان

من سنة ١٠٣٧ - ١٠٤٠ هـ او من سنة ١٦٢٧ - ١٦٣١ م
ولما توفي السلطان زيدان بويع بعده ابنه عبد الملك ولما تمت له البيعة ثار
عليه اخواه الوليد واحمد فوَقعت بينه وبينهما معارك وحروب الى ان هزمهما
واستولى على ما كان يدهما وفر احمد الى بلاد الغرب فدخل حضرة فاس يوم
الجمعة ٢٥ صفر سنة ١٠٣٩ هـ فتسم بسمه السلطان وضرب سكتته . وفي ٣ شوال
من السنة عدا احمد المذكور على ابن عمه محمد بن الشيخ المعروف بزغودة فقتله
غدرًا بالقصبة . ولما كان ١١ ذي الحجة سنة ١٠٣٩ هـ اخذ احمد المذكور وسجن
بفاس الجديد على يد قائدهم عابو باها وبقي مسجونًا سبع سنين ثم خرج مستخفيًا
بين نساء سنة ١٠٤٦ هـ واعان العامة بنصره ولم يتم امره ثم توفي قتيلاً في ٢٤
ذي القعدة سنة ١٠٥١ هـ . وقد اتينا على ذكر اخبار احمد المذكور ملخصاً فيما مر
وان تجاوزنا التاريخ وذلك لقلّة اخباره وعدم تشييت فكر القاري الكريم
ولنعود الى ذكر السلطان عبد الملك فانه لما استقر امره بمراكش اساء السيرة
في اهلها جداً فانتهز أخوه الوليد الفرصة وأخذ يستميل رؤساء الدولة ووجوهها
الى نفسه ويعدم بالاحسان حتى وافقوه على الفتنك باخيه فترصدوه حتى غفل
البوابون ودخلوا عليه قبته وهو متكئ على طنفته فرموه برصاصة وتناولوه بالخناجر
وقامت الهيعة بالمشور والقصبة فخاف الوليد على نفسه من بعض قواد الجند فاخرج
جنازة اخيه الى المشور حتى شاهد الناس ميتاً فسكتوا وانقطع امهم . وكان مقتل
عبد الملك يوم الاحد ١٦ شعبان سنة ١٠٤٠ هـ

٦٩٧ - ابو يزيد الوليد بن زبير

من سنة ١٠٤٠ - ١٠٤٥ هـ او من سنة ١٦٣١ - ١٦٣٦ م

لما قتل السلطان عبد الملك بن زيدان في التاريخ المتقدم ببيع اخوه الوليد ابن زيدان وكان الوليد لين العريكة منظاهراً بالديانة حتى رضيته الخاصة والعامة الا انه كان شديد الوطأة على الاشراف من اخوته وبني عمه حتى افنى اكثرهم وكان مع ذلك محباً للعلم والعلماء ماثلاً اليهم بكليته متواضعاً لهم . ولم يزل امره مستقراً بمراكش الى ان قتله بعض مماليكه يوم الخميس ١٤ رمضان سنة ١٠٤٥ هـ

٦٩٨ - ابو عبد الله محمد بن زبير

من سنة ١٠٤٥ - ١٠٦٤ هـ او من سنة ١٦٣٦ - ١٦٥٣ م

لما قتل السلطان الوليد كما تقدم اختلف الناس في من يولونه عليهم ثم اجمع رأيهم على مبايعة اخيه محمد الشيخ فاخرجوه من السجن وكان اخوه الوليد قد سجنه اذ كان يتخوف منه الخروج عليه فبيع بمراكش يوم الجمعة ١٥ رمضان سنة ١٠٤٥ هـ . فسار في الناس سيرة حميدة وكان متواضعاً في نفسه صفوحاً عن الهفوات محباً للسلم غير مبال لسفك الدماء الا انه كان منكوس الراية مهزوم الجيش وبسبب ذلك لم يصف له مما كان بيد ابيه واخوته الا مراكش وبعض اعمالها وقد ثار عليه رجل من هشتوكة خارج باب الخميس من مراكش وقاسى في محاربه تبعاً شديداً ولم يزل يناوشه القتال الى ان كانت له عليه الكرة ففرق جمعه ثم خرجت عليه ايضاً قبيلة الشياظمة فقصدتهم والتقى بجموعهم عند جبل الحديد فانهمز هزيمة شنعاء . وفي ايام السلطان محمد الشيخ ابن زيدان قويت شوكة اهل الدلاء وزحف كبيرهم محمد الحاج الدلائي بمساكر البربر الى مكناسة فاستولى

عليها ثم تقدم الى فاس فاعترضه ابو عبد الله العياشي المستولي عليها في ذلك الوقت
بجموع اهل المغرب ووقعت الحرب بينهما فانهمز العياشي وسار محمد الحاج
لحصار فاس فرجع العياشي واعاد حرباً ثانية فانهمز محمد الحاج وعاد الى بلاده
وذلك سنة ١٠٥٠ هـ وفي سنة ١٠٥١ هـ توفي العياشي صاحب فاس فطمع محمد
الدلائي في الاستيلاء عليها وتقدم اليها في جموعه وحاصرها ستة اشهر حتى ضاق
الامر باهلها وغلّت الاسعار فطلبوا الامان فامنهم واستولى على فاس واستفحل
امره وكان بينه وبين السلطان محمد الشيخ وقمة ابي عقبة فانهمز فيها السلطان
وعجز عن مقاومة اهل الدلاء

وفي سنة ١٠٦٤ هـ توفي السلطان محمد الشيخ ابن زيدان وتولى بعده ابنه

٦٩٩ - ابو العباس احمد بن محمد الشيخ

من سنة ١٠٦٤ - ١٠٦٩ هـ او من سنة ١٦٥٣ - ١٦٥٨ م

فقام مقام ابيه في جميع ما كان يده الا ان حي الشبانات وهم اخواله قويت
شوكتهم في ايامه وغلظ امرهم عليه ووثبوا على الملك وراموا الاستبداد به فضايقوه
وحاصروه بمراكش اشهرًا . ولما رأت امه ان الامر لا يزيد الا شدة كلمته في
ان يذهب الى اخواله يأخذ بقلوبهم ويزيل ما في نفوسهم عليه . فذهب اليهم
فلما تمكنوا منه قتلوه في سنة ١٠٦٩ هـ وهو آخر من ملك من هذه الدولة وبموته
انقرضت الدولة السعدية وسبحان من لا يزول ملكه ولا يبيد سلطانه لا اله الا هو
هو العزيز الحكيم

وبما ان دولة الشبانات التي استولت على مراكش بعد انقراض الدولة
السعدية لم تطل مدتها رأيت ان اذكرها هنا اتماماً لفائدة

لما قتل ابو العباس احمد بن محمد الشيخ في التاريخ المتقدم تقدم كبير حيي
الشبانات وهو الرئيس عبد الكريم فدخل مراكش ودعا الناس الى بيعته فبايعوه بها

وانتظمت له مملكة مراكش ونواحيها . وفي ايامه في سنة ١٠٧٠ هـ حدث قحط مفرط بلغ الناس فيه غاية الضرر حتى اكلوا الجيف ولم يزل مستقيم الرأي بمراكش الى ان توفي بها سنة ١٠٧٩ هـ . ولما توفي بايع الناس ولده ابا بكر بن عبد الكريم فبقي الى ان قدم المولى الرشيد بن الشريف وتقبض عليه وعلى عشيرته فقتلهم . ثم تتبع الشبانات فافنام قتلًا واخرج عبد الكريم من قبره فاحرقه بالنار وانقرضت دولة الشبانات والبقاء لله وحده

٧٠٠ - دولة الاشراف العلوية الفيلالية بمراكش

(تمهيد) تدعى هذه الدولة بدولة الاشراف لان اتصال نسبهم بالبيت النبوي الشريف وبالعلوية نسبة الى الامام علي بن ابي طالب وبالفيلالية لقيامها بتافيلات . وأول من ملك من هذه الدولة المولى محمد بن محمد الشريف بن علي بن محمد بن علي بن يوسف بن علي بن الحسن بن محمد بن الحسن الداخل ابن القاسم بن محمد بن القاسم بن الحسن بن عبد الله بن ابي محمد بن عرفة بن الحسن بن ابي بكر بن علي بن حسن بن احمد بن اسماعيل بن القاسم بن محمد بن عبد الله الاشراف بن محمد النفس الزكية ابن عبد الله بن الحسن المثنى ابن الحسن السبط ابن علي بن ابي طالب . واول من دخل منهم بلاد المغرب الحسن الداخل ابن القاسم بن محمد بن القاسم الى آخر النسب . وكان دخوله في اواخر المائة السابعة فاقام بسجلماسة وعاقب بها نسله الى ان فشلت ريج السعديين وانحصر ملكهم في مقاطعة مراكش وبقي باقي المغرب تحت رحمة الثوار يتغلب عليه كل من حدثته نفسه بالسيادة وساعده الوقت . وفي ايام السلطان زيدان بن المنصور السعدي ظهر شخص يقال له ابو حسون السملالي واستولى على القطر السوسي اولاً ثم تناول درعة . وكان محمد الشريف بن علي بسجلماسة . وكان له اعداء يقال لهم بنو الزبير اهل حصن تابوعصامت فضايقوه وهو لم يقدر على دفعهم فاستدعى ابا

حسون السملالي صاحب السوس ودرعة ونزل له عن سبجلماسة على ان يدفع عنه اعداءه وكان ذلك سنة ١٠٤١ هـ فاستولى ابو حسون السملالي على سبجلماسة وصارت بينه وبين المولى محمد الشريف بن علي صداقة متينة فاعتظ بنو الزبير اهل حصن تابو عصامت وسموا جهدهم في الوشاية لدى السملالي حتى وقعت بينه وبين الشريف عداوة عظيمة . وكان للشريف ابن يدعى محمداً فهذا لما رأى سعي اهل الحصن بالفساد على ابيه جمع جمعاً ممن وافقوه وهجم على الحصن المذكور على حين غفلة من اهله واثخن فيهم وبالع في النكاية حتى شفى صدر ابيه مما كان يجده عليهم . ولما بلغ الخبر لابي حسون السملالي اغتاض جداً وارسل لعامله على سبجلماسة ان يمتثل في القبض على الشريف . فامثل امره وتقبض على المولى الشريف وبعث به الى السوس فاعتقله ابو حسون في قلعته هنالك مدة الى ان افتكه والده المولى محمد بال جزيل وعاد المولى الشريف الى سبجلماسة في خبر طويل وكان ذلك في حدود سنة ١٠٤٧ هـ

٧٠١ - المولى محمد بن الشريف

من سنة ١٠٥٠ - ١٠٧٥ هـ او من سنة ١٦٤٠ - ١٦٦٤ م

لما قبض ابو حسون على المولى الشريف وسجنه عنده كان ولده المولى محمد مجعاً على اهلاك من بقي من اهل حصن تابو عصامت واستئصال شأفتهم وكان قد تقوى عضده بعض الشيء بما اخذه من اموالهم في الوقعة السالفة فاتخذ بعد تغريب ابيه الى السوس جيشاً لا بأس به . وانضم اليه جمع من اهل سبجلماسة واعمالها . وكان اصحاب ابي حسون السملالي قد اساءوا السيرة بسبجلماسة وانصبوا بحالة الطمع في الناس حتى ملتهم القلوب . فلما قام المولى محمد واجتمع اليه من ذكرنا دعاهم الى الايقاع باهل السوس فاجابوه واعصوا صوبوا عليه وصرفوا عزهم الى محو دعوة ابي حسون من بلادهم فثاروا بماله للحين واخرجوه عنها صاغرين بعد قتال شديد

ثم اجمع رأيهم على بيعه المولى محمد فبايعوه سنة ١٠٥٠ هـ في حياة ابيه فاستتب امره واستحكمت بيعته

ثم شمر المولى محمد بن الشريف لمضايقه ابي حسون السملالي واهل السوس ببلاد درعة فنهض في جمع كثير ووقعت بينهما حروب شديدة اجلت عن انتصار المولى محمد وانهمز ام ابى حسون وفراره الى مسقط رأسه من ارض السوس فاستولى المولى محمد على درعة واعمالها وعظم صيته . ثم سمت همة المولى محمد بالاستيلاء على المغرب . وكان الرئيس ابو عبدالله محمد الحاج الدلائي يومئذ مستولياً على فاس ومكناسة واعمالها وكان اشد قوة من الشريف واكثر جمعاً فحصلت بين الفريقين وقائع مشهورة اجلت عن انهمز الشريف واستيلاء الدلائي على سجلماسة سنة ١٠٥٦ هـ ثم انعقد الصلح بينهما على ان ما حاذى الصحراء الى جبل بني عياش فهو للمولى محمد بن الشريف وما دون ذلك الى ناحية الغرب فهو لاهل الدلاء واستمر الحال على ذلك الى سنة ١٠٥٩ هـ . وفيها وقع الخلاف بين اهل فاس والدلائي صاحبها فراسل اهل فاس المولى محمد بن الشريف ليقدم عليهم على ان ينصروه ويدخلوا في دعوته فاسرع المولى محمد اليهم ودخل فاساً في غيبة الدلائي . فلما سمع الدلائي بما تم جمع جيشاً كثيراً وتقدم نحو فاس واخرج محمد بن الشريف منها واستولى عليها فلاحق المولى محمد بسجلماسة واستقر بها

ولما ينس المولى محمد بن الشريف من فاس والمغرب صرف عزمه لتمهيد عائر الصحراء وبلاد الشرق فاستولى على وجدة وشن الغارات على بلاد المغرب الاوسط حتي امتلات ايدي اصحابه من الغنائم ثم انكفأ راجعاً الى تافيلالت واستقر بسجلماسة قاعدتها

وفي سنة ١٠٦٩ هـ توفي المولى الشريف بن علي والد المولى محمد بن الشريف فتجددت البيعة للمولى محمد ولكن فارقه اخوه المولى الرشيد فخرج الى الجبال وبقي متنقلاً في احبائها الى ان كان من امره ما نذكره

لما فر المولى الرشيد من اخيه بقي متنقلاً الى ان انتهى به المطاف الى قصبة اليهودي ابن مشعل وكان لهذا اليهودي اموال طائلة وذخائر نفيسة فلم يزل المولى الرشيد يفكر في كيفية اغتيال هذا اليهودي حتى تمكن منه في خبر طويل فقتله واستولى على امواله وذخائره وفرقها فبين تبعه وانضاف اليه فقوي عضده وكثر جمعه ثم نزل وجدة واستولى عليها . واتصل الخبر باخيه المولى محمد الشريف فتخوف منه لما يعلم من صرامته وشهامته فنهض لقتاله والقبض عليه والتقى الجمعان ببسيط آنكاد فكانت اول رصاصة في نحر المولى محمد بن الشريف فكان فيها حتفه وذلك يوم الجمعة ٩ محرم سنة ١٠٧٥ هـ . وكان المولى محمد شجاعاً مقداماً لا يبالي بالمعظائم ولا يخطر بباله خوف الرجال ولا يدري ما هي النكبات والاولجال

٧٠٢ - المولى الرشيد به الشريف

من سنة ١٠٧٥ - ١٠٨٢ هـ او من سنة ١٦٦٤ - ١٦٧٢ م

ولما قتل المولى محمد بن الشريف انضمت جموعه الى اخيه المولى الرشيد ابن الشريف وبايعوه . وتقدم الرشيد الى تازا وافتتحها بعد قتال شديد ثم قصد سجلماسة واستولى عليها . وبعد ان استولى على جميع اطراف المغرب قصد فاساً سنة ١٠٧٦ هـ وبعد ان حاصرها حصاراً شديداً اقتحمها في ٣ ذي الحجة من السنة وتبع الدلائيين وافزاهم وفر من بقي منهم . ثم قصد زاوية الدلائي واستولى عليها بعد حرب شديدة وازال شوكة الدلائيين من المغرب . ثم قصد مراكش في ٢٢ صفر سنة ١٠٧٩ هـ فاستولى عليها وقتل رئيسها ابا بكر الشباني وجماعة من اهل بيته وخلصت له الاقطار المغربية

واستقر المولى الرشيد بن الشريف بمراكش الى ان كان عيد الاضحى من سنة ١٠٨٢ هـ فلما كان ثاني يوم النحر وهو يوم الخميس ركب فرساً له واجراه فجمع في بستان المسرة ولم يملك عنانه فاصابه فرع شجرة نارنج فهشم رأسه ومات لوقته

٣٠٧ - المظفر بالله ابو نصر المولى اسماعيل بن الشريف

من سنة ١٠٨٢ - ١١٣٩ هـ او من سنة ١٦٧٢ - ١٧٢٧ م

لما توفي المولى الرشيد بن الشريف كان اخوه المولى اسماعيل بن الشريف بمكناسة الزيتون عاملاً على بلاد المغرب فبلغه خبر موته فاجتمع الناس عليه وبايعوه واتفقت كلمتهم عليه . ثم قدم عليه اعيان فاس واعلامها واشرافها ببيعتهم وقدم عليه اهل المغرب كذلك الا مراكش واعمالها فانه لم يات منها احد لانهم كانوا قد بايعوا بعد وفاة الرشيد لابي العباس احمد بن محرز بن الشريف . فلما تحقق المولى اسماعيل خبر بيعة ابي العباس بن محرز بمراكش نهض اليها في اواخر ذي الحجة سنة ١٠٨٢ هـ فبرز اليه اهلها فبين انضم اليهم وقتلوه فانتصر عليهم وهزمهم ودخل مراكش عنوة يوم الجمعة ٧ صفر سنة ١٠٨٣ هـ ونجا ابن محرز فاراً بنفسه . ثم قفل السلطان الى مكناسة منسلخ ربيع اول من السنة . ولم يستقر بها طويلاً حتى بلغه خبر انتفاض اهل فاس عليه ومبايعتهم لابي العباس احمد بن محرز المتقدم ذكره فنهض اليهم في جموعه وحاصر فاساً مدة واطال عليها الحصار حتى طلب اهلها الامان والنزول على حكمه فاجابهم الى ما طلبوا وعفا عنهم وذلك في ١٧ رجب سنة ١٠٨٤ هـ . ثم عاد المولى اسماعيل الى مكناسة لانه كان لا يرغب بها بدلاً وبني فيها قصوره واتخذها داراً لملكه . وفي سنة ١٠٨٥ هـ ورد الخبر على المولى اسماعيل وهو بمكناسة بدخول ابن اخيه المولى احمد بن محرز مراكش واستيلائه عليها فنهض في عساكره اليها وحاصرها طويلاً وتمادى الحصار الى ثاني ربيع الثاني سنة ١٠٨٨ هـ فاشتد الامر على ابن محرز وضاق ذرعاً فخرج فاراً عن مراكش ناجياً فبين اقبلته الحرب من جموعه ودخل السلطان المولى اسماعيل المدينة عنوة فاستباحها وبمدان امتلأت أيدي جنوده من الغنائم امر بكف النهب ونادى في الناس بالامان فهدأت الاحوال وبقي فيها مدة يرتب احوالها ثم عاد الى مكناسة كرسي مملكته . وفي سنة ١٠٨٩ هـ ثار على السلطان المولى اسماعيل اخوته

الثلاثة المولى الحران والمولى هاشم والمولى احمد بنو الشريف بن علي مع ثلاثة اخرين من بني عمهم والتفت عليهم قبائل البربر فنقض السلطان بالعساكر وهزم الثاثرين عليه وشنت شملهم وفر اخوته الثلاثة الى الصحراء . وفي سنة ١٠٩٢ هـ افتتح المولى اسماعيل المعمورة (المهدية) واستخلصها من يد الاسبانيين المسئولين عليها وفي سنة ١٠٩٥ هـ افتتح ثغر طنجة واخرج منه الانكاز المسئولين عليه

وفي سنة ١٠٩٦ هـ بلغ السلطان المولى اسماعيل وهو بمكناسة ان اخاه المولى الحران وابن اخيه المولى احمد بن محرز قد دخلا قصبة تارودانت واستحوذا على تلك الجهات فنقض اليهما ووالى السير حتى اتاخ على تارودانت وحاصرها بها فقتل ابن محرز في اثناء الحصار واستمر المولى الحران محصوراً والحرب قائمة على قدم وساق واستمر الحال الى جمادى الاولى سنة ١٠٩٨ هـ فاقتحم السلطان تارودانت عنوة بالسيف واستباحها واستولى عليها وفر المولى الحران الى حيث امن على نفسه . وفي سنة ١٠٩٩ هـ قتل السلطان الى دار ملكه

وفي سنة ١١٠٠ هـ ارسل السلطان المولى اسماعيل جيشاً بقيادة ابي العباس احمد بن حدو البطوئي لحصار العرائش وكانت بيد الاسبانيين مذ نزل لهم عنها السلطان محمد الشيخ السعدي كما تقدم . فنزل القائد ابو العباس بجيشه عليها وحاصرها خمسة اشهر وافتتحها عنوة وطرد منها الاسبانيين . ولما فتح ابو العباس المذكور العرائش عمد الى مدينة آصيلا فنزل عليها بجيشه وحاصر الفرنج الذين بها سنة كاملة حتى جهدهم الحصار وطلبوا الامان فامنهم على ان يخلوا المدينة في مدة محدودة فاخلوها ودخلها المسلمون وذلك سنة ١١٠٢ هـ . ثم سار هذا الجيش المظفر الى سبتة وبعد حصار وقتال شديدين لم يتمكنوا منها بطائل فمادوا عنها

وفي هذه المدة كان السلطان المولى اسماعيل مشغلاً بقتال البربر حتى انزلهم على حكمه وبني الحصون العديدة في بلادهم فانسمت مملكته واشتدت شوكته وفي سنة ١١١١ هـ فرق السلطان المولى اسماعيل اعمال المغرب على اولاده فمقد لابنه المولى احمد على تادلا ولابته المولى عبد الملك على درعة ولابته المولى

محمد المدعو بالعالم على اقليم السوس ولائنه المأمون الكبير على سجالسة ولائنه المولى زيدان على بلاد المشرق فكان هذا التقسيم داعياً لزيادة مطامع هؤلاء الابناء . ولم يقتصر الحال بينهم على منازعة بعضهم بعضاً بل ثار في سنة ١١١٤ هـ المولى محمد المدعو بالعالم ببلاد السوس ودعا لنفسه وزحف الى مراكش فحاصرها في رمضان من السنة المذكورة وفي العشر بن من شوال اقتحمها عنوة بالسيف فقتل ونهب . ولما اتصل خبره بالسلطان بعث ولده المولى زيدان في العساكر لقتاله فقدم مراكش وكان المولى محمد العالم قد خرج عنها وعاد الى تارودانت فتبعه اخوه زيدان ودامت الحرب بينهما الى ٢١ صفر سنة ١١١٦ هـ فاقنحم المولى زيدان تارودانت عنوة وقبض على اخيه المولى محمد العالم وبعثه الى والده السلطان المولى اسماعيل فأمر به فقتل

وفي سنة ١١١٣ هـ ثار على السلطان ابنه المولى ابو النصر ببلاد السوس واستمر عاصياً مدة حتى هزمته عساكر ابيه وقتلته . ولما رأى السلطان المولى اسماعيل المتاعب التي جرها عليه تقسيم المملكة على ابنائه عزلهم عن الاعمال التي بأيديهم سنة ١١٣٠ هـ ولم يترك الا ولي العهد المولى احمد بتادلا فاستقامت الامور وسكنت الرعية وهدأت البلاد واشتغل السلطان ببناء قصوره وغرس بساتينه . وساد الامن وعم العدل مع الرخاء المفرط فلا قيمة للقمح ولا للباشية والعمال تجبي الاموال والرعايا تدفع بلا كلفة واستمر الحال على ذلك الى ان توفي السلطان المولى اسماعيل يوم السبت ٢٨ رجب سنة ١١٣٩ هـ وهو من اشهر سلاطين هذه الدولة استنجم لحكمه المغرب والسودان . وكانت مدة ملكه ٥٧ سنة

٧٠٤ - المولى ابو العباس احمد الذهبي به اسماعيل

من سنة ١١٣٩ - ١١٤٠ هـ او من سنة ١٧٢٧ - ١٧٢٨ م

ولما توفي السلطان المولى اسماعيل تولى بعده ابنه المولى ابو العباس المعروف

بالذهبي لقب كذلك لسيط يده بالعطاء وكان للعبيد سطوة في دولته وكان
يستشيرهم في اغلب امور المملكة فنال الناس من جورهم ما لا يوصف
وفي سنة ١١٤٠ هـ ثار اهل فاس على ابي العباس لظلمهم وعسفهم
واتفقوا على مبايعة المولى عبد الملك بن اسماعيل فبايعوه ونقضوا بيعته ابي العباس
ولما رأى اهل مكناسة مبايعة اهل فاس لعبد الملك ثاروا بالمولى ابي العباس
وقبضوا عليه واعتقلوه وذلك في شعبان سنة ١١٤٠ هـ

٧٠٥ - المولى ابو مروان عبد الملك به اسماعيل

سنة ١١٤٠ هـ او سنة ١٧٢٨ م

ولما خلع السلطان المولى احمد وسجن كما مر تقدم اخوه المولى ابو مروان عبد
الملك الى مكناسة ودخلها واستولى عليها وبعث باخيه المولى احمد الى سجلماسة
ليسجن بها . ثم طالبه الجند باعلياتهم كما دت لهم عند تولية كل سلطان فدفع لهم
شيئا يسيرا بالنسبة لما اعتادوا على اخذه ايام ابيه واخيه فأسقط في يدهم وتحققوا
انهم غلطوا بخلع المولى احمد الذهبي فاتفقوا فيما بينهم على خلع السلطان المولى
عبد الملك وارجاع اخيه المولى احمد الى السلطنة وعلم السلطان المولى عبد الملك
بموامرهم هذه ففر الى فاس واستولى الجند على مكناسة وراسلوا المولى احمد
بسجلماسة في القدوم عليهم وكان ذلك في ذي الحجة سنة ١١٤٠ هـ

٧٠٦ - المولى ابو العباس الذهبي به اسماعيل (ثانية)

من سنة ١١٤٠ - ١١٤١ هـ او من سنة ١٧٢٨ - ١٧٢٩ م

فامرع المولى ابو العباس احمد باجابة طلب جند مكناسة واغذا السير اليهم
ودخل مكناسة واستولى عليها وأخذ البيعة على اهلها ثانية ثم اتاه وفود اهل المغرب

مهنئين ومعتبين يبعثهم الا اهل فاس لان المولى عبد الملك كان قد استولى عليها
وبايع اهلها له فارسل اليهم السلطان يأمرهم ان يسلموا اليه اخاه ويدخلوا فيما دخل
فيه الناس فلم يجيبوا الى ما طلب وجاهاوا بخلافه فنقض السلطان المولى احمد
فاتح محرم سنة ١١٤١ هـ في عساكره وزحف الى فاس وحاصرها ونصب عليها
المدافع واصلاها ناراً حامية حتى عمها الخراب وتهدم الكثير من دورها ومع ذلك
استمر الحصار نحو خمسة اشهر حتى ضاق الامر باهل فاس وقتل بها الاقوات
وغلت الاسعار فاذعنوا للطاعة وصالحوا السلطان المولى احمد على اسلام اخيه اليه
وتكينه منه فدخل السلطان فاساً ظفراً وقبض على اخيه واعتقله . وبعد ان
هدأت الاحوال بفاس قفل السلطان الى مكناسة وعند حلوله بها مرض مرض
الموت . ولما احس من نفسه بالموت امر بنحى اخيه المولى عبد الملك فتحقق ليلة
الثلاثاء اول شعبان سنة ١١٤١ هـ ثم توفي السلطان احمد يوم السبت
٤ شعبان المذكور

٧٠٧ - المولى عبد الله بن اسماعيل (اول)

من سنة ١١٤١ - ١١٤٧ هـ او من سنة ١٧٢٩ - ١٧٣٤ م

لما توفي السلطان المولى احمد بن اسماعيل بويع بعده اخوه المولى عبد الله بن
اسماعيل ولم يتخلف عن بيعته احد من اهل المغرب لكنه استعمل الظلم والعسف
وارهف الحد في القتل والسلب والنهب حتى ثار عليه اهل فاس وجاهاوا بخلافه
وتهاوا لقتاله فزحف اليهم بعساكره في شوال سنة ١١٤١ هـ فحاصرها فاساً وضيق عليها
ودافع الفاسيون عنها دفاعاً محموداً حتى كانوا لا يستريحون بالنهار ولا ينامون بالليل
واستمر الحال كذلك الى ان دخلت سنة ١١٤٢ هـ فازداد الامر شدة وارتفعت
الاسعار وانهدمت الاقوات وكثر الهرج فطلبوا من السلطان الصالح على أن يؤمنهم
على انفسهم وعيالهم واموالهم فاجابهم الى ذلك ودخل السلطان فاساً وبعد ان

استراح بها اياماً استخلف عليها احد اخصائه وانكفاً راجعاً الى مكناسة . ولم يزل
السلطان المولى عبدالله متبعاً خطة العسف والظلم والايقاع بالكبير والصغير حتى
سئمت نفوس الرعية منه واتفقوا فيما بينهم على خلعه وقتله واتصل الخبر بالسلطان
ففر ليلاً من مكناسة الى بلاد السوس فنزل بوادي نول على اخواله المغافرة
فاقام هنالك الى ان كان من خبره ما ستره قريباً ان شاء الله تعالى . وكان ذلك
سنة ١١٤٧ هـ

٧٠٨ — المولى ابو الحسن علي بن اسماعيل

من سنة ١١٤٧ - ١١٤٩ هـ او من سنة ١٧٣٤ - ١٧٣٧ م

لما فر السلطان المولى عبدالله بن اسماعيل من مكناسة الى وادي نول اجتمع
ارباب الدولة واتفقوا على بيعة المولى ابي الحسن علي بن اسماعيل المعروف بالاعرج
وكان يومئذ بسجلماسة فكتبوا اليه بذلك فاسرع بالمجيء اليهم ومر بفاس فدخلها
وبايمه اهلها بعد ان وعدهم بازالة المكوس التي جددوها مسلغة ثم نهض الى مكناسة
ولما قدمها بايمه بها الجند البيعة العامة

وفي سنة ١١٤٨ هـ نهض السلطان المولى ابو الحسن بن اسماعيل لغزو البربر
اهل جبل فازاز في جيش كثيف من العبيد وبعد قتال شديد انهزم العبيد اصحاب
السلطان ورجع هو مغلولاً الى مكناسة . وفي سنة ١١٤٩ هـ في شهر ذي الحجة
ورد الخبر بان السلطان المولى عبدالله قد اقبل من وادي نول الى تادلا فاهتز
العبيد له وتحدثت فرقة منهم برده الى الملك وخالفهم آخرون ثم قويت شيعة
المولى عبدالله وكثروا واعلنوا بيعته . ولما سمع السلطان المولى ابو الحسن علي
بذلك فر من مكناسة وبقى تائهاً الى ان قبض عليه العبيد وبعثوا به الى اخيه
السلطان المولى عبدالله فسرجه الى تافيلالت فاستقر بها الى ان توفي

٧٠٩ - المولى عبد الله بن اسماعيل (ثانية)

من سنة ١١٤٩ - ١١٥٠ هـ أو من سنة ١٧٣٧ - ١٧٣٨ م

لما فر المولى ابو الحسن علي من مكناسة اجتمعت كلمة العبيد وارباب الدولة على بيعة السلطان المولى عبدالله فبايعوه وهو بتادلا وراسلوه في القدوم فاقبل اليهم مسرعاً وخرج للقائه اهل فاس وفيهم الاشراف والعلماء وكذلك اهل مكناسة فوافوه بقصة ابي فكران ولما مثلوا بين يديه عاتبهم وعدد ما سلف منهم ثم امر باعيانهم فقتلوا وفعل مثل ذلك باعيان مكناسة واستباحهم ورجم اهل فاس وعلمائها مذعورين مما نابههم . واستمر السلطان مقيماً بقصة ابي فكران ولم يتقدم الى فاس لعدم ثقته بهم

ولما رأى اهل فاس ما نزل بهم اجتمعوا وتحالفوا على خلع السلطان المولى عبدالله وبيعة اخيه المولى محمد بن اسماعيل المعروف بابن عربية فبايعوه في ١٠ جمادي الاولى سنة ١١٥٠ هـ ثم كتب اهل فاس الى عبيد الديوان يعرفونهم ما صنعوا ويطلبون منهم موافقتهم فاجابوهم الى ذلك وبايعوا السلطان المولى محمد بن عربية وتم امره . ولما رأى السلطان المولى عبدالله امر اخيه قد تم فر الى جبال البربر وأقام هنالك

٧١٠ - المولى محمد بن اسماعيل المعروف بابيه عربية

من سنة ١١٥٠ - ١١٥١ هـ أو من سنة ١٧٣٧ - ١٧٣٨ م

ثم نهض المولى محمد الى مكناسة فاحتل بها وبايعه العبيد البيعة العامة . ثم طالبه العبيد باعطياتهم ففرق فيهم ما كان معه فلم يقنعهم ذلك واستزادوه فاطلق النهب في اموال المسلمين واخذ في استخراج الحبوب والاقوات من دور اهل مكناسة غصباً فكثر المهرج وصمت الفتنة وفر الناس من مدينتهم وعم النهب في

خارجها وانقطعت السبل ووقع الناس في حبس يمس ثم ان السلطان المولى عبد الله الذي كان مقيما عند البربر قدم ذات ليلة في جماعة من اصحابه حتى دخل الاصطبل من مكناسة وقتل من وجد به من العبيد وحرق اخصاصهم ورجع عوده على بدئه . ولما شعر به السلطان المولى محمد بن عريية ركب في خيله ورجله وقصد السلطان المولى عبد الله وهو بالموضع المعروف بالحاجب فلما رأى المولى عبد الله ما لا قبل له به فر بنفسه وتبعه العبيد الى وادي ملوية فلم يفتوا له على اثر ولما قفلوا راجعين اعترضهم البربر وقتلهم وهزمهم واستلبوا ما معهم من الاثقال فرجموا بخفي حنين . ودخل السلطان المولى محمد بن عريية مكناسة وزاد ظلمه وطغيانه فيها وفي جميع المغرب الاقصى حتى خلت الديار من ساكنيها واشتد الامر على اهل المغرب واستمر الحال كذلك الى ان دخلت سنة ١١٥١ هـ وفي ٢٤ صفر منها ثار العبيد على السلطان المولى محمد بن عريية وخلعوه وقبضوا عليه واعتقلوه بوادي ويسلن ووكلا به من يحرسه

٧١١ - المولى المستضيء به اسماعيل

من سنة ١١٥١ - ١١٥٢ هـ او من سنة ١٧٣٨ - ١٧٤٠ م

ثم اعلنوا ببيعة اخيه المولى المستضيء بن اسماعيل وارسلوا يستدعونه فاقبل اليهم مسرعا وتم امره الا انه لم يكن اقل من اخيه في الظلم والعسف والاستبداد ان لم يكن اكثر منه فلم تطل مدة حكمه هذه المرة اذ شغب عليه العبيد في منتصف ذي القعدة سنة ١١٥٢ هـ وتأمرؤا في عزله ومراجعة طاعة اخيه المولى عبد الله فلما علم السلطان بموامرتهم فر الى مراكش واقام بها الى ان كان من خبره ما سيأتي ذكره ان شاء الله

٧١٢ - المولى عبد الله بن اسماعيل (ثالثة)

من سنة ١١٥٢ - ١١٥٤ هـ او من سنة ١٧٤٠ - ١٧٤١ م

وكان المولى عبد الله مقيماً عند البربر كما تقدم فلما اتفق العبيد على البيعة له راسلوه في المعنى فقدم الى مكناسة في اوائل سنة ١١٥٣ هـ وغلب حمله بها قبض على قاضيه وبعض اشرافها وخلع عائلهم وفضحهم وحبسهم . والغريب في هذا السلطان انه لم يتعلم مما مضى كيف ينبغي ان يسالم رعاياه لكنه ارهف حده في الاستبداد حتى ستمته رعاياه ولم يكن احد يود استمراره في الملك الا العبيد لانهم انتهزوا الفرصة في مدته وملوا ايديهم من اموال المسلمين ومع ذلك فهو لاء ايضاً شغبوا عليه في شهر ربيع الاول سنة ١١٥٤ هـ وهما بخلافه والايقاع به فشمرو السلطان منهم هذا الميل ففر ناجياً بنفسه الى البربر

٧١٣ - المولى زين العابدين بن اسماعيل

سنة ١١٥٤ هـ او سنة ١٧٤١ م

واتفق العبيد على البيعة لاختيه المولى زين العابدين وكان مقيماً بطنجة فراسلوه في المعنى فاسرع في القدوم اليهم ودخل مكناسة وتم امره بها . وكان فيه اناة وحلم ولم يظهر منه عسف ولا امتدت يده الى مال احد الا انه لقلّة ذات يده نقص العبيد من راتبهم فكان ذلك سبب انحرافهم عنه

ولما استقر المولى زين العابدين بخضرة مكناسة وتم امره بها اقام نحو الشهرين ثم تهيأ لغزو اهل فاس لانهم تخلفوا عن بيعته فنقض اليهم في جيش العبيد منتصف جمادى الاولى سنة ١١٥٤ هـ وقبل ان يصلوا فاساً اختلفت كلمة العبيد وعادوا الى مكناسة ونهبوا ثمار جناتها وفسدوا ما قدروا عليه منها . ثم طالبوا السلطان في الراتب وشدّدوا في اقتضائه فلم يكن عنده ما يرضيهم به فشغبوا عليه ومرضوا

في طاعته . هذا والسلطان المولى عبدالله مقيم بجبال البربر مطل على الحضرة ومتحفز للوثبة فلما علم بما المولى زين العابدين فيه من الاضطراب نزل من الجبل وتقدم حتى دخل فاساً الجديد وذلك في ١٦ جمادى الاخرى من السنة فلقبه اهل فاس واهتزوا لمقدمه وطاروا به سروراً . ولما اتصل خبره باخيه المولى زين العابدين ضاق ذرعه وخشعت نفسه واصبح غادياً من مكناسة الى حيث يأمن على نفسه امراضاً عن الملك واسبابه فكان آخر العهد به

٧١٤ - المولى عبدالله بن اسماعيل (رابعة)

من سنة ١١٥٤ - ١١٧١ هـ او من سنة ١٧٤١ - ١٧٥٧ م

ولما فر المولى زين العابدين من مكناسة اجتمع العبيد واتفقوا ان يراجعوا طاعة السلطان المولى عبدالله فارسوا اليه ببيعتهم بمكانه من فاس الجديد فقبلها منهم واستقر امره ونازعه الامر اخوه المستضي^١ بن اسماعيل واستولى على كثير من البلاد وحدثت بينهما حروب ووقائع يطول شرحها كان من نهايتها انتصار المولى عبدالله على اخيه المولى المستضي^٢ واستتاب الامر له . وكان قد تعلم طبعا مما مضى من اين تؤكل الكتف فطالت مدة ملكه هذه المرة الى ان توفي يوم الخميس ٢٧ صفر سنة ١١٧١ هـ

٧١٥ - المولى محمد بن عبدالله

من سنة ١١٧١ - ١٢٠٤ هـ او من سنة ١٧٥٧ - ١٧٩٠ م

لما توفي المولى عبدالله بن اسماعيل بويج بعده ابنه سيدي محمد بن عبدالله وكان عاقلاً حازماً فساد الامن في ايامه وعم العدل واستراحت البلاد بعد طول الفتن والحروب وساح السلطان المولى محمد بن عبدالله في بلاد المغرب وثغوره

متفقدًا احواله ومهدًا اموره فاجتمعت على حبه القلوب وخلصت له الضمائر . وهذا ما حدث في أيامه مرتبًا حسب السنين . في سنة ١١٧٨ هـ غنم قرصان المغرب مركبًا فرنسائياً واتوا به الى العرائش فهجم الاسطول الفرنسي على ثغر العرائش ورماهما من مدافعه ناراً حامية ولكنه اضطر الى الرجوع عنها لما اجابته طوابع العرائش بمثل مارماها به . وكانت هذه الحادثة سبباً في تنبيه السلطان المولى محمد بالاعتناء بامر البحر وتحصين ثغر العرائش فبنى بها الطوابع والمعاقل وشحنها بالمدافع والمساكر حتى صارت أهم حصون المغرب

وفي سنة ١١٨٢ هـ حاصر جيش السلطان سيدي محمد مدينة الجديدة وكانت في ذلك الوقت بيد البرنقاين واستمر الحصار من اول رمضان الى ٢ ذي القعدة من السنة ولما ضاق الامر باهل المعمورة لغموا ارضها بالبارود وهربوا في الاسطول الى بلادهم فدخل المسلمون المدينة وغب دخولهم اليها التهب البارود الملقومة به ارض المعمورة فقتل منهم اكثر من خمسة آلاف نفس وتهدم السور الجنوبي منها

وفي سنة ١١٨٤ هـ غزا السلطان سيدي محمد بن عبد الله مدينة مليلة وحاصر الاسبانين فيها لكنه لم يفز منها بطائل ففكر راجعاً الى حضرته

وفي سنة ١١٨٩ هـ ثار العبيد على السلطان سيدي محمد وبايعوا لابنه يزيد ففرق فيهم يزيد اموالاً طائلة حتى جعلهم يتسكون بدعوته وعزم يزيد على استخلاص المغرب من يد ابيه فسار الى فاس فبرز له اهلها وقتلوه هو وعبيده وهزموهم وانقلبوا مغلولين واتصل الخبر بالسلطان وكان وقتئذ بمراكش فخرج منها في عساكره يريد مكناسة ولما وصل الى سلا وسمع المولى يزيد بقدمه فر الى زرهون فلما قرب منها اتاه اشراف زرهون بابنه المولى يزيد فمعا عنه وسامحه واستصعبه الى مكناسة . ورأى السلطان المولى محمد شدة وطأة العبيد في الدولة فلا يحدث فيها شغب ان لم يكونوا هم مثيريه فاستعمل معهم الشدة وأديهم بعضاً من حديد وفرق جموعهم

ثم انتقض المولى يزيد على ابيه ثانية ولما رأى عدم مقدرته على المقاومة لحق بالمشرق واستقر بالحجاز الى ان كانت سنة ١٢٠٣ هـ وفيها قدم المولى يزيد من الحجاز في ركب الحاج الغيلالي فلما وصل المغرب نزل بضرير الشيخ عبد السلام ابن مشيش . وعلم والده السلطان سيدي محمد بقدمه فارسل اليه يرأده النزول على طاعته فأبى فمض اليه من مراكش وأراد ان يحضر عنده بنفسه لعله يرعوي ويذهب ما يصدره من الجزع والنفرة . وكان عند خروجه من مراكش به مرض خفيف فتحمل المشقة وجد السير فتزايد به المرض في الطريق فوصل الى اعمال رباط الفتح في ستة ايام فادر كنهته منيته وهو في محفته على نحو نصف يوم أو أقل من رباط الفتح . وكانت وفاته يوم الاحد ٢٤ رجب سنة ١٢٠٤ هـ فاسرعوا به الى داره من يومه ذلك ودفن بها مأسوفاً عليه . وكان السلطان سيدي محمد محباً للعلماء واهل الخير مكرماً لهم لا يغيبون عن مجلسه الا نادراً

٧١٦ المولى يزيد بن محمد

من سنة ١٢٠٤ — ١٢٠٦ هـ او من سنة ١١٠٩ — ١٧٩٢ م

ولما توفي السلطان سيدي محمد بن عبد الله في التاريخ المتقدم وبلغ خبر موته الى ابنه المولى يزيد وهو بالحرم المشيشي بايعه الاشراف هناك وسائر اهل الجبل واثته بيعة اهل المغرب الاقصى جميعه على يد اشرافه واعيانهم فخرج من مكانه وتقدم الى مكناسة ودخلها في احتفال عظيم واستقر امره بها . وهناك قدمت عليه قبائل الحوز ببيعتهم وكان في قلب السلطان منهم شيء فلم يقابلهم كما يجب فسأدت ظنونهم به وفسدت قلوبهم عليه . ولما رجعوا الى بلادهم اتفقوا فيما بينهم على بيعة اخي السلطان المولى هشام فبايعوه واعطوه صفقة ابيديهم . فاستتب امر المولى هشام بمراكش . ولكن لما سمع المولى يزيد بالخبر نهض في عساكره وسار الى الحوز فشرّد قبائله ووصل الى مراكش فدخلها عنوة واشغى في اهلها . ثم استجاش عليه اخوه المولى هشام قبائل دكالة وعبدية وقصده بمراكش فبرز اليه المولى يزيد . ولما التقى الجمعان بموضع يقال له تازكودت انهزم جمع المولى هشام وتبعهم المولى يزيد فأصيب برصاصة كانت القاضية عليه فتوفي اواخر جمادى الثانية سنة ١٢٠٦ هـ ودفن بمراكش

٧١٧ المولى سليمان بن محمد

من سنة ١٢٠٦ — ١٢٣٨ هـ او من سنة ١٧٩٢ — ١٨٢٢ م

لما توفي المولى يزيد بن محمد كان اخوه المولى سليمان بفاس فانفق اهل فاس على البيعة له لما يعلمونه من دينه وحسن سياسته فبايعوه يوم الاثنين ١٢ رجب سنة ١٢٠٦ هـ . ولما تمت بيعته انتقل الى فاس الجديد فاستقر بدار الملك منها وقدمت عليه وفود القبائل من العرب والبربر بهداياهم . وتوقف اهل الثغور المبطية عن بيعته لانهم كانوا قد بايعوا لاختيه المولى مسلمة فنهض اليهم المولى سليمان ووقع بهم حتى نزلوا على طاعته . وفرّ اخوه المولى مسلمة الى تلمسان واقام بها . فعاد المولى سليمان الى مكناسة واستقر بها الى ان كان ما نذكره ان شاء الله تعالى

قد قدمنا ان اهل مراکش وقبائل الحوز كانوا قد خرجوا على السلطان المولى يزيد وبايعوا اخاه المولى هشام بن محمد ولما قتل المولى يزيد بمراكش استقرت قدم المولى هشام بها واطاعته قبائل الحوز كلها . واستمرّ الحال على ذلك مدة الى ان حدثت نقرة بين اهل الحوز والمولى هشام وانقسموا لذلك قسمين قسماً بقي على طاعة المولى هشام وقسماً بايع لاختيه المولى حسين بن محمد ونشأت بينهم لهذا السبب حروب تفانى فيها الخلق . فلما كانت سنة ١٢١٠ هـ قدم على السلطان بمكناسة جماعة من اعيان الرحامنة من اهل الحوز مبايعين له وسائلين منه المسير معهم الى بلادهم لتجتمع كلمتهم عليه فاجاب السلطان طلبهم ونهض سنة ١٢١١ هـ في جيش كثيف الى مراکش . ولما فارها فرّ سلطانها المولى حسين بن محمد فدخل السلطان المولى سليمان الى مراکش واستولى عليها وبايعه اهلها ثم قدم عليه اخوه المولى هشام مستأمناً فاكرمه ملئفاً وسكنت الفتنة واستقامت الامور . واقام السلطان بمراكش ثم استولاً البلد فعاد الى مكناسة . وفي سنة ١٢١٢ هـ حدث الوباء ببلاد المغرب وعم حواضره وبواديته وتوفي به اخوه السلطان الاربعة المولى الطيب والمولى هشام والمولى حسين والمولى عبد الرحمن الثلاثة الاول بمراكش والرابع بالسوس

وفي ايام السلطان المولى سليمان عمت الفتن سائر المغرب عربه وبربره ونعب السلطان جدّاً في اخماد نار هذه الثورات حتى عزم على التخلي عن الملك لابن اختيه المولى عبد الرحمن بن هشام ولكنه رأى الوقت احوج اليه فأجل ذلك الى فرصة اخرى

وخيراً فعل لانه لم يمض وقت طويل حتى انتقض عليه اهل فاس وبايعوا لابن اخيه المولى ابراهيم بن يزيد بن محمد سنة ١٢٣٦ هـ وخرجوا من فاس بسلاطنتهم الجديد الذي لم يكن له من السلطنة سوى الاسم فقط والامر والنهي لرؤساء الثورة قاصدين المرامي بقصد الفتح والاستيلاء عليها فوصلوا تطاوين واستولوا عليها ومن هناك بعثوا لاهل العرائش وطنجة في الدخول في طاعة سلاطنتهم فمنهم من امتنع ومنهم من اجاب . ثم توفي المولى ابراهيم بن يزيد بعد سبعة واربعين يوماً من دخولهم تطاوين فأخفى رؤساء الثورة موته ثلاثة ايام ثم بايعوا لاخته المولى السعيد بن يزيد وبينما هم في ذلك اذ ورد عليهم الخبر بمجيء السلطان سليمان من مراكش وانه قد وصل الى قصر كتامة ففت ذلك في عضدهم وخرجوا مبادرين الى فاس على طريق الجبل وكان من امرهم ما تذكره ان شاء الله تعالى

وكان السلطان المولى سليمان في هذه المدة مقبلاً بمراكش ولما علم بما كان من بيعة المولى ابراهيم بن يزيد تربص قليلاً حتى اذا بلغه خروجه الى المراسي قلق وخرج من مراكش في جيش من العبيد وبعض قبائل الحوز ييادره اليها ولما وصل الى قصر كتامة اتاه الخبر بدخول المولى ابراهيم الى تطاوين فتقدم الى تطاوين حتى اذا صار على مرحلتين منها بلغته وفاة المولى ابراهيم ومبايعة الثائر بن للمولى السعيد بن يزيد وعودتهم به الى فاس فامرع يوم فاساً ويسابق السعيد اليها حتى وافاه في يوم واحد فنزل السعيد بجموعه بقنطرة سبوا ودخل السلطان دار الامارة بفاس الجديد . ولما كان فجر الغد اغارت عساكر السلطان على محلة السعيد فانتسفوها بما فيها وقتلوا من اصحابه خلقاً كثيراً وافلت المولى السعيد وبطانته ودخلوا فاساً فاغلقوها عليهم وحاصروهم السلطان بفاس واستمر محاصراً لهم عشرة اشهر ثم بلغه خبر خروج اهل تطاوين عليه فترك بعضاً من عسكره لمحاصرة فاس ونهض هو الى طنجة واستقر بها وبعث الى اهل تطاوين وراودهم على الرجوع الى الطاعة فأبوا واستمروا على عصيانهم فبعث اليهم جيشاً كثيفاً فحاصروهم مدة وكانت الحرب بينهم سجالاً مرة لعسكر السلطان ومرة عليهم حتى هلك خلق كثير من الفريقين . وفي هذه الاثناء ارسل السلطان الى ابن اخيه المولى عبد الرحمن بن هشام وكان عاملاً له على الصويرة في التقدم اليه بجيشه فقدم المولى عبد الرحمن بجيش كثيف فارسل السلطان بعضهم لمساعدة المحاصرين لتطاوين وتقدم هو وابن اخيه في باقي الجيش الى فاس لانتمائها فتحها . وكان اهل فاس قد ملوا الحصار وسئموا الحرب ووقع الاختلاف

بينهم فانتهمز عسكر السلطان هذه الفرصة واغاروا على فاس واقتحموها عنوة واستولوا عليها وجاء المولى السعيد في جوار المولى عبد الرحمن بن هشام فغفا السلطان عنه وعن اهل فاس وهذات الفتن وبعد ان اقام بها اياماً استخلف فيها ابن اخيه المولى عبد الرحمن ونهض هو الى تطاوين فلما قربها وفد عليه اهل تطاوين نائبين فغض عنهم واحسن اليهم ولما صفا امر تطاوين ولم يبق ببلاد الغرب منازع انتلب السلطان راجعاً الى بلاد الحوز وجد السير الى مراکش فدخلها في رمضان سنة ١٢٣٧ هـ

وفي يوم ١٣ ربيع الاول سنة ١٢٣٨ هـ توفي السلطان المولى سليمان بن محمد . وكان عاقلاً حسن السياسة شجاعاً مقداماً . وكان قد عهد بولاية العهد من بعده لابن اخيه المولى عبد الرحمن بن هشام

٧١٨ المولى عبد الرحمن بن هشام

من سنة ١٢٣٨ — ١٢٧٦ هـ أو من سنة ١٨٢٢ — ١٨٥٩ م

لما توفي السلطان المولى سليمان بن محمد كان ولي عهده المولى عبد الرحمن بن هشام بفاس فلما بلغ اهل فاس وفاة السلطان بايعوا المولى عبد الرحمن واعطوه صفقة أيديهم وأمنته وفود اهل المغرب الاقصى جميعه ببيعتهم واستبشر الناس بهذا السلطان وأتته البشائر من كل صقع وناد فمن ذلك ما قبله وزيره الفقيه ابو عبد الله بن ادريس الفاسي

مولاي بشراك بالتأييد بشراك قد اكمل الله بالتوفيق سرّاً كا

الفتح والنصر قد وافاك جيشهما والسعد واليمن قد حيا عميلاً كا

الله البسك الاقبال تكرمه وبالتقى والنهى والعلم حلاً كا

فراصة الملك المرحوم قد صدقت لما تفرس فيك حين ولاك كا

أعدت للدين والدنيا جمالهما فاصبحا في حل من حسن معناكا

وزادك الغيث غوثاً في سمائه فجاد بالقطر قطراً فيه مأواكا

ولما فرغ السلطان المولى عبد الرحمن من امر الوفود والتهاني خرج من حضرة فاس وساح في البلاد المغربية منفقاً مائتاً اطرافها حتى اذا قضى وطره من ذلك قصد مراکش واستقر بها . وساد الامن في ايام هذا السلطان وعمّ العدل وهذات احوال المغرب الاقصى فلم تحدث فيه فتن ولا حروب وانتهمز السلطان هذه الفرصة في تنشيط

العلم والزراعة والصناعة فخطا المغرب في ابامه خطوة محمودة
واهم ما حدث في ابام السلطان المولى عبد الرحمن استيلاء فرنسا على المغرب
الايوسط (اقليم الجزائر) سنة ١٨٣٠ م (سنة ١٢٤٦ هـ) بعد ان دافع عنه الامير
عبد القادر الجزائري دفاعاً محموداً فأدى ذلك الى طلب اهل تلمسان من السلطان
المولى عبد الرحمن الدخول في طاعته على ان يرسل لهم جيشاً ينقذهم مما هم فيه فاجاب
السلطان صريحهم وارسل جيشاً الى تلمسان ولكن لان الامير عبد القادر الجزائري كان
يجر النار لقرصه عرقب مساعى هذا الجيش فرجع من حيث اتي . ولما استقر
الفرنساويون بالجزائر اغاروا على اطراف المغرب انتقاماً من السلطان لتدخله في امر
المغرب الاوسط وحصلت بين الفريقين عدة مواقع اهمها موقعة ايسلي التي انهزمت فيها
عساكر السلطان هزيمة شنعاء

واستقر السلطان المولى عبد الرحمن بمراكش الى ان توفي يوم الاثنين ٢٩ محرم
سنة ١٢٧٦ هـ

٧١٩ المولى محمد بن عبد الرحمن

من سنة ١٢٧٦ — ١٢٩٠ هـ او من سنة ١٨٥٩ — ١٨٧٣ م

وتولى بعده ابنه المولى محمد بن عبد الرحمن وفي اول ولايته اشتعلت نار الحرب
بين اسبانيا وبينه وانجحت عن هزيمة عسكر السلطان بوادي الراس واستيلاء اسبانيا على
مدينة تطاوين ضحوة يوم الاثنين ١٣ رجب سنة ١٢٧٦ هـ . ولم يبرحوها الا بعد
فرض غرامة قدرها ١٠٠ مليون فرنك

وفي ابامه ثار الجيلا في الروكي واصله رجل من عرب سفيان خامل الذكر وحرفته
رعي الهائم ونحو ذلك من عمل اهل البادية ثم اغواه سلطان المفاصد فثار ببلاد كورت
واتعب عساكر السلطان مدة وانهى الحال بقتله

وكان بين السلطان المولى محمد وبين نابليون الثالث امبراطور فرنسا مخابرات
ودادية وكثير قدم التجار الفرنسيون الى المغرب في ابامه ومنحهم بعض امتيازات
حسنة . وكان النصارى واليهود في المغرب الاقصى يسامون انواع العذاب فمنحهم هذا
السلطان الحرية ووزع المنشورات في رعيته بهذا المعنى . ثم توفي السلطان المولى محمد

يوم الخميس ١٨ رجب سنة ١٢٩٠ هـ . وكان السلطان محمد عاقلاً دبتاً خيراً حسن السياسة

٧٢٠ المولى الحسن بن محمد

من سنة ١٢٩٠ — ١٣١١ هـ او من سنة ١٨٧٣ — ١٨٩٤ م

وتولى بعده ابنه المولى الحسن بن محمد وفي اول ولايته ثار عليه اهل فاس واهل آزموور وكادت الفتنة تمتد الى جميع اطراف المغرب الا انه تمكن بحكمته من اخماد نارها ثم نازعه اخوه المولى عثمان في الامر وحصات بينهما فتن وحروب يطول شرحها كان من نهايتها انهزام المولى عثمان واستتباب الامر للسلطان المولى الحسن ومع ذلك بقي مدة ولايته كلها في حروب دائمة مع القبائل العاصية وشغل شاغل لاحباط مساعي الثائرين عليه ثم توفي ليلة الخميس ثالث ذي الحجة سنة ١٣١١ هـ

٧٢١ المولى عبد العزيز بن الحسن

حفظه الله

ولما توفي المولى الحسن بن محمد بن عبد الرحمن بن هشام في التاريخ المتقدم بويع بعده ابنه السلطان المولى عبد العزيز بن الحسن وهو السلطان الحالي واخباره وتواريخه من ثورة ابي حمارة والريسوفي عليه وعقد مؤتمر الجزيرة ودخول فرنسا وبين البيضاء واحتلالهم لها وقيام اخيه مولاي الحفيظ ومنازعته السلطة وتعضيد بعض القبائل للاخير فهاولمة للجميع مما تنشره الجرائد عنه



(ش ه) مولاي عبد العزيز

(٧٢٢) الدولة الغلجائية بافغانستان

(تمهيد) افغانستان بلاد جبلية الى الجهة الشرقية من ايران وكانت تارة تحت حكم سلاطين الهند وأخرى تحت حكم دولة ايران . ويذهب أكثر مؤرخي المسلمين ان أصل أهلها يهود من الذين سبهم نبوخذ نصر الى بابل ثم اراد ابعادهم الى اقصى ممالكه فارسلهم الى هذه البلاد القاصية ولكن ذلك غير مثبت بالادلة بل هم بقايا قوم البرثة وبلادهم قطعة اصلية من ولاية خراسان . وتوالت هذه الامة من عدة قبائل اشهرها قبيلتنا الغلجائية والعبدالية . وجميعهم قوم نشأوا على الجلادة والافدام لا يتحملن الخيم ولا يدينون للاجنبي . وكنت الغلجائية اشد ميلاً من العبدالية الى

الاستقلال وهم الذين استوطنوا قندهار وما يليها من تلك البلاد وظلوا يعاندون الدولة الايرانية حتى حار وزراء ايران في امرهم وقرّ رأيهم في ابام السلطان شاه حسين آخر ملوك الدولة الصفوية التي تقدم ذكرها على تعيين والي شديد العزم كثير الاقدام ليحكم بلادهم فاندبوا لذلك كركين خان (المسيحي الاصل) الذي كان حاكماً من طرف الشاه على كرجستان وكان قد اظهر العصيان على الشاه وحاول الاستقلال بتلك الامارة ولكنه لم ينجح ثم اعتنق الدين الاسلامي فصّح الشاه عنه وعينه لهذه الوظيفة في افغانستان . فتقدم كركين خان على هذه البلاد بعشرين الف مقاتل من الايرانيين ونخبة من ابطال اهل بلاده فلم تبدّ اقل معارضة من الافغانيين في الخضوع له ولكنه اساء معاملتهم في الحال واعتبرهم كلهم من العصاة والمارقين فاطاق بدعاكره ومن معه في ابتزاز المال منهم وظلمهم . فاستغاث الاهالي من ظلم هذا الوالي بالسلطان وبعثوا بالفود من مشائخهم الى اصفهان ليعرضوا على جلالة الشاه حال البلاد وما صارت اليه . ووجد هؤلاء المندوبون ان الوصول الى السلطان من اعسر الامور ولكنهم تمكنوا في آخر الامر من نيل بغيتهم . وكان اصحاب كركين خان قد سبقوهم الى القصر وافهموا السلطان اموراً غيرت افكاره فيهم . فلما جمع شكواهم اجابهم بامعناه انهم عصاة كاذبون وان ثقته بالوالي عظيمة وتهدهم بعقاب صارم اذا عادوا الى مثل هذا التشكي فعاد المندوبون الى بلادهم وقد امتلأت صدورهم حنقاً وغيظاً وبسطوا الامر لاخوانهم فكثير الحق وتعاظم الشر وعزم الافغانيون من ذلك اليوم على الخلاص من ايران وحكومتها . ولما علم كركين خان بما كان من الاهالي وقيامهم للشكوى عليه عزم على البطش بهم والانتقام منهم فوجههم في اول الامر الى اذلال امرائهم وخصوصاً الامير ويس وهو من اشهر عائلات الافغان بعد عندهم حاكم قندهار الشرعي والناس كلهم يحلون قدره لما اتصف به من حميد الخصال . فعزم كركين على التخلص منه لانه كان زعيم القوم وله بأس وسطوة عظيمة فقبض عليه في احدى الليالي بدعوى تأمره على سلامة السلطنة وارسله مكبلاً بالقيود الى اصفهان وكتب الى السلطان يقول : « ان هذا الامير هو زعيم العصاة والذين يدبرون للملكة المكائد . وانه مادام في اصفهان فلا خوف على البلاد من اعوانه واما اذا عاد من اصفهان فلا بد من الثورة العظيمة » ولما وصل الامير ويس الى اصفهان تمكن بدعائه من معرفة الاحوال ورأى ان المقر بين الى السلطان قسماً قسم يميل الى كركين خان وقسم عليه فانفق في الحال مع اعداء

كركين وتمكن بواسطتهم من اكتساب نفوذ عظيم وقرب كثير من السلطان . وتمكن الامير من مقابلة السلطان بعد ان استمال الوزراء بالرشوة فبسط به حكاية كركين وظلمه وشكى مرة الشكوى مما اصابه واصاب اهل بلاده . وكان ويس فصيحاً طلق المحيا فسمحر شاه حسين واستماله اليه حتى صار من اشهر المقربين الى السلطان وكان يمكنه اذ ذاك الرجوع الى فندهار الا انه بعد اطلاعه على ضعف دولة ايران واختلال امورها تمكن من نفسه ففكر أعلى من هذا وهو انه يمكن ان يخلص بلاد الافغان بتمامها ويفصل حكومتها عن حكومة الشاه . وعلم ان هذا الامر العظيم لا يصح الاستعجال فيه فطلب من الشاه ان يرخص له في السفر للحج فلما وصل الى مكة المكرمة رأى من المناسب ان يأخذ بعض الفتاوى من علماء اهل السنة بوجوب محاربة الشيعة ليدعو بذلك قومه الى حرب دولة الشاه التي هي دولة شيعية ويجمع كلمتهم على ذلك . فحصل على فتاوى بذلك واخفاها لحين اللزوم وبعد قضاء فريضة الحج رجع الى اصفهان مخفياً أمره مظهراً للشاه غاية الاخلاص

ولما وصل الامير ويس اصفهان ساعدته التقادير على ما يريد وذلك ان رجلاً أرمنياً اسمه اسرائيل اوربي تقدمت له خدمات للدولة الروسية في الممالك العثمانية فتوسل الى امبراطور الروس (بطرس الاكبر) في ان يجعله سفيراً لدى الشاه . ولحسن خدمته اقترن طلبه بالقبول فبعثه الامبراطور الى ايران وزيراً وزاد في مكافأته ان اعفى جميع الاموال التجارية المتعلقة به من الرسوم الجمركية . فجمع هذا السفير كثيراً من تجار الارمن وتوجه بهم الى بلاد ايران ولما قرب من حدودها شهر نفسه بانه من أولاد سلاطين الارمن

فالتجذد الامير ويس دخول هذا السفير بهذه الكيفية احسن وسيلة لنيل مقاصده وذلك انه اخذ بتكلم في المجمع والمحافل سرّاً وعلانية بان النصارى يريدون ان ينزعوا كرجستان وارمنستان من ايدي دولة الشاه ولا بد ان يكون كركين خان حاكم فندهار هو الواسطة الفعالة في ذلك . ولقرب عهد كركين خان بالاسلام اخذ هذا الكلام من النفوس موقفاً وغلب على ظن اولياء الدولة صدقه . وعزم الشاه على خلع كركين خان في الحال ولكنه خاف عاقبة التهور وبعد ان شاور وزراءه في الامر فرأى عليهم على ارجاع الامير ويس الى بلاده وجعله رقيباً على كركين خان . فاعز السلطان الى ويس بالقيام الى وطنه . وقام ويس وصدره قد امتلأ فرحاً وجوراً على حين انه

كان يظهر عدم الرضا من هذا الامر . ولما رجع الامير ويس الى قندهار اشتد غضب كركين خان واراد ان يتخذ وسيلة لهلاكه . وكان للامير ويس ابنة بارعة الجمال نادرة المثل فسمع كركين خان بجمالها وتمنى ان تكون زوجة له فخطر في باله ان يقترب بالفتاة قسراً فينال منها غايته ويذل اباه . فارسل اليه امراً لا يقبل الرد ولا التردد مفاده ان يرسل ابنته في الحال واذراى الامير ويس ان هذا الطالب على وجه قهري وان اذعانه له يحط من قدره جمع الافغانيين وحدثهم بالقصة فاغتاظوا لذلك وحشوه على المقاومة والمدافعة عن شرفه فامتلاً لذلك مروراً ولكنه امرهم بالصبر والثبات وقال: الاولى ان تقتل الاسد في النوم الا انه يلزمكم الثبات على ما انتم عليه واعتمدوا علي فاني سانتقم من العدو: فاطمانوا وحلفوا له بالخبز والملح والسيف والقرآن على معاضدته والقيام بطاعته وقالوا « ومن رجع عن ذلك فزوجه طالق بالثلاث »

وكان من خادومات الامير ويس بنت جميلة ارسلها الى كركين خان ليتزوجها باسم انها ابنته واطهر غاية السرور والبشاشة وانه غير حاقده على كركين خان . فحاج بذلك ما في قلب كركين خان وازال احتاده ولم يمض زمن طويل حتى صار الامير ويس من اخضاء كركين خان واصحابه يجتمع به كل يوم ويتحدث معه في الامور الهامة . وظل على ذلك زماناً وكركين لا يحسب للشر حساباً . ولما احس ويس بان تمام الامر دعى خصمه الى وليمة فاخرة في احدى جنائنه ودعى معه الاخضاء والاعوان من الحكام الذين كان الافغانيون بكرهونهم فقبلوا الدعوة وجاؤا الحديقة واكلوا وشربوا وطربوا حتى اذا دارت الخمرة في الرؤوس اشار ويس الى اصحابه بالذي كان بنويه . وكان قد احاط البلدة كلها باعوانه وجاء بنخبة من الابطال فاخفاهم في انحاء الحديقة . فلما سكر الوالي ومن معه وصدرت لهم الاشارة من ويس هجموا على ضيوفهم وقتلهم عن اخرهم . ثم تردوا ببلايس المقتولين وذهبوا ليلاً الى سراي الحكومة وقلعتهما والحراس يظنونهم كركين واصحابه ثم نادوا في اعوانهم ممن كانوا في قندهار وحولها فاعلموا السيف في عساكر الايرانيين وقتلوا اكثرهم في يومين . ثم شرعوا بقتل من استوطنوا في الولاية من الفرس ومن تمذهب من الافغانيين بذهب الشيعة وكانوا جمهوراً غفيراً ولم ينج من كل جيش كركين خان غير ٦٠٠ شركسي انوا المعجزات في محاربتهم اهل افغانستان ومكافحتهم حتى تمكنوا من الفرار الى بلاد خراسان وهكذا تم انسلاخ افغانستان عن اهران واستتب الامر للامير ويس العلجائي فيها . وهو رأس الدولة الغلجائية التي

نحن بصدددها. وكان ذلك حوالى سنة ١١١٦ هـ

٧٢٣ - الامير ويس الغجائى

ولما خلا جو قندهار من المعارضين بعث الامير ويس الى رؤساء القبائل الافغانية فحضروا ثم قام فيهم خطيباً يبين فضائل الحرية ومزاياها وشدائد العبودية وبلاياها ثم قال : ان وازرتوني واتفقت معي فسخلص اعناقنا من غل الذل وننشر اعلام العز والحرية ونخلص من سلطة الايرانيين الشيعيين : ثم ابرز ما عنده من الفتاوى الحاكمة بقتال الشيعة التي سبق اخذها من علماء مكة وأذن فيهم قائلاً « الا من رجح جانب الايرانيين واختار ان يكون في ربة عبوديتهم فليقطع الامل من ان يساكننا في ديارنا اذ لا يمكن له معاشرتنا ويستحيل ان ينال مودتنا ومصافاتها » فوافقه جميع الامراء واكدوا الموافقة بالايان . ولما بلغ الخبر الى الشاه حسين وحاشيته فعوضاً عن ان يرسلوا عسكرياً لتأديب العصاة ارسلوا سفيراً لتهديد الامير ويس . فلما وصل السفير الى قندهار اتى القبض عليه وسجن . فلما علم اهل البلاط في اصفهان بسجن الامير ويس للسفير ارسلوا اليه سفيراً آخر فسجنه ايضاً . فلما رأى السلطان حسين واعوانه انه لا مفر من القتال اوعزوا الى حاكم خراسان ان يبدأ بمقاتلة الافغانيين فصعد الحاكم للامر ولكنه لم يكن مالم يكن في حاسبه من جرأة الافغانيين واستعدادهم للحرب وانهم في موقعة جرت له معهم . وبلغ الخبر اصفهان فأمر السلطان بجمع كل قوات السلطنة وجيش جيشاً عظيماً جعله تحت قيادة خسرو خان والى كرجستان وهو ابن اخى كركين خان الذي قتله ويس كما مر وكان هذا الوالى بطلاً مقداماً ينهى محاربة الافغانيين حتى ينتقم منهم على قتل عمه . وتقدم هذا الجيش الجرار على مواقع الافغانيين فطردهم منها وتقدم الى مدينة قندهار وحاصرها فطلب محافظوها الافغانيون من خسرو خان ان يسلموا له المدينة على شرط ان يأمنهم على حياتهم فلم يرض بهذا الشرط . فلما علموا ان لا مفر من الموت اخذوا اهبة الدفاع وكانوا كل يوم يهاجمون محاصريهم والامير ويس بعد جمع العساكر المتفرقة شرع في الهجوم عليهم من الخارج حتى نفذت ذخائر خسرو خان فاضطر لترك المحاصرة وعوّل على الانسحاب ولحظ الافغانيون منه ذلك فتأثروا وحاربوه حرباً عنيفة كان النصر في آخرها لهم وقتل في هذه المعركة خسرو

خان ولم ينج من عساكره الايرانية التي كان مقدارها ٢٥ ألفاً سوى ٥٠٠ شخص .
ثم ارسل الشاه جيشاً آخر لمقاتلة الافغانين تحت قيادة محمد رستم خان فاصابه ما
اصاب الجيوش السابقة

واستقل الامير ويس استقلالاً تاماً بامارة قندهار وعزم من ذلك الحين على
الاستعداد للتقدم على امتلاك بلاد ايران ولكن عاجلته المنية قبل اتمام قصده فحزن
عليه الافغانيون حزناً مفرطاً وله عندهم شهرة في البسالة والفتنة يذكرونه بها الى
هذا اليوم

١٣٦٧ - الامير عبداللہ

وكان للامير ويس ولدان اكبرهما في الثامنة عشرة من عمره ولهذا اختار
الافغانيون ان يخلفه في الحكومة اخوه الامير عبداللہ . وكان هذا الامير جباناً
شتان بينه وبين اخيه فما عثم ان اسلم زمام الامر حتى بدأ بمخابرة اصفهان في
اعادة الامارة الى حكم الشاه حسين وعارضه قومه في ذلك معارضة شديدة فلم
يرجع عن قصده وارسل نواباً من قبله الى عاصمة ايران لعرض شروط المصالحة
واهما ان تعود الولاية الى الخضوع لاوامر الدولة الايرانية على شرط ان ترفع
عنها الجزية وان تكون الامارة وراثية في ذرية الامير عبداللہ المذكور . فلما
اطلع على ذلك الامراء الافغانيون اشتد غيظهم منه وانحرفت قلوبهم عنه واجتمع
بعضهم على الشاب محمود وهو بكر اولاد الامير ويس فاتفقوا معه على المجاهرة
بالعصيان والمناداة به اميراً على قندهار قبل ان تعود البلاد الى قبضة اهل ايران
وكان محمود عاقلاً نجيباً وباسلاً مقداماً فتروى في الامر على صغر سنه وصرف
قومه على ان ينظر في الحكاية . ثم انتخب اربعين بطلاً من اصدقائه واخبرهم
بعزمه على قتل عمه فوافقه على ذلك فاخذهم ودخل بهم الى بيت عمه على حين
غفلة وذبحه

٧٣٥ - شاه محمود به وبس

و باطلاع الافغانين على ذلك اقاموه حاكماً على انفسهم ولقبوه بشاه قندهار وفي الوقت الذي جلس فيه الامير محمود على كرسي سلطنة قندهار كانت دولة ايران في اسوأ حال وبلغ منها الضعف والفساد مبلغاً عظيماً واستولى حب الترف والخنول على اهله وكثر الثرون عليها فانتهز الامير محمود هذه الفرصة لتحقيق اماني المرحوم والده بالاستيلاء على ايران . وتقدم بجيشه على طريق الصحراء فوصل الى مدينة كرمان وبدأ بحاصرتها ولكن السعد لم يخدمه وقتئذ لان جيش ايران وصل لاغاثة المدينة تحت قيادة اطف علي خان وكان بطالاً مقدماً فخارب محمود الافغاني واضطره الى الفرار والعود الى بلاده . ثم دخل جيش ايران مدينة كرمان فاسأ ما مله لاهالي واكثر من الظلم والفتش حتى غنى الاهالي لو يعود الافغانيون اليهم ويملكون مدينتهم . وعاد اطف علي بعد هذا النصر الى شيراز ونواحيها ليجيش جيشاً كبيراً يقاتل به الاعداء فاطلق السراح لمساكره لنهب الاهالي وظلمهم على عاداته وشكاه الناس الى السلطان فأمر بوزله . ولم تقم للجيش الايراني قائمة بعد عزل هذا البطل . أما محمود فكان في هذه الاثناء يلم شعث جيشه وتجديد ما يقدر على تجديده حتى جمع في اشهر قليلة جيشاً لا بأس به ثم زحف على بلاد ايران بهذا الجيش الذي بلغ عدده عشر بن الف مقاتل في الشهر الاول من سنة ١٧٢١ م عن طريق الصحراء ايضاً وسمع الايرانيون بقدومه فماتت قلوبهم من الخوف . وحدث يومئذ ان الشمس كسفت وكثر احمرارها مدة ايام فأول الناس ذلك الى سخط الاله عليهم وكثرت مخاوفهم ودار الواعظون بينهم يحضرونهم على التقوى وترك المعاصي حتى يتحول غضب الاله عنهم . وحكم المنجمون ان مدينة اصفهان ستخرب فضعفت القلوب وتدنات الممم وانقطعت آمال هذه الامة الكبيرة من الحياة والنجاة . فلما علموا بقدوم الامير محمود بجيشه الجديد ايقن الاهالي ان محموداً هذا هو غضب الله النازل على دولة

ايران لخراب اصفهان كما اخبر به العلماء والنجمون

اما الامير محمود فتقدم في مسيره بلا مقاوم ولا معارض حتى صار على مسافة اربعة ايام من اصفهان فارسل اليه الشاه رسولا يعرض عليه المال الكثير والمصالحة على شرط ان يعود الى بلاده فلم يصغ محمود لقول هذا السفير وظل سائرا في سبيله حتى صار على ابواب اصفهان واستعد لمحاصرتها والهجوم عليها . فخاف الشاه جدا من وقوع اصفهان في قبضة هذا البطل الافغاني فجمع الوزراء والاعيان واستشارهم في الامر فاشار عليه محمد قلي خان بالامتناع داخل الاسوار ومحاربة الافغانين بالصبر الى ان يضجروا بهم او يقتل بعضهم على طول المدة ويعودوا عن المدينة وعزز رأيه بالادلة على ضعف الافغانين في الحصار وقوتهم في الهجوم والحرب بالاسلح الابيض وكان مصيبا في رأيه الا ان والي عربستان (خان اهواز) غير هذا الرأي وقام في المجلس محرضا القوم على البسالة والقتال يذم في الذي يقول باتخاذ خطة الدفاع والتساهل مع الافغانين الى هذا الحد . واحتد الامر في كلامه فتحرك عرق حمية الشاه وبعث بخمسين الفا مع عشرين مدفعا لملاقاة محمود فالتقى الجمعان وبعد قتال شديد انهزمت عساكر الشاه وجمع وزراءه للاستشارة وكان من رأيه الرحيل عن اصفهان الى جهة امنع حيث يمكن اجتماع الانصار والاعوان حوله ووافقه العقلاء على ذلك ما خلا والي عربستان فانه هزا بهذا الفكر وعده موجبا لضعف الجنود ونفرة قلوب الاهالي من الشاه و اشار بالحرب والقتال فانصاع السلطان لرأيه . وكان البعض يظنون ان والي عربستان خائن متفق سرا مع الامير محمود الافغاني على قلب الدولة والذي سيذكر من فعاله بعد هذا يؤيد القول بخيانتته : ثم ابتداء الامير محمود بحصار اصفهان وهجم في اليوم الثاني مع بعض ابطاله على بعض الاستحكامات واطروا جلادة وشدة حتى كادت المدينة تفتح لولا حسن دفاع احمد اغا احد اغوات الحریم فانه قاوم ببسالة وجبر الافغانين على التهقر فوقم الرعب في قلب محمود وارسل يطلب المصالحة على شرط ان تكون حكومة قندهار وكرمان وخراسان وراثته في ذريته

وان يزوجه الشاه بابنته ويعطيه ٥٠ الف تومان (التومان يساوي نصف جنيه انكليزي) . ولكن لم تقبل هذه المطالب عند الشاه

فتشاور محمود واعوانه في الامر فقروا على ائتلاف كل المزارعات والقرى والمائر المحيطة باصفهان من كل جانب حتى يتعذر وصول المدد والزاد اليها او يستحيل وقد فعلوا . ففر اهالي البلاد من اماكنهم وقصد بعضهم الانحاء القاصية والبعض لاذ بمدينة اصفهان فقبلهم الشاه بكل ترحاب ظناً منه انهم يزيدون في عدد المدافعين ولم يحسب لحصول القحط في المدينة حساباً

ثم شدد الافغانيون الحصار ونفذوا على اصفهان من كل جانب ولم يبق في وجههم معاند غير أهل قرية صغيرة تدعى اصفهانك على مقربة من اصفهان . هؤلاء القوم اظهروا بسالة واقداماً غريبين حتى انهم هجموا على قافلة افغانية كانت تنقل الزاد الى جيش محمود وملكوها فلما علم الامير الافغاني بذلك سار بنفسه واكابر اعوانه للانضمام من هؤلاء الاشداء ولكنه لقي من بسالتهم ما لم يكن يخطر على باله واضطر الى التهرب بعد ان قتل عدد كبير من رجاله وأسرعه واخوه وابن عمه في ساعة واحدة . وفرّ الحاربون بهؤلاء الاسرى فلم يمكن لمحمود ان يخلصهم ورأى انه ان لم يسرع الى انقاذ اقراربه ذبحهم اعداؤه عن آخرهم فاستغاث بعدوه الشاه حسين ورجاه ان يأمر الاهالي بالافراج عن هؤلاء الاسرى ففرح الشاه بذلك لانه كان يؤمل ان يكون هذا سبباً في خلاصه وخلاص اصفهان من الضيق فبعث بالوامر الى اهالي القرية يأمرهم بالافراج عن الاسرى ولكن اوامره وصلت بعد ان قضي الامر وضرب اعناق الافغانين فلما علم الامير محمود بذلك اشتد غيظه وامر رجاله بقتل كل اسير في قبضتهم وضيق على اهالي اصفهانك بكل قوته حتى اضطرهم الى الفرار وقتل كل من وقع في يده منهم

ولما طالمت مدة الحصار اخذت الاسعار ترتفع شيئاً فشيئاً وظهرت علائم القحط في المدينة ولم يجد الشاه سوى ان ارسل ولده شاه طهماسب ولي العهد

سراً الى سائر البلاد الايرانية ليدعو الناس الى حرب الافغانين وتخليص كرسي
المملكة من ايديهم فلم يتمكن من جمع كلمة الاهالي على القيام بتخليص ابيه
وكثر الضيق والجوع في اصفهان وانقطع عنها الزاد انقطاعاً تاماً فاجتمع الاهالي
حول السراي السلطاني ونادوا على الشاه بالخروج الى الحرب لتخليص المدينة
من ايدي الاعداء فامرهم الشاه بالانصراف ريثما يتدبر الامر فلم ينصرفوا
واضطر الى امر حراسه ان يطلقوا النار عليهم فعمم الخطب واوشك الاهالي ان
يهجموا على السراي ومن فيها ويخربوا دولتهم بايديهم لولا ان يتدارك احمد اغا
الذي مر ذكره الامر بحكمته بان وقف بين الجمهور وصاح فيهم ان هيا الى محاربة
الافغانين فعرفه القوم وداروا به من كل جانب وتبعوه الى خارج الاسوار
فهمموا على الافغانين هجوماً عنيفاً واستخلصوا بعض الاستحكامات من ايديهم
الا ان عساكر العرب التي كانت تحت امره والي عربستان تفهقروا عمداً فغضب
احمد اغا لذلك و امر باطلاق البنادق على الفرقة العربية من عساكره . فلما وقع
النزاع بين العساكر واشتغل بعضهم ببعض هجم الافغانيون وهزمهم . فذهب
احمد اغا الى الشاه وعرفه ان والي عربستان هو سبب هذه الهزيمة لاتحاده مع
محمود في المذهب . ولكن والي عربستان القى الى الشاه مازين له عزل احمد اغا
عن رئاسة المحافظين للقلعة فعزله فتناول السم ومات . وحزن الايرانيون جداً
لموت احمد اغا ويثسوا من النجاة وصغرت نفوسهم حتى اضطر الشاه ان يرسل
الامير محموداً في الصلح على الشروط التي سبق محمود وطلبها منه فرفض الامير
محمود اجابة طلب الشاه رفضاً باتاً مدعياً ان كل شيء صار له بلا شروط ولا قيد
واشد الامر على اهالي اصفهان ووقع القحط فيها حتى اكل الناس القحط
والكلاب وجذور الاشجار واخيراً اضطروا لاكل لحم الادميين فكانت الاب
يذبح ابيه والام تذبح ابنتها طلباً للقوت وزاد عدد الموتى زيادة هائلة حتى امتلأ
النهر من الجثث وتغيرت مياهه ولم يستطع احد ان يشرب منه . فلما بلغ
الحال الى هذا الحد وذلك في ٢١ اكتوبر سنة ١٧٢٢ م (سنة ١١٣٥ هـ) خرج

شاه سلطان حسين من قصره لابساً لباس الحداد مع جميع امرائه واخذ يدور في ازقة اصفهان وهو يبكي من المصائب التي نزلت في ايام دولته على البلاد والعباد ويقول « ان كل ذلك من خيانة الناصحين وعدم ديانة المشيرين » وبين للناس انه يريد ان يتنازل عن الملك والتاج الالافين . فكبر ذلك على الناس ونسوا مصائبهم ومصائبه واكثروا من البكاء والتعجب ولكنهم رأوا ان التسليم اولى بهم من الموت وبهذا قضى الامر

وفي يوم ٢٣ اكتوبر سنة ١٧٢٢ م خرج شاه سلطان حسين مع جميع العظماء وثلاثمائة من خيالة ايران وذهبوا الى الامير محمود في فرح آباد فلما دخلوا عليه في قصره لم يتحرك من مجلسه الى ان وصلوا وسط الديوان . ثم ان الشاه خلع ريشة الملك عن رأسه وقال لمحمود « يا ابني ان الله تعالى لا يريد ان املك زماناً اكثر من هذا وقد جاءت ساعة صعودك على عرش ايران فانا اتنازل لك عنه وعن السلطنة جعل الله حكمك سعيداً » فاجابه محمود « ان الله يعطي الملك من يشاء وينزعه ممن يشاء » ثم غرز الشاه الريشة في عمامة الامير محمود ثم تصافيا وزوجه الشاه بابتته في ذلك المجلس . وفي اليوم الثاني دخل محمود مدينة اصفهان وجعل همه الاول انقاذ اهلها المساكين من غائلة الجوع والبلاء الذي حاق بهم وفي ارضاء خواطر الناس حتى مال الجميع اليه . وابقى الموظفين الايرانيين في مناصبهم الا انه جعل مع كل واحد منهم رجلاً افغانياً ليتدرب الافغانيون على الاعمال الدولية من جهة وليكن مطمئناً من جهة ما يعمل من جهة اخرى ثم عاقب بالقتل كل من خان الشاه ودرس عليه في الحرب الا والي عربستان فانه سلمه جميع امواله وفضحه فضيحة شنعاء ولكنه لم يقتله كانه عاهده على ابقاء نفسه

ثم ارسل الامير محمود سنة الف جندى بقيادة امان الله خان لفتح مدينة قزو بن فسار اليها وفي اثناء الطريق فتح مدينة قاشان وقم واخيراً دخل مدينة قزو بن بلا معارض . واساء الافغانيون السيرة في قزو بن وكان اهلها لا يحتملون الضيم فقاموا على الافغانيين وطردهم من المدينة بعد قتل الف شخص منهم وذلك سنة ١١٣٦ هـ

وفي اثناء عودة الافغانين المنهزمين انفصل اشرف ابن عم الامير محمود عن امان الله خان وقصد قندهار

وبعد واقعة قزوين قام سائر الاهالي وعملوا بالافغانين مثل ما عمل اهل قزوين واجتمع جمع الافغانين في اصفهان . ولما رأى الامير محمود ذلك توهم ان اهالي اصفهان ربما يفعلون معه ما فعل غيرهم بقومه فقتل جميع المستخدمين الايرانيين في الحكومة من الامراء والعساكر حتى صارت مدينة اصفهان خراباً . فلما اقفرت اصفهان من اهلهما جاء محمود بقبائل من الاكراد واسكنها تلك المنازل الخالية وهو يومئذ مل الفوز بواسطتها . ولما اجتمع الاكراد وجاءه الامداد من جهة قندهار وجه بعض العساكر لفتح جلبايبكان وخنसार وقاشان وفتحوها وارسل جيشاً اخر لفتح مدينة شيراز وبعد حصار طويل فتحوا البلد عنوة واخذوا في اهلها . ولكن السعد لم يخدم محموداً طويلاً لان عساكره انهزمت بعد ذلك في وقتين عظيمتين فنفرت عنه قلوب الافغانين واجبروه على ارجاع اشرف من قندهار وجمعه ولي العهد . ثم غلب الوسواس على الامير محمود فطلب العزلة ولم يخرج من عزلته حتى ازداد فيه الوسواس وسوء الظن حتى انه ظن به امر بقتل تسعة وثلاثين من اولاد السلاطين الصفوية ومازال به الوسواس حتى اورثه خيلاً وجنوداً . وبلغ به الجنون الى درجة ان كان ينهش لحم نفسه باسنانه . وفي اثناء ذلك سمع الافغانيون بان شاه طهماسب ابن الشاه حسين آخذ في جمع شتات الايرانيين لاستخلاص ايران من يد الافغانين فاضطروا ان يجلسوا اشرف ابن عم الامير محمود وولي عهده علي كرسي السلطنة في حياة محمود فابي قبول السلطنة ما لم يقتلوا محموداً لانه هو الذي قتل ابااه الامير عبدالله فقطعوا رأس محمود سنة ١١٣٨ هـ وقدموها اليه فقبل الجلوس على كرسي السلطنة . وهكذا انتهت حياة هذا الامير الافغاني العجيب وفتح ايران الشهير لسبع وعشرين سنة من عمره

٧١٦ شاه اشرف بن عبد الله

من سنة ١١٣٨ - ١١٤٢ هـ او من سنة ١٧٢٥ - ١٧٢٩ م

وابتداً اشرف عمله بان اخذ يستقبح اعمال الامير محمود التي صدرت منه في آخر عمره وبيث التشنيع عليها في المملأ العام . واستألة لقلوب الاهالي اخذ تاج الملك ووضعه على رجل شاه سلطان حسين راح عليه في لبسه . فلم يرض الشاه بذلك ورفع التاج بيده ووضعه على راس اشرف وقال « اني اخترت انعزلة على العزة » وزوجه بابنته الثانية

وكان طهماسب ابن شاه سلطان حسين يسعى من يوم فراره من اصفهان برد الملك الى عائلته فلم ينجح في اول الامر وكان على وشك الانزواء حتى اذا علم بتقدم الاتراك على بلاد ايران في ايام الامير محمود السابق الذكر وسمع بهجوم الروس من جهة اخرى خطر له ان يتحد مع هاتين الدولتين وان يعطيها ما تبغيان من البلاد على شرط ان تسعيا برد الباقي منها اليه . فخابر سلطان الاتراك ولم يفلح في الامر واما اممايل بك سفيره في بطرسبرج فنجح وعقد بامم مولاه معاهدة مع القيصر بطرس الاكبر مؤداها ان تنازل ايران عن ولاياتها الشمالية لروسيا وان يسعى قيصر الروس مقابل ذلك في طرد الافغانيين من ايران وردھا الى العائلة الصفوية . وكان الاتراك وفتنئذ يفتخرون البلدان المجاورة لاملأ كههم ففتحوا بلاد كردستان وخوى وتنجوان وايروان ومراغة وارمينية ومعظم اذربيجان واخيراً دخلوا مدينة تبريز بعد ان تعبوا كثيراً في الاستيلاء على هذه المدينة

كل هذا حدث في ايام الامير محمود . وكانت روسيا وتركيا متفقتين على تقسيم ايران وترك القليل الباقي منها لطهماسب بن حسين الصفوي وطرد الافغانيين من ايران

فلما جلس اشرف على كرسي السلطنة اراد ان يخدع طهماسب فكاتبه بدعوه للاتفاق معه واذا علم بذلك بعض الامراء الايرانيين الذين كانوا في خدمة اشرف كتبوا الى طهماسب يحذرونه من الاعتماد على قول اشرف . ولما استشعر اشرف بهذا امر بقتل بقية الامراء الايرانيين الذين تخلصوا من سيف محمود متعللاً بانهم براسلون عدوه . فلما خاب امل اشرف من الغدر بطهماسب ارسل سفيراً الى

القسطنطينية معترضاً على اتحاد السلطان مع دولة روسيا المسيحية على قتال سلطان مسلم سني مثله فوافق العلماء هذا السفير وضموا صوتهم الى صوته الا أن الوزراء صرفوا هذا الوزير بدعوى ان السلطان العثماني هو امير المؤمنين وخليفة رسول رب العالمين وظل الله في الارضين ومن لم يطع امره ولم يخاطب باسمه ولم يعط الخراج فهو عدو للدين والجهاد فيه افضل من الجهاد في البصارى . فافتنع العلماء بهذه الحجة وعاد السفير بخفي حنين . وصدر امر السلطان العثماني لاحمد باشا والي مراغة وقزوين بسوق العساكر الى اصفهان . ولما سمع اشرف بذلك امر بحرق القرى وجمع عساكره واستقبل العساكر العثمانية فتلاقى اولاً مع الفين من مقدمة جيوشهم على بعد خمسة عشر فرسخاً من اصفهان فقتلهم عن آخرهم فوقع الرعب في قلوب الاتراك لهذا الخبر وامر احمد باشا بتوقيف العسكر وحفر الخنادق حولهم . اما اشرف فقد بعث باناس سرّاً ليسعوا في جمع قلوب الاكراد على ولائه وليذيعوا في المعسكر العثماني ان هذه الحرب مضادة للدين الحنيفي وبعث بآخرين من العلماء جهرّاً الى احمد باشا ليهتيلوا فواده الى السلم وبيبنوا له ان الصالح خير فلم يسمع مقاتلهم بل امر بسوق العساكر وكانت ٦٠ الفاً يصحبها ٧٠ مدفعاً ولم يكن مع اشرف سوى ٢٠ الفاً يصحبها ٤٠ زنبوركاً وهو شيء يشبه المدفع يحمل على الجمل ويطلق وهو فوقه . فلما تلاقى العسكران انهزم العثمانيون شر هزيمة بعد ان قتل منهم ١٢ الفاً وتركوا جميع اسلحتهم وادواتهم وفرّ احمد باشا الى كرمان شاهان وخوفاً من ان يتعقبه اشرف لم يتم فيها بل ذهب الى بغداد . فالتحق اشرف من ذلك فرصة لاستمالة ائدة العثمانيين فكتب الى احمد باشا يقول « انني لا احب التصرف في اموال المسلمين فارسل اميناً من طرفك يستلم جميع ما تركتم سوى الآلات الحربية » واطلق العثمانيين امسرى فوجب ذلك اشتهاؤه عند العثمانيين بحسن السيرة فالتزموا ان يصلحوه على ان يعترفوا له بكونه شاه ايران وان يعترف هو بكون السلطان العثماني ظل الله في الارضين

كل هذا وطهماسب ابن شاه سلطان حسين لم ينفك عن السعي وراء ارجاع الملك الى عائلته وكان السعد اراد خدمته فسخر له نادر خان (الذي صار فيما بعد نادر شاه وهو الفاتح الشهير وسيأتي ذكره فيما بعد ان شاء الله تعالى) لحالما اتحد نادر خان المذكور مع عسكر طهماسب استولى على عدة مدن مثل مشهد وهرات واستفحل امره في تلك البلاد . فلما سمع اشرف بذلك وكان قد انتهى من حرب الاتراك وعقد الصلح

معه على ما تقدم اضطرب وأخذ يحشد العساكر فجمع ٣٠ ألفاً وسار بهم الى خراسان وتلاقى مع عساكر نادر بقرب دامغان فهاجمها مرات متعددة الا ان عساكره لم تقدر على مقاومة عساكر نادر فانهمز ورجع الى اصفهان وامر بجمع الافغانيين وعسكر في شمال المدينة بقرب مودجه خوار وحفر خنادق واقام استحكامات . فتوجه اليه نادر فلما وصل الى معسكر اشرف وجده في غاية المناعة ومع ذلك امر بالهجوم عليه فلم تكن الا ساعة واحدة حتى انهزم الافغانيون هزيمة شنعاء وثقهقروا الى اصفهان وعلما علم اليقين ان لا مقام لهم بها فباتوا ليلتهم يتأهبون للرحيل وقبل طلوع الشمس خرجوا من المدينة وارتكب اشرف اثماً فظيعاً قبل فراره من اصفهان هو انه قتل السلطان شاه حسين السي البخت الذي رأى من المصائب ما لم يره ملك من ملوك ايران

وبعد ان استولى نادر على اصفهان تقدم وراء الفارين من الافغانيين فلحق بهم في مدينة شيراز وحاصره ولما خابروه في الصلح لم يسمع لهم قولاً . فانقسم الافغانيون الى عدة فرق بأمر اشرف وفرت كل فرقة من ناحية . وهب الايرانيون في وجه هؤلاء الفارين من كل ناحية حتى قتلوا اكثرهم واذاقوهم البلاء الاكبر

اما شاه اشرف فيكان يقاتل مع القبائل الى ان وصل الى بلوخرستان فقابله اهلها بالقتل والسلب حتى لم يبق معه الا شخصان واخيراً عثر به واحد من اهل بلوخرستان وعرفه فقتله في الحال وبعث برأسه مع قطعة ماس كانت معه الى شاه طهماسب . وكان ذلك في سنة ١١٤٢ هـ . وهكذا انقرضت الدولة الغلجائية الافغانية والبقاء لله وحده

٧٢٧ - الدولة الحسينية بتونس

(تمهيد) لما فتح سنان باشا تونس (راجع فصل ٥٢١) . واراد العودة الى القسطنطينية ترك فيها حرساً من الترك مؤلفاً من ٤٠٠٠ جندي وجعل لكل مائة منهم اميراً يسمى الداي وعين اضبط الامور وجباية الاموال اميرلوا يسمى الباي وجعل النظر في امور العسكر للاغناء وخطب باسم السلطان سليم وضرب السكة باسمه واستمر الحال على ذلك الى سنة ٩٩٩ هـ حيث ثار الجند لما وقع عليهم من

الضيم والخسف واجتمع الدايات منهم وكانوا اربعين دايا فعقد لاحدهم ابراهيم رودسلي على قيادة الجيش مشاركة مع الاغا فاصبح زمام الحكومة في قبضته واتخذ لنفسه مساعدين احدهما الباي وخص بالنظر في الشؤون الاعراب والجنود والثاني القبطان وخص بعد ثلاث سنوات بالنظر في الشؤون البحرية . الا ان مدة حكمه لم تطل لانه احس من حكمه بخرج موقفه فبرح البلاد بدعوى الحج . وخلفه موسى وهذا لما رأى حرج الموقف اقتدى بسلفه . وتنازع الخطة من بعده عثمان داي وقره صفر داي فاتصر عثمان داي على خصمه وخلصت له الرياسة سنة ١٠٠٧ هـ فاحسن السيرة في الرعية ثم توفي سنة ١٠١٩ هـ فخلفه صهره يوسف داي وكان ذاهمة وعقل فصلحت تونس في ايامه ثم توفي سنة ١٠٤٧ هـ فخلفه مراد داي ثم احمد خوجه داي سنة ١٠٥٠ هـ الذي لم يكن له من الرياسة الا اسمها فقط والامر والنهي لحموده باي . وفي ايامه قويت شوكة الامراء البحريين وتواترت شكوى اوروبا من القرصنة فجاء اسطول انكليزي الى حلق الوادي سنة ١٦٥٤ م والزم حكومة تونس بقبول تعيين قنصل بريطاني لديها . ثم توفي احمد خوجه سنة ١٠٥٧ هـ وخلفه محمد لاز داي الذي توفي سنة ١٠٦٣ هـ وخلفه مصطفى لاز داي ثم توفي سنة ١٠٧٥ هـ فخلفه مصطفى قره قوز داي وكان ظالماً عاتياً فخلعوه ومات سنة ١٠٧٧ هـ وخلفه حاج اوغلي داي وخلع سنة ١٠٨١ هـ وخلفه شعبان خوجه داي وخلع سنة ١٠٨٣ هـ وخلفه الحاج محمد امتشالي داي وخلع سنة ١٠٨٣ هـ وخلفه الحاج علي لاز داي وكان النفوذ في هذه المدة لمراد باي بن حموده باشا الذي ضعف بشوخته نفوذ الدايات من هذا العهد . ثم خلع الحاج علي لاز الداي واقام الجنود مكانه عسكرياً اسمه محمد اغا رما علم مراد باي بذلك شنت جموعه ثم قتله وولى الحاج ماي جمل الذي غلب مراد اعلى امره واستر بالسلطة دونه نضل كذلك حتى توفي وتنازع السلطنة بعده ولداه محمد باي وعلي باي فبويع محمد باي الذي خلع فخلفه عمه محمد الحفصي وبعد ولايته ذهب سلفه الى الكاف ورام عمه يمشد من اهلها فاضطرب امره واشهد على نفسه بالخلع فقدم محمد وجددت بيعته واخذ على من بايعوه العهد في عدم قبول عمه ولو بامر الدولة العلية . وغض

من اخيه علي فاستعان على مطالبه بشيخ الحناشة الذي زوجه ابنته . وبينما هو يدبر في امره معه اذ جاءه معه محمد الحفصي في سبع سفن عثمانية متقلداً منصب الباشا من السلطان محمد خان فبعث الداي والاهالي وفداً الى الاستانة لطلب رد الحفصي عنهم . ووصل علي باي في جمعه فهزم محمداً ولما بويغ له عزل الداي مامي جعل وولي بيشارة ثم اعاد مامي وتولى الاضطراب . واراد محمد الانتقام فانتصر عليه اخوه علي ثم عزل علي باي مامي جعل ثانية وولى بعده ازن احمد ثم محمد طاباق . واعاد محمد كره القتال جملة مرار لكنه رد بالحيلة وصفا الجولمي وطاباق ثم فكك الاول بالثاني وولى بعده احمد جابي وكان شجاعاً غير مستسلماً لملي حتى عاقب احد اتباعه بالسجن لارتكابه امراً دينياً فعظم ذلك على الباي فقدم الى الحاضرة في ٢٥ الف فارس فاستصرخ الداي بمحمد باي وحدثت حروب بين هذا واخيه علي انتهت باتفاق الاثني على اقتسام البلاد وقتل الداي لذي خرج لتناولها لكن الداي انتصر عليهما فهزم محمداً وفر علي لتخاذل قومه . ولما استتب الامر للداي جعل خازن داره محمد منيوط باياً فشرد الاخوين فذهبا الى صاحب الجزائر واستصرخاه علي قتل عدوهما فاعانها صاحب الجزائر على قتاله فاستولوا على الحاضرة واسروا الداي والباي وولوا الحاج بكطاش دايا . ولكن الجند لم ترق هذه الشركة في اعينهم فنادوا بولاية محمد وقتلوا علياً ثم قتل احمد جابي وصفا لمحمد الجوه فبني جملة من المدارس والاساجد والاسواق . وفي عهده ثار محمد بن شكر وتوجه الى الجزائر مستنجداً . توليها فأنجده فهزم محمداً قرب الكاف سنة ١١٠٥ هـ وفر محمد الى الصحراء وتم الامر لابن شكر فولى دايا اسمه محمود وآخر اسمه محمد طاطار فتصرفوا في العمالة بالسلب والنهب واحقدوا عليهم الخواطر . فأرسل الاهالي الى محمد باي ينادونه من وراء الصحراء فجاء وهزم محمد بن شكر الى فاس حيث مات واستتب الامر لمحمد باي الى ان توفي سنة ١١٠٨ هـ فخلفه الباي رمضان بن مراد وكان عاكفاً على الملاهي واجنبال الآلة المعروفة بالارغن واستولى على عقله مزهود المغني فتصرف بالقتل وغيره وكانت أم رمضان مسيحية

ومات على دينها فبنى لها كنيسة في قرطاجنة . وكان مراد بن علي باي في كنف عمه رمضان المذكور فسمي عينيه ثم شفي وفر من حبسه فمات اليه جموع الناس الذين تقموا على رمضان . فتمكن مراد المذكور من الانتصار على عمه رمضان وقتله وتولى مكانه سنة ١١١٠ هـ فانتهك الحرمات وجاهر بالفاحشة وعذب مزهوداً المغني ومن وافقوا على سمل عينيه وقتل يده الشريف محمداً العواني واكل من لحمه مع ندمائه . ثم زحف على قسنطينة وهزم بايها ولكن وردت الى هذا الاخير الامداد ففتكت برجاله وعاد هو فخر القايرون ولبث يمشو في البلاد حتى فتك به ابراهيم الشريف بمواطاة كبراء الجند سنة ١١١٣ هـ فبايع الجند ابراهيم الشريف واصله من جند الجزائريين الذين قدموا مع ابن شكر فخدم محمد باي حتى ترقى لمنصب الاغا . ولما تمت بيعته عزل الداوي وولى مكانه مصطفى داي وسار بالظلم حيث استباح الناس قتلاً ونهباً . ثم عزل مصطفى داي وأضاف منصب الداوي الى نفسه وصار يوقع في أوامره : ابراهيم الشريف باي داي : ثم اتاه تقليد منصب الباشا فصار يكتب : الباشا ابراهيم الشريف باي داي : وقتل صاحب طرابلس وانتصر عليه وخرج لقتال الجزائريين سنة ١١١٧ هـ وكان كاهيته حسين بن علي يشبطه على المبادرة بالقتال لانفضاض أنصاره من حوله فأبى الا التقدم فهزمه الجزائريون فارتاع اهل تونس لهذه المزيمة واتفقوا على تقليد امير فقلدوا حسين بن علي السالف الذكر في ٢٠ ربيع سنة ١١١٧ هـ وهو رأس العائلة الحسينية التي نحن بصدددها

٧٢٨ عيسى باي بن علي

من سنة ١١١٧ هـ - ١١٥٣ هـ أو من سنة ١٧٠٥ - ١٧٤٠ م

كان أبوه علي يوناني الاصل واعتنق الاسلام وقد أظهر في ولايته الحكمة والرصانة وألغى لقب لداي وجعل الولاية وراثية في عائلته للاكبر من أولاده

الذكور وكان لا عقب له فعهد بالولاية لابن اخيه علي ثم رزق بأولاده الثلاثة محمد وعلي ومحمود من زوجته الجنوية الاصل فمنح ابن اخيه لقب الباشا تمزية له ولكن حقد عليه وثار فانهمزم هو وابنه يونس الى الصحراء وبعد ان اقام بالصحراء مدة استفزته نزغات المطامع الى الاستيلاء على القيروان فلم يفلح فقصده الجزائر فاعتقله دايمها مقابل جعل قدره ١٠٠٠٠ محبوب يؤديه اليه الباي سنوياً . وبعد أن استمر الحال على ذلك مدة اتفق ان اهمل الباي الارسال فأطلق الداوي سراح علي وطالب من باي قسنطينة امداده فأمدته ودخل تونس وصار تابعاً لداي الجزائر يؤدي اليه الجزية وكان حسين باي قد نجح الى القيروان حيث التف عليه اهل الساحل فخاربه يونس بن علي باي عدة سنوات وقتله في وقعة ٦ صفر سنة ١١٥٣ هـ ونجح ابنه الى الجزائر وقسنطينة

٧٢٩ علي باشا باي

من سنة ١١٥٣ - ١١٦٩ هـ او من سنة ١٧٤٠ - ١٧٥٦ م

نازع عمه حسين باي وانتزع منه الولاية واستتب امره بعد مقتل عمه المذكور سنة ١١٥٣ هـ وحالما جلس على كرسي ولاية تونس ارهف الحبد في شيعة عمه وبنيه وحاول نسخ بعض المعاهدات المبرمة مع فرنسا فبعثت اليه اسطولاً لاخذ طبرقة التي كان انتزعها من الجنويين فلم يفلح وأسر قائده ولكن اضطر الباي اخيراً على التوقيع على عهدة ١٢ نوفمبر سنة ١٧٤٢ م . وكان ابنا حسين باي قد نجوا الى الجزائر كما قلنا فاغتنم دايمها ابراهيم كچوك هذه الفرصة وسير جيشاً الى الكاف لمحاربة علي باشا ولكن باي قسنطينة حليفه في السر تشاقل عن الحصار بما أوجب تفهقر الجيش فمات محمود أحد ابناء حسين باي كدّاً وغماً وبعد قليل من ذلك ثار يونس على أبيه فأرهف ابوه الحد في النكاية باشياعه وشرده الى قسنطينة . وتلت هذه الثورة عصيان الاثرلج من الجند فاستعان الباي

عليهم بقبائل لاعراب واذنهم بعد الانتصار بنهب بيوت المسيحيين واليهود .
وفي هذه الاثناء عين بابا علي دايا للجزائر وكان نفعاً على علي باشا فأنفذ اليه جيشاً
بقيادة محمد وعلي ابني عمه حسين باي وكانت خواطراهل تونس منصرفه اليهما
فتعمدوا الجبن في الدفاع عن علي باشا فانتصر محمد وعلي عليه ودخلا تونس مع
الجزائريين وقتلا علي باشا وابنه محمداً وذلك في ذي الحجة سنة ١١٦٩ هـ



٧٣٠ محمد باي بن حسين

من سنة ١١٦٩ - ١١٧٢ هـ او من سنة ١٧٥٦ - ١٧٥٩ م

وبعد مقتل علي باشا وابنه بايع التونسيون لا كبر أبناء حسين باي محمد باي
وكان عالي الهمة واسع العلم أديباً شاعراً . لكنه لم يهنأ بالولاية طويلاً لان
الجزائريين الذين كانوا السبب في اتصال الولاية اليه اثقلوا عليه المطالب ولما لم
يجبهم الى ما طلبوا هجموا على القصبة ونهبوها ودمروا دور القناصل وخرّبوا
الكنائس والمساجد . فأسرع أخوه علي لتجديده وألزم الجزائريين بالجلأ بعد أن
تعهد الباي لهم بأنارة سنوية من الزيت ثم توفي محمد باي في ١٤ جمادي الثانية
سنة ١١٧٢ هـ (١١ فبراير سنة ١٧٥٩ م) فحزن الناس كثيراً لوفاته وكنب على
قبره قصيدة مطلعها

هذا ضريح للامام الامجد نجم الملوك السيد ابن السيد
وختمها بشرى له اذ جاء في تاريخه يا حسن حور زينت لمحمد

٧٣١ علي باي بن حسين

من سنة ١١٧٢ - ١١٩٦ هـ أو من سنة ١٧٥٩ - ١٧٨٢ م

وتولى بعده أخوه علي باي فسار على خطة والده وأخيه في تعصيد الزراعة
والصناعة واطلق حرية الاتجار للاروبيين ورفع شأن البحرية والجيش وحسن

الملاقى بينه وبين الدول لا سيما فرنسا . ولكن حدث بعد قليل ما كدر صفو هذه العلاقات فان جزيرة قرسقة ألحقت بفرنسا وكانت تونس في حرب معها سنة ١٧٦٨ م فلم يصادق الباى على إلحاقها ولا على إعطاء الجنسية الفرنسية للآسرى القرسقيين وكانت نتيجة ذلك أن أرسلت فرنسا أسطولاً فرنسائياً أطلق القنابل على حلق الوادي وبنزرت وسوسة وأنجلى الأمر عن عقد معاهدة باردو التي قضت بإطلاق القرسقيين وتجديد الامتياز بصيد المرجان . ولما عادت العلاقات الودادية بينه وبين فرنسا الى مجراها أشرك ابنه حمودة في الحكم كمالة لحقه في وراثة المملوكة . ومن مآثر علي باى انشاؤه التكية الموجودة الآن وغيرها من أعمال البر والخير ثم توفي في ١٢ جمادى الثانية سنة ١١٩٦ هـ

٧٣٢ محمود باى به على

من سنة ١١٩٦ - ١٢٢٩ هـ أو من سنة ١٧٨٢ - ١٨١٤ م

تخلّفه ابنه حمودة باى ولأول ولايته جدد المعاهدات بينه وبين فرنسا . وحدثت بينه وبين جمهورية البندقية حرب بسبب سفينة تجارية فجاء الاميرال البندقي ايمو باسطوله وضرب سوسة وصفاقس وحلق الوادي ولم يرض الباى بالصلح واتفق ان مات الاميرال فكانت وفاته سبباً في عقد الصلح سنة ١٧٩٢ م . وفي أيامه حصلت الثورة الفرنسية الكبرى واستولت فرنسا على مالطة واحتلت مصر فتغيرت خواطر التونسيين عليها وأخذت حكومات طرابلس والجزائر تعامل الفرنسيين بالسوء . ثم امتنع حمودة باى عن دفع الاتاوة السنوية للجزائر فسبر احمد داي جيشاً اليه فخرج التونسيون في ٥٠٠٠٠ مقاتل بقيادة سليمان كاهية وزحفوا على قسنطينة ولكنهم ردوا عنها مدحور بن سنة ١٨٠٧ م فطعم الجزائريون في تونس واغاروا عليها فقهرهم التونسيون في الكاف وغنموا منهم ١٠ مدافع وقتل الداي احمد وخلفه الحاج علي داي فانفذ جيشاً آخر للقاه حمودة

بجنان ثابت . ولم يصل الجزائريون الى حدود تونس حتى بلغهم خبر شريرة
الاعراب في الجزائر فانكفأوا راجعين الى بلادهم لتسكين الثوار فيها . وما خلاص
حدودة باي من الجزائريين حتى تأمر البعض على اغتياله ولكنهم قتلوا عن آخرهم
ثم قدم اسطول جزائري ليلزم الباي الاعتراف بسيادة الجزائر عليه فقبل
بتوريد الزيت اللازم للمساجد كل سنة الا ان الجزائريين عادوا لمهاجمته برًا
وبحراً سنة ١٨١٣ م ثم اضطروا للعود الى بلادهم لثورة القبائل مرة ثانية . ثم
توفي حدودة باي في غرة شوال سنة ١٢٢٩ هـ (١٤ سبتمبر سنة ١٨١٤ م)
ورثاه الشيخ ابراهيم الرياحي بقصيدة يقول في مطلعها

حكم المنية نافذ الاحكام والدار ما جعلت بدار مقام
وختمها بتاريخ وفاته فقال :

ولقولني حق بفضلك فيه اذ ارخت قيل ادخل لنا بسلام

٧٣٣ - عثمان باشا باي بن علي

من سنة ١٢٢٩ - ١٢٣٠ هـ او سنة ١٨١٤ م
فتولى بعده اخوه عثمان باشا ولم يحدث في ايامه حادث يذكر لانه بعد
اسابيع من ولايته خلع وقتل هو وابناؤه الارضيماً منهم ليلة عاشوراء سنة ١٢٣٠ هـ

٧٣٤ - محمود باشا باي

من سنة ١٢٣٠ - ١٢٣٩ هـ او من سنة ١٨١٤ - ١٨٢٤ م

فبويع بعده محمود باشا باي . وأهم ما حدث في ايامه اعتداء القرصان على
سردنيا ومجبي ، اسطول انكليزي لطلب اطلاق الاسرى فاطلهم الباي فعصاه
الاهالي لذلك واستولوا على حلق الوادي . وفي سنة ١٨١٩ م وقع الباي على
معاهدة قدمها اليه الاميرال والاجرافير بالنيابة عن اوربا . وفي سنة ١٨٢١ م تم

الصالح بين تونس والجزائر بمساعي الدولة العلية وزالت الشحنة القديمة وفرح
الاهالي لذلك فرحاً عظيماً . ومن اعمال محمود باشا ارساله اسطولا لمساعدة الدولة
الدالية لاطفاء ثورة اليونان ثم توفي في ٨ رجب سنة ١٢٣٩ هـ

٧٣٥ - حسين باي بن محمود

من سنة ١٢٣٩ - ١٢٥١ هـ او من سنة ١٨٢٤ - ١٨٣٥ م

فخلفه ابنه حسين باي واهم ما يذكر عنه ارساله وفداً لحضور تكميل شارل
العاشر ملك فرنسا ومنح شركة انكليزية امتياز صيد المرجان على السواحل . ولما
حدثت واقعة نافارين ببلاد اليونان واحرق الاسطول التونسي ضمن الدونمة
الاسلامية التي احرقت فيها حدث فتور في العلائق بينه وبين فرنسا . وفي ايامه
فتحت فرنسا الجزائر فارسل الباي تمهنة للقائد الفرنسي ثم جدد كافة المعاهدات
مع فرنسا . وتوفي في ١١ محرم سنة ١٢٥١ هـ (سنة ١٨٣٥ م)

٧٣٦ - مصطفى باي بن محمود

من سنة ١٢٥١ - ١٢٥٣ هـ او من سنة ١٨٣٥ - ١٨٣٧ م

وتولى بعده اخوه مصطفى باي بن محمود وكان يعتمد على مصطفى صاحب
الطابع وصهره مصطفى اغا وجري على سنن اخيه في الاعتناء بالعسكر النظامي وهو
اول من صاغ نيشان افتخار وله مآثر مشهورة في العمران الا ان مدة ولايته لم تطل
لانه توفي في ١٠ رجب سنة ١٢٥٣ هـ

٧٣٧ احمد باي به مصطفي

من سنة ١٢٥٣ - ١٢٧١ هـ او من سنة ١٨٣٧ - ١٨٥٥ م

وخلفه ابنه احمد باي بن مصطفي وكان عاقلاً محباً للتقدم وثق العلاقات
بينه وبين فرنسا . وصدر له الخط المايوني الشريف باستقلاله . وناط بضباط
فرنسا وبين ترتيب جيشه وانشأ عمارة بحرية قوية . ثم ثر عليه القبائل لكثرة
اموال الجباية فاثخن فيهم حتى اخلدوا الى السكينة . وامر بابطال الاتجار في
الرقيق ونسخ القوانين الخاصة بمحاكمة اليهود . ثم زار فرنسا سنة ١٨٤٦ م فاحتفلت
الحكومة باستقباله واستعرضت امامه حامية باريس . ولما شبت حرب القرم
بعث بعشرة الاف مقاتل لنجدة الجنود العثمانية ثم توفي في ١٦ رمضان سنة ١٢٧١
هـ (مايو سنة ١٨٥٥ م)

٧٣٨ محمد باي به حسين

من سنة ١٢٧١ - ١٢٧٦ هـ او من سنة ١٨٥٥ - ١٨٥٩ م

وتولى بعده ابن عمه محمد باي بن حسين وهذا جنح الى سياسة وزيره مصطفي
الخازندار وكانت سياسة عقيمة فناط مؤتمر الدول الذي اجتمع في باريس بالمدجوليون
روش فنصل فرنسا في تونس نصح الباي الى المدول عن خطته وقبول بعض الاصلاحات
الادارية فساعدته على اداء هذه المهمة خير الدين باشا . وفي ايام هذا الباي عادت
الجنود التونسية التي كانت في حرب القرم ناقصاً منها نحو اربعة الالاف
وفي ١٠ سبتمبر سنة ١٨٥٧ م تلي النظام الاساسي الذي وضعه فنصل فرنسا
للحكومة التونسية بحضور القناصل الاوربيين واكابر الموظفين التونسيين . وكان السبب
الموجب لوضع هذا النظام انه اتفق ان يهودياً سب الدين الاسلامي فحكم عليه بالاعدام
كما حكم به على ايطالي ثبت عليه الزنا فتدخل فنصل فرنسا في الامر وانجلى الحال بوضع
النظام المذكور . وفي سنة ١٨٥٨ م أنشئ مجلس بلدي لمدينة تونس . وفي ٢٢ سبتمبر
سنة ١٨٥٩ . توفي محمد باي (٢٦ صفر سنة ١٢٧٦ هـ)

٧٣٩ - محمد الصادق باي

من سنة ١٢٧٦ - ١٢٩٩ هـ او من سنة ١٨٥٩ - ١٨٨٢ م

وتولى بعده محمد الصادق باي وكان كثير الدعة واللين فترك زمام الامر لمصطفى خزندار الذي اساء التصرف بعقد القروض حتى نتج عن ذلك تشكيل لجنة دوائية لادارة ايرادات الابلالة التونسية وتنبه الباي للاخطار المحدقة به فعزل الخزندار المذكور وولى في الوزارة خير الدين باشا . وفي ايامه تازر الاعراب علي الحكومة ولم يتمكن حكومة تونس من قمع هذه الثورة حتى اصحبت ارواح واموال الفرنجة في خطر دائم فلما رأت فرنسا التي بنبع معظم الافرنج في تونس لها هذه الحالة الخطرة ساقطت عساكرها الى تونس بدعوى حماية فرنسا وبين وقع ثورة الاعراب وكانت نتيجة هذه الحملة احتلال فرنسا لتونس احتلالاً عسكرياً واعترف الباي بحماية فرنسا على الابلالة التونسية بمعاهدة وقع عليها في القصر السعيد في ١٢ مايس سنة ١٨٨١ م . ومن ذلك الحين صارت فرنسا صاحبة الحل والعقد في تونس ليس للباي معها الا الاسم فقط . وفي ٢٨ اكتوبر سنة ١٨٨٢ م (١٦ ذي الحجة سنة ١٢٩٩ هـ) توفي محمد الصادق باي

٧٤٠ - علي الصادق باي

من سنة ١٢٩٩ - ١٣٣٠ هـ او من سنة ١٨٨٢ - ١٩٠٢ م

وتولى بعده اخوه علي الصادق باي الذي اضطر ان يسير على ما تقتضيه معاهدة القصر السعيد المعروفة بمعاهدة باردو والفاقية ٨ يونيو سنة ١٨٨٣ م التي تحدان سلطته وتلزماته بقبول الاصلاحات الادارية والقضائية والمالية . وسمي فحصل فرنسا بالوزير المقيم وهو الذي يسن القوانين ويرافق تنفيذها وترجع اليه السلطة العامة في الامور الداخلية والخارجية والشؤون الحربية برية وبحرية . وقد اخذت ثروة البلاد في اتساع النطاق والتفت الناس الى تربية ابنائهم مجازاة لجاور يهيم من الاوربيين ومنافسة لهم في معترك الحياة . ولم يزل الحال كذلك الى ان توفي علي الصادق باي في ١٢ يونيو سنة ١٩٠٢ م (١١٣٣٠ هـ)



(ش ٦ علي الصادق باي)

٧٤١ - محمد الهادي باشا باي

من سنة ١٣٢٠ - ١٣٢٤ هـ او من سنة ١٩٠٢ - ١٩٠٦ م

وخلفه صاحب السمو محمد الهادي باشا باي فسار على خطة سلفه من سياسة البلاد بالحكمة والروية وتعزید الزراعة والصناعة . ومن اهم الحوادث في عهده زيارة رئيس الفرنساوية له ورده لهذه الزيارة واستقبال الحكومة الفرنساوية لسموه بمظاهر الحفاوة الملوكية . ولم يزل رحمه الله موضع احترام التونسيين حتى توفاه الله في شهر مايو سنة ١٩٠٦ م (١٣٢٤ هـ) فكانت مدة امارته اربع سنين واثني عشر يوماً وعملاً بالنظام

الاسامي التونسي الذي يقضي بان الباي المتوفي يرثه اكبر امراء العائلة الحسينية سنًا
فقد خلفه صاحب السمو سيدي محمد الناصر المولود في ١٤ يوليو سنة ١٨٥٥ م وهو
الباي الحالي

٧٤٢ - دولة نادر شاه بايران

من سنة ١١٤٩ - ١١٦٠ هـ او من سنة ١٧٣٦ - ١٧٤٧ م



(ش ٧ نادر شاه)

ولد هذا الرجل العظيم في ١١ نوفمبر سنة ١٦٨٧ م وكان والده من عشيرة
الافشار ومن عامة الناس . فلما شب رأى بلاده في حالة الفوضى من ضعف
الحكومة وهجوم قبائل التتر عليها حيناً بعد حين فصارت الاحوال تثقل عليه وهو

يوماً يؤخذ اسيراً ويوماً يخدم عمال السلطان ويوماً يتأمر عصابة فرقة من
 الاصوص ويسطو بها على البلاد وينهب الاموال حتى اشتهر امره مثل اكثر
 الاصوص المشهورين واستدعاه حاكم خراسان اليه فجاءه ولقي منه الاكرام واستعان
 به الحاكم المذكور على محاربة التتر مدة ثم ظهرت منه امور اوجبت خلع من وظيفته
 واهانتة فصعب ذلك على نادر وعاد الى حاله الاول فانشأ عصابة من الاصوص
 جعل الرجال ينضمون اليها الوفاً حتى صار عدد جيشه نيفاً وثلاثة الاف محارب
 وخافت الحكومة سطوته فسعى بعض اقاربه في ضم قوته الى قوة طهماسب يوم
 كان هذا الامير يحاول طرد الافغانيين من ايران وتم الامر على ذلك وصار نادر
 من اعظم اعوان طهماسب . فاغار معه على الافغانيين وطردهم من ايران كما
 تقدم ذكر ذلك في الدولة الغاجية واجلس مولاه طهماسب بن حسين الصفوي
 على كرسي اجداده . وكانت افكار نادر موجهة الى الجلوس على عرش ايران
 العظيم فاخذ يتربص الفرص لاتمام مقصده . وكان الاتراك في ذلك الوقت
 يهاجمون الجهات الغربية من بلاد ايران فزحف اليهم نادر وردمهم على اعقابهم
 الا انه بلغه اثناء ذلك ان الافغانيين هاجوا خراسان وان الثورة عمت انحاءها
 ولان خراسان من الاعمال الخاصة به اضطر ان يترك الاتراك ففعل وتقدم الى
 خراسان ونكل بالافغانيين واعاد السلام الى البلاد . وفي اثناء غياب نادر بخراسان
 تقدم شاه طهماسب باشارة بعض مريديه على جيش الاتراك لاتمام طردهم من
 ايران الا انه كسر كسرة هائلة وخسر كل الذي ربحه نادر حتى انه اضطر الى عقد
 الصلح مع والي بغداد على ان يترك للاتراك الاراضي الواقعة وراء نهر اركس
 ولم يشترط على الاتراك رد الاسرى الايرانيين الذين كانوا في قبضتهم . فلما
 رجع نادر من خراسان وعلم بما كان انتهز هذه الفرصة لتشنيع باصم طهماسب
 تمهيداً لما يريد فارسل الكتب الى كل الحكام في الولايات يعلمهم بانه لا يرضى
 لبلاده وقومه مثل هذا الصلح المزري وانه عازم على حرب الاتراك ومصالحتهم
 على شروط انسب من هذه او اخضاعهم وطلب مساعدة الحكام . فهاج هذا

المنشور على شاه طهماسب . ثم تقدم نادر الى مدينة اصفهان وحالاً وقع نظره على مولاه السلطان شاه طهماسب اخذ يوبخه على مسمع من الخدام والاعوان ثم نظاهر بالصفح عنه

وبعد قليل دعا نادر السلطان الى وليمة في حديقة قصره فلبى السلطان الدعوة في ذلك المساء فالتقى نادر القبض عليه ونفاه الى خراسان بدعوى عدم كفايته وولى مكانه ابنه الطفل عباس ميرزا واقام نفسه وصياً عليه

وبعد ان تم توحيد الطفل عباس شاه زحف نادر لمحاربة الاتراك وحاصر مدينة بغداد وكاد يفتحها لولا وصول المدد العظيم لجيش الاتراك حتى صار جيشهم يزيد عن جيشه زيادة كبرى في العدد والعدد فتقهقر الايرانيون مع ان نادراً فعل فعل الابطال ولكنه اضطر اخيراً الى الرجوع عن بغداد ونواحيها بعد ان تفرق جيشه ايدي سبا وبلغ عدد قتلاهم ٤٠ الفاً . ولم يؤثر هذا الفشل الكبير بنادر بل انه زاد همته وشدد عزيمته فانه حال وصوله الى همزان شرع في لم شعثه وازاحة العمل حتى اجتمع لديه خلق كثير وبدأ ينظمهم ويعلمهم الحركات العسكرية حتى صار جيشه قوياً . فلما سمع الاتراك باستعداد نادر لاعادة الكرة عليهم ارسلوا جيشاً عظيماً بقيادة المشير توبال عثمان باشا وكان بطلاً مقداماً الا ان الحظ لم يخدمه لان نادراً التقى بطلائع جيشه فهزما . ووصل المنهزمون الى مركز الجيش واليرانيون يطاردونهم حتى اذا التقى الجيشان وانتشب القتال فاز الايرانيون فوزاً مبيناً وقتل من الاتراك عدد عظيم وفي جملتهم قائد الحملة وانتهت الحرب بعقد الصلح بين نادر وبين والي بغداد . وبعد عقد الصلح زحف نادر على بعض القبائل الثائرة ليخضعها وتم له ذلك . ولكنه علم حال انتصاره على الثائرين ان سلطان الاتراك ابى التسليم بالصلح المنعقد بينه وبين والي بغداد فارسل جيشاً آخر بقيادة عبدالله باشا لمحاربهه والغوز عليه . ولما تحقق نادر هذا الخبر عاد بكل جيشه الى محاربة الاتراك والتقى بجمعهم في سهول ارمينية وكان الاتراك اكثر عدداً من رجاله ولكن قوة نادر وشجاعته رجحت جانب الايرانيين

فهمزموه الاتراك شر هزيمة وقتلوا قائدهم عبدالله باشا . واستولى نادر بعد هذا الانتصار العظيم على مدينتي كنجه وتفليس وجميع بلاد القوقاس حتى اضطر الاتراك ان يعقدوا معه صلحاً تعهدوا بموجبه بترك داثن ايروان والقارص وكافة الاملاك الايرانية التي استولوا عليها . وعاد هذا الفاتح العظيم بعد النصر الى اصفهان سالماً غانماً واحتفل الايرانيون بدخوله احتفالاً عظيماً .

واتفق في هذه الاثناء وفاة الطفل عباس شاه الذي أقامه نادر شاهاً فانهز نادر هذه الفرصة للجلوس على عرش ايران لكنه رأى بعد الامعان انه الافضل أن يأتي هذا الامر من جانب الايرانيين فأرسل الكتب الى امراء ايران واعيانها يدعوهم الى حضور الاحتفال بيوم النوروز المشهور فجاء منهم نحو مائة الف رجل في صحراء مغان باذر بيجان . فلما تكامل الجمع وانقضى دور الاحتفال وقف نادر في وسطهم واعانهم بوفاة ملكهم عباس وطلب اليهم أن ينتخبوا لهم ملكاً غيره يقدر على حفظ كرامة المملكة واشترط عليهم أن ينتخبوا غيره (تأمل حسن سياسته) متظاهراً بالثعب من ادارة الاحكام والميل الى الراحة . ثم انسحب هو الى خيمته ليتداول الامراء في غيابه . ولم يمض الا القليل حتى بعث الامراء يطلبونه وأعلنوه انهم أجمعوا على تنصيبه ملكاً دون سواه . فظاهر بعدم الرضا وتمنع كثيراً حتى انه بقي شهراً كاملاً يأبى قبول هذا الشرف العظيم حتى تحقق ان الافكار كلها استعدت لما يريد فجأهر حينئذ بالقبول . ولكنه اشترط على أهل بلاده لقاء ذلك ان ينحدوا قلباً وقالباً مع السنين وشدد في ذلك فتبعة بعض الناس ولم ير مقاومة في هذا الامر . وعلى ذلك جلس نادر على كرسي مملكة ايران باحتفال كبير وذلك في شهر صفر سنة ١١٤٩ هـ (الموافق سنة ١٧٣٦ م) . ولقب من ذلك اليوم بنادر شاه ولاول ولايته أصدر أمراً مطولاً يدعو فيه اهل ايران الى استعمال السلاح وتعلم المعارف والمواخاة مع السنين

وابتداً نادر شاه يستعد لفتح الممالك فأراد التخلص قبل كل شيء من الافغانيين وسحق قوتهم فجمع جيشاً لا يقل عن ٨٠ ألفاً قصد به اخضاع اماره

قندهار وهي يومئذ لآخي السلطان محمود الفاتح الافغاني الشهير . وكانت قندهار حصينة جداً ولاهلها بسالة وعزم شديد فحاصرها نادر وبني حولها الحصون والقلاع ومكث حولها حولاً كاملاً يحاول امتلاكها وهي لا تخضع حتى تعب من طول الحصار وأشار الى جنوده بالهجوم العنيف فهجمت عساكره هجمة الاسود الكواسر وافتتحوا البلدة عنوة فسلم حاكم المدينة لمسلم يبق له امل في الخلاص وعامله نادر بالرفق والمودة وضم بعض الفرق الافغانية الى جيشه فكانوا من اعظم المساعدين له على افتتاح المدائن التي افتتحها في بلاد الهند بعد ذلك بقايل وكان رضا قلي ميرزا بن نادر شاه بطلاً مقداماً مثل أبيه وله جنود واعوان يساعدها والده على النصر . فبينما كان نادر شاه محاصراً قندهار كان ابنه البطل المذكور يحارب باقي بلاد الافغان فدوخ البلدان وهزم الجيوش وامتلك الحصون ثم تقدم الى بلاد التتر ليفعل فيها فعله في بلاد الافغان فلما سمع والده نادر شاه بتقدمه على بلاد التتر ارسل اليه ينهيه عن محاربتهم اكراماً لجنكز خان وتيمورلنك اللذين يجب اكرامهما واحترام اقوامهما . فرجع رضا قلي ميرزا عنهم . واكتسب نادر شاه مودتهم من ذلك اليوم فلم يلق منهم ما لقيه غيره من الهجوم المستمر على حدود مملكته وتمكن بذلك من التفرغ لاختضاع البلدان . وأول ما فكر نادر شاه في افتتاحه من البلاد الاجنبية بلاد الهند وصار يتربص الفرص المناسبة للهجوم عليها . واتفق بينما كان نادر شاه يحاصر مدينة قندهار أن فر بعض الافغانيين الى بلاد الهند محتمين بولائها فكتب نادر شاه الى محمد شاه سلطان الهند (هو من اسرة تيمورلنك و بابر الشيرين) أن لا يسمح لحكام بلاده بقبول اعدائه الافغانيين ومساعدتهم . وكرر نادر شاه الكتابة اليه فلم يتنازل محمد شاه الى اجابته وأوجد بذلك سبباً للضعف وفتح لنادر شاه باباً طالما تمنى افتتاحه

وزحف نادر شاه سنة ١٧٤٠ م بكل ماله من القوة على بلاد الهند ولم يلق في طريقه الى دهلي مقاومة تذكر لان سلطان الهند كان غارقاً في ملذاته

ووزراءه واعيان دولته مثله. لا يهتمون بغير الحظ والمسرات ولا يحسبون لغوائل
 الدهر حساباً و يظنون ان نادر شاه لا يتجاسر على التقدم الى بلادهم . ولكن نادر
 شاه كان يتقدم بسرعة غريبة الى عاصمة بلاد الهند وكلها مربوطة او مدينة
 أخضعها حتى قرب من دهلي . فأفاق حينئذ محمد شاه من غفلته فجمع جيشاً كبيراً
 وبرز لقتال الايرانيين فالتقى الجمعان وبعد قتال شديد انهزم الهنود بعد ان قتل
 منهم نحو ٢٠ ألفاً وأسر عدد كبير وفر الباقون هاربين . فلما رأى سلطان
 الهند انه لا بد مأخوذ عوّل على مصالحة الفاتح الايراني العظيم وأرسل اليه
 الامراء والوزراء ليخبروه في أمر الصلح ثم حضر هو بنفسه الى خيمة نادر شاه
 فاحتفل سلطان ايران بقدموه احتفالاً عظيماً وكرمهم اكراماً زائداً حتى انه وقف
 بنفسه في خدمته . ثم عقد معه صلحاً وأقره على سلطنة الهند وجعله حليفاً له
 يصدع بأوامره وأخذ منه قسماً كبيراً من الولايات الهندية الواقعة الى جهة حدود
 ايران . وغنم نادر شاه في هذه الحملة من الاموال والتحف مالا يوصف لان
 سلطان الهند أراد الاعراب عن شكره لجميل نادر فلم يبق في خزائنه شيئاً من
 التحف والجواهر المشهورة الا ووهبه لهذا الفاتح العظيم واقتدى الامراء والاغنياء
 وكل ذي وجاهة وثروة بالسلطان فجمعوا مالا لا يحصى وأعطوه للسلطان ثم
 رقابهم واقراراً بالخضوع لسيفه . وبلغت قيمة هذه الاموال مبلغاً هائلاً حتى قيل
 انها لا تقل عن ٤٠ مليون جنيه . وكان مما جمعه نادر شاه من الجواهر والتحف
 تحت الطاووس الشهير وجوهرة (درباي نور) وجوهرة (كوه نور) اللتان ليس
 لهما نظير في العالم

ثم أصدر نادر شاه منشوراً بالصالح واقاراه محمد شاه بالسلطنة وكان على
 وشك الرجوع الى بلاده فحدثت فتنة في مدينة دهلي وقام جهلاء الاهالي على
 جنود نادر شاه فقتلوا بعضهم وساعدتهم في ذلك اناس من الاعيان والامراء .
 فاشتد غيظ نادر وأقسم أن لا يترك المدينة حتى ينتقم لرجاله من أهلها . ولذلك
 جمع عساكره وأصدر لهم أمراً بقتل كل من وجدوه من أهالي دهلي فثار الجنود

في كل جهة يقتلون ويزججون ونادر شاه قاعد في غرفة مظلمة وقد تولاه الفيض والقلق . وظل الايرانيون يشتملون في الذبح زماناً طويلاً حتى هلك من أهل دهلي نحو ٥٠ الف نفس وقيل اكثر . فلم يبق لمحمد شاه سلطان الهند صبر على هذه الاحوال فأسرع الى قصر نادر شاه ودخل غرفته مستغيثاً بشهامته ومسترجياً أن يبقى على من بقي من أهل دهلي فأكرم نادر شاه مقدمه وأمر في الحال بتوقيف هذه المجازر البشرية فصعد الايرانيون لامره وامتنعوا عن القتل والذبح وهدأت الاحوال . ومن غرائب الامور ان ابن نادر شاه الثاني اقترن بابنة محمد شاه واحتفل بزفافها احتفالاً باهراً في مدينة دهلي بعد هذه الحوادث الهائلة بأيام قليلة . ثم بارح نادر شاه عاصمة الهند بعد أن أقام فيها ٥٨ يوماً

واحتفل الايرانيون بدخول ملكهم مدينة أصفهان احتفالاً شاقاً . وظل نادر شاه أشهراً في أصفهان لاهم له غير ايلام الولاثم والتمنع بلذة الملك ولكنه خاف أخيراً أن يستولي الخول على عساكره فقام بجيشه لمحاربة ملك بخارا واسمه يومئذ أبو الفيز خان وتمكن من اخضاعه ومخالفته . ثم تقدم على بلاد خوارزم وبلاد خيوة وقهر حاكمها ايلبارص وقتله وولى مكانه أحد أقارب أبي الفيز ملك بخارى بعد أن صاهره ووالاه . وتقدم بعد هذا لمحاربة أهل داغستان ورد غاراتهم عن الانحاء المجاورة لهم ولكنه لم يلق النجاح الذي تعود في حروبه السابقة . وحدث في أثناء هذه الحرب الاخيرة حادث أقلق . ذلك ان أحد الاعداء كمن له ولولا القليل لفتك به الا ان ابنه رضا قلي ميرزا أسرع لاقاذه . ولكن من الغريب ان نادر شاه أساء الظن بابنه الباسل بعد هذه الحادثة وظل يزيد كراهه يوماً بعد يوم حتى أمر بسمل عينيه فحسر بهذا الصنيع اكبر مساعد له ثم ندم نادر شاه على هذه القسوة الوحشية بعد حين ولكنه على ما يظهر أصيب بمرض الوم والقسوة مثل غيره الذين رقوا سلم المجد بالاقدام والجرأة ونشأ عن ذلك تأخر احواله فانه اشتبك بعد ذلك بحرب مع الاتراك لم يظهر فيها شيئاً من بسالته الموهودة وانهمز الاتراك للمجرد توهمهم انهم لا يقدرّون على الوقوف في

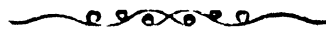
وجه نادر شاه

وجعل نادر شاه مدينة مشهد (طوس القديمة) عاصمة ملكه وعول على العدول عن مضادة اهل المذهب السني ولكنه رأى ان مجاهرته بالعدوان لمذهب الايرانيين (الشيعي) سبب نفور القوم منه فشد في اضطهاد بعض المشايخ والائمة وكان ذلك داعيا الي انتشار الثورة فعصته ولايات فارس وشيروان ومازندران وسبستان . وظل ان لايرانيين كلهم بدأوا يكرهونه لانه كان يسيء الظن بهم حتى أنه قدم الافغانين عليهم . ولهذا زاد الفتوى صدر نادر شاه وصار يقتل الناس بالجماعات ولا يشفي غليله حتى خاف الامراء شر الآخرة وآمروا على قتله وفي جملتهم بعض القواد ورئيس الحرس وهم من قبيلة الافشار التي نشأ منها نادر فدخلوا مخدعه في احدى الليالي وقتلوه سنة ١٧٤٧ م (سنة ١١٦٠ هـ) . وأخذ احد الافغانين من تاجه الجوهرة المسماة درباي نور (اي بحر النور) السابق ذكرها وهي الآن في تاج ملكة انكلترا

وكان نادر شاه من اعظم ملوك الارض واشتهر بحبه للجواهر والمال وبدهائه في استمالة الشعوب التي يخضعها . كما انه اشتهر بكرهه للاديان عوما حتى انه ترجم بعض اسفار الانجيل ليرى اذا كانت اقرب الى ذوقه من القرآن وجم ارباب الاديان الثلاثة الالهية يوما وباحثهم في الاديان ثم صرفهم . ولم تزل اثاره العظيمة في كل انحاء ايران الى اليوم

و بعد موت نادر شاه ارسل القواد الى ابن اخيه علي شاه فحكموه على ايران وحالما جالس على كرسي السلطنة لقب نفسه عادل شاه وقتل كل آل نادر ما خلا حفيده شاه رخ ميرزا وهو يومئذ ولد صغير . ثم ظهر ان عادل شاه ضعيف خامل فلم يقوَ على الحكم زماناً حتي جاء أخوه ابراهيم خان الذي حكم العراق باسمه وعزله وجلس مكانه الا ان هذا المعتدي لم يذق طعم العز زماناً فقام عليه حراسه وقتلوه وولوا مكانه شاه رخ الذي ذكرناه . وكان شاه رخ يوم رقي العرش صغيراً وكان له خعم عنيده هو ميرزا سيد محمد أحد قواد نادر شاه فتمكن هذا الخعم من

أسر شاه رخ واطفاء بصره والجلوس على عرش المملوكة . ولكن لقي سيد محمد
 ببرز في الحال ما يلقاه الظالمون لان يوسف نلي خان وهو رئيس جيش ايران
 يومئذ اسرع الى الانتقام من ظالم شاه رخ فأسره وقتله واعاد شاه رخ الاعمى
 الى العرش على ان الطامعين في العرش كثروا في تلك الاثناء واضطر شاه رخ
 بعد العناء الكثير ان يرضى ببلاد خراسان فنقل اليها وظل حاكماً عليها زماناً
 وصارت ايران الى قبضة كريم خان زند رأس الدولة الزندية وسيأتي ذكرها .
 ثم مات شاه رخ بخراسان وبموته انقرض انك من عائلة نادر شاه الشهير والملك
 لله يؤتبه من يشأ وهو العزيز الحكيم



٧٤٣ الدولة العبدالية السدوزائية بافغانستان

(تمهيد) ذكرنا في فصل (٧٢٢) ان افغانستان تألف من عدة قبائل
 أشهرها قبيلتا الغلجائي والعبدل وانهم استمروا تحت حكم الدولة الصفوية مدة . فلما
 كانت ايام شاه عباس الكبير اساء الحاكم الايراني السيرة في اهل افغانستان وارهف
 حده في الاستبداد بدرجة لا تطاق فذهب احد الامراء العبدالية واسمه سدو
 الى اصفهان ليلقي امر بلاده الى شاه عباس ويحاول انقاذاها من ظلم الولاة فخطي
 بمقابلة جلالة الشاه المذكور وشرح له حكاية بلاده ورجاه ان يخلصها من يد الظالمين
 ووعدته بروضخ الاهالي بلا معارضة لكل حاكم يوليه عليهم على شرط ان يكون
 من اهل الانصاف والذمة فسمع عباس شكواه وامر بانصاف بلاده ثم سر من
 فصاحة سدو في المقابلات الاخرى ومن نبالة مقاصده فعينه والياً على افغانستان
 واعطاه فرماناً بذلك جعله في مقام الامراء المستقلين تحت سيادة سلاطين ايران
 وفرح اهل افغانستان بذلك فرحاً عظيماً فجمعوا طاعة سدو واولاده من بعده
 فرضاً واجباً عليهم وهم الى الآن يعتبرون السدوزية او نسل سدو من اهل الكرمات
 الذين لا تمس اليهم يد سوء ولا تجوز معاقبتهم او الانتقام منهم على جناية وان تكن

جناية القتل بنفسها . ومن نسل سدو المذكور خرج احمد شاه العبدالي رأس هذه الدولة العبدالية السدوزائية التي نحن بصددھا . وبيان ذلك انه لما قامت الدولة الغلاجائية واستولت على ولاية قندهار ثم اغارت على بلاد ايران واستولت عليها على ما تقدم ذكر ذلك قام ازادخان العبدالي في الوقت نفسه واستولى على مدينة هرات ورفع لواء الاستقلال ولم يزل نسله بها الى ان انقرضت الدولة الغلاجائية بقيام نادر شاه الفاتح الايراني الشهير الذي استولى على جميع بلاد افغانستان وضمها الى مملكة ايران ولكن لم تظل مدة دولة هذا الفاتح لانها انقرضت بوفاة سنة ١١٦٠ هـ كما تقدم ولما مات نادر شاه قام احمد خان العبدالي واستولى على افغانستان سنة ١١٦١ هـ وهو رأس هذه الدولة

٧٤٤ — احمد شاه بابا

من سنة ١١٦١ — ١١٨٧ هـ او من سنة ١٧٤٧ — ١٧٧٣ م

لما توفي نادر شاه قام احمد خان العبدالي السدوزاي الذي كان في معسكر نادر شاه مع جموع من الافغانين والازبك وهاجم الايرانيين ونازلهم منازل عنيقة ثم انعطف بغاية السرعة الى قندهار واستولى عليها ووضع يده على الاموال الخراجية التي كانت تحمل من كابل وبلاد السند الى نادر شاه عند مرورها بقندهار وبذلك عظم صيته وقوي جانبه واعلن استقلاله ولقب نفسه شاه افغان

ثم ارسل عساكره الى هرات ومشهد وسجستان وغيرها من بلاد خراسان وافتتح الجميع فلما دانت له جميع بلاد افغانستان اشتغل بتدبير داخلية البلاد حتى اذا تم له ما اراد طمعت نفسه الى الغزو والفتح فساق عساكره ست مرات الى الافطار الهندية ونال الظفر في كل مرة خصوصاً في الواقعة التي وقعت بصحرأ بني بتان الواقعة بالقرب من مدينة دهلي . وكانت تلك الواقعة مع المراتيين من عبدة الاوثان الذين اعجزوا اعظم السلاطين التيمورية في الهند اذ كانوا يرومون بزعم السلطة من ايدي المسلمين . وكانت عساكرهم في تلك الواقعة ٨٠ الفاً وكانت عساكر احمد شاه ٦٠ الفاً نصفها فقط

من الافغان ولم يكن احمد شاه يعتمد الا عليهم . فهزم بهم عساكر المراتيين شر هزيمة وبالغ في النكابة حتى صارت هذه الواقعة سداً لسبيل فتوحاتهم . وزاع صيت احمد شاه بعد هذه الواقعة حتى تمكن بسهولة من الاستيلاء على كثير من الاقطار الهندية كبنجاب وقشمير وسند وما يتاخمها

ثم فتح بلوخستان ومكران وبلخ واتسعت في ايامه الدولة الافغانية اتساعاً كبيراً وكان احمد شاه المذكور شجاعاً ذا عزم وحزم وكان واسع الاخلاق طيب النفس ذا انصاف وعدل ورحمة بالضعفاء وعناية بشأن الرعية واصلاحها . ومن اجل ذلك تمكنت محبته من قلوب رعاياه عموماً مع اختلافهم في الاجناس والمشارب ومن قلوب الافغانين خصوصاً حتى انهم كانوا يعتقدونه من المقربين الى الله ويعدونه اباً لعموم الافغانين . ومن ثم لقبوه بيابا وهو الى الآن يعرف عندهم بهذا اللقب اذ يدعونه احمد شاه بابا واستقر عرش ملكه وسلطنته على دعائم الثبات والتمكن . ولكن الممالك القائمة بقوة سلطانها فقط لا تلبث اذا هومات ان تسقط حتى يقوم من يقيمها بعده خلافاً للحكومات المؤسسة على النظام والمقيدة بالشورى فان موت الملك قلما يؤثر فيها . ولم يكن في عقب احمد شاه من يقوم بتدبير المملكة وحفظها مثله فوفعت المملكة بعده في ارتباك واضطراب . وكانت وفاته سنة ١١٨٧ هـ

٧٤٥ — سليمان بن احمد

سنة ١١٨٧ هـ أو سنة ١٢٧٣ م

وتولى بعده ابنه سليمان وكان ابنه الا كبر تيمور في ذلك الوقت في هرات فلما بلغه خبر وفاة ابيه واستيلاء اخيه على كرمي المملكة جمع اعوانه وحضهم على مساعدته واستخلاص حقه من اخيه فاجابوه بالسمع والطاعة وادوا باسمه ملكاً عليهم من ذلك اليوم . ثم تقدم الى قندهار وظفر باخيه سليمان وسجنه وجلس على كرمي المملكة

٧٤٦ - شاه تيمور بهرام

من سنة ١١٨٧ - ١٢٠٧ هـ او من سنة ١٧٧٣ - ١٧٩٣ م

وكانت الولايات الهندية التي اخضعها احمد شاه بابا قد عصت الافغانين بعد وفاته فلما جلس تيمور على كرسي السلطنة ساق عساكره الى هندستان وقشمير ولاهور والجا الهندود الى الدخول في طاعته . وبعد ذلك يبضع سنوات قلد ولده الثاني محموداً ولاية هرات ونقل كرسي السلطنة من قندهار الى كابل وجعل المتصرف في قندهار ولده الثالث زمان الذي كان على جانب عظيم من مكارم الاخلاق واتفق في تلك الايام ان شاه مراد بك امير بخارى اغار على مدينة مرو فدمرها واسر جميع اهلها فاستغاثوا بتيمور شاه فهم لاسد نقاذهم ولكن حال بينه وبين ذلك فيض الله احد القضاة حيث افق انه لا يجوز لسني ان يسعى خلاص شيعة . وتوفي تيمور شاه بكابل ليلة ٨ شوال سنة ١٢٠٧ هـ وكان حسن السيرة ابن العريكة

٧٤٧ - شاه زمان بن تيمور

وكان هابون بن تيمور في قندهار فلما سمع خبر وفاة والده اخذ البيعة لنفسه على اهل قندهار وحشد الجنود وتوجه بها الى كابل ليستولى عاينها فبلغ ذلك اخاه زمان فخرج لمقابلته بجيش جرار فتلاقيا واقتتلا شديداً فانهمزم هابون وفر الى هرات والتجأ باخيه الآخر محمود والتمس منه ان يعينه على زمان فلم يجبه ولما بئس منه ترك هرات وسلك طريق قندهار واتخذ له مقاماً بين المدينتين . فاتفق ان قافلة كانت تأتي من قندهار الى هرات فاعترضها هابون وقتل رجالها وسلب اموالها واستعان بها على حشد جيش ليعاود قتال اخيه زمان . فبلغ ذلك حيدر بن زمان فخرج لصدده فلم يقو عليه بل انهزم ودخل هابون مدينة قندهار وعامل اهلها بالخشونة وعذب تجارها ونهب اموالهم وجيش بها الجيوش . ولما سمع بذلك شاه زمان ساق جيشه نحو قندهار وحارب هابون وهزمه ففر هابون الى ملتان فقاومه واليها حتى هزمه واخذه اسيراً وبث به الى زمان شاه فسمّل عينيه . وخلص عرش المملكة لشاه زمان . ولكن بعد قليل ثار عليه اخوه

محمود في هرات وادعى الاستقلال وحشد العساكر وسيرها نحو قندهار . فلما احس ذلك شاه زمان برز اليه في عساكره فتلاقيا بين كرشك وزمين داود فطلب شاه زمان اولاً المصالحة من اخيه محمود فأبى اتكلاً على قوته فدارت رحى الحرب بين العسكرين وانجحت عن هزيمة محمود ففر الى هرات ووقع كثير من امرائه في الاسر . وبعد قليل تم الصلح بين الاخوين على ان تكون هرات لمحمود خاصة انما يخطب فيها لـ اخيه شاه زمان . وانتـهز شاه زمان هذه الفرصة لتوسيع دائرة مملكته فاغار على لا هور واستولى عليها وعلى المالك القريبة منها .

وبينا هو في نواحي لا هور اذ بلغه ان محموداً نقض المعاهدة ويريد فتح قندهار فاسرع بالرجوع اليها ومنها توجه الى هرات . فلما سمع بذلك محمود جمع عساكره وبرز من هرات لمقاتلته الا انه بلغه ان الامراء الذين تركهم في مدينة هرات قد اثاروا الفتنة فيها ونزعوا في تسليمها فاضطر الى الرجوع . ولما دخل المدينة اظهرت عساكره العصيان عليه وفي الاثناء تقدم قيصر بن شاه زمان فلم يجد محمود بداً من الحرب ففر هو وابنه كامران الى بلاد العجم والتجأ الى فتح علي شاه سلطانها لذلك الوقت فدخل قيصر بن شاه زمان مدينة هرات بلا ممانع ثم لحقه ابو بها وجعله والياً فيها . وبعد مدة رجع محمود الى نواحي هرات وجمع بعضاً من العساكر لفتحها الا انه لم ينجح بل انهزم وذهب الى مراد شاه امير بخاري وبعد ان مكث عنده ثمانية اشهر استأذن منه في الذهاب الى خوارزم . ثم توجه من خوارزم قاصداً فتح علي شاه سلطان ايران مرة ثانية ورجأ ان يعينه على اخيه زمان فارسل معه جيشاً ايرانياً جراراً فقدم محمود بذلك الجيش ودخل مدينة قندهار بلا ممانع ثم تقدم الى كابل فخرج شاه زمان لقتاله ولما التقى الجمعان وقعت بينهما حرب هائلة انتهت بهزيمة شاه زمان ووقوعه اسيراً بيد اخيه شاه محمود فامر بسمل عينيه . ودخل محمود كابل وجلس على كرسي السلطنة

٧٤٨ - شاه محمود به نيمور

وقام قيصر بن شاه زمان عمه محموداً مدة لكنه لما لم يقو عليه لحق بايران وتمت السلطنة لمحمود وتسلط على كرسي كابل . وكان شاه محمود آييل الى مذهب الشيعة فنفرت منه قلوب السنيين وثاروا عليه ثم خذله الشيعة ايضاً واجمع راي الجميع على عزله فالفوا

القبض عليه وحبسه في بالا حصار واخرجوا شاه زمان الاعمي من الحبس ليحكم فيهم الى ان يصل اليهم شاه شجاع

٧٤٩ - شاه شجاع بن نيمور

وبعد خمسة ايام قدم شاه شجاع من البنجاب فاخرج الامراء محموداً من السجن وقدموه الى شاه زمان ليقتص منه فعفا عنه رحمة به وامر برده ليحبس في بالا حصار وبعد زمن قليل توجه شاه شجاع بجيش جرار الى قشمر لتأديب واليه اعطا محمد خان حيث بلغه عصيانه فلما وصل الى مدينة مظفر آباد بقرب قشمر وافاه سفير من قبل عطا محمد ليعنذر للملك عن عصيانه ويعرض عليه طاعة سيده وعبوديته له فرجع شاه شجاع بعد ما وثق من معاهدته . وبينما هو في الطريق اذ بلغه ان محموداً ومن كان معه من الامراء في الحبس قتلوا حرس القلعة وفروا الى قندهار وانه قد وقع اضطراب شديد في مدينة كابل فلما وصل شاه شجاع كابل وشاهد القلق المستولي على اهلها تأسف لذلك اسفاً شديداً . اما محمود فاقام بتردد بين قندهار وهرات وبقطع الطريق على القوافل التجارية بين هاتين المدينتين حتى اغتنى في وقت قريب من اموال السلب والنهب وساعدته هذه الاموال على تجهيز جيش بلغ عدده اربعة الاف مقاتل فتقدم بهم الى مدينة قندهار واستولى عليها وامر عا ملها ثم قوي جانبه وذاع صيته فلم ينض زمن طويل حتى بلغ عدد جيشه مائة الف مقاتل فساقهم الى كابل لمحاربة شاه شجاع وبرز شاه شجاع في عساكره وبعد قتال شديد انهزم شاه شجاع وفر الى كابل ولانه لم يكن على ثقة تامه من الاهالي بارحها ولحق ببيشاور بعد ان ترك فيها الامير حيدر بن شاه زمان

٧٥٠ - شاه محمود به نيمور (ثانية)

فدخل محمود كابل واستولى على عرش الملك ونصب ابنه كامران والياً على قندهار . اما شاه شجاع الذي ذكرنا خبر هربه الى بيشاور فطرد منها بعد مدة فراسل عطا محمد خان والى قشمر ان يمه بالمال والرجال فلم يشا عطا محمد خان ان يعطيه الا ما لم يودع

عنده بعض جواهره على سبيل الرهن فاضطر شاه شجاع ان يرسل الى عطا محمد خان الجوهرة المسماة درباي نور (وكانت وصلت الى يده في خبر طويل) فافرضه اخان خمسة عشر لك روييه (الملك يساوي عشرة الاف جنيه) ولم يرسل له رجلاً . فاخذ شاه شجاع المال وجهز به جيشاً ورجع به الى بيشاور ليسير منها الى كابل . فلما سمع شاه محمود بخبر تقدم اخيه ارسل اليه بطلب عقد الصلح بدعوى انه حاق بالمملكة الخراب وأريقت دماء المسلمين هدرًا لتوالى الحروب بينهم . فانخذ شاه شجاع هذا الجواب وسيلة لتهديد عطا محمد خان والى قشمبر فارسل اليه يقول « ان لم تعني بالمال والرجال لا تفقت مع اخي علي قلع اساسك » . فاهتم لذلك عطا محمد خان وجهز خمسة الاف مقاتل وسار بهم الى بيشاور . ففرح لذلك شاه شجاع ظناً منه ان عطا محمد خان قادم لامداده ولم يعلم انه مضمحل الغدر فانه حالماً وصل الى بيشاور هجم على الشاه وأخذه أسيراً الى قشمبر واجتهد في تحصينها . وكان حكومة الانكليز في الهند للاتفاق معه على حرب رنجيت سنك الوثني (الذي اغتصب في اثناء تلك المناوشات الاهلية بعض البنجاب من بلاد الافغانيين) وتحليص البلاد التي استولى عليها وتركها بقبضة الانكليز بشرط تعضيده اذا قصده شاه محمود بسوء . واتفق ان وقعت الرسالة بيد جواسيس رنجيت سنك فقد موها له فبعث بها الى شاه محمود طالباً منه ان يتحد معه في الهجوم على عطا محمد خان فجهز كل منهما جيشاً وفاجاه . فاخذاه أسيراً . الا ان محموداً عفا عنه وخلص اخاه شاه شجاع من الاسر واقام عظيم خان اخا وزيره ففتح خان والياً على قشمبر واستصحب رنجيت سنك شاه شجاع وذهبا الى مدينة لاهور

وبعد مضي سنتين من هذه الحادثة طمع رنجيت سنك في الاستيلاء على قشمبر فجهز ثمانين ألفاً من عبدة الاوثان البابا ناكيين وسار بهم الى تلك المدينة ولم يكن عند واليها عظيم خان سوى عشرة الاف من المسلمين فكمن بهم حتى دخل الجيش الوثني الوادي فاحدقت بهم العساكر الكامنة من الجهات الاربع ووقع بهم قتلاً واسراً حتى بلغ من قتل واسر اربعين ألفاً وفر باقي العساكر الى بلادهم ناجين بانفسهم فانفعل لهذه الهزيمة رنجيت سنك وكتب يستعطف محموداً ويعتذر اليه بما فعل مدعياً ان ما فعله فعله باغراء شاه شجاع . فلما استشعر بذلك شاه شجاع فرّ ليلاً والتجأ الى حكومة الانكليز في الهند فاكرم الانكليز مقدمه

وفي سنة ١٢٢٢ هـ طمع فيروز الدين بن تيمور الذي كان والياً في هرات من

طرف اخيه شاه محمود في الاستيلاء على خراسان فساق عساكره اليها ولكنه انهزم امام
الاييرانيين شرهزيمة واضطر فيروز الدين ان يرسل الى شاه ايران هدايا فاخرة استماله
لقلبه وانقاء لضرره بكف عساكره عنه . وتعهد ايضا ان يقدم الى سدة الشاه كل
سنة جزءا وافرا من الخراج فصارت هرات بذلك احدى ابلات ايران . وكان فيروز
بعد هذه المصالحة مع الايرانيين بين اقدام واجام ومحاربة ومصالحة وتسنين وتشيع الى
ان اشتدت المنافسة بينه وبين حسن علي ميرزا بن فتح علي شاه والي خراسان وخاف
من اغارته على بلاده . فارسل سفيراً الى اخيه شهما محمود يستنجده فأتخذه محمود هذه
الفرصة وسيلة للاستيلاء على مدينة هرات فارسل وزيره فتح محمد خان بجيش جرار
ولما وصل الى المدينة استوحش منه فيروز ولم يسمح بدخوله فيها بل امره ان يتوجه
لاخذ غوريان من يد الايرانيين . الا ان فتح محمد خان كان مأموراً من طرف سيده
بدخول مدينة هرات فلم يردّ بدءاً من اعمال الحيلة لاخذها فارسل الى فيروز يطلب منه
القدوم الى المعسكر ليستشيره فلما خرج اليه قبض عليه وارسله مع اهله اسيراً الى
قندهار ودخل المدينة واقام بها وجهز اخاه كهنديل خان لتخير غوريان ونشر مكاتيب
في بلاد خراسان يدعو بها القبائل للاتحاد معه على محاربة الايرانيين . ولما سمع بذلك
حسن علي ميرزا ارسل جيشاً للدفاع عن مدينة غوريان . ثم جهز فتح محمد خان جيشاً
كبيراً وسار به للاتحاد مع اخيه كهنديل على فتح غوريان فلما وصل الى كوسيه بلغه
ان حسن علي ميرزا وصل بعساكره الى كافر قلعة لمقاومته وكان بينهما اذ ذاك فرسخان
فارسل اليه سفيراً يطلب منه تسليم غوريان ويهدده بالحرب قائلاً « من ذا الذي
يدري عاقبة الحرب اهي لك او عليك وربما اوقعك كبرك واشتمزازك الناشئ عن
رويتك نفسك ابن سلطان في امر يوجب نزل سلطنة ابيك » فاجابه حسن علي ميرزا
على لسان سفيره « بان سيدك محمود المتري بنعمة الشاه لا يليق به ان يتكلم بمثل
هذا الكلام فضلاً عن خائن مثلك قد حارب ساداته السدوزائية » فلما رجع السفير
خائباً ساق فتح محمد خان عساكره الى كافر قلعة وبعد قتال شديد انهزم فتح محمد
خان فتهجر الى هرات فاضطرب شاه محمود وولده كمران اللذان كانا وقتئذ في المدينة
المذكورة . فارسل ملا شمس مفتي هرات وخان ملاخان (أي شيخ الاسلام) الى فتح علي شاه
ليخبراه ان هذه الجراءة من فتح محمد خان ولم تكن بعلم من محمود ويستعطفاه قبله اليه . فطالب فتح
علي شاه من السفير الذي أدى اليه الرسالة ان يخبر شاه محمود احد امرين حتى يكون راضياً

عنه اما ان يبعث اليه فتح خان المذكور واما ان يُسَمَل عينيّه . فلما اطلع كامران بن شاه محمود على رسالة شاه ايران حملة الضعف والجبن على ممل عيني هذا البطل الشجاع الذي كان سبباً في اتصال الملك الى ابيه . ولما شاع خبر سمل عيني فتح خان ووصل الى مسامع اخيه عظيم خان والي قشмир ارسل اثنين من اخوته وهم دوست محمد (جد العائلة المالكة الآن في افغانستان) وياور محمد خان الى يشاور لطلب شاه زاده ايوب اخي محمود ليقلدها السلطنة ففعلاً وناديا باسمه ودخلا في حدود جلال آباد . وهجم دوست محمد خان على كابل وافتتحها سنة ١٨٢٦م وارسل ايضاً اخاه محمد زمان خان لطلب شاه شجاع الذي كان مقيماً في البلاد الهندية التي كانت تحت سلطة الانكليزية فجاء شاه شجاع المذكور وحارب ميمندر خان والي درة وغلبه وبالجملة فقد قام اخوة فتح خان الذين يبلغ عددهم عشرين رجلاً واتحد كل واحد منهم بواحد من ابناء تيمور شاه الذين يبلغ عددهم اثنين وثلاثين رجلاً وداروا بهم في البلاد الافغانية شرقاً وغرباً وقلعوا اساس ملك محمود ولم يبق في يده سوى قندهار وهرات . ثم انتزعوا الملك من ابناء تيمور واستقل كل واحد في ولاية من ولايات افغانستان . كل هذا اخذاً بثار عيني اخيهم وبعد قليل استولوا على قندهار وانتزعوها من يد محمود ايضاً فانحصرت سلطة محمود على هرات ونواحيها وفي سنة ١٢٤١ هـ ساء ظن محمود بابنه كامران ونفرس منه العصيان وخاف من ان يقبض عليه فخرج من هرات وجمع بعضاً من قبائل قره وتوجه لمحاربتة فاضطر ابنته والاتجاء بحسن علي ميرزا والاستغاثة به فاغاثة فغلب اباه وهزمه واستولى على هرات

٧٥١ - شاه كامران بهر محمود

وحاول محمود انتزاع الامر من ابنته ولكنه لم يفلح ولم يزل يسمى في رد كرسي المملكة حتى توفي بالوباء سنة ١٢٤٥ هـ

وفي سنة ١٢٤٨ هـ عزم عباس ميرزا على ان يفتح هرات فوقعت بينه وبين الافغانين عدة وقائع مشهورة آلت الى حصار مدينة هرات سنة ١٢٥٠ هـ فحاصرها عباس ميرزا ابن شاه ايران وتداخل صغير انكلترا في الامر لممنه عن وحثها بدعوى ان ذلك مضر بحكومة الهند الانكليزية فلما لم يصغ الشاه لكلام

هذا السفير داخل كمران في الثبات في المدينة واعدأ اياه بالنصر القريب وقد حدث ذلك فعلاً فانه بينما كان الشاه مجداً في حصار هرات وكادت المدينة تفتح ابوابها له لما اعترى اهلها من التعب والنصب جاءت مراكب الانكليز في خليج فارس واستولت على جزيرة خارق فلما بلغ الخبر مسامع الشاه رأى من الاولى ان يترك المحاصرة ويستغل بمداغة الانكليز عن بلاده فافرج عن هرات وذهب الى بلاده وكان ذلك سنة ١٢٥٥ هـ . ورأى الانكليز من امراء الافغانين الميل الى الايرانيين اذ كان دوست محمد خان امير كابل وكهنديل خان والي قندهار وسائر اخوتها الذين نالوا الملك بعد تفرق كلمة ابناء تيمور يرسلون الشاه في خلال محاصرته لمدينة هرات ويوادونه ويرسلون السفراء اليه فأهمهم الامر وصاروا يترقبون الفرض لرفع رايهم على افغانستان حتى يأمنوا على الهند من هذه الجهة . فلما احسوا من الافغانين النفور والاشمئزاز من امرائهم الجدد رأوا اذعنت لهم الفرصة ان يتخذوا شاه شجاع واسطة يتوصلون بها الى غرضهم من الاستيلاء على تلك البلاد . فجهزوه في جيش جرار بقيادة المهرة من الانكليز فسار شاه شجاع بذلك الجيش من طريق البلوج وسجستان الى قندهار فلما رأى واليها كهنديل خان عدم المقدرة على المقاومة خرج منها هو وعائلته وقصد طهران فاکرم الشاه مقدمه . وقلده ولاية شهر بابك من بلاد فارس . فدخل شاه شجاع قندهار واستولى عليها وبعد ان استراح بها اياماً قصد مدينة كابل ورأى أميرها دوست محمد خان من نفسه عدم المقدرة على المدافعة فاضطر الى الخروج منها وقصد بخاري ليستعين بأميرها فلم ينجح قصده ورأى منه عدم الاحتفال به بل الالهانة والتحقير فانقلب راجعاً وسلم نفسه الى الانكليز فأخذوه أسيراً وبعثوا به الى كلكوتا . واتقسمت مملكة افغانستان الى قسمين هرات وأعمالها بيد كمران شاه بن محمود وباقي المملكة الافغانية وقاعدتها كابل بيد شاه شجاع اسماً وبيد الانكليز فعلاً . الا ان شاه شجاع والانكليز لم يهناوا طويلاً في افغانستان لان محمد اكبر خان بن دوست محمد خان الذي أسره الانكليز وأرسلوه الى كلكوتا

على ماتقدم جمع جيشاً من الافغانين الاشداء وأذاق عساكر الانكليز الامرين
والجأهم الى عقد صلح معه سنة ١٢٥٨ هـ تمهدوا بموجبه برد دوست محمد خان من
الاسر وبالحروج من افغانستان وقد تم ذلك فعلاً وخرج الانكليز من افغانستان
بعد أن قتل منهم خاق كثير وأطلقوا سراح دوست محمد خان من الاسر فرجع
الى افغانستان وتم له الاستيلاء على ما كان بيد شاه شجاع (لان المذكور توفي
اثناء المناوشات والحروب التي حدثت بين الانكليز والافغانيين) وحاول
الاستيلاء على هرات من يد كامران فلم يتمكن

وبقى كامران بن محمود بمدينة هرات يقاوم الاعداء من الايرانيين تارة
والافغانين أخرى حتى غلبت عليه الشهوة واسنولى عليه الهوى وانهمك في السكر
فنفرت منه قلوب الناس فانتهز وزيره ياور محمد خان الباي زائي هذه الفرصة
للجلوس على كرسي سلطنة هرات فحقق كامران شاه في قرية خارج المدينة واستولى
على الملك . وموت كامران انقضت الدولة العبدالية السدوزائية والبقاء
لله وحده

٧٥٢ الدولة الرزندية بايران

(تمهيد) لما مات نادر شاه كثرت الفلاقل في بلاد ايران وتسابق الطامعون
في الملك الى نوال المركز الاعلى فقام شخص يقال له احمد خان وسعى في اخضاع
خراسان وقام محمد حسن خان القاجاري (جد العائلة القاجارية المالكة الآن في
ايران) وجعل نفسه اميراً على استرabad وما يليه من بلاد مازنداران موطن قبيلته
وكان نادر شاه قد نكل بكثيرين من رؤساء هذه القبيلة فنفر افرادها منه ومن
عائلته وعولوا على مقاومة دولته ولهذا انضم اكثرهم الى محمد حسن خان حتى
عظمت سطوته وخشي احمد خان شره فبعث اليه جيشاً ليحاربه ويملك مازنداران
من يده ولم ينبجح الجيش فزادت بذلك قوة هذا الامير القاجاري . وكانت

انولايات الاخرى تسنقل واحدة بعد اخرى حتى ان اذربيجان وكيلان وبلاد الجراكمة أصبحت ممالك منفردة لاسلطة لصاحب ايران عليها . وكانت اصفهان في هذه الاثناء بلا قائد شهير يعرف الى أن تم امرها لاحد مشاهير القواد واسمه علي مراد خان وأصله من طائفة البخيارية ثم خطر له ان ينهب احد افراد العائلة الصفوية ملكاً عليها ويكون هو المدير للمملكة ولكنه رأى انه لا يقدر على القيام بهذا الامر الخطير وحده فاستدعى بعض الامراء لمساعدته وكان بينهم شيخ قبيلة الزندية التي هي قبيلة فارسية اصلية واسمه كريم خان ومع ان هذا الشيخ لم يشتهر بالحسب والنسب ولكنه اشتهر بالبسالة والاقدام . فاتفق علي مراد خان وكريم خان على اقتسام البلاد الايرانية بينهما واقامة ملك يحكم بالاسم من العائلة الصفوية وظلا على ذلك مدة . وكانت القوة والشهرة في اول الامر كلها علي مراد خان الا ان كريم خان اشتهر بالحلم والانصاف وحب الرعية فاجتذب القلوب حيثما حل وساد الامن والعدل في الاجزاء التي حكمها حتى تعلقت به القلوب . وبدأ علي مراد خان يخشى شر هذه الشهرة ويظهر لكريم خان نفوراً وعداء حتى اشتهر أمر هذا العداء وأصبح الزميلان عدوين معروفين . ولكن كريم خان امتاز على خصمه بحب الذين يحكمهم له ونفور اهل اصفهان من علي مراد خان وكانت مزايا كريم خان هذه اكبر اسباب نجاحه . وانتشب القتال بين الامير بن بروما فلم تطل مدته حتى قام أعوان علي مراد خان على رئيسهم وقتلوه فخلا الجو لكريم خان وأصبح هو صاحب اصفهان والحاكم المطلق على جميع الولايات الجنوبية . وكريم خان هذا هو رأس الدولة الزندية التي نحن بصدددها . وكان ذلك حوالي

سنة ١١٧٧ هـ



٧٥٣ - كريم خان زند

من سنة ١١٧٧ - ١١٩٣ هـ أو من سنة ١٧٦٣ - ١٧٧٩ م

ولكن لم يتم الامر لكريم خان بمجرد موت خصمه علي مراد خان لان الطامعين في الملك كانوا كثيرين كما تقدم وفي جملتهم ازاد خان صاحب اذربيجان فتحارب الاميران وانهمز كريم خان واضطر الى الفرار وترك اصفهان وشيراز وغيرها لعدوه . وبينما كان جيش ازاد خان يطارده ورأى ان قوته لا تكفي لمقاومته عزم علي اللحاق ببلاد الهند والبقاء فيها بقية عمره بعيداً عن متاعب الملك والقتال ولكن لحسن حظه التقى في طريقه برجل باسل اسمه رستم خان كان شيخاً على مدينة خشت وما يليها على حدود ايران وبلوخستان فأشار رستم عليه ان يترصد للعدو في تلك الناحية حتى اذا جاء جيش خصمه تركه يتقدم الى وادي كوماردرج وهي ضار الجيش الى هذا الوادي أمكن له عدد قليل من الحاربين ان يحصروه فيه من الجانبين ويقتلوا افراده عن آخرهم فسمع كريم خان رأي رستم واستعد للخطورة بحياته وحياة الذين تبعوه من الاعوان والامناء في ذلك المضيق وتهد له رستم بالمساعدة وتحقيق الاماني . فقدم ازاد خان وجيشه الى تلك البقعة ودخل ذلك الوادي بعينه . وكان رستم خان قد وزع الرجال في الجبال من الناحيتين ووضعهم بين الاشجار والصخور حتى يمنعوا الاعداء من الفرار ساعة القتال . فلما دخل جيش ازاد خان ذلك الوادي هجم عليه رجال رستم وكريم من كل ناحية وأعملوا السيف فيهم حتى قتلهم عن آخرهم ولكن ازاد خان تمكن من الفرار وقصد بلاد العراق فحارب فيها بعض الامراء ودار في جوانب البلاد يوماً ينتصر ويوماً يرى الاهوال حتى كره الحياة وسلم نفسه الى كريم خان طالباً منه الصفح فصفتح عنه وأحسن معاملته وجعله صديقاً له

ولما انتصر كريم خان علي خصمه ازاد خان علي ما تقدم قام محمد حسن خان القاجاري ورفع راية المصيان علي كريم خان وساق عساكره الى اصفهان فاضطر

كریم خان أن ینركها ویذهب الی شیراز . فدخل محمد حسن خان القاجاری مدینة أصفهان وعامل أهلها بكل قسوة وخشونة حتی نفرت قلوبهم منه . وبعد أن أقام بها ایاماً ساق عساكره الی شیراز للقبض علی کریم خان فحصن کریم خان بالمدينة فحاصره محمد حسن خان فيها ولكن تمكن کریم خان من حفظ المدينة مدة طويلة استعمل فی أثنائها كل حيلة لاستمالة أصحاب محمد حسن خان الیه فنجح كثيراً حتی اضطر محمد حسن خان أن یفرج عن المدينة . وعاد محمد حسن خان الی أصفهان ولمدم ثقته بأهلها ولأن قوته قلت تركها وعاد الی مازنداران وهي بلاده الأصلية . وعاد کریم خان الی أصفهان للاقاء الاهلي بالترحاب والاکرام الزائدين وسمعت المدائن الاخری بفوزه فأظهرت له خضوعاً ورسوراً . وكثر عدد جيش کریم خان والمتطوعین لخدمته فأرسل جيشاً بقيادة أحد أخصائه لمحاربة محمد حسن خان واسترجاع مازنداران منه . فبرز محمد حسن خان القاجاری للدافعة عن بلاده الا ان الدهر خانه وكبا به الجواد فتمكن اعداؤه من قتله . فلما قتل سقطت قلوب جنوده وفروا من امام اعدائهم فتم النصر بذلك لکریم خان وأصبح هو ملك ایران المطلق لا ینازعه فی الملك منازع

وسكنت القلاقل فی ایران بعد هذه الاضطرابات المستمرة فانتهر کریم خان هذه الفرصة لتحسين حال الرعية فنشط الزراعة والصناعة والتجارة وساد الأمن وعم العدل واغتنى الاهالي فی هذه المدة واقبل تجار الافرنج علی انشاء المعامل والمتاجرة فی كل انحاء ایران

ولم یخلل هذا السلام الذي ساد فی زمن کریم خان شيء من القلاقل والحروب سوى الحرب مع الترك . وكان السبب فی الحرب ان والي البصرة اساء معاملة بعض الايرانيين فطلب کریم خان من سلطان الاتراك ان يأمر بقطع رأس والي البصرة المذكور ولما لم یجب طلبه ارسل جيشاً بقيادة اخيه صادق خان لاختضاع البصرة وقتل واليها فتم له ذلك بعد عناء كبير وحصار ثلاثة عشر شهراً وضم البصرة الی املاك ایران ولم یهتم سلطان الاتراك باسترجاعها . وبعد هذه

الحرب عادت السكينة الى بلاد ايران واستراح كريم خان راحة تامة وكانت البلاد كلها راضية بحكمه

وجعل كريم خان مدينة شيراز عاصمة للملكه وبنى فيها ابنية فخيمة مثل البساتين والاسواق والحمامات والجوامع التي لا تزال باقية الى الآن . واستمر كريم خان بمدينة شيراز الى ان توفي سنة ١١٩٣ هـ

٧٥٤ - زكي خان

من سنة ١١٩٣ - ١١٩٦ هـ او من سنة ١٧٧٩ - ١٧٨١ م

و بعد وفاة كريم خان اختلس الملك ابن عمه زكي خان وكان ظالماً عاتياً فكرهه الاهالي فلم يتمتع بالسلطنة زماناً طويلاً لان صادق خان اخا كريم خان الذي ذكرنا ان اخاه ارسله لفتح البصرة تقدم ظلام زكي خان وسمع في طريقه ان زكي خان قتل كل الامراء من عائلة كريم خان فخاف ان يقترب منه فظل يخاربه عن بعد ولم ينجح في اول الامر فاضطر الى الفرار

وظل زكي خان حاكماً حتى قام له خصم عنيد قوي هو آقا محمد خان القاجاري (رأس العائلة القاجارية المالكة الآن في ايران) وكان هذا الامير اسيراً في قبضة كريم خان مدة حياته فلما سمع بوفاة فرّ الى مازندران والف جيشاً قوياً كسره شركة زكي خان واضطره الى القيام بنفسه لمحاربه . واكثر زكي خان الظلم والعسف في رعيته فقام عليه عساكره وقتلوه

٧٥٥ - صادق خان

من سنة ١١٩٦ - ١١٩٨ هـ أو من سنة ١٧٨١ - ١٧٨٤ م

وملك بعده صادق خان ولكنه لم يتمتع بلذة الملك طويلاً لان اخصامه من

عائلته كانوا كثيرين واشهرهم علي مراد خان فارسى اليه صادق خان جيشاً بقيادة ابنه نقي خان لمحاربه فهزم علي مراد خان وشنت شمله . ولما لم يقدر علي مراد خان علي استخلاص كرسي المملكة بالقوة ظل يتربص الفرص لاعدال الحيلة حتى رأى من صادق خان ضعفاً وميلاً الى التمتع بالملاذات وترك الحكومة الى اولاده يديرونها حسب اهوائهم وطيشهم . فعمل علي مراد خان الحيلة في التشجيع علي اعدال صادق خان واولاده حتى مال الناس اليه وصاروا ينتهزون الفرص للتخلص من صادق خان فلما تحقق علي مراد خان منهم هذا الميل جمع جيشه وقام لمحاربة صادق خان واولاده وحاصرهم بشيراز واستولى على المدينة بلا كثير عناء واضطر صادق واولاده ان يخضعوا له فقتلهم عن آخرهم ولم يبق منهم سوى جعفر خان ابن صادق خان لانه اظهر له ميلاً وكان ذلك في ١٨ ربيع اول سنة ١١٩٨ هـ

٧٥٦ - على مراد خان

من سنة ١١٩٨ - ١١٩٩ هـ او من سنة ١٧٨٤ - ١٧٨٥ م

وحالما جلس علي مراد خان علي كرسي السلطنة نقل كرسي المملكة من شيراز الى اصفهان ثم وجهه لمحاربة آغا محمد خان القاجاري الذي قوي امره في هذه الاثناء . فانهز جعفر خان بن صادق خان فرصة اشتغال علي مراد خان مع القاجارية وجمع جيشاً ليأخذ بثأريه واخوته من علي مراد خان فعاد علي مراد خان لقتال هذا الخصم الذي لم يكن ينتظره وكان مريضاً فاشتد عليه المرض في الطريق وتوفي في ١١ فبراير سنة ١٧٨٥ م الموافق سنة ١١٩٩ هـ في قرية صغيرة على مقربة من اصفهان

٧٥٧ - جعفر خان به صادي خان

من سنة ١١٩٩ - ١٢٠٠ هـ او من سنة ١٧٨٥ - ١٧٨٦ م

فاستولى جعفر خان على كرسي المملكة وكان حكماً عادلاً يحب ترقية البلاد
الا ان ايامه كانت ايام شوئم وبؤس فثارت عليه ولايات كثيرة . وانتهز آقا
محمد خان القاجاري فرصة وفاة علي مراد خان واستولى على عدة ولايات . وكان
قواد جيش جعفر خان ناقلين عليه لاسباب كثيرة فتآمروا عليه وقتلوه وطرحوا رأسه
في احد شوارع شيراز وذلك سنة ١٢٠٠ هـ

٧٥٨ - لطف علي خان بن جعفر خان

من سنة ١٢٠٠ - ١٢٠٢ هـ او من سنة ١٧٨٦ - ١٧٨٨ م

ولما توفي جعفر خان تولى بعده ابنه لطف علي خان وكان بطلاً مقدماً
الا ان الايام لم تساعده لانه وجد في انفس الاوقات . ذلك لان آقا محمد
خان القاجاري الذي تقدم ذكره مراراً كان قد قوي امره وعظم شأنه وبعد
صيته واراد ان يستولي على البقية الباقية من بلاد ايران وينتزعها من الدولة
الزندية فاشهر الحرب على لطف علي خان . وكان عامل شيراز يدعى الحاج
ابراهيم وهو من صنائع الدولة الزندية فقام هذا الخائن نعمة اسياده وسلم مدينة
شيراز الى آقا محمد القاجاري فقتل ذلك في عضد لطف علي خان البطل الشهير
ومع ذلك بقي لطف علي خان مدة يقاتل خصمه ويظهر من غرائب البسالة
والاقدام ما لم يرو عن غيره من ابطال الزمان فقد كان يحارب عشرين الفاً من
ابطال آقا محمد خان وليس معه غير بضع مئات ولا يفر من امامهم وكثيراً ما خرق
الصفوف واجتاز الالوف والحسام مشهور بيده وهو وحيد يقاتل الابطال من هنا
ومن هنا حتى هجره الخلان وخانه الزمان فاضطر الى الاختفاء والبعد عن الاعداء

وكان يخشي ويعود حيناً بعد حين ومعه ما لا يتجاوز المئتين من المقاتلين فيفوز ويطفر ولكن ثاني خصمه وكثرة معداته تغلبت على بسائه . واخيراً عول لطف علي خان على البعد عن متاعب الملك والحروب وظل سائراً بمفرده حتى وصل مدينة نرماشير على مقربة من أفغانستان فقابله حاكمها بالترحاب فاستراح عنده ليلة . ولكن هذا الحاكم طمع في الجائزة التي جعلها آقا محمد خان لمن يأتيه بالطف علي خان . فقدر بضيفه وهجم عليه مع بعض اعوانه فقاتل لطف علي خان عن نفسه قتال الابطال حتى اثنى العدو بالجراح فسقط من الألم فربطه القوم وساقوه وهو على هذا الحال الى آقا محمد خان فأمر بسمل عينيه وزجه في السجن ثم امر بقتله بعد قليل وهكذا انقرضت الدولة الزندية وصارت ايران ملكاً للدولة القاجارية من ذلك الحين الى الان . والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين

الدولة القاجارية بايران

(تمهيد) اصل هذه الدولة من قبيلة قاجار الشهيرة التي سكنت بلاد استراباد وشمالى ايران اجيالاً من قبل ان يقوم مؤسسها . ومؤسس هذه الدولة هو آقا محمد خان ابن امير من امراء القاجارية . وسبب اتصال الملك اليه هو انه لما ملك عادل شاه بلاد ايران ارسل يطلب اثنين من امراء القاجارية فارسلوا له محمد خان واخاه فاساء عادل شاه معاملة محمد خان حتى عرف باسم آقا محمد خان . ولما صارت دولة ايران الى قبضة كريم خان زند اعتقل آقا محمد خان وبقي في اعتقاله حتى توفي كريم خان ففر حينئذ محمد خان من شيراز بسرعة فائقة ووصل الى طهران بعد ثلاثة ايام فاشهر في الحال استقلاله وجعل من ذلك اليوم بنازع الدولة الزندية وتآب حوله ابطال القاجارية لانه اكبر امرائهم ونصروه بجنودهم فجعل يستعد لمحاربة الخصوم وكان اول من حاول محاربتهم بعض اخوته فلم يفلحوا سعيًا واضطروا الى الفرار وذهب احدهم وهو مرتضى قلي خان الى امبراطورة الروس كاترينا فاتخذته هذه الامبراطورة آلة في يدها بدعوى تنصيبه ملكاً على ايران في الظاهر وبقصد ضمها الى املاك الروس في الباطن ولكن ذهبت هذه

المساعي ادراج الرياح كما سيجي . وكان بين اخوة محمد خان اثنان مخلصان له واحدهما جعفر خان وكان بطلاً صندبداً ولولاه لما تم لمحمد خان الاستيلاء على ايران وبعد ان خلع محمد خان من متاعب اخوته وجه همه في محاربة القبائل والولايات المجاورة له حتى تمكن بعد مدة قليلة من ضم جزء كبير من بلاد ايران الى طاعته وجعل عاصمة ملكه مدينة طهران فصارت مملكة ايران قسمين القسم الشمالي تحت حكم محمد خان المذكور والقسم الجنوبي بيد الدولة الزندية وقاعدته اصفهان . فوجه محمد خان همه لافنتاح باقي المملكة واستخلاصها من يد الدولة الزندية فخارب ملوكها مراراً وانتصر عليهم في وقائع مشهورة حتى صارت الدولة الزندية الى لطف علي خان آخر ملوكها وكان بطلاً مقداماً فقاوم محمد خان مقاومة الابطال ولولا تآني محمد خان وكثرة جموعه لما تمكن من قهر لطف علي خان الذي لما رأى غدر رجاله به خصوصاً بعد خيانة الحاج ابراهيم والي شيراز وتسليمه هذه المدينة الى محمد خان ان المقاومة لا تجديه نفعاً عزم على البعد عن متاعب الملك وظل سائراً بمفرده حتى وصل مدينة نرماشير على مقربة من افغانستان فقابله حاكمها بالترحاب واستراح عنده ليلة . ولكن طمع الحاكم المذكور في الجائزة التي جعلها محمد خان لمن يأتيه بلطف علي خان فغدر بضيفه وهجم عليه هو وبعض اعوانه فدافع لطف علي خان عن نفسه مدافعة الاسود الكواسر حتى اثنجته العدو بالجراح فسقط من الالم فربطه القوم وساقوه وهو على هذه الحالة الى محمد خان كما تقدم . فلما صار الى قبضته امر ان تسمل عينيه ويزج في السجن ثم قتلته بعد ذلك بقليل وبموته انقرضت الدولة الزندية وصارت ايران مأكلاً للدولة الفاجارية وذلك سنة ١٧٨٨ م (١٢٠٢ هـ)

٧٦٠ - آقا محمد خان

من سنة ١٢٠٢ - ١٢١٢ هـ أو من سنة ١٧٨٨ - ١٧٩٧ م

وبموت لطف علي خان آخر الدولة الزندية استتب الامر لمحمد خان في كل مملكة ايران فجعل همه تنظيم البلاد والضرب على ايدي الاشقياء حتي عم الأمن وساد السلام

الا ان محمد خان اتى امراً أغضب اخاه جعفر قلي خان الذي قلنا انه ساعده على

الاستيلاء على كرسي المملكة وذلك انه عهد بولاية العهد من بعده لابن اخيه الثاني فتأثر جعفر قلي خان وطلب الى اخيه محمد خان ان ينقله الى اصفهان ليكون حاكماً عليها فابى السلطان عليه ذلك وولاه على قسم من بلاد مازندران . وحدث بعد هذا ان محمد خان استدعى اخاه جعفرًا ليأخذ رأيه في احدى المسائل فلم يحضر فاتخذ ذلك دليلاً على عصيانه ولكن جعل يستميله بالحيلة حتى اقنعه بالقدوم الى طهران ولو ليلة واحدة فغدر السلطان باخيه وقتله شرفقته . ولما سمع اهل طهران بها هاجوا وماجوا وكاد يقع مالات محمد عقباه ولولا افتناع السلطان لهم ان اخاه قتل غدرًا بيد جان ائيم ولكثرة بكائه ونحيبه صدق اهل طهران قوله فلم يتعد هياجهم حد الكلام

وحارب آقا خان قبائل التركان المجاورة لاستراباد وبالغ في النكابة حتى اخلدوا الى السكنى ورجعوا عما كان مشهوراً عنهم من قطع الطرق ومساءة اعداء السلطان وكانت بلاد الكرج والقوقاس من الممالك التابعة ليران ولكن اميرها وقتئذ واسمه هرقل لما رأى اشتغال سلاطين ايران بمحاربة اعداءهم الآخر فاوض دولة الروس في استقلال دولته تحت سيادتها . فعقدت الامبراطورة كاترينا معه محالفة مشهورة أهم بنودها ان بلاد الكرج اصبحت تحت سيادة روسيا وروسيا تضمن مقابل ذلك الملك على تلك الامارة لهرقل ونسله من بعده . فلما سمع محمد خان بهذا التالف سار الى بلاد الكرج وحاربها قبل ان تصلها نجدات الروس فاخضعها واقتص من اهلها واضطر اميرها الى الفرار . ودخل محمد خان تفليس وخرّبها واعمل السيف في اهلها وسبي منهم ٣٠ ألفاً اكثرهم من النساء والاولاد

وكان آقا محمد خان الى ما بعد اخضاع بلاد الكرج لم يلبس التاج ولم يعد سلطاناً على ايران رسمياً فالح عليه الاعوان بذلك ورضي بعد التمتع الكثير . فتم ذلك في مدينة اورمية في يوم حافل ولكنه لم يلبس تاج نادر شاه لكثرة جواهره وزخرفته بل اكتفى بتقلد السيف الذي كان ملوك الدولة الصفوية يتقلدونه ودل بذلك على احترامه للعقائد الشيعية . ودعي شاهاً من ذلك الوقت . وكان ذلك سنة ١٧٩٤ م

وبعد قليل اتفق محمد شاه مع امير افغانستان على فتح بخارى وبلاد تركستان المستقلة واقسامها بينهما وشرع في ذلك ولكن بلغه قبل ان يتقدم اليها ان الروس هاجموا بلاده فاضطر الى التقدم لمحاربتهم . وكان الروس بعد فرار هرقل امير الكرج قد زحفوا على الولايات الشمالية من ايران وملكوا عدة مواقع فارسل محمد شاه الاوامر المشددة

الى كل انحاء السلطنة الايرانية بجمع الذخائر والرجال ليستعد استعداداً هائلاً للحرب مع أعظم دولة اوربية . وبينما الاستعداد جارٍ في ايران على قدم وساق توفيت كاترينا امبراطورة الروس وخلفها بولس الاول وهذا حالاً جالس على عرش السلطنة انفذ امراً الى جيشه بالرجوع عن ايران وانتهت المسألة بلا مصائب واهوال اما هرقل امير الكرج فتوفي اثناء فراره وتولى اماره الكرج بعده كركين خان وهذا لما رأى الجنود الروسية تقدمت على املاك الدولة الايرانية اشهر رابة العصيان فلما عادت العساكر الروسية عن ايران كامر مليكها بولس الاول كما مرّ انتهم محمد شاه الفرصة لاختضاع هذا الامير وساق عساكره الى بلاد الكرج ومع انه قاسي الاهوال في محاربتها لكنه تمكن من اخضاعها اخضاعاً تاماً . وبينما هو في تلك البلاد حدث ان اثنين من خدامه تخاضعا فحنق عليها وامر بشنقهما في اليوم التالي . ومن الغريب انه تركهما في خدمته . وكانا من المنوطين بخدمة سريره وتقديم اطعمته . فلما جن الليل تشاور الخادمان في الخلاص من القتل فقرّ رأيهما على قتل السلطان فدخلوا غرفته في منتصف الليل وقتلاه في تلك الليلة وكان ذلك سنة ١٧٩٧ م

٧٦١ - فتح علي شاه

من سنة ١٢١٢ - ١٢٥٠ هـ او من سنة ١٧٩٧ - ١٨٣٤ م

ولما توفي آقا محمد شاه تولى الملك بعده ابن اخيه فتح علي شاه ولأول ولايته اعتمدت روسيا على حدود دولة ايران وهاجت شطوط بحر الخزر واستولت على كرجستان سنة ١٨٠٠ م فهاجت عواطف الايرانيين على روسيا واعلنت الحرب بينهما سنة ١٨٠٣ م فانهصر الايرانيون في اول الامر في عدة معارك فزاد الروس قوتهم زبادة عظيمة وعززوا جيوشهم فهزموا الايرانيين واستولوا على كرجستان وداغستان وشيروان . وفي سنة ١٨٠٥ م سلمت قره باغ الى روسيا فأوقفت الحرب . وتظاهرت فرنسا بمساعدة ايران في هذه الحرب وارسل نابليون بوناپرت بعض القواد الفرنسيين لكي ينظموا الجيش الايراني على النسق الاوربي

وخافت انكثرتا من زبادة مداخله روسيا وفرنسا في ايران واهتمت بالامر وبعثت سفيراً الى فتح علي شاه فكانت نتيجة مساعي هذا السفير الانكليزي ابرام معاهدة

كلستان في شهر اكتوبر سنة ١٨١٣ م بين الروسيين والاييرانيين . ومع ذلك بقيت العلاقات بين روسيا وايران في فتور والمناوشات مستمرة وداخلية ايران مضطربة . من جراء ذلك . ولما توفي امبراطور روسيا اسكندر الاول ازداد اعتداء الروس على الاملاك الايرانية فاشتد هياج الايرانيين على روسيا وقبضوا على البرنس منشيكوف الذي كان قد بعثه الامبراطور الى ايران سنة ١٨٢٦ م لتهديد النجوم . ولم يطلقوا سبيله الا باصر مشدد من فتح علي شاه . وقد الزم الايرانيون جلالة الشاه باعلان الحرب ضد روسيا لان اعتداء هذه الدولة صار لا يحتمل . فارسل الشاه جيشاً عمرماً بقيادة ابنه عباس ميرزا فسار وعبر نهر الرس وقاتل الروس وانتصر عليهم في عدة مواقع انتصاراً مبيناً . ثم ترك عباس ميرزا قيادة الجيش لابنه محمد ميرزا . ولما نسي الخبر الى عاصمة الروس جندوا جيشاً جراراً وساقوه الى مواقع القتال . وكانت العساكر الايرانية قد تعبت من القتال ولكنهم التزموا اضطراراً ان يقاتلوا الجيش الروسي الجديد فالتقى الجمعان في شمخال على مسافة خمسة فراسخ من تفليس في ٢ سبتمبر سنة ١٨٢٦ م ودارت رحى الحرب فظهر الايرانيون من البسالة والاقدام ما حير عتول اعدائهم ولكن الشجاعة لا تغني اذا كثرت العدد وزاد . فانهمزوا امام الروس بعد ان قتل منهم خلق كثير

ولما بلغ الخبر الى عباس ميرزا بن فتح علي شاه اغتاپز جداً وسار بنفسه لمحاربة الروس فالتقى بجيش الجنرال بسكاويتش في ٢٥ سبتمبر سنة ١٨٢٦ م وبعد قتال شديد انتصر الروس واعاد عباس ميرزا الكرة على الروس لكنه التزم ان يرجع القهقري بمن معه فتقدم الروس كثيراً . وفي شهر يوليو سنة ١٨٢٧ م حاصر الجنرال بسكاويتش قائد الروس عباس آباد فخرج اليه عباس ميرزا باربعين الف مقاتل فالتقى الجيشان في ١٧ يوليو المذكور وبعد مواقع دموية هائلة انهزم الايرانيون وتقدم الروس وفي سبتمبر سنة ١٨٢٧ م دخل الروس مدينة تبريز بقيادة الجنرال بنكراتيف بعد حرب عنيفة قتل فيها من الروس ١٤ الفا

ولما تواتت المرائم على الجيش الايراني اهتم عباس ميرزا بابرار الصلح مع الروس وبعد مفاوضات كثيرة تم عقد الصلح في ٢٣ فبراير سنة ١٨٢٨ م وسمي بمعاهدة تركماني جاني واهم شروط هذه المعاهدة ان تخلي ايران خانيقي ابروان وتقجوان وان تدفع الى روسيا غرامة حربية قدرها ثمانية ملايين روبل (الروبل يساوي فرنكين) وان لروسيا

الحق في ادخال سفنها الحربية في بحر الخزر . وهكذا انتهت هذه الحرب المشؤمة . وبعد ان وضعت الحرب مع روسيا اوزارها اراد جلالة الشاه ان يعوض بلاده ما خسرت له روسيا فاعتمد على املاك الدولة العلية العثمانية واستولى على ولاية عراق العرب ووقعت بين الايرانيين والعثمانيين عدة وفائع مشهورة كان النصر في اغلبها للايرانيين واهم هذه الوفائع واقعة تراق قلعة . وكان الاوردي العثماني (اوردي كلمة تركية معناها معسكرو قد تستعملها العامة فنقول اوردي او عرزي) مؤلفاً من ٥١ الفاً من العساكر و ٢٠٠ من المدافع الضخمة بقوده جلال الدين محمد باشا الشهير بجوبان اوغلي . وكان معسكر الايرانيين ١٤ الفاً من المشاة و ١١ الفاً من الفرسان ومعهم ستون مدفعاً وهم بقيادة البطل الشهير عباس ميرزا بن فتح علي شاه وولي عهده فانتشبت الحرب بين الفريقين وكادت تنهزم العساكر الايرانية في بادئ الامر الا ان عباس ميرزا هجم بنفسه على موقف الاعداء فتحركت الحمية في عسكره وهجموا على العثمانيين بقلوب لا تهاب الردى واستعملوا السلاح الابيض بدل الاحمر ودامت المعركة ٣ ساعات وانجحت عن هزيمة العثمانيين وانتصار الايرانيين انتصاراً تاماً . ثم عطف عباس ميرزا الى جهات الوان والموصل وفتحها عوة ثم عقدت شروط الصلح بين الدولتين بمعاهدة سميت معاهدة ارضروم

وفي سنة ١٨٣٢ م توفي عباس ميرزا ولي عهد المملكة الايرانية فخرن عليه والده حزناً أدى بحياته في ٢٠ اكتوبر سنة ١٨٣٤ م (١٢٥٠ هـ) وكان كريماً حليماً عادلاً في ملكه وله جملة آثار من الابنية في طهران . وتوفي عن ٥٧ ابناً و ٤٦ بنتاً . وكان عدد نسله حين مماته ١٠٠٠ نفس وقد بلغ عددهم سنة ١٣٠٠ هـ عشرة آلاف

٧٦٢ محمد شاه به عباس

من سنة ١٢٥٠ — ١٢٦٤ هـ او من سنة ١٨٣٤ — ١٨٤٨ م

وتولى بعده حفيده محمد ميرزا بن عباس ميرزا بن فتح علي شاه فثار عليه اعمامه لكنه انتصر عليهم واستتب له الامر ولقب محمد شاه وفي ايامه اعنداً حاكم هرات الافغاني على بعض بلاد الدولة الايرانية فساق الشاه عساكره لتأديب هذا المعتدي وافتتح عدة مدن في طريقه واخيراً حاصر مدينة

هرات وكاد يفقهها لولا انتصار انكترا الافغانيين زعماء منها ان هرات مفتاح الهند .
 فجاءت السفن الانكليزية الى خليج فارس وضربت بعض الثغور الايرانية فاضطر الشاه
 برفع الحصار عن هرات في ٩ سبتمبر سنة ١٨٣٨ م . وفي سنة ١٢٦٠ هـ ظهر رجل من
 اهالي شيراز كان مشهوراً بالزهد واعمال الرياضة الشاقة اسمه ميرزا علي محمد بن ميرزا
 رضا البزاز وادعى انه نائب المهدي المنتظر وسمى نفسه الباب رمزاً الى الحديث النبوي
 « انا مدينة العلم وعلي بابها » فثار الناس عليه وسجنته الحكومة باصفهان ثم في جهرى .
 ثم ادعى ايضاً وهو في السجن انه المهدي نفسه فالتجأ اليه حزب : هم البايية : ووقع بين
 الحزب المذكور والحكومة مشاغب واخيراً قتل الباب بتبريز رمياً بالرصاص .
 وفي ٦ شوال سنة ١٢٦٤ هـ توفي محمد شاه بعد ان ملك ١٤ سنة وثلاثة اشهر .
 وكان رحمه الله ثقيلاً يضرب به المثل في الزهد والتقوى . وكان يقود عمساكره بنفسه .

٧٦٣ - ناصر الدين شاه بن محمد

من سنة ١٢٦٤ - ١٣١٣ هـ او من سنة ١٨٤٨ - ١٨٩٦ م



(ش ٨) ناصر الدين شاه (نقلا عن الهلال)

ولد رحمه الله في مدينة تبريز في ٦ صفر سنة ١٢٤٧ هـ الموافق ١٦ يوليو سنة ١٨٣١ م وخلف والده في ١٣ أكتوبر سنة ١٨٤٨ أ . ولما استتب الملك لجلالته نادى في البلاد بالامن على الارواح والاموال واطلق الحرية للاديان والتجارة فاطمأنت خواطر الرعية بملكه وتيمنت بجلوسه على عرش ايران العظيم وكان في اوائل حكمه كثير الاعتماد على مشورة وزيره الاعظم الامير ميرزا نقي خان وكان وزيره هذا رجلاً معنكاً عاقلاً فكانت له باع طولى في سائر الاصلاحات التي احدثها الشاه في بلاده وعرف الشاه له ذلك فكافأه بتزويجه اخته فحسده بعض زملائه فوشوا به الى الشاه فنفاه الى كاشان . وفي سنة ١٨٥٠ م شاع ان شهر شوال سيكون سيئ الطالع على جلالة الشاه وكان في طهران وقد خرج على عادته ليروح النفس من عناء الاشغال ويقتنم لذة الصيد والقنص فر بجماعة من العمال يفلحون الارض ويظهرون كدًا ونشاطاً في منتصف النهار وهم لا يبالون بالحر فاعجب باجتهادهم وامر الذين كانوا بمعيتهم ان يملطوهم ما يدل على انعطافه . الا ان هؤلاء الرجال لما رأوا جلالة الشاه مقبلاً اليهم امتنعوا عن الشغل وتقدم واحد منهم وفي يده عريضة وهو يستغيث ويطلب الرحمة فاشفق عليه الشاه وأمره ان يتقدم اليه بالعريضة فتقدم الرجل وتبعه اثنان آخران ورايه حتى اذا وقفوا حوله أمسك احدهم بيد جلالته وحاول الآخران قتله وأطلق احدهم رصاصة عليه اصابته فحذه وقيل احدى ذراعيه ولكنه دافع عن نفسه دفاع الابطال حتى قدم الحراس والضباط الذين كانوا بمعيتة جلالته وانقضوا على هؤلاء الخونة الذين كانوا من البايية وقتلوه

وبعد ان خلع الشاه من هذه الدسيسة شرع في الاصلاح الداخلي وابدل كل العمال الذين ارتاب بامانتهم وحث الناس على الاجتهاد وكسب المعارف وسهل لهم سبل الترقى ما أمكن ثم بدأ جلالة الشاه يفكر في اخذ النار والانقام من انكسار جزاء ما ظهر منها في حرب هرات وارسلها السفن الحربية الى الخليج الفارسي ومنع المرحوم والده من اتمام مشروعاته الجليلة فاخذ يث الجواسيس في

البلاد الهندية ويحضر امراء الهند على الثورة والقيام في وجه الحكومة الانكليزية واعداء ايام بتحرير بلادهم وتنصيب ملك منهم عليهم . ولما انس منهم القبول ارسل عنه سلطان مراد ميرزا الملقب بحسام السلطنة بجيش جرار الى هرات وامره بالتوغل في المفاوز والدروب الافغانية كي يصل باقرب زمن الى القوم الهندية فقامت وقتئذ قيامة الحرب بين حاكم هرات وبين عساكر الشاه من جهة وبين الهنود والحكومة الانكليزية من جهة اخرى . ولما علمت حكومة الانكليز بدخول العساكر الايرانية الى هرات عنوة وازدهار نحو الجنوب اسرعت بارسال المدرعات الحربية الى الخليج الفارسي واستولت على بندر ابي شهر واسرت محافظها حسن علي خان وارسلته الى بومباي واشاعت انها اسرت جلالة ناصر الدين شاه وجمعت للمحافظ موكباً ملكياً وانزلته في احدى سرايات الحكومة وعينت من يرافقه في الدخول والخروج ويمنعه من التكلم اتموه على الناس انه الشاه فنجحت بذلك تمام النجاح واخذت الثورة الهندية المشهورة . ثم دخل نابليون الثالث بين الدولتين وتوسط في الصلح حتى تم بينهما بماهدة امضيت بباريس تحت رئاسته وفي سنة ١٨٧١ م اصاب مملكة ايران قحط رافقه الهواء الاصفر والحمى فاصاب الناس جهد شديد فبلغ عدد الذين ماتوا في اصفهان وحدها ١٦٠٠٠ وفي تبريز ١١٠٠٠٠ نفس

فلما زالت النكبات وعاد الخصب عزم ناصر الدين شاه على السياحة في اوربا فسار في ١٢ مايو سنة ١٨٧٣ م من طهران شمالاً فقطع بحر الخزر (بحر قزوين) الى استراخان ومنها الى موسكو فبطرسبرج فالمانيا فبلجيكا فانكلترا ففرنسا فسويسرا فايطاليا فساليسبورج ففينا ثم عاد الى ايطاليا وسار منها الى الامتانة ومنها الى تفليس ومنها الى باكو بالعربة ثم عاد الى طهران فوصلها في ٦ سبتمبر سنة ١٨٧٣ م

وفي سنة ١٨٧٨ م ساح سياحة اخرى في روسيا . وفي سنة ١٨٨٠ م ثار عليه الاكراد فابلى فيهم بلاءاً حسناً فثابوا الى السكون . وفي سنة ١٨٨٨ م مد

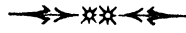
اول خط حديدي بين طهران وشاه عبد العزيز . وفي اوائل ١٨٨٩ م خرج للسياحة في اوربا مرة ثالثة فلاقى ترحاباً عظيماً وحضر معرض باريس الشهير ثم عاد الى بلاده . وكان في كل مرة يأتي بلاده بالفنون والصناعات ويأخذ من الاسلحة الجديدة ويستأجر الضباط والعلماء ليشعروا بالتمدن وتدريب العساكر في بلاده ومما يستحق المدح والاعجاب ان جلالاته كان يكتب حوادث اسفاره بقلمه يومياً في كل مدة ويسرد فيه الحقائق والحوادث سرداً بديعاً ويصف الآلات المركبة وصفاً واضحاً ويذكر انساب الرجال العظام والقايم في كل بلاد بغير خطأ

ومن جملة ما أثره الجليلة في اوائل سلطنته انه أمر بانتخاب اربعين نفرًا من الشبان النجباء من اولاد الامراء اعيان مملكته وارسلمهم الى باريس تحت رئاسة حسن علي خان امير نظام احد العلماء الايرانيين فمكث التلامذة سبعة اعوام في مدارس شتى افرسية وقالوا شهادات (دبلومة) حسنة بمد اتمام دروسهم ثم عادوا الى بلادهم ومعهم جملة علماء ومعلمين من الفرنسيين في علوم شتى فاكرم الشاه وفادتهم وامرهم بترجمة الكتب النفيسة من الافرنجية الى الفارسية ثم انشأ بناء رجبياً فسيحاً سماه دار الفنون وهي تشتمل على عدة مدارس مختلفة الدرجات كدراسة طبية عالية ومدرسة حربية ومدرسة كلية للهندسة والهيئة والفلك ومدرسة صنائع ومدرسة ابتدائية كبيرة ومدرسة تجهيزية اعدادية . ثم امر جلالاته بان يكون ٧٥ في المائة من تلامذة تلك المدارس من ابناء مشاهير البلاد والبقية من ابناء الفقراء على نفقة خزينة الخاصة

ثم وجه نظاره الى اصلاح الطرق والسبل العمومية لتسهيل المواصلات ومد الاسلاك البرقية في انحاء السلطنة ونظم البريد احسن نظام حتى صار يضاهي احسن مصلحة بريدية في اوربا وبالجملة فان دولة ايران تقدمت في ايامه تقدماً بيناً وخطت خطوة واسعة الى سبيل الرقي والتقدم

وبينا كان الايرانيون يشغلون في اعداد المعدات للاحتفال بالعام الخمسين لملك سلطانهم جلالة ناصر الدين شاه فاجأهم ذلك المصائب بمقتله بغتة . قتلته رجل

معتوه في يوم الجمعة أول مايو سنة ١٨٩٦ م وهو داخل مسجد عبد العظيم ليصلي
الظاهر فاصابت الرصاصة قلبه فمات . أما حزن الايرانيين علي جلالته في تركه
لفطنة القارئ الكريم



٧٦٤ - جلاله مظفر الدين شاه به ناصر الدين

من سنة ١٣١٣ - ١٣٢٤ هـ او من سنة ١٨٩٦ - ١٩٠٧ م



(ش ٩) مظفر الدين شاه (نقلا عن الهلال)

ولد جلاله مظفر الدين شاه يوم الجمعة ١٤ جمادى الثاني سنة ١٢٦٩ هـ وخاف

المرحوم والده على عرش المملكة واحتفل بذلك رسمياً يوم ٨ يونيو سنة ١٨٩٦ م
اما المراثي والنهائي التي رفعت الى اعبابه السنبة فكثيرة جداً نخص منها بالذكر
تمزنة وتمنئة اسمادة شاهين بك مكار يوس وهي :-

شلت يمينك يا يزيد الثاني	فلقد غدرت بصاحب الايوان
شلت يمينك هل علمت بما اتت	ت اليوم من اثم ومن طغيان
خنت النبي وآل بيت المصطفى	ونقضت حكم شريعة القرآن
لولا المقدرم تنل ايدي العدى	ما تبتغي من (ناصر) الا ديان
غدروك يا سيف الامام ولواتوا	جهرًا سقيتهم النجيع القاني
قتلوك في المحراب جهلا ويلهم	افما خشوا من هيبة الديان
قتلوا علياً قبلكم بمكيدة	من مكرهم واستشهد الحسنان
قتلوك ظلماً اذ راوك متمماً	فرض الصلاة وواجب الايمان
قد ابسوا الدنيا السواد وسودوا	بفعلهم صفحات كل زمان
فلذا الخلائق والملائك والثوا	قب كلها اضطربت من الاحزان
في يوم مصرع (ناصر الدين) الذي	غمر الانام بفضله الهتان
قد كان ركناً يستظل بظله	هذا الورى من طارق الحدان
اضى ضحية عدله في ملكه	افذا جزاء العدل والاحسان
غدر اللثيم به فعاجله القضا	تبت يده من اثم جان
هلاً درى ان (المظفر) بعده	يردي العدى بالسيف والمران
هلاً درى ان (المظفر) نجله	فخر الملوك وقودة الاعيان
هلاً درى ان المظفر شبله	ليث الشرى من اعظم الشجعان
غوث العوالم بل وليث عرينها	غيث المراحم مصدر العرفان
ملك تحلت بالكمال صفاته	وسمت معاليه على كيوان
بطل تذلل له الضراغم هيبة	بالباس منه يشهد الثقلان
ان غاب بدرايه عن هذا الملا	فلقد بدا من وجهه القمران

عمت فضائله فكان قلوبا
 (مظفر الدين) العباد استبشرت
 ونسابت رسل التهانى نحوه
 وطىء المقام بياسه فكأنه
 هذى يمين الله يا ابن صفيه
 ابشر فان الله يحفظ ملككم
 ونعمزء عن فقه لا طهر والد
 لازات ما بين الملوك معظماً
 آدم لنا بالين دولة ملكه
 وانصره مولانا على اعدائه
 وبصلحي وزرائه اشدد ازره
 بحراً كبيراً دائم الفيضان
 فتوسمت خيراً ونيل امانى
 لما تولى العرش في طهران
 في عرشه كسرى انوشروان
 مدت لترفعكم لاعلى الشان
 طول الزمان مشيد الاركان
 من ربه قد فاز بالغفران
 ومظفراً بعناية الرحمن
 وبلاده يا خالق الاكوان
 ابدأ وصفه سائداً بأمان
 ما غردت ورق على الاغصان

وحالما جالس رحمه الله على كرسي اجداده النقى كثيراً من الضرائب مثل
 ضرائب الخبز واللحم وغيرها وابطل تلزيم الاعشار وجعلها تعطى عيناً او بدلا
 ومنح حكام الاقاليم نوعاً من الاستقلال في حكوماتهم . وزاد في تنظيم الجند
 الفارسي على النظام الافرنجي الجديد . وانشأ كثيراً من المدارس ينفق عليها من
 الجيب الخاص في طهران وتبريز وبوشهر وغيرها

ولم يكتف رحمه الله بكل ذلك بل عمل عملاً جديراً ان يكتب بماء الذهب
 الا وهو منحه الحرية والدستور لبلاده فاستبشر الايرانيون بهذا الشاه وتعلقوا به
 واخلصوا له نياتهم . وقد ارخ الدكتور مهدي خان منح الدستور لبلاده بقوله

هو الامر شورى بيننا جاءنا بها محمد المختار من خير معشر

مما آيها استبدادنا فاعادها وزان بها التاريخ عدل مظفر

١٣٢٤

وبينما الايرانيون جزلون بدستورهم الجديد وحرية لهم المنوحة لهم من جلالة

مظفر الدين ينتظرون الخير العميم على يديه اذ تبدل فرحهم بحزن وطرهم
بجزع لوفاة جلالة مظفر الدين شاه لسبع بقين من ذي القعدة سنة ١٣٢٤ (الموافق
٨ يناير سنة ١٩٠٧)

وكان جلالة محمد علي شاه ولي العهد مقيماً بتبريز فلما اشتد المرض على جلالة
والده استقدمه الى طهران فجاءها . فلما توفي والده تتوج جلالة محمد علي شاهاً على
كرسي ايران العظيم باحتفال فخم وصفته الجرائد في حينه ويةولون ان جلالة محمد
علي شاه غير راض عن الدستور والاغلب غير ذلك كما سبق وتعهد لجلالة المرحوم
والده . لكن يظهر ان بين بطائه قوماً يرغبون بقاء القديم على قدمه لغاية في
النفس وهؤلاء كثيراً ما يؤثرون على جلالاته وحزب الاصلاح قري بايران وبسبب
الخلاف بين هذين الحزبين تنجبت الفتن الحاصلة الآن وفقى الله جلالة الشاه
الجديد لما فيه خير بلاده

٧٦٥ - الدولة العثمانية العصرية بمصر

(تمهيد) ذكرنا في فصل (٦٢٩) خبر استيلاء السلطان سليم العثماني على مصر
ودخوله اباهاً ظافراً بعد تغلبه على دولة المماليك . وبعد ان اقام بها مدة ينظم احوالها
بارحها الى عاصمة سلطنته واناب عنه من يدعى خير بك الجركسي والياً عليها من قبله
وبقي خير بك في ولاية مصر الى ان توفي سنة ٩٢٩ هـ فولى بعده السلطان سليمان
مصطفى باشا وبعد تسعة اشهر و ٢٥ يوماً اُبدل باحمد باشا . وكان احمد باشا المذكور
صدراً اعظم قبل توليته مصر ثم عهد اليه السلطان سليمان ولاية مصر واستند منصب
الصدارة الى ابراهيم باشا وكان بينه وبين احمد باشا عداوة حدث بسببها اشياء يطول
شرحها فعصي احمد باشا وادعى السلطنة لنفسه بمصر واخيراً هجم عليه بعض العساكر
في الحمام وقتلوه سنة ٩٣٠ هـ ثم عهدت ولاية مصر بعده الى قاسم باشا واستبدل بابراهيم
باشا سنة ٩٣٢ هـ ثم عزل وأقيم بعده سليمان باشا سنة ٩٣٣ هـ فبقي الى سنة ٩٤٤ هـ
وفيها استقدمه السلطان ليهتمه بقيادة حملة اعداها لمحاربة العجم وناب عنه مدة غيابه

خسرو باشا نحو سنة وعشرة اشهر . وفي سنة ٩٤٥ هـ عهدت ولاية مصر الى داود باشا فبقي بها الى ان توفي سنة ٩٥٦ هـ وتولى بعده علي باشا ثم عزل سنة ٩٦١ هـ وتولى بعده محمد باشا وهذا عزل عن ولاية مصر وقتل بالاستانة سنة ٩٦٣ هـ وعهدت ولاية مصر بعده الى اسكندر باشا فاقام الى سنة ٩٦٨ هـ وأبدل بعلي باشا الخادم وهذا عزل سنة ٩٦٩ هـ وتولى بعده مصطفى باشا . وفي سنة ٩٧١ هـ ابدل هذا بعلي باشا الصوفي ثم عزل سنة ٩٧٣ هـ وتولى بعده محمود باشا . وفي سنة ٩٧٥ هـ استبدل بسنان باشا ثم حسين باشا سنة ٩٨٠ هـ ثم مسيح باشا سنة ٩٨٢ هـ وهذا استمر الى سنة ٩٨٨ هـ ثم ابدل بحسين باشا الخادم ثم ابراهيم باشا سنة ٩٩١ هـ ثم سنان باشا سنة ٩٩٢ هـ ثم عويس باشا سنة ٩٩٤ هـ ثم حافظ احمد باشا سنة ٩٩٩ هـ ثم قورط باشا سنة ١٠٠٣ هـ ثم السيد محمد باشا سنة ١٠٠٤ هـ ثم خضر باشا سنة ١٠٠٦ هـ ثم علي باشا السلحدار سنة ١٠٠٩ هـ ثم ابراهيم باشا سنة ١٠١٢ هـ ثم محمد باشا الكورجي سنة ١٠١٣ هـ ثم حسن باشا في السنة المذكورة ثم محمد باشا الصوفي سنة ١٠١٦ هـ ثم احمد باشا سنة ١٠٢٢ هـ ثم مصطفى باشا لفغلي سنة ١٠٢٦ هـ ثم جعفر باشا سنة ١٠٢٧ هـ ثم مصطفى باشا سنة ١٠٢٨ هـ ثم حسين باشا في السنة المذكورة ثم محمد باشا سنة ١٠٣١ هـ ثم ابراهيم باشا سنة ١٠٣١ هـ ثم مصطفى باشا الخامس سنة ١٠٣٢ هـ ثم علي باشا الخامس في سنة ١٠٣٢ هـ المذكورة ثم اعيد مصطفى باشا الخامس ثانية في ذات السنة وعزل وقتل بالاستانة سنة ١٠٣٧ هـ ومن بعده ابدت ولاية مصر الى بديع باشا ثم استدعي الى الاستانة في ذات السنة واقام بعده محمد باشا ثم موسى باشا سنة ١٠٤٠ هـ ثم خليل باشا سنة ١٠٤١ هـ ثم احمد باشا الكورجي سنة ١٠٤٢ هـ ثم حسين باشا سنة ١٠٤٣ هـ ثم محمد باشا سنة ١٠٤٥ هـ ثم مصطفى باشا البستانجي سنة ١٠٤٩ هـ ثم مقصود باشا سنة ١٠٥١ هـ ثم ابوب باشا سنة ١٠٥٤ هـ ثم محمد باشا في ذات السنة ثم احمد باشا سنة ١٠٥٨ هـ ثم عبد الرحمن باشا سنة ١٠٦٢ هـ ثم محمد باشا في ذات السنة ثم غازي باشا سنة ١٠٦٧ هـ ثم عمر باشا سنة ١٠٧٧ هـ ثم احمد باشا سنة ١٠٧٨ هـ ثم ابراهيم باشا في ذات السنة ثم حسين باشا الجنبلاط سنة ١٠٨٧ هـ ثم عثمان باشا سنة ١٠٩١ هـ ثم حسن باشا السلحدار سنة ١٠٩٩ هـ ثم احمد باشا سنة ١١٠١ هـ ثم علي باشا سنة ١١٠٢ هـ ثم اسماعيل باشا سنة ١١٠٧ هـ ثم حسين باشا سنة ١١٠٩ هـ ثم محمد قرة باشا سنة ١١١١ هـ ثم محمد رامي باشا سنة ١١١٦ هـ ثم مسلم علي باشا سنة ١١١٨ هـ ثم حسين باشا سنة ١١١٩ هـ ثم ابراهيم باشا القبودن سنة ١١٢١ هـ ثم خليل باشا سنة ١١٢٢ هـ ثم ولي باشا سنة ١١٢٣ هـ ثم عابدين

باشا سنة ١١٢٧ هـ ثم علي باشا الازمري سنة ١١٢٩ هـ ثم رجب باشا سنة ١١٣٠ هـ ثم محمد
 باشا الناشجي سنة ١١٣٢ هـ ثم علي باشا سنة ١١٣٨ هـ ثم باكير باشا عام ١١٤١ هـ ثم عبد الله
 باشا الكيوري سنة ١١٤٢ هـ ثم محمد باشا السلحدار سنة ١١٤٤ هـ ثم عثمان باشا الحلبي عام
 ١١٤٦ هـ ثم باكير باشا ثانية عام ١١٤٨ هـ ثم مصطفى باشا عام ١١٤٩ هـ ثم سليمان باشا
 الشهير بابن العظم عام ١١٥٢ هـ ثم علي باشا حكيم اوغلي عام ١١٥٣ هـ ثم سعي باشا عام
 ١١٥٤ هـ ثم محمد باشا اليدكسي عام ١١٥٦ هـ ثم محمد راجب باشا عام ١١٥٨ هـ ثم احمد باشا
 المعروف بكوروزير عام ١١٦١ هـ ثم شريف عبد الله باشا عام ١١٦٣ هـ ثم محمد امين
 باشا عام ١١٦٦ هـ ثم مصطفى باشا في ذات السنة ثم علي باشا حكيم اوغلي ثانية عام
 ١١٦٩ هـ ثم محمد سعيد باشا عام ١١٧١ هـ ثم مصطفى باشا عام ١١٧٣ هـ ثم احمد كامل
 باشا عام ١١٧٢ هـ ثم باكير باشا عام ١١٧٥ هـ ثم حسن باشا عام ١١٧٦ هـ ثم حمزة باشا
 عام ١١٧٩ هـ ثم محمد راقم باشا عام ١١٨١ هـ ثم محمد باشا الارمني عام ١١٨٢ هـ ثم
 احمد باشا عام ١١٨٣ هـ ثم قرا خليل باشا عام ١١٨٤ هـ ثم مصطفى باشا التابلسي عام
 ١١٨٨ هـ ثم مصطفى باشا عرب كبيرلي عام ١١٨٩ هـ ثم محمد عزت باشا عام ١١٩٠ هـ
 ثم اسماعيل باشا اولاً عام ١١٩٣ هـ ثم ابراهيم باشا في ذات السنة ثم اسماعيل باشا ثانية
 عام ١١٩٤ هـ ثم محمد باشا ملك عام ١١٩٥ هـ ثم الشريف علي باشا القصاب عام ١١٩٦ هـ
 ثم محمد باشا السلحدار عام ١١٩٨ هـ ثم الشريف محمد باشا يكن عام ١١٩٩ هـ ثم
 الشريف عبيد باشا عام ١٢٠١ هـ ثم اسماعيل باشا التونسي عام ١٢٠٣ هـ ثم محمد
 عزت باشا عام ١٢٠٥ هـ ثم صالح باشا القيصري عام ١٢٠٩ هـ ثم ابو بكر باشا عام ١٢١١ هـ
 وفي ايامه في سنة ١٢١٣ هـ استولى الفرنسيون على مصر بقيادة بطلم الشهير نابوليون
 بوناپرت . وقبل ان نتكلم على هذه الحملة الفرنسية يليق بنا التلميح الى ما كان
 للملك من السطوة في مصر حتى لم يكن للولاة العثمانيين معهم الا الاسم فقط فنقول
 اعلم ان سبب قصر مدة الولاة بمصر هو تغلب المالك على امر الدولة فيها حتى انه لم
 يكن الباشا العثماني الا اسماً بلا رسم وتفصيل ذلك يطول شرحه فاذا اردت الوقوف عليه
 فراجع في التواريخ الخاصة بمصر كتاريخ الجبرتي وتاريخ مصر الحديث لحضرة المؤرخ
 المحقق جرجي افندي زيدان . اما هنا فساقتصر على ذكر حالتهم منذ استبداد علي بك
 بلوط مملوك ابراهيم كتنخدا امير الامراء وكبير السناجق واستثارة بالسلطنة في مصر
 سنة ١١٧٤ هـ

بعد ان ثبت قدم علي بك بولاية مصر وتم له امرها جرد جيشاً بقيادة محمد بك ابي الذهب الى الحجاز لاجراج الشريف من مكة . ولما وصل الى جدة ملكها بالامان ثم سار الى مكة المكرمة وطرد الشريف منها واقام غيره مكانه ورجع الى مصر . فاشتهر علي بك بعد هذا الفتح بسطوته وصوله ولان الدولة العثمانية العلية كانت مشغولة في ذلك الوقت بحرب الروسيا فلم تهتم بمصر وكان ذلك داعياً لظهور علي بك كما مر . وفي ذلك الوقت كان الوالي على عكا الشيخ ظاهر العمر ولوفوع النفرة بينه وبين عثمان باشا الصادق والي دمشق سولت له نفسه بالخروج على الدولة العلية لعدم قدرته بالقيام بهذا الامر بلا مساعدة ارسل الى علي بك والي مصر هدايا وتحفاً نفيسة وزين له الخروج الى سورية على ان يساعده على امتلاكها فطمع علي بك بالشام وجيز جيشاً عظيماً ارسله بقيادة محمد بك ابي الذهب المذكور فوصل هذا الجيش سنة ١٧٧٠ م الى جهة الرملة وهناك انضم اليه الشيخ ظاهر العمر بعسكره حتى بلغ الجيش على ما قيل ٦٠ الفاً ولما علم عثمان باشا بقدمهم لقتاله ارتاع ومع ذلك خرج بعسكره للقتال فلم يثبت رجاله الا قليلاً وانزموا وخيم ابو الذهب ظاهر دمشق فخرج اليه اهل دمشق طالبين الامان فامنهم ودخل المدينة واستقر في دار الوزارة وامر باطلاق المدافع على القلعة فطلب منها الامان وتسلم القلعة ايضاً

وبعد ان دخل محمد بك ابو الذهب دمشق وتسلم قلعتها خوفه اسماعيل بك (احد فواد العساكر المصرية) من عواقب الامور بان الدولة العلية لا بد من ان يخلو بالها من الحرب فتلقت الى مصر بعين الانتقام ومن عصي السلطان فقد عصي الله وما زال به حتى نهض ابو الذهب ليلاً بعساكره مفارقاً دمشق فعجب الناس كثيراً لهذا التغيير الغير منتظر ورجع الشيخ ظاهر العمر ومن معه كل الي محله . ولما بلغ عثمان باشا خبر رحيل ابي الذهب اسرع الي دمشق ودخلها بلا مناع

ووصل محمد ابو الذهب مصر فجأة فنعجب الامير علي بك كل العجب اذ كان يعلم دخوله الى دمشق وطرده عثمان باشا عنها وساله عن سبب عودته بفتة فجعل السبب تصلف الشيخ ظاهر العمر وعشيرته ونسبهم الى الخيانة والمكر فكذب الامير علي بك الى الشيخ ظاهر يعاتبه فاجابه منكر ما عزاه اليه ابو الذهب وارسل اليه ابنه الشيخ عثمان رهينة على صدق قوله واخلاصه . فتحقق علي بك خيانة ابي الذهب . ولم يلبث ابو الذهب حتى خرج الى الصعيد وابتدأ يحشد الرجال فجمع الامير علي بك عسكراً

وارسلهم بقيادة اسماعيل بك المتقدم ذكره لقتال محمد ابي الذهب فاتتق اسماعيل بك مع محمد ابي الذهب على الامير علي بك وعادوا الى القاهرة بالجيش الكشيفة فاضطر علي بك ان يفر من القاهرة الى عكا عند الشيخ ظاهر العمر ودخل محمد ابو الذهب القاهرة واستولى عليها وخطب له فيها • وكتب علي بك والشيخ ظاهر الى الكونت ارلوف امير الاسطول الروسي في البحر المتوسط ان ينجدتهما فلي دعوتهما بارتياح واعد علي بك بالمال والرجال وساعد الشيخ ظاهر على اخذ يافا من مدن الشام • ولما رأى علي بك مساعدة الروس له ايقن بالظفر وسار قاصداً مصر لاستخلاصها من محمد بك ابي الذهب وبرز محمد بك لقتاله فالتقى الجمعان بجوار غزة وبعد قتال شديد انهزم علي بك وفر من معه ووقع هو جريحاً فاخذه محمد بك ابو الذهب الى القاهرة واحضر له الجراحين يداوون جرحه حتى اذا اوشك ان يبرأ امرهم بوضع السم في جراحه فوضعوا كاهه فمات علي بك للحال واستتب امر مصر لمحمد بك ابي الذهب • وفي سنة ١١٨٩ هـ سار محمد بك ابو الذهب الى الشام بجيش كثيرة لاستخلاص البلاد من ايدي الذين تغلبوا عليها • فحاصر يافا وضيق عليها وافتتحتها عنوة واثنى في اهلها قتلاً ونهباً مما لم يسمع بمثله ثم تقدم قاصداً عكا فخاف اليها الشيخ ظاهر العمر وخرج منها هارباً فوصل اليها محمد بك ودخلها من غير ممانع واذعنت له باقي البلاد وخاف الاهالي سطوته ودخلوا تحت طاعنه • ثم ارسل الى الاسكندرية بطلب التقرير على مصر والشام فاجيب الي ذلك الا انه لم يهتأ بالولاية طويلاً لانه توفي في ٨ ربيع الثاني سنة ١١٨٩ المذكورة فحمل العساكر جثته واتوا بها الى القاهرة ودفنوه في مدرسة تجاه الازهر وتولى مصر بعده مراد بك وابراهيم بك الاول امير الحج والثاني شيخ البلد وفي ابائهما في سنة ١٢١٣ هـ اتى الفرنسيون بقيادة نابليون بونابرت كما سيأتي ذكر ذلك الآن في سنة ١٧٩٨ م جهز نابليون بونابرت بناء على امر الجمهورية الفرنسية في ثغر طولون جيشاً مؤلفاً من ٣٦٠٠٠ مقاتل وكثيراً من المراكب والسفن لنقل الجنود والذخائر وعدد الحرب واراد بجيشه نحو ١٢٠ عالماً بارعين في علوم مختلفة • وفي ١٩ مايو سنة ١٧٩٨ م المذكورة سار نابليون بهذا الجيش دون ان يعلم احد وجهه سيره فباغ في ٢٠ يونيو الى جزيرة مالطة فاحتلها بعد ان دافع من كان فيها من جمعية فرسان القديس يوحنا الاورشليمي شديداً الدفاع • وفي ٢ يوليو رست مراكبه امام الاسكندرية وانزل جنوده على مقربة منها ثم دخلها عنوة وترك فيها القائد كليبر وسار الى القاهرة

فاعتزله مراد بك بشرذمة من المماليك فهزموه وواصل سيره الى مدينة امبابة قبالة القاهرة فكانت اوقمة المعركة بواقعة الاهرام بينه وبين ابراهيم بك ومراد بك في ٢١ يوليو من السنة المذكورة وابدى المماليك ايات الشجاعة بالدفاع الا انهم لم يقووا على مدافع الافرنسيين فدخل بونابرت وجنوده القاهرة وأعلن انه حليف السلطان ولم يأت لفتح مصر بل لنوطيد سلطته فيها ومحاربة المماليك الذين عصوا اوامرهم اما مراد بك فلحق بالصعيد فارسل نابوليون من يتبع آثاره واما ابراهيم بك فالحق بالشام . واستتب الامر بمصر للفرنساويين

ولما علمت انكلازا يخرج بونابرت من طولون الى جهة غير معلومة امرت مراكبها التي كانت محاصرة مدينة قادس باسبانيا بامر الاميرال نلسن الشهير ان يتعقب المراكب الفرنسية ويضربها حيثما وجدها فالتقى بها في ابي قير قرب الاسكندرية فكانت وقعة هائلة بين الاسطول الفرنسي والاسطول الانكليزي انجلت عن تدمير الاسطول الفرنسي

وكانت الدولة العلية قد اخذت في الاستعداد لمحاربة فرنسا واخراج جيشها من مصر وعرضت عليها انكلازا مساعدتها على اخراج الفرنسيين من مصر خوفاً من قطع طريقها الى الهند وعرضت عليها روسيا معاضتها وامدادها بمراكبها فبرمت معاهدة بين الدول الثلاث واشهر الباب العالمي الحرب على فرنسا في ٢٠ بتمبر سنة ١٧٩٨م وسار الاسطول العثماني والاسطول الروسي نحو مصر وأخذ الباب العالمي في حشد الجيوش في دمشق ورودرس لتزحف الى مصر وكانت المراكب الانكليزية باقية في البحر المتوسط وقطعت مع الاسطولين العثماني والروسي خط الاتصال بين فرنسا وجيشها الذي احتل مصر

ولما رأى بونابرت اجتماع الجيوش ومراكب الدول المذكورة لمحاربه اراد ان يباغت الدولة باخذ سورية ايضاً قبل ان يكمل استعدادها للحربه . فنهض من مصر بثلاثة عشر الف مقاتل الى سورية بطريق العريش فاحتل هذا البلد في اوائل سنة ١٧٩٩م ثم اخذ غزاة ثم الرملة ثم يافا ثم بلغ الى عكا واقام الحصار عليها فدافع عنها واليه الجزار دفاعاً محموداً وعسكرته قنابل المراكب المتحدة الراسية بميناء هذه المدينة فلم يتمكن بونابرت من فتحها ثم قضا الطاعون في عسكره فلم يجد بداً من العود الى مصر فباد بمن بقي من جيشه الى القاهرة ودخلها في ٢١ مايو سنة ١٧٩٩م ثم وصل الجيش

العثماني الذي كان قد تألب في رودس وحل في ابي قير فهب بونابرت من القاهرة
لما واثم واصل عليهم نار الحرب فتغلب عليهم وقتل منهم خلقاً كثيراً وانهزم الى
المراكب من بقي منهم حياً وأسر مصطفى باشا قائدهم وذلك في ٢٥ يوليو سنة ١٧٩٩ م
وفي ٢٤ اغسطس من السنة المذكورة بلغ بونابرت ان احوال الجمهورية الفرنسية
مضطربة فانسأل خفية ومعه بعض قواد جيشه وسافر بهم متكرراً ولم يشعر بهم الانكليز
مع شديد مراقبتهم وانتشار مراكزهم في البحر المتوسط فظهر بغتة في باريس في اواخر
سنة ١٧٩٩ م وترك قيادة الجيش المحتل بمصر لكليبر . . وكان هذا الجيش قد
هلك نصفه بالحروب والوباء ولا امل له بنجدة او امداد لقطع خط الاتصال بينه وبين
فرنسا . وكانت الدولة العلية مجدة في اعداد حملة اخرى لاستخلاص مصر من
الفرنساويين وانكثروا وروسيا ساعدتها بما في الامكان فينس كليبر من الثبات في هذا
الموقف فاتفق مع يوسف باشا الصدر الاعظم الذي كان قد حضر الى العرش والاميرال
سميث الانكليزي في ٢٤ يناير سنة ١٨٠٠ م في العرش على ان ينسحب العسكر
الفرنساوي بسلاحه راجعاً الى فرنسا على مراكب الانكليز . ولكن لما اخذ الفرنسيون
في الجلاء عن بعض انقلاع ارسل الاميرال سميث الانكليزي يبلغ كليبر ان دولته
لا تجيز الاتفاق السابق عقده الا ان يلقي العسكر الفرنسي سلاحه بيد الانكليز . فاستشاط
كليبر غضباً وهب لمحاربة العسكر العثماني الذي كان اتى الى مصر بقيادة الصدر
الاعظم لاستلامها من يد الفرنسيين . ومع ان الجيش العثماني كان يربو اضعافاً على
عدد الفرنسيين لكن لما تقابل الجيشان عند المطرية في ٢٤ مارس سنة ١٨٠٠ م
انصر الفرنسيون انتصاراً باهراً وكسروا العثمانيين شر كسرة . وعاد كليبر بمسكه
ظافراً الى القاهرة فوجد ان ابراهيم بك قد استحوذ عليها في غيبته فاضرم الناس
عليها وخرب قديماً كبيراً منها واستمرت الحرب في شوارعها عشرة ايام ودخل
الفرنساويون الجامع الازهر وربطوا خيولهم فيه وانحنوا في اهل البلد قتلاً ونهباً حتى
انهزم امراء الثورة وقتل بعضهم وفر بعضهم فدخل كليبر القاهرة واستولى عليها
ثم قتل بعض المشايخ ممن ثبت انحادهم مع الثائرين وهذات الاحوال وعادت السكينة
الى ما كانت عليه قبل هذه الفتنة . وبينما كان كليبر يفكر في تمكين موقف جنوده
بمصر وتثبيت سلطته فيها دخل عليه صعلوك حابي اسمه سليمان وهو يتنزه ببستان
وطعنه بمدية فكانت القاضية عليه وكان مقتله في ١٤ يونيو سنة ١٨٠٠ م وهرب القاتل

فوجدوه في بستان قريب من البستان الذي وقع فيه القتل وبعد المحاكمة القانونية قتلوه هو وثلاثة ثبتت عليهم تهمة التستر على هذا القاتل الانيم

وبعد مقتل كليبر اقام العسكر الفرنسي الجنرال مينو موضعه وهذا كان قد اسلم وتسمى عبد الله فابقن العثمانيون والانكليز بعد هذا التغيير النصر على الفرنسيين وانزلوا بابي فير ثلاثين الف مقاتل فسار الجنرال مينو لقتالهم فهزموه في ٢١ مارس سنة ١٨٠١ م وسار الى الاسكندرية وتحصن بها . وتقدم العسكر العثماني الانكليزي الى القاهرة فحاصروا من بقي فيها من الفرنسيين ورأى قائدهم بيليار ان لا مناص له من التسليم فخاف القائدين العثماني والانكليزي بامر التسليم فوافقا على الشروط التي كانت ابرمت في الاتفاق بين كليبر وانجلي الفرنسيين عن مصر في شهر يوليو سنة ١٨٠١ م بسلاحهم وعددهم ومالهم وبقي الجنرال مينو محصوراً في الاسكندرية الى ان سلم في ٢ سبتمبر سنة ١٨٠١ م بعد وقعة كانت مع الجيش العثماني الانكليزي هلك فيها خلق كثير من الفريقين وبمقتضى الشروط المار ذكرها خرجوا من الاسكندرية بسلاحهم وعددهم ومالهم وحملتهم جميعاً المراكب الانكليزية الى فرنسا وهكذا انتهت هذه الحملة وعادت مصر ولاية عثمانية كما كانت

وبعد انسحاب العساكر الفرنسية من مصر اسلم يوسف باشا الصدر الاعظم زمام الاحكام في القاهرة باسم جلالة السلطان ودبر يوسف باشا وحسين قبطان باشا مكيده لاغتيا لالماليك فدعا الاخيرا امراءهم لوليمة باسطوله بابي فير وقتل بعضهم بينما كان الاول قد امار عساكرهم فنهبوا واحرقوا بيوتهم بالحيرة . ثم انسحبت العساكر الانكليزية من مصر بامر الاميرال كيت وبقيت مصر بتنازعها الجنود العثمانية والماليك . ولما كان لا بد من تولية وال عثماني يقوم باعباء الولاية سعى يوسف باشا الى تولية خسرو باشا كخيا حسين باشا قبطان وكتب بذلك الى الاستانة فاجاب الباب العالي طلبه وارسل الفرمان المؤذن بذلك

فتولى خسرو باشا على مصر في ١٢ جمادى الاولى سنة ١٢١٦ هـ واذ تحقق انه لا يستنب امره الا اذا اتى البقية الباقية من الماليك سعي مذ جلس على كرسي الولاية في ابادتهم . وكان الماليك في ذلك الوقت بأمره عثمان بك البرديسي ومحمد بك الالبي وقد استأثروا بالصعيد . ولم يكن اذ ذاك في سلطة الباب العالي الا القاهرة والاسكندرية وما بينهما . فلم يستطع خسرو باشا تحصيل ما يقوم بدفع مرتبات

العساكر فثاروا في ٢ مايو سنة ١٨٠٣ م واحاطوا بالخازن دار وحبسوه في بيته • فامر خسرو باشا ان تطلق عليهم المدافع حتى علت الضوضاء واشتد الخصام فتدخل طاهر باشا اركان حرب خسرو باشا يريد صرف ذلك المشكل بالتي هي احسن فلم يوافقه خسرو باشا واتهمه باتحاده مع العصاة • فاغتنظ طاهر باشا واتحد مع العصاة فعلاً وامرهم ان يهدموا الاسوار فخاف خسرو باشا وفر بجر يمه وحاشيته الى المنصورة ثم سار منها الى دمياط فانتهز طاهر باشا تلك الفرصة وجمع ارباب الديوان فاقروه على مصر بصنة قائم مقام مؤقتاً حتى ترد الاوامر بتولية من يتولى عوضاً عن خسرو باشا على كرمي ولاية مصر وطلبت العساكر منه مرتباتهم واذ لم يكن لديه ما يدفعه لهم ثاروا عليه وقتلوه في شهر صفر سنة ١٢١٨ هـ ومن سنة ١٢١٨ هـ الى سنة ١٢٢٠ هـ حصلت عدة فتن وحروب وقام بعض الولاة على ولاية مصر ولان في هذه المدة تداخل المرحوم المغفور له محمد علي باشا رأس العائلة المحمدية العلوية التي نحن بصدددها في امر مصر تداخلاً فعلياً فسنذكر ذلك بالتفصيل في تاريخ محمد علي باشا المذكور



(ش ١٠) محمد علي باشا (نقل عن الهلال)

٧٦٦ - محمد علي باشا

من سنة ١٢٢٠ - ١٢٦٤ هـ او من سنة ١٨٠٥ - ١٨٤٨ م

ولد رحمه الله في قواله من اعمال مكدونيا سنة ١١٨٢ هـ او سنة ١٧٦٩ م ولذا كان يفخر كثيراً بقوله انه ولد في وطن اسكندر الكبير وفي يوم ميلاد نابوليون بوناپرت . وكان والده المدعو ابراهيم آغا متولياً خفارة الطارق وقد ولد له ١٧ ولداً لم يعيش منهم الا محمد علي . وفي سنة ١٧٧٣ م توفي ابراهيم آغا وامراته وابنه محمد علي لم يتجاوز الرابعة . فكفله عمه طوسون آغا الذي كان متسلماً على قواله غير انه قتل بعد ذلك بقليل بامر الباب العالي فاصبح محمد علي يتيماً ليس له من يعوله

وكان محافظ البلدة المعروف بجربتجي براوسطة صديقاً قديماً لوالد محمد علي فشفق عليه واخذه الى منزله وعني بتربيته مع ابنه قابدي من ايات الهمة والنشاط ما حمل الولي ذات يوم على انفاذه الى قرية من الضواحي يأبى اهلها دفع الرسوم وكان مسيره اليها في عشرة رجال مسلحين فلما بلغها دخل مسجدها لاداء الصلاة ثم استدعى اليه اعيان البلدة الاربعة فلما حضروا اليه كبلهم بالاغلال وسار بهم بين الاهالي شاهراً سيفه متهدداً بقتلهم اذا هم هموا بتخليصهم فلم تكن الا ليلة وضحاها حتى اديت الرسوم المتأخرة كلها . فرقاه الوالي عقب ذلك الى رتبة بلوك باشا وزوجه احدى قريباته وكانت مطلقة ولها مال وعقار فوسعت حاله فترك الخدمة العسكرية وتعاطى التجارة . واتفق ان تعرف في هذه الاثناء بالتاجر الفرنسي ليون الذي كان في آن واحد قنصلاً لفرنسا في قواله فاتجر في اصناف التبغ (الدخان) وحصل منها على ربح وافر

وفي سنة ١٨٠٠ م كان الباب العالي يجهز حملة لتسير الى مصر لاجراج الفرنسيين منها فوردت الاوامر الى جربتجي براوسطة ان يجمع ٣٠٠ مقاتل ففعل وجعل ابنه علي آغا قائداً ومحمد علي مساعداً . فسارت تلك الكتيبة ضمن

العمارة العثمانية تحت قيادة حسين قبطان باشا الى ابي قبر ولكن انتصر الفرنسيون على تلك الحملة . فترك علي آغا كتيبته بعد ان عهد قيادتها لمحمد علي وعاد الى بلاده . فارتقى محمد علي الى رتبة بك باشي . ثم كانت محاربة العساكر العثمانية والانكليزية مع العساكر الفرنسية في عهد الجنرال منو واتصارهم عليهم وانهى الحال بانسحاب الفرنسيين من مصر كما مر بك

ولما تعين خسرو باشا والياً على مصر دخل محمد علي في خدمته فارتقى الى رتبة قبي بلوك باشي ثم نال رتبة مرشمه فاصبح قائداً لثلاثة او اربعة الاف من الالبانيين . وكان خسرو باشا يهتم بتخليص مصر من عيث المماليك وقد نجح في ذلك ولكن ليس تماماً فرأى محمد علي ان ينقرب الى المماليك ليساعده على تنفيذ ما يدور بخلفه من استخلاص مصر لنفسه فخاف البرديسي احد زعماء المماليك . وفي سنة ١٢١٨ هـ حصلت فتنة لطالب العساكر مرتباتهم انتهت بفرار خسرو باشا وتولية طاهر باشا مؤقتاً ولكن هذا لم يقم بالولاية الا ١٦ يوماً حتى قام عليه المسكر طالين منه مرتباتهم وانتهى الحال بقتله . فانتهمز محمد علي هذه الفرصة ودخل القلعة واستولى عليها . ولما قتل طاهر باشا اقام العسكر بعده احمد باشا فانجده محمد علي والمماليك على معارضته حتى ارغموه ان يترك المدينة

فلما علم الباب العالي بذلك ارسل علي باشا الجنترلي (الطرابلسي) ليتولي ولاية مصر بدلاً عن خسرو باشا . ولما وصل هذا الى مصر عهد الى الكيد بالمماليك ومحمد علي فوقع هو في الشراك التي نصبها لهم وعادت العائدة عليه وكانت انكلترا ترقب الحوادث بطرف خفي فلما رأت فوز البرديسي ومحمد علي وانهما شرعا في اقتسام القطر المصري بينهما وجهت اليهما خصماً عنيداً وهو الافندي واصله كان مملوكاً لمراد بك فجمع بعد عنقه مالاً كثيراً من الفلاحين والبدو بطريق الاغتصاب وقد أبلى بلاء حسناً في واقعة الاهرام وانسحب الى الصعيد مع مولاه حتى اذا انجلي الفرنسيون عن مصر تضاف الى الانكليز فعينوه حاكماً على الوجه القبلي وكان يضرب المثل بترفه وبذخه حتى انه كان

اذا تنقل من بلد الى اخر اخذ ضمن متاعه كشكاً مفكك الاجزاء فنركب له اجزائه اذا اراد الإقامة او تحمل اذا ارتحل . وبعد خلاصه من المكيدة التي اعدّها خسرو باشا بواسطة قبطان باشا لاعداد المالك سنة ١٨٠١ م سار في الاسطول الانكليزي الى لوندرا فانتهز الانكايك هذه الفرصة لاتخاذ آلة في ايديهم فشبعوه وامدوه فعاد الى القطر المصري من انكلترا فوصل الى ابي قبر في ١٢ فبراير سنة ١٨٠٤ م . فلما علم البرديسي بقدم الالفي خاف على سطوته من الضباع وانتز محمد علي هذه الفرصة للتخلص من احد هذين الخصمين فاويز الى البرديسي بعمل المكائد للالفي وساعده بجنده الالباني فدبر البرديسي مكيدة قتل فيها اهل الالفي ونجا هو الى الصعيد . واصبح محمد علي مع عساكره الالبانيين والبرديسي مع ممالكه اصحاب السيادة على مصر . وحينما خلاص الامر للبرديسي ومحمد علي لم يشاء محمد علي ان يكون له المظهر الاول بل ترك مقاليد الامر للبرديسي وهي حيلة لطيفة منه لانه كان يعلم سوء الحالة المالية التي تسبجل معها استقامة الامر . وكان للجند الالباني متأخرات ثمانية شهور فطالبوا البرديسي بها واذا كان لا بد من دفع استحقاق الجند لهم وهو ليس معه ما يكفي لذلك ضرب على الاهالي ضريبة جديدة . وكانت نفوس الاهالي قد سئمت هذه الحالة فابوا دفع هذه الضريبة وقتلوا بعض الجبابرة . ورأى محمد علي هذه الفرصة مناسبة لبذر بذور مقاصده فذهب الى احد المساجد وأعلن الغاء الضريبة فسرّ الاهالي منه وانحازوا اليه . وقد احس البرديسي واصحابه بالغاية التي يرمي محمد علي اليها بفعله فدبروا له المكائد ولكن محمد علي اسرع بمحاصرة بيت البرديسي فلم يسمع البرديسي الا ان فتح ابواب هذا البيت فجأة وخرج منه مع رجاله وامواله قاصداً القلعة ومنها الى الصحراء . ومع ان الامر خلص لمحمد علي وكان في امكانه الجلوس على ولاية مصر الا ان لبعده نظره لم يشأ ان يضع نفسه في موضع الظنة ويمهد اليها سبيل التهمة بالقدر فاستخرج خسرو باشا من مكانه بعد ان نسي الناس ذكره واجلسه في منصبه باحتفال حافل . غير انه لم تمض ثلاثة ايام حتى ثار

الجند عليه وارسلوه الى رشيد فالاستانة ثم انتخبوا خورشيد باشا حاكم لاسكندرية والياً على مصر ولما جالس هذا على منصة الاحكام حسب لمحمد علي وجنوده الالبانيين الف حساب واراد ان يتخذ لنفسه جيشاً ليرد به هجمات المعتدين عليه وقت الحاجة فاستقدم اليه جنداً من الدلاة (المغاربة) فوصلوا مصر اول سنة ١٢٢٠ هـ وكان محمد علي في جهات الصيد يحارب المماليك فبلغه ان خورشيد باشا استقدم هؤلاء الدلاة يستعين بهم على الالبانيين فاسرع بالعود الى القاهرة برجاله فاوجس خورشيد باشا خيفة من عودة محمد علي على هذه الصورة لكنه كظم غيظه ولم يفتحه بشيء . اما الدلاة عسكر خورشيد باشا الجديد فأسأوا السيرة في الاهالي بدرجة لا تطاق حتى سئم الاهالي هذه الحالة وترقبوا الفرص لتغييرها

وفي ٢ صفر ورد لمحمد علي خط شريف بولاية جدة فالبسه خورشيد باشا الفروة والقاووق المختصين بهذه الرتبة . فخرج محمد علي كانه يريد الذهاب الى جدة وفي نفسه ان لا يخرج من مصر وبينما هو راجع الى منزله من عند خورشيد باشا يستعد للسفر ثارت العساكر وطالبوه بالعلوفة فقال لهم هذا هو الباشا عنكم فطالبوه وسار قاصداً بيته وصار ينثر الذهب على الناس طول الطريق فازداد تعلق قلوب الاهالي به

ولما علم الاهالي وخصوصاً المشايخ والعلماء ان محمد علي تعين والياً على ولاية جدة وانه سيفارقهم عن قريب اسناؤا جدهم لهذا الخبر وعزموا على الزام محمد علي بعدم الخروج من مصر (ويقال ان محمد علي هو الذي حر كم الى هذا الفعل) فاجتمعوا في ٦ صفر سنة ١٢٢٠ هـ وساروا الى منزل محمد علي وقالوا له « نحن لا نقبل خورشيد باشا والياً علينا » فقال لهم « ومن تريدون اذا » فقالوا جميعاً « لا نقبل سواك » فامتنع اولاً ثم قبل فالبسوه الكرك والقفطان المختصين بهذه الرتبة ونادوا به والياً على مصر وارسلوا الى خورشيد باشا ان ينزل من القلعة فأبى فحاصروه فيها وكتبوا الى الباب العالي بذلك فورد الفرمان بتولية محمد علي على

ولاية مصر في ١١ ربيع آخر سنة ١٢٢٠ هـ وعزل خورشيد باشا عنها فخرج هذا من القلعة بأمر من الاستانة وتسلمها محمد علي واستندب له امره واشتد غيظ المماليك بولاية محمد علي لما يعلمونه من شجاعته وسطوته فايقنوا انه اذا بقي بمصر يضيع نفوذهم منها كلية فعمدوا الى دس الدسائس لاجراجه . وكان الالفي أحد زعماء المماليك المتقدم ذكره أشد خوفاً على مصالحهم . فهذا حالما علم بتولية محمد علي خابر حكومة انكلترا لتسعى بخلع محمد علي واشترط على نفسه ان يكون بمصر كنائب لانكلترا فيها اذا تم هذا الامر . فعلم قنصل فرنسا بمساعي انكلترا فمرقل مسعاها . فلما علم الالفي بعدم نجاح مساعي انكلترا عزم على مصالحة محمد علي على شيء يرضاه الاثنان فلم يتفقا . فعاد الالفي لمخابرة سفير انكلترا فقتنع هذا الباب العالي فيمث والياً اسمه موسى باشا ومعه العفو عن المماليك ولولا قيام سفير فرنسا بالاستانة بتفهم الباب العالي بمقاصد المماليك من جهة وعدم قبول اهل مصر لوال غير محمد علي باشا من جهة اخرى لثم الامر وفاز الالفي بمقصده . ولكن قيام سفير فرنسا المذكور وهياج اهل مصر اضطر الباب العالي بتثبيت محمد علي على ولاية مصر . وبعد قليل توفي البرديسي ثم الالفي فضعفت شوكة المماليك ولم يعودوا قادرين على معارضة محمد علي

الا ان انكلترا كانت تنظر الى اعمال محمد علي بعين الاهتمام وكانت تنهز الفرص لافتح المسألة الشرقية ونفسي املاك الدولة العلية . وكان الجنرال سبتياني سفير فرنسا في الاستانة قد نال حظوة عظيمة لدى جلالة السلطان فخافت انكلترا امتداد النفوذ الفرنسي واتحدت مع روسيا على فتح المسألة الشرقية . فسأقت روسيا عساكرها واحتلت امارتي الفلاخ والبغدان بدون اعلان حرب . وارسلت انكلترا اسطولاً بقيادة اللورد دوك فسطا على مدخل الدردنيل . ورفع سفير انكلترا بالاستانة الى الباب العالي بلاغاً يطالب عقد معاهدة بين الدولة العلية وانكلترا وتسليم الاساطيل وقلاع الدردنيل لانكلترا وطرد الجنرال سبتياني من الاستانة الى غير ذلك . والا ففضطر انكلترا ان تجتاز

بوغاز الدردنيل وتطلق مدافعها على الاسطانة . فأبت الدولة العلية اجابة هذه المطالب وأخذت بتحصين البوغاز المذكور وانشاء القلاع على ضفتيه . على ان الانكليز لم يتركوا لهم وقتاً كافياً لهذه التحصينات بل اخترق اميرال الاسطول الانكليزي بوغاز الدردنيل دون ان تناله مضرة تذكر وضرب ميناء كاليبولي بقباله ودمر السفن العثمانية الراسية فيها ومكث خارج البوسفور ينتظر تنفيذ اللائحة التي قدمها الى الباب العالي . ومع انه وقع المهرج والمرج في الاسطانة لكن اقنع الجنرال سبستيانى جلالة السلطان بوجوب المدافعة وعدم التسليم لمطالب انكلترا ووعدته بانتصار نابوليون له . فأمر جلالة السلطان بتحصين الاسطانة ومدخل البوسفور فلم يمض وقت طويل حتى صار يستحيل على المراكب الانكليزية دخول البوسفور . فلما تحقق الاميرال الانكليزي ذلك خاف ان يحصره اسطول آخر من الخارج فاضطر ان يرجع عن قصده فقفل راجعاً الى البحر المتوسط واراد الاميرال الانكليزي ان يداري هزيمة فقصد ثغر الاسكندرية ومعه خمسة آلاف جندي عدا البحرية بامر الجنرال فريزر فاحتل هذا الثغر في ٢٠ مارس سنة ١٨٠٧ م وارسل فرقة من الجند لاحتلال رشيد فلم تنل منهم مأرباً ولما علم محمد علي باحتلال الانكليز الاسكندرية ومحاولتهم احتلال رشيد اتحدمع اعدائه المماليك على قتلهم وارسل النجيدات الى رشيد فخاربت عساكره الانكليز الذين حاولوا مرة اخرى الاستيلاء على رشيد فهزموم وقتلوا بعضهم واسروا بعضهم واتوا بهم الى القاهرة فاضطر الذين بقوا من الحملة ان يفتدوا الاسرى بالخروج من الاسكندرية فتم ذلك وخرج الانكليز من الاسكندرية في ١٤ سبتمبر سنة ١٨٠٧ م

وبعد خروج الانكليز من مصر استتب الامر لمحمد علي ولم يبق امامه الا ان يلاشي البقية الباقية من المماليك حتى يأمن على سطوته ونفوذه في القطر المصري ولكنه استعمل الحزم في هذه المسألة بما دل على حسن تدبيره وذلك انه استمال اليه المماليك وقرههم وحالف كبيرهم لذلك الوقت شاهين بك واسكنه معه في

القاهرة في قصر بناء له . مترقباً الفرص لاستئصال شأفتهم . وفي هذه اثناء استنفحل امر الوهايين في شبه جزيرة العرب وهم قوم من العرب اتبعوا طريقة عبد الوهاب وهو رجل ولد بالدرعية بارض العرب من بلاد الحجاز كان من وقت صغره تظهر عليه النجابة وعلو الهمة . وبعد ان درس مذهب ابي حنيفة في بلاده سافر الى اصفهان ولاذ بملائها واخذ عنهم حتى اتسمت معلوماته في فروع الشريعة وخصوصاً في تفسير القرآن ثم عاد الى بلاده في سنة ١١٧١ هـ فأخذ يقرر مذهب ابي حنيفة مدة . ثم بدا له ان ينشئ مذهباً مستقلاً فأنشأ ذلك المذهب وقرر قواعده . وموضوع هذا المذهب اغفال كل الكتب الدينية الاسلامية الا القرآن الشريف فهو بمنزلة الطائفة الانجيلية عند المسيحيين فدخل الناس في هذا المذهب بكثرة وشاع امره في نجد والاحساء والقطيف وكثير من بلاد العرب مثل عثمان وبني عتبة من ارض اليمن ولم يزل امره شائعاً حتى خاف السلاطون محمود امتداد سطوتهم فكلف محمد علي باخضاعهم وتوقيفهم عند حدم فاجاب محمد علي طلب جلالة السلطان وابتدأ بالاستعداد لتسيير حملة لقتال الوهايين فامر بانشاء السفن بالسويس لنقل الجنود الى ينبع فكانت الاخشاب الصالحة لعمل المراكب تقطع في جميع جهات القطر المصري ويؤتى بها الى الورش التي اقيمت في بولاق فتجهز فيها ثم تنقل على ظهور الجمال الى السويس فتركب بكل سهولة

ولما استعدت المراكب وجمعت الجيوش والكتائب خاف محمد علي ثورة المالك عليه بعد منسبر هذه الحملة وكان يضرهم الشر من زمن طويل ففكر الآن في كيفية ابادتهم قبل مبارحة المساكر القاهرة وكان نتيجة ذلك ان ابادهم بالكيفية الآتية . عين محمد علي يوم الجمعة ٥ صفر سنة ١٢٢٦ هـ الموافق اول مارس سنة ١٨١١ م للاحتفال بتسليم ولده طوسون باشا الفرمان المؤذن بتقليده قيادة الجيش المزمع ارساله الى بلاد العرب لمحاربة الوهايين . ونادى مناديه يوم الخميس ٤ صفر في الاسواق يدعو كبار العسكر والامراء المصرية الالفية وغيرهم

ليحضروا الى القلعة بانفخر حلهم للحضور في الاحتفال المذكور . فلما اصبح يوم الجمعة ركب الجميع وصعدوا الى القلعة وصعد الممالك كلهم باتباعهم وجنودهم ودخل امراؤهم على محمد علي باشا وحيوه وجلسوا معه حصّة وشربوا القهوة فباسطهم في الكلام ثم سار الموكب بكيفية رتبها محمد علي باشا حصر بها الممالك بين عساكره . ولما صار الممالك في المضيق المنحصر بين باب العزب والباب الاوسط اسرّ محمد علي باشا لعساكره فاغلقوا باب العزب في وجههم وكانت الجنود قد وقفت على جانبي الطريق على نقر الحيطان والحجر فصوبت عليهم البنادق فدهشوا واستولوا سيوفهم ولكن لم يمكنهم التقدم ولا التأخر فسلموا للقضاء . وبقي الرصاص ينصب عليهم حتى قتلوا عن آخرهم . وفي الوقت نفسه نهبت جنود محمد علي باشا منازلهم بالمدينة وقتلت من تخلف منهم عن الحضر . ثم أرسل الى عماله في الاقاليم بقتل جميع الممالك القاطنين خارج العاصمة فقتلهم وصاروا يتنافسون بارسال رؤوسهم اليه . وبذلك طهرت مصر من ادران هذه الفئة الباغية

وبعد ذلك سافر طوسون باشا بجيوشه الى بلاد العرب وحارب الوهايين واستخلص المدينة المنورة بعد ان نسف اسوارها بالالغام ودخلها عنوة وكتب لوالده بذلك . ثم حصره الوهايون في مدينة الطائف فمات محمد علي باشا الى مكة في ٢٨ شعبان سنة ١٢٢٨ هـ . وقبض على الشريف غالب شريف مكة وارسله الى مصر واقام مكانه الشريف يحيى بن سرور واحتل عدة مراكز مهمة من مراكز الوهايين فضعفت قوتهم خصوصاً بعد وفاة زعيمهم سعود في ١٩ ربيع الآخر سنة ١٢٢٩ هـ فساد الامن في طريق الحج . وبعد ان حج محمد علي باشا وجميع من معه سنة ١٢٢٩ هـ عاد الى مصر فوصلها في ١٥ رجب سنة ١٢٣٠ هـ وقبل عودته كان قد سار طوسون باشا الى بلاد نجد لمهاجمة الوهايين في مدينة الدرعية عاصمة زعيمهم فاحتل مدينة الرس الواقعة على مقربة من الدرعية . ثم راسله عبد الله بن سعود الذي تولى زعامة الوهايين بعد موت ابيه وارسل اليه رسولاً يدعى الشيخ احمد الحنبلي يطلب منه الكف عن القتال والخضوع لامير المؤمنين فاجابه طوسون باشا بعدم امكانه اجابة ما طلبه الا بعد اخذ

رأى والده واتفقا على مهادة عشرين يوماً ريثما يخبر طوسون باشا والده . وعند ذلك أتى إليه خبر عودة والده الى مصر فاخذ على نفسه اتمام الصلح فاتفق مع عبد الله بن سعود الوهابي على ان يحتل طوسون باشا بجيشه الدرعية ويرد الوهابيون ما أخذوه من الجواهرات والنفائس من الحجرة الشريفة النبوية خصوصاً الكوكب الدرّي الذي زنته ١٤٣ قيراطاً من الماس وكتب لوالده بذلك فاتى اليه الرد بتكليف عبد الله ابن سعود بالتوجه الى الاستانة وان لم يقبل يرسل اليه جيشاً جديداً لمحاربتة . وفي هذه الاثناء بلغ طوسون باشا خبر تمرد الجنود على والده فرجع الى القاهرة بعد ان اناط قيادة الجيش لبعض قواده فوصلها غاية ذي القعدة سنة ١٢٣٠ هـ (نوفمبر سنة ١٨١٥ م) والسبب في ثورة العساكر على محمد علي باشا هو انه لما رجع من بلاد العرب في ١٥ رجب سنة ١٢٣٠ هـ اهتم بتدريب الجند على النظام الفرنسي المتبع في سائر اوروبا في ذلك الوقت فأصدر امراً عالياً في شعبان من السنة مؤداه ان الجنود المصرية ستدرّب على النظام الحديث . فعظم على الجهادية ولا سيما الارناؤط الامثال الى هذه الاوامر التي اعتبروها بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار . ولما شدد عليهم بضرورة اتباع هذا النظام ثاروا وتجهّروا الى القلعة وكاد يقع مالا تحمد عقباه لولا دراية محمد علي باشا وحسن تدبيره الذي لما رأى الشر يتفاقم اجاب الجنود الى طلبها والغى الامر الذي سبق واصدره فخلدوا الى السكينة . وفي هذه الاثناء قدم طوسون باشا كما تقدم فالتقاء المصريين باحتفال واکرام زائدين ثم نزل الى الاسكندرية حيث كان ابوه مقيماً فوجد امرأته قد وضعت اثناء غيابه غلاماً دعته عباساً . وبعد يسير أصيب طوسون باشا بمرض لم يمهله الا بضع ساعات وتوفي فحن عليه ابوه حزناً مفرطاً وبعد قليل اخذ محمد علي باشا يهتم بامر الوهابيين خشية ان يعودوا الى ما كانوا عليه فكتب الى عبد الله بن سعود ان يأتي اليه بالاموال التي اخرجها الوهابيون من الكعبة فاجابه يعتذر عن عدم امكانه الشخوص وقال ان تلك الاموال قد تفرقت على عهد ابيه وارسل له هدايا فاخرة فارجع اليه محمد علي باشا تلك الهدايا واخذ في تجهيز حملة جديدة لمحاربة الوهابيين فجهزها وجعل قائدها بكر اولاده ابراهيم باشا فسار هذا البطل الى بلاد العرب من طريق قنا فالقصر فجدّة واجر في ١٢ شوال سنة ١٢٣١ هـ فوصل بنبع في ٩ ذي القعدة من السنة ومنها قصد المدينة لزيارة قبر الرسول (صلعم) ثم سار بجيوشه الى بلاد نجد بعد ان رتب النقط في خط رجعتة الى فرضتي بنبع وجدّة

لعدم انقطاع وصول المدد اليه فاحتل الرس ومدينة عنيزة وغيرها وفي ٢٩ جمادى الاولى سنة ١٢٣٣ هـ (٦ ابريل سنة ١٨١٨ م) وصل امام مدينة الدرعية وكان بها عبد الله بن سعود ومعظم جنوده وبعد ان حاصر ابراهيم باشا المدينة عدة اشهر استولى في انشائها على ضواحي المدينة ولم يبق امامه الا دخولها طلب اليه عبد الله بن سعود في ٧ ذي القعدة من السنة ايقاف القتال للمفاوضة في الصلح فأوقفه واتى عبد الله بن سعود الى ابراهيم باشا في معسكره فاكرمه واحسن وفادته وبعد اخذ ورد طويلين قبل الوهابي تسليم مدينة الدرعية الى ابراهيم باشا بشرط عدم تعرضه للالهالي بسوء وبالسفر الى الاسنانة كرجبة الحضرة السلطانية وبرد الكوكب الدرري وما بقي من المجوهرات والتحف التي اخذها الوهابيون حين استيلائهم على المدينة

فتم الصلح على هذه الكيفية تم حضر عبد الله بن سعود الى مصر ليسير منها الى الاسنانة فوصل القاهرة في ١٨ محرم سنة ١٢٣٤ هـ فقابله محمد علي باشا بالبشاشة وقام له اكراما واجلسه الى جانبه وحادثه وقال له ما هذه المطاولة فقال الحرب سجال . فسأله محمد علي باشا : كيف رأيت ابراهيم باشا : فقال بذل الهمة وما قصر حتى كان ما قدره المولى

وفي ٢٠ محرم أرسل الى الاسنانة فطافوا به في شوارعها ثلاثة ايام ثم قتلوه وزالت به شوكة الوهابيين

وبعد ان انتهى محمد علي باشا من حرب الوهابيين حول افكاره الى فتح السودان للارتفاع بخبراته الكثيرة من ذهب وعبيد . وكلت جماعة من المماليك قد لجأوا الى دنقلة فاتخذ الباشا بقاءهم فيها حجة لتسيير الحملة . فبعث اليها حملة عقد لواءها لابنه الاصغر اسماعيل باشا وكان قد علم جنودها بعض الفنون الحربية بارشاد الكولونل سيف Seves الفرنسي (وهو الذي سمي بعدئذ سليمان باشا الفرنسي) فسهل عليها الفوز على السودانيين . وارسل حملة اخرى عقد لواءها لصهره محمد بك الدفتردار . اما اسماعيل باشا فتقدم محاذيا للنيل حتى وصل دنقلة واغار عليها وشتت من فيها من المماليك الى وادي وشطوط البحر الاحمر ثم خضعت له الشايقية ونظم منهم فرقة من الفرسان وبعد سير حثيث بلغ بربر فاخذها ثم وصل الى ملتقى النيلين الابيض والازرق في ٢٧ مايو سنة ١٨٢١ م فمعسكر في المكان الذي انشأت فيه بعد ذلك مدينة ام درمان . وكان في سنار وزيران بمزغان عليهما فقتل احدهما الآخر فتصد الملك

وانصار القتيل المعسكر المصري وطلبوا من اسماعيل باشا احتلال سنار فاحتلها في ١٢ يونيو سنة ١٨٢١ م . ثم سار زاحقاً الى اعالي النيل ولكنه مر باقوام اعترضوه في طريقه واضطروه الى النكوص على عقبه . ثم وقع المرض والدوسنطاريا في جيش اسماعيل باشا فمات اكثره . وبلغ محمد علي باشا ذلك فبعث بابنه ابراهيم باشا لكي ينقذ البقية الباقية من جنود اسماعيل باشا وينظم البلاد ويتم فتحها الى منابع النيل . فلما وصل ابراهيم باشا السودان أصيب بالدوسنطاريا فعاد ادراجه الى مصر وتولى باوره طوسون بك قيادة جيشه

اما محمد بك الدفتردار فحول شكيمة فتوحاته الى جهات كردفان ولكن مقاومة اهالي كردفان كانت أشد عنفاً منها في اي جهة اخرى بالسودان وافضت الى معركة هائلة فاز المصريون فيها ببنادقهم ومدافعهم وسقطت مدينة الايض في ايديهم . وبعد ان استقر محمد بك الدفتردار في مدينة الايض قليلاً بلغه ان الملك نمراملك شندي اغتال اسماعيل باشا فعاد الى التمة واتخذ في اهلها . وذلك ان اسماعيل باشا عاد الى شندي لانه بلغه ان ملكها جاهر بالعصيان فلما وصلها استخضره وعنفه وفرض عليه جزية فاحشة فاضمرها له ودعاه الى وليمة هو ورجاله وسقام كثيراً من المسكر وكان قد جمع فشاً ومشياً حول مكان الوليمة فاضرم فيها النار ووقف هو ورجاله بسيفهم حول النار يقتلون من يحاول الفرار منها فمات اسماعيل باشا محروقاً ومات كل الذين معه . وانتشر الخبر في السودان فجاهر امرأؤه بالعصيان . وعاد محمد بك الدفتردار الى شندي كما تقدم فقتل اهل التمة ووجد ان الملك نمرأه هرب من وجهه فاحرق شندي وضرب في البلاد يقتص من الخارجين عن الطاعة ويحرق المدن ويقتل السكان الى ان وصله الامر من محمد علي باشا بالرجوع الى مصر فرجع اليها وقد دوخ بلاد السودان ومهدا للولاة الذين جاؤا بعده . ولم يحسن ولاية محمد علي باشا ادارة السودان فبقي اسم الترك عند السودانيين مرادفاً للظلم والقسوة الى الان

وبعد ان خضع السودان للقطر المصري خضوعاً تاماً وجه محمد علي باشا التفاته الى ما يجول في خاطره من امر اصلاح البلاد وترقيتها وتنظيم الجند وتدريبه فاسس مدرسة عسكرية في الخانكة وجعل مراية مراد بك في الجيزة مدرسة للفرسان واقام فيها اساتذة من الافرنج وأنشأ مدرسة للطبجية وجعل في القاهرة معامل لسكر المدافع ولاصطناع جميع حاجيات الجند تحت مناظرة عملة من الفرنج . وجعل في الاسكندرية لرسخانة

اتي اليها بالسفن والدوارع من مرسيليا وفينيسيا ثم اقام فيها مدرسة اتي اليها بالاساندة الماهرين من فرنسا وانكثرا وبني حول الاسكندرية حصناً منيعاً قد هدم الآن اغلبه ثم حول الثغاته الى تحسين حالة البلاد الزراعية فأتي ببذار القطن الاميركاني وجاء بنبات النيلة من بلاد الهند واستحضر من يحسن زرعه منهم ومثل ذلك فعل بالافيون فأتي به وبمن يزرعه من اسيا الصغرى . وبعد ان اكثر محصولات البلاد اخذ في تهديد سبل التجارة فنظر في امر انشاء ميناء أمنية تأوى اليها السفن التجارية فلم تعجبه رشيد ولا دمياط فاختر الاسكندرية فاحتفر الترع الموصلة بينها وبين النيل ودعاها المحمودية نسبة الى السلطان محمود الثاني . وكان افتتاح تلك الترع في ٤ ربيع الثاني سنة ١٢٣٥ هـ (٢٠ يناير سنة ١٨٢٠ م) وكانت كثيرة الاستعمال لقل البضائع الواردة بجزراً الى الدلتا فاكثرت الاسكندرية بذلك اهمية كبرى فتقاطر اليها التجار من اماكن مختلفة من اوروبا وغيرها وأقيمت فيها البنايات الكبيرة على النمط الاوروبي ووجدت فيها الفنادق والنزل للغرباء والمسافرين . ثم وجه محمد علي باشا نظاره الى تحسين الصناعة فانشأ معامل للقطن والنيلة وغيرها من محصولات البلاد في اماكن مختلفة لكن لم ينجح منها الا معمل الطرايش الحمراء التونسية لرواج هذه البضاعة في الشرق عموماً

ثم التفت الى الصحة العمومية ووجه همه في اصلاح طرقها وكان القطر المصري في غاية الاحتياج لمثل هذا الاصلاح لانتشار التدجيل والتطبيب بالكتابة والحجاجة وما شاكل فعهد الى الدكتور كلوت (ثم صار كلوت بك) واليه ينسب شارع كلوت بك في القاهرة) امر هذا الاصلاح فقام بما عهد اليه خير قيام وانشأ مستشفيات عديدة في سائر القطر المصري وانشأ مدرسة طبية وصيدلية مع مستشفى في ابي زعبل وراه الخانكة ومدرسة اخرى في فن القوايل في القاهرة

ثم اهتم بالحالة العلمية فانشأ نظارة المعارف العمومية والمدارس الابتدائية والتجهيزية الخصوصية وانفذ الى باريس في سنة ١٨٢٦ م ارسالية مصرية مؤلفة من ٤٠ طالباً وبلغ عدد الطلاب في المدارس المصرية ٩٠٠٠ طالب . اما طلاب الارسالية فقد حصلوا في اور وبا على معارف غزيرة كل فيما تفرغ اليه ولكنهم كانوا اذا عادوا الى مصر استخدموا في غير الوظائف التي تناسب معلوماتهم فالبحري كان يعين ضابطاً في الجيش البري والطبيب كاتباً والمهندس مفتشاً وهكذا

وفي ايام محمد علي باشا اكتشف شامبوليون حجر رشيد الذي عرفت بواسطته الحروف الهيروغليفية . وقسم محمد علي باشا القطر المصري الى مديريات جعل على كل منها مديراً وقسم المديرية الى اقسام جعل في كل منها مأموراً مع بعض القوة العسكرية لمساعدته في جمع الضرائب التي كانوا يستخدمون الكراباج في تحصيلها

ثم عزم محمد علي باشا على انشاء القناطر الخيرية عند فرعي النيل فاوعز الى المهندس موجل الفرنسي بالابتداء في هذا العمل الخطير فوضع التصميم لما وحشد الوف الفلاحين للعمل فيها ولكن الطاعون فشا بينهم وتحيف الالوف منهم وكان بدء العمل فيها سنة ١٨٣٤ هـ ومضت عشر سنوات بعدها بدون ان ينتهي بعد ان أنفقت أموال طائلة وحرّم الموظفين والجنود بسببه من استلام رواتبهم وقد ابغاه ابنه ابراهيم باشا بانه من الضروري ايقاف العمل حتى تروج المالية فتحقق عليه وقطع راتبه ورواتب كبار الموظفين الذين شاركوه في رأيه وظل العمل دائراً ولكن يبطئ بعد وقوفاً في الحقيقة .

ومن آثار محمد علي باشا ايضاً مطبعة بولاق الاميرية الموجودة الى الآن . وبعد ان فرغ محمد علي باشا من هذه الاصلاحات العمومية بنى لنفسه عدة قصور وسرايات في القاهرة والاسكندرية . وفي سنة ١٢٤٠ هـ (١٨٢٥ م) كانت ثورة اليونان على الدولة العلية لطلب الاستقلال فاوعز الباب العالي الى محمد علي باشا بتسيير حملة لردع الثائرين فابى رحمه الله الدعوى وجهز جيشاً من ١٢٠٠٠ رجل و ٢٠٠٠ من الارنؤود و ٢٠٠٠ فارس و ٧٠٠٠ طبجي و ١٤ مدفعاً و ٥٤ سفينة حربية وسير هذا الجيش بقيادة ابنه ابراهيم باشا الى المورة فاخضع الشطر الاكبر منها واحتل تريبولتزا ولما رأت دول اوربا ان ابراهيم باشا قارب ان يطفي نار الثائرين وكان يهيمهم استقلال اليونان لما فيه من تجزئة املاك الدولة اهتمت بالامر واتفقت روسيا وانكترا وفرنسا على اجبار الدولة العلية على منح اليونان الاستقلال الاداري وامهلت الدول المذكورة الباب العالي شهراً واحداً ان لم يجيها بما طلبت في اثنائه اضطرت الى اعلان الحرب ولما لم يجب الباب العالي بمطالب الدول لما فيه من الاجحاف بحقوق الدولة اصدرت الدول الثلاث اوامرها الى قواد اساطيلها ان يسيروا الى سواحل اليونان فاجتمعت هذه الاساطيل خارج ميناء نافازين التي كان الامطول العثماني والمصري بها . ولسبب وامر سلطت اساطيل الدول في ٢٠ اكتوبر سنة ١٨٢٧ م مدافعها على الاسطولين العثماني والمصري فدمرتهما ولم يبق منهما الا ١٥ مركباً معوثة . ولما رأى ابراهيم باشا تألب

الدول على الدولة العلية وان فرنسا ابرت بارسال جيش لمحاربهه واتمام استقلال اليونان اتفق بامر والده مع مندوبي الدول المتحدة على اخلاء المورة والعود الى مصر واخذ يسحب عساكره وكانت كلما جلت عن محل دخله الفرنسيون . ولما تم جلاء المصريين عن بلاد اليونان اهتم محمد علي باشا بانشاء عدة سفن حربية بدل التي دمرها اساطيل الدول المتحدة في واقعة نافارين المتقدم ذكرها والتزم بضرب ضرائب جديدة على الاهالي للقيام بمصاريف بناء هذه السفن وغيرها من المشروعات المفيدة فضاقي الاهالي ذرعاً لكثرة الضرائب واتخذ ارباب الغايات هذه الفرصة للافساد على محمد علي باشا فاستمالوا الاهالي للهجرة الى الشام فهاجر منهم خلق كثير والتجأوا الى عبد الله باشا والي عكا المشهور بالجزار . وطلب منه محمد علي باشا ارجاعهم فلم يجبه الى ماطلب . فاغتاظ محمد علي باشا وامر في سنة ١٢٤٧ هـ (١٨٣١ م) باعداد الجيوش والتأهب للسفر الى بلاد الشام عن طريق العريش براً وعن طريق البحر في آن واحد لمحاصرة عكا من الجهتين . وعين ولده ابراهيم باشا قائداً عاماً للجيوش المزمع ارسالها للشام وسليمان بك الفرنسي قائماً له . فسار هذا الشبل بجرأ في ٢٦ جمادى الاول سنة ١٢٤٧ هـ (٣ نوفمبر سنة ١٨٣١ م) الى مدينة حيفا وكانت الجيوش البرية سبقته من طريق العريش وفتحت في مسيرها مدائن غزة وباقا وبيت المقدس ونابلس . وجعل ابراهيم باشا مدينة حيفا مقراً لاعماله ومركزاً لاركان حربه ومستودعاً للمؤن والذخائر ثم ارتحل عنها لمحاصرة عكا فحاصرها براً وبحراً في ٢٠ جمادى آخرة من السنة . فلما علم الباب العالي بدخول العساكر المصرية الى بلاد الشام وحصارهم مدينة عكا اعتبر ذلك عصياناً من محمد علي باشا واوعز الى والي حلب المدعو عثمان باشا بالسير لمحاربة المصريين وردهم الى حدود مصر . فجمع هذا الوالي نحو ٢٠ الف جندي وقصد مدينة عكا وعلم ابراهيم باشا بقدوم هذا الجيش لقتاله فلم يمهله حتى يصل الى عكا بل ترك حول عكا عدداً قليلاً من الجنود لاستمرار الحصار وسار هو بمعظم الجيش للملاقاة الجيش العثماني فالتقى الجمعان بالقرب من مدينة حمص وبعد قتال شديد انتصر المصريون انتصاراً باهراً ثم عاد ابراهيم باشا الى عكا وشدد عليها الحصار ودخلها عنوة في ٢٧ ذي الحجة سنة ١٢٤٧ هـ (٢٧ مايو سنة ١٨٣٢ م) وقبض على عبد الله باشا الجزار وسيره الى مصر ولما علم السلطان محمود بسقوط مدينة عكا في ايدي المصريين امر حالاً بجمع كل ما يمكن جمعه من الجيوش المنتظمة فجمع في اقرب وقت نحو ٦٠ الفاً ارسالهم

الى الشام بقيادة حسين باشا . وعلم ابراهيم باشا بذلك فاستعد لمقاولة هذه الجيوش بقدر ما في امكانه . وبرز ابراهيم باشا متقدماً نحو الاناطول فالتقى في ١٠ صفر سنة ١٢٤٨ هـ بمقدمة جيوش حسين باشا فاشتبك معها في قتال كان النصر فيه حليفه ففر العثمانيون امامه واقتفى هو اثرهم حتى دخل مدينة حلب الشهباء في ١٨ صفر من السنة

ولما علم حسين باشا بانهزام مقدمته تفهقر بمن معه من الجيوش ونحصر في أهم مضائق جبال طوروس الفاصلة بين الشام والاناطول ويسمى هذا المضيق بمضيق بيلان . فلحقه ابراهيم باشا هناك وفاز عليه فوزاً عظيماً وفرق شمل جيوشه وذلك في غرة ربيع اول سنة ١٢٤٨ هـ (٢٩ يوليو سنة ١٨٣٢ م) وقطع ابراهيم باشا جبال طوروس ودخل بلاد الاناطول فاتحاً فاستولى على عدة مدن حتى انتهى الى مدينة قونية وهناك التقى بجيش عثماني جديد ارسله السلطان محمود بقيادة رشيد باشا لصد هجمات المصريين فحاصرت بين الفريقين معركة هائلة انتصر فيها المصريون انتصاراً عجبياً ووقع رشيد باشا اسيراً في يد ابراهيم باشا وذلك في ٢٧ رجب سنة ١٢٤٨ هـ (٢١ ديسمبر سنة ١٨٣٢ م) وتقدم ابراهيم باشا بجيشه الظفر الى مدينة بورصة فعظم القلق في الاستانة وخيف من مهاجمة ابراهيم باشا لها

ولما تواترت اخبار انتصار المصريين على العثمانيين خشيت دول اوربا ان يكون قصد محمد علي باشا احتلال الاستانة واسقاط عائلة بني عثمان والاستئثار بالخلافة الاسلامية فيحصل اضطراب عمومي في التوازن الاوربي . وكانت روسيا اشد قلقاً من غيرها لخوفها من سقوط الاستانة في قبضة من يمكنه الذب عنها اكثر من الملوك العثمانيين فلا يمكنها تنفيذ وصية بطرس الاكبر ولذلك عرضت على الدولة العلية مساعدتها بالرجال وانزلت فعلاً على شواطىء الاناطول خمسة عشر الف جندي لحماية الاستانة فاضطربت فرنسا وانكلترا وخشيتا سوء عاقبة تداخل روسيا بصفة عسكرية والحنا على الباب العالي بسرعة الاتفاق مع محمد علي باشا قبل ان يتفاهم الخطب . وبعد مخاضات ومداولات طويلة اتفق الطرفون على ان

يخلي المصريون اقليم الاناتول وترجع جيوشهم الى ما وراء جبال طوروس وتعطى لمحمد علي باشا ولاية مصر مدة حياته ويعين هو والياً على ولايات الشام الاربع عكا وطرابلس وحلب ودمشق . وعلى جزيرة كريت . وان يعين ابنه ابراهيم باشا والياً على اقليم اطيه . وصدرت بذلك ارادة سنية في ٥ مايو سنة ١٨٣٣ م . ودعيت هذه المعاهدة بماهدة كوتاهية نسبة الى المدينة التي كان بها ابراهيم باشا عند اتمامها . على ان السلطان لم يقبل هذه التسوية الا ليكون له وقت للاستعداد للحرب واسترداد ما أخذ من مملكته قهراً . ولم يسر محمد علي باشا بهذه الشروط ايضاً لانها تخالف مقاصده

وبعد اتمام هذه المعاهدة اهتم ابراهيم باشا بتدبير احكام سورية وجعل مقامه مدينة انطاكية وولى على ولايات الشام بعض خواصه واظهر من حسن التدبير ما كان ينتظر منه

الان ارباب الغايات لم يشاؤا ان يسكتوا امام نجاح ابراهيم باشا والمصريين بالشام فندسوا الى اهل الشام عموماً والدروز خصوصاً بالثورة على الحكومة المصرية فثاروا في اماكن مختلفة وساعدت انكثرتا الثائرين سراً واما ابراهيم باشا فاستعمل الصرامة الزائدة في معاقبة الثائرين لاختضاعهم لسلطانه . وعلم محمد علي باشا بثورة الشاميين فسار الى يافا بجراً واتحد مع ابنه في اخضاع الثائرين فلم يمض وقت طويل حتى اخضع اهل الشام جميعاً وجردهم من السلاح ثم عاد محمد علي باشا الى مصر . وكأنه قد سئم طول القتال فاراد ان يثبت ما فتحه من البلاد له ولنسله من بعده ففتح بعض وكلاء الدول بمصر بانه يرغب ان تكون مصر والشام وبلاد العرب له ولاولاده من بعده فاباغ الوكلاء ذلك لدولهم وهي خابرت الدولة العلية بذلك . وعضدت فرنسا مطالب محمد علي باشا اما باقى الدول فحسنت للباب العالي محاربتة بكل شدة واخضاعه خوفاً من تطلعه الى غير ما في يده من الاقاليم . ولكن لما لسفير فرنسا من النفوذ في الباب العالي قبل جلالة السلطان ارسال مندوب من طرفه للاتفاق على حل مرض للطرفين وارسل

الى مصر من يدعى سار بن افندي احد موظفي الخارجية فاتي هذا المندوب الى مصر سنة ١٢٥٣ هـ (١٨٣٧ م) وبعد مدولات طويلة بينه وبين محمد علي باشا اتفقا على ان تعطي الدولة لمحمد علي باشا ولا يقي مصر والعرب ارضا ولا ولادته وبلاد الشام الى جبال طوروس مدة حياته . وعاد سار بن افندي الى الاستانة بهذا الوفاق فلم يقبله الباب العالي واصر على ان تكون جبال طوروس ومقارزها بيد العثمانيين وصمم محمد علي باشا على عكس ذلك بدعوى ان هذه المقارز بمثابة ابواب لبلاد الشام باجمعها فلو احتلتها الدولة العلية امكنها الاغارة على الشام . حتى شأت . وبذلك عاد الخلاف الى ما كان عليه وارعز الباب العالي الى حافظ باشا الذي عين سر عسكر الجيوش المتجمعة في سيواس بآرمينية الزحف الى الشام . فقدم اليها اوائل سنة ١٢٥٥ هـ (سنة ١٨٣٩ م) وعلم محمد علي باشا بقدوم هذا الجيش فارسل الى ابنه ابراهيم باشا بالزحف ايضا فالتقي الجيشان عند بلدة نصيبين في ١١ ربيع الثاني سنة ١٢٥٥ هـ (٢٤ يونيو سنة ١٨٣٩ م) وبعد قتال شديد انتصر المصريون وغنموا من العثمانيين ١٦٦ مدفعاً وعشرين الف بندقية وغير ذلك من الزخائر الحربية

وكان السلطان محمود قد ارسل الاسطول العثماني لضرب الاسكندرية بقيادة احمد باشا . ولان المذكور كان حاقداً على الباب العالي لعدم توليته الصدارة العظمى كما كان ينتظر قبل الان فحال وصوله الى الاسكندرية سلم مراكبه بلا قتال يذكر الى محمد علي باشا

وفي اثناء هذه الارتباكات والهزائم المتوالية على العثمانيين توفي السلطان محمود الثاني في ١٩ ربيع الثاني سنة ١٢٥٥ هـ (اول يوليو سنة ١٨٣٩ م) وجلس مكانه على كرسي الخلافة العظمى السلطان عبد المجيد خان

ولما علمت دول اوروبا بانتصار المصريين في واقعة نصيبين وبأخذهم الاسطول العثماني بخيانة احمد باشا المتقدم ذكره خشيت تقدم ابراهيم باشا الى الاستانة فترسل روسيا جيشها لمحاربته اعتماداً على اتفاقها السابق ذكره . فارسل سفراء

الدول الى الباب العالي لائحة في ٢٨ يوليو سنة ١٨٣٩ م طلبوا بها منه ان لا يقرر شيئاً في المسئلة المصرية الا باطلاعهم فقبل الباب العالي هذه اللائحة فاجتمع سفراء الدول مراراً بلا فائدة واخيراً قرروا عقد مؤتمر بلندن لتقرير المسئلة المصرية فاجتمع المؤتمر سنة ١٨٤٠ م وطلبت فرنسا ابقاء سورية كلها تحت ولاية محمد علي باشا فعارضتها انكلترا واصرت على انه لا يعطى الا نصف سورية الجنوبي بشرط أن يكون له مدة حياته فقط ولا ينتقل لذريته بل يعود بعد موته الى الدولة العلية وعضدتها روسيا وبروسيا والنمسا فلم يحصل وفاق بين الدول وكادت الحرب تقع بين فرنسا وانكلترا لانصار الاولى للمصر بين ولما كدة الثانية لهم وفعلاً أمرت فرنسا مراكبها وعساكرها بالاستعداد للحرب . لكن بالمستوف وزير انكلترا تمكن بدعائه من عقد اتفاق مع روسيا والنمسا وبروسيا على ارجاع محمد علي الى حدود مصر واجباره بالقوة على ذلك ووقع مندوبو هذه الدول مع مندوب الدولة العلية على معاهدة في ١٥ يونيو سنة ١٨٤٠ وأخص مواد هذه انه يلزم محمد علي باشا على ان يرد البلاد التي فتحها الى الدولة العلية و يبقى لنفسه القسم الجنوبي من سورية ماعدا عكا وان يكون لانكلترا والنمسا الحق ان تحاصر وتفتح مواني سورية بمساعدة كل من أراد من سكان سورية خلع طاعة المصر بين والرجوع الى الدولة العلية . وان يكون لماركبروسيا والنمسا وانكلترا حق الدخول معاً الى البوسفور لوقاية الاستانة اذا تقدمت اليها العساكر المصرية واعلم سفير فرنسا محمد علي باشا بهذه المعاهدة سرّاً فارسل محمد علي باشا الى ابراهيم باشا وسليمان باشا الفرنسيين بالاستعداد للحرب ودفع القوة بالقوة . أما فرنسا فلانها رأت انها لا تقدر على مساعدة محمد علي باشا لتأب أعظم دول اوربا ضده سمحت مراكبها من البحر الايض المتوسط تاركة السلطة فيه بيد الانكليز يفعلون ما يشاؤون

اما انكلترا ففرقت في اهالي سورية صورة المعاهدة التي تمت بين الدول ودعتهم الى الثورة والعصيان على الحكومة المصرية هذا من جهة وأمرت اسطولها

الذي يقوده الاميرال نابير ان يسير الى الشام ويضرب موانئها ويجلي المصريين عنها ففعل ووصل الى بيروت في ١٤ اغسطس سنة ١٨٤٠ م . وفي النهار نفسه حضر قناصل الدول المتحدة الى محمد علي باشا وابلغوه قرار الدول فحنق عليهم وطردهم . وفي ١٠ سبتمبر سنة ١٨٤٠ م وصلت مراكب النمسا والدولة العلية الى بيروت ثقل نحو عشرة آلاف جندي عثمانيين وانكليز . وفي ١١ سبتمبر أنزات هذه العساكر الى البر . وفي ظهر ذلك اليوم ارسل اميرال الاسطول الانكليزي واميرال الاسطول النمساوي بلاغاً الى سليمان باشا بان يخلي مدينة بيروت حالاً فطلب منهم مهلة ٢٤ ساعة كي يتداول مع ابراهيم باشا في الامر فلم يقبلوا طلبه . وفي فجر ١٢ سبتمبر اطلقوا مدافعهم على المدينة فهدمت واحرقت دوراً كثيرة وفرّ سليمان باشا بعساكره الى الحازمية . واحرقت اساطيل الدول المتحدة كل الثغور الشامية قصد استخلاصها من محمد علي باشا . وبعد عدة وقائع انهزم فيها العسكر المصري أمام عساكر الدول المتحدة لم ير محمد علي باشا بداً من الاذعان الى مطالب الدول فاصدر اوامره الى ولده ابراهيم باشا بتوقيف القتال والجللاء عن الشام . فأجاب ابراهيم باشا طائفاً وانسحب بعساكره من الشام في شوال سنة ١٢٥٦ هـ ولم يصل الى مصر الا بعد ان هلك اكثر من معه

وفي هذه الاثناء عرض الكومودور نابير على محمد علي باشا ان الحكومة الانكليزية تسعى لدى الباب العالي في اعطاء مصر له ولورثته لو تنازل عن الشام ورد الاسطول العثماني الذي سلمه اليه احمد باشا الى الدولة العلية فقبل محمد علي هذه الشروط وتم الاتفاق في ٢ شوال سنة ١٢٥٦ هـ الموافق ٢٧ نوفمبر سنة ١٨٤٠ م

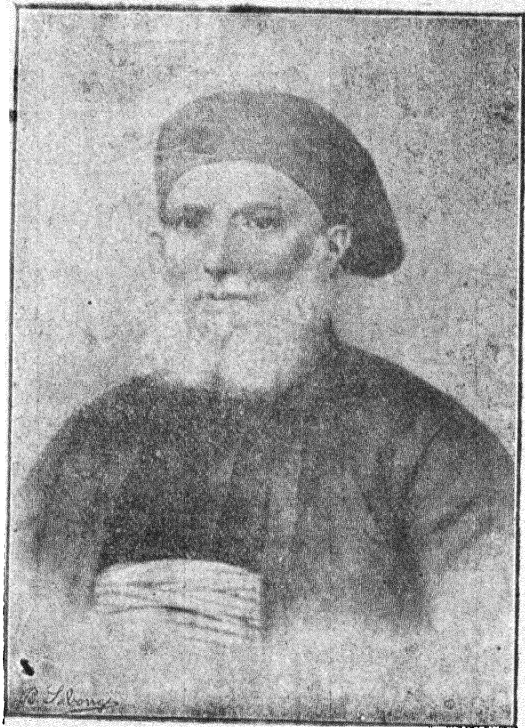
وبعد مخاضات ومداولات بين الدول والدولة العلية تم الاتفاق بين جلالة السلطان ومحمد علي باشا بأن تكون ولاية مصر وراثية لنسل محمد علي باشا بشرط ان يكون لجلالة السلطان الحق المطلق ان يختار من عائلة محمد علي باشا من يريد لتوليها . واذا انقرض الذكور من ذريته لا يكون لاولاد نساء اسرته حق

في الولاية الى غير ذلك من الشروط وصدر بذلك خط شريف بتاريخ ١٣ فبراير سنة ١٨٤١ م . ثم صدر فرمان آخر بتاريخ ١٩ ابريل من السنة بتثبيت ولايته على نوبيا ودارفور وكردفان وسنار . فاصبحت حكومة محمد علي بعد ذلك الفرمانين محصورة في مصر والسودان . فقمع محمد علي باشا بذلك واسل ولده سعيداً لتقديم فروض العبودية لجلالة السلطان . وهكذا انتهت هذه المشكلة وعادت المياه الى مجاريها . وفي سنة ١٨٤٥ م سافر ابراهيم باشا الى اوربا لانحراف ألم بصحته فاصاب ترحاباً عظيماً في سائر الممالك الاوروبية ولا سيما في فرنسا واثكلترا وعاد الى مصر في اواخر صيف سنة ١٨٤٦ م وفيها سار محمد علي باشا الى الاسكندرية بدعوى رسمية من جلالة السلطان فوصلها في ١٩ يوليو سنة ١٨٤٦ م فترحب به جلالة السلطان ترحاباً عظيماً . وفي ١٧ اغسطس من السنة رح محمد علي باشا الاسكندرية وصار قوله مسقط رأسه فأقام فيها عدة ايام لتعليم القصر . واعانة الصغفاء والمساكين ثم بارحها قادماً الى الاسكندرية فقابله الاهالي بكل ترحيل وتنظيم ثم سار الى القاهرة فدخلها بين اصوات الدعاء والتكبير .

وفي سنة ١٨٤٨ م ركب مزاج محمد علي باشا وازدادت فيه ظواهر الخوف فصار يحس في القول والافعال اوربا طلباً للاستشفاء فلم يصب . فابني نصب به خبر سقوط صديقه لويس فيليب ملك فرنسا فاستشاط غضباً وحادث من حوله بان في عزمه ارسال جيش الى مرسييا لاعادة هذا الملك الى عرشه . وكان قد تولى الحكم في غيابه بمصادقة من الباب العالي ابنه ابراهيم باشا الا ان مدته لم تطل فتوفي في نوفمبر سنة ١٨٤٨ م وولى الامر بعده عباس باشا الاول ابن طوسون باشا ابن محمد علي باشا . أما محمد علي باشا فلم يزل على حالته يهزل جسماً وعقلاً حتى أدركته الوفاة في ١٢ اغسطس سنة ١٨٤٩ م . فنقلت جثته من الاسكندرية حيث توفي ودفن في جامع القلعة الذي كان قد شرع في بنائه ولم يكن تام البناء .

٧٦٧ - ابراهيم باشا به محمد علي

سنة ١٢٦٤ هـ أو سنة ١٨٤٨ م



« ش ١١ ابراهيم باشا »

لما مرض محمد علي باشا على ما تقدم تولى الامر عوضاً عنه ابنه ابراهيم باشا
وتوجه الى الاستانة في اغسطس من السنة لاجل تثبيتته على ولاية مصر خلفاً لآبيه
فقبلته جلالة السلطان بنفسه فعاد الى مصر لمعاونة الاحكام . الا ان مدة حكمه لم
تطل لانه توفي في ١٠ نوفمبر سنة ١٨٤٨ م



٧٦٨ - عباس باشا الاول ابن طوسون

من سنة ١٢٦٥ - ١٢٧ هـ او من سنة ١٨٤٨ - ١٨٥٤ م



(ش ١٢ عباس باشا الاول)

هو عباس باشا بن طوسون باشا بن محمد علي باشا ولد سنة ١٢٢٨ هـ (١٨١٣) وكان يوم وفاة عمه ابراهيم باشا في مكة فاستقدم حالاً لاستلام زمام الاحكام لانه كان اكبر ابناء العائلة فوصل القاهرة في ٢٤ ديسمبر سنة ١٨٤٨ م بعد ان قضى فروض الحج واستلم زمام الاحكام . ومن اعماله انه استبدل الجيش الذي شكله جده من المصريين بستة الاف من الارنود الذين اذ اطلق لهم العنان عاثوا في الارض فساداً . وانشأ لهم الثكنات الواسعة في ضاحية القاهرة وسخر

في تشييدها البنائين والنجارين والنحاتين قهراً . وسار في خطة على عكس ما رسمه جده لنفسه فنقم على كافة اكابر الرجال الذين كان يستعين بهم في ادارة شؤون الحكومة . وبلغ من الامران اضطراب الكثيرون من الامراء الى الاقامة بالاسنانة ليأمنوا على حياتهم . وكان مدبر الشؤون الخارجية وقتئذ ارتين بك فاضطره الخوف من بطاش عباس باشا ان يلجأ الى قنصلية فرنسا وان يفر منها الى الشام . ثم امر عباس باشا باقفال الملجأ الذي نيط بكوت بك أمر تأسيده للفقراء من الاهالي طلباً للاقتصاد بينما كان ينشيء القصور الباذخة في الخلوات بالاموال الطائلة

وكان عباس باشا شديد الاحترام للدولة العلية والتعاقب بجلالة السلطان . وكان يقول في ذلك « كان جدي يظن نفسه انه ملك مطلق نعم قد كان كذلك فنحنوا ونحو اتباعه وابنائيه ولكنه كان مقيداً بارادة قناصل الدول واذا كان من المتمدن ان اكون خاضعاً لاحد فاحب الي ان يكون خضوعي لامير كافة المؤمنين لا للمسيحيين الذين اكرههم كرها شديداً »

و بالرغم عن كرهه عباس باشا للاوروبيين وفتور العلاقات بينه وبين حكومات اوروبا فقد اعطى امتياز مد السكة الحديد بين الاسكندرية والقاهرة لشركة انكليزية التي قامت باتمام هذا المشروع المفيد خير قيام

وفي سنة ١٨٥١ م وردت اليه الاوامر من الباب العالي بادخال التنظيمات في مصر مثل الغاء السخرة والضرب بالكر باج والخدمة العسكرية لمدة طويلة . فعارض عباس باشا في ذلك . فاجاب الباب العالي بان محمد علي باشا كان قد تمهد بان يحكم مصر بمقتضى القوانين العامة للدولة العلية وارسات الحكومة العثمانية فواد افندي مبعوثاً فوق العادة لتنفيذ اوامرها وقد نفذت وكافاً السلطان عباس باشا بحق العفو

وبعد ذلك بقليل شبت الحرب بين الدولة العثمانية والروسيا وهي المعروفة بحرب القرم فارسل عباس باشا لنجدة الدولة حملة مؤلفة من ١٥٠٠٠ مقاتل وقد

اتت هذه الجنود بايات البسالة والاقدام فانها صدمت جيش الجبرال باسكيفتش في ساسترة ومنعته من الزحف على الاستانة واضطرته بعد حصار ٣٩ يوماً الى القتال منسحباً

وكان لعباس باشا غلام يدعى البرنس ابراهيم الهامي باشا وكان على جانب عظيم من الجمال والذكاء واللاطف والمعرفة زار الاستانة سنة ١٢٧٠ هـ وتشرف بمقابلة جلالة السلطان عبد المجيد خان فاحبه وازوجه بابنته وغمره بنعمه فرجع الى مصر شاكراً حامداً . والمرحوم الهامي باشا هو والد ذات المغاف والعصمة حرم المرحوم الخديوي السابق محمد توفيق باشا ووالدة خديونا الحالي . وعباس باشا هو الذي وضع الحجر الاول لمسجد السيدة زينب بيده باحتفال عظيم ذبحت فيه الذبائح وقرت الصدقات على الفقراء بكثرة . وفي عهده الغيت الاحتكارات التجارية فبدأ التجار الاجانب بالايغال في البلاد لشراء المحصولات من الفلاحين مباشرة

وتوفي عباس باشا في شوال سنة ١٢٧٠ هـ (يوليو سنة ١٨٥٤ م) في سرايته في مدينة بنها العسل وقيل في سبب وفاته انه توفي اثر اصابة شديدة بالنقطة وقيل بل مات قتيلاً بيد اثنين من المماليك الجركس انتقاماً او خوفاً من عقاب والله اعلم . وبعد موته نقل ودفن بمدفن العائلة الخديوية بالقاهرة



٧٦٩ - سعيد باشا به محمد علي باشا

من سنة ١٢٧٠ - ١٢٧٩ هـ او من سنة ١٨٥٤ - ١٨٦٣ م



« ش ١٣ سعيد باشا » نقلا عن الهلال

ولد سعيد باشا بالاسكندرية سنة ١٢٣٧ هـ (١٨٢٢) وتلقى العلوم علي
اماتذة من الفرنسيين تبرز في علوم كثيرة . وتولى زمام الاحكام بعد وفاة ابن اخيه
عباس باشا . وكان شهرا كريما كثير التسامح اذ عهد بابنائه الى مربية انكليزية
وعين على السودان حاكما مسيحيا . وفي سنة ١٨٥٦ م منع الاتجار بالرقيق وحرر
الموجودين منهم بمصر . وفي سنة ١٨٦١ م النى العقوبات البدنية
وكانت حكومة مصر في ابان ولايته على اختلال تام فاجتهد في اصلاح الحال

بان النى وظائف المديرين لسيرهم بالظلم بين الفلاح وضرب على ايدي مشائخ البلاد الذين كانوا عوناً للمديرين في مظالمهم . ونظم لوائح الاطيان واسترجعها من المتعدين الى اربابها وانشأ مجلساً خول له حق المناقشة في المشاريع العمومية قبل مصادقته عليها وثلاث نظارات لداخلية والحربية والمالية و باشر تعيين القضاة بنفسه بعد ان كان يعينهم قاضي القضاة وطرد الالبانيين الذين احضرهم عباس باشا الاول وجعل الخدمة العسكرية الزامية على كافة الناس لامد قصير . وتم الخطوط الحديدية والتلغرافية بين الاسكندرية والقاهرة وشرع في مد غيرها . وظهر ترعة المحمودية في ٢٢ يوماً بواسطة ١١٥٠٠٠ عامل . وساد السلم في ايام سعيد باشا فاغتنم هذه الفرصة لاتمام اصلاحات عادت على مصر بالنفع العميم على ان اتمام تلك الاصلاحات اقتضى مالا كثيراً بتعاقب السنين وبما اظهره سعيد باشا من الرفق بالفلاح حتى انه احرق بيده ذات يوم سندات تبلغ ٨٠ مليون غرش اضطر الى الاقتراض الذي كان مشئوم العاقبة على مصر في عهد خلفه فان اول قرض اقترضته الحكومة المصرية كان في سنة ١٨٥٨ م ثم تلاه قرضان في سنتي ١٨٦١ م و ١٨٦٢ م وقام بتغطية الثاني جماعة من اصحاب الاموال الانكليز وقدره ٧٢ مليون فرنك بسعر ٧ في المائة . ولما توفي سعيد باشا كان مجموع ديون مصر ٢٥ مليون فرنك

وفي ايامه ثارت مديرية الفيوم على الحكومة فبعث اليها واخذ الثورة فهدأت الاحوال

وفي سنة ١٢٧٦ هـ (١٨٥٩ م) توجه سعيد باشا لزيارة سورية فكث في بيروت مدة ثلاثة ايام ونزل ضيفا كريما على وجهاء المدينة وكان اثناء مروره في الطرقات ينثر الذهب على الناس

وام ما تم في عهد سعيد باشا الشروع في حفر قنال السويس . وتاريخ هذه المسألة ان شركة شكلت سنة ١٨٤٦ م بمعرفة المسيو افنتان للبحث في هذا المشروع . وجاء الى مصر المهندس الانكليزي ستفنسن لمثل هذا

البحث فقرر ان انشاء مستحبل . واتفق ان وصل الى الاسكندرية في سنة ١٨٣٠ م المسيو فردينندي لسبس معيناً من حكومته بصفة مساعد في قنصلية فرنسا ف قضى مدة الحجر القورنتيني في تلاوة مذكرة كان المهندس لو بير كتبها في تلك المسئلة ايام الحملة الفرنسية فعول في نفسه على التعلق بهذا المشروع وفي مدة وجوده بالاسكندرية تعرف على سعيد باشا (قبل ولايته) فوثقت بينهما علائق المحبة . وبعد قليل تخلى المسيو فردينندي لسبس عن الوظائف القنصلية بعد ان ثقل فيها كثيراً وسافر الى بلدة بري بفرنسا واقام بها . وبينما هو جالس يقرأ الجرائد في احد ايام سنة ١٨٥٤ م وجد فيها نبأ وفاة عباس وتولية صديقه سعيد باشا فلم يتردد بالاسراع في السفر الى الاسكندرية ومنها الى صحراء ليبيا حيثما كان سعيد باشا مطمناً بجيشه والنقى به في ٣٠ نوفمبر سنة ١٨٥٤ م وقدم اليه مشروعه فطلب منه سعيد باشا ان يحررله بمضمونه تقريراً . فلم تكن الا هنيهة حتى وافاه بهذا التقرير في صحيفة ونصف . وترجمه سعيد باشا بالتركية لمن حوله من رجال حاشيته ثم منح دي لسبس الامتياز في الوقت بانشاء القنال ولما عاد الى القاهرة اصدر اليه فرماناً بتشكيل شركة مالية لحفره . ولما لهذا المشروع من المساس بصوالج متضادة واراها مختلفة فلا غرابة اذا لاقى صعوبات حمة وقد حصل فعلاً فان المسيو دي لسبس بعد ان ابان التصميمات الهندسية التي وضعها بمساعدة لبنان وموجل بامكان انشاء القنال خلافاً لما زعمه المهندس الانكليزي وغيره قصد الاسفانة فاستصدر الاراد السنية بالموافقة موقفاً على فرمان المعطى اليه من سعيد باشا بالرغم عن معارضة السفير الانكليزي ثم اجتهد دي لسبس في استمالة الرأي العام الاوروبي اليه لا سيما في انكلترا فزارها ثلاث مرات من سنة ١٧٥٥ م الى سنة ١٨٥٨ م فكان يستقبل فيها بالفتور لا سيما من المرستون رئيس الوزارة وقد عقد في ٤٥ يوماً ٢٢ اجتماعاً ليقتنع فيه ضائليه والمعارضين عليه بامكان حفر القنال . اما اللورد المرستون فكان اكبر المعارضين في هذا المشروع فجاهر بعداء دي لسبس والقي الخطب في البرلمان محذراً من عاقبة مشروعه قائلاً « ان هذا المشروع مضاد للسياسة

التي اتبعتها انكلترا في كل زمان مع مصر وتركيا « على ان دي لسبس انتصر على اعدائه وتحولت الاميال اليه مع الزمن حتى ان اللورد دربي قال في البرلمان انه غير معارض لهذا المشروع وعلى اثر هذا عقد قرض من ٢٠٠ مليون فرنك وقسم ٤٠٠٠٠٠ سهم قيمة كل سهم ٥ فرنك وصدرت الاسهم المذكورة في نوفمبر سنة ١٨٥٨ م وخص فرنسا منها ٢٠٧١١١ والدولة العلية ٩٦٥١٧ وسعيد باشا ٦٨٥٥ ولم يحصل اكتاب في انكلترا ولا النمسا ولا روسيا ولا الولايات المتحدة وفي ٧ مارس سنة ١٨٥٩ م استأذن دي لسبس من سعيد باشا بالبدء في العمل فاذن له بذلك فشرع في العمل من يوم ٢٥ ابريل سنة ١٨٥٩ م وفي يوم السبت ٢٦ رجب سنة ١٢٧٩ هـ الموافق ١٧ يناير سنة ١٨٦٣ م توفي سعيد باشا بالاسكندرية ودفن فيها



٧٧٠ — اسماعيل باشا بن ابراهيم

من سنة ١٢٧٩ - ١٢٩٦ هـ أو من سنة ١٨٦٣ - ١٨٧٩ م

هو اسماعيل باشا بن ابراهيم باشا بن محمد علي باشا ولد سنة ١٢٤٦ هـ (١٨٣٠ م) وبعد تربيته الاولى تلقى العلوم العسكرية في مدرسة سان سير و بفرنسا وحينما عاد الى مصر وجد عباس باشا حائقاً عليه فقتضى مدة ولايته بعيداً عن مخالطته . ولما تولى سعيد باشا اكرمه وقرّبه اليه وعهد اليه مهمة في فرنسا سنة ١٨٥٤م فلما وصل الى رومة استقبله البابا بيوس التاسع واكرمه واتحفه بالهدايا النفيسة . وفي سنة ١٨٦٠ م تقلد أعمال الحكومة مدة سياحة سعيد باشا باوربا ولما توفي سعيد باشا سنة ١٨٦٣ م تولى اسماعيل باشا بعده ، كان ارشد العائلة . وفي سنة توليته شرف هذه الديار بحلول اعتابه الشريفة جلالة المغفور له السلطان عبد العزيز خان فلاقى ترحاباً عظيماً . ولما كان بين اسماعيل باشا وبين جلالة السلطان من الروابط الخصوصية وما كان له بين حاشية السلطان ووزائه من الساعدين جعلت ولاية مصر خديوية تنحصر في ذرية اسماعيل باشا بموجب فرمان مؤرخ ١٣ ربيع آخر سنة ١٢٩٠ هـ الموافق سنة ١٨٧٣ م وأهم ما جاء في فرمان المذكور ان يعطى لاسماعيل باشا لقب خديو مصر (خديو كلمة فارسية معناها المولى او الرب وكان يعطى سابقاً في فارس وتركيا الى بعض حكام الاقاليم المستقلة) ومنحه الاستقلال بالاحكام الادارية وحق اقامة المعاهدات مع الدول الاجنبية واستقراض القروض بدون أخذ تصريح من الباب العالي وحقوق الوراثة لاول ابنائه وابلاغ الجزية التي تدفع للدولة العلية ١٥٠٠٠٠ كيس بدلاً عن ٨٠٠٠٠ كيس

وفي سنة ١٨٦٩ م تم حفر قنال السويس الذي تقدم ذكر البدء فيه في عهد سعيد باشا فسافر اسماعيل باشا في شهر مارس من السنة المذكورة الى اوربا لدعوة ملوكها لحضور الاحتفال بافتتاحه ثم عاد الى مصر وأخذ في الاستعداد لاستقبال

الزائرين بما يليق بمقامهم ولما لم يكن بمصر تياترو وكان وجوده أمراً لا بد منه لتنام النظام امر المهندس فرنس النمساوي ببناء تياترو الاوبرا والضيق الوقت استمر العمل ليلاً ونهاراً حتى تم بناؤه في أقل من خمسة اشهر ولا تسلم عما تكلفه من المصاريف الباهظة لاتمامه في مثل هذه السرعة . وأخذ يجيز ما يلزم لاقامة الملوك والوزراء من السرايات اللائقة بمقامهم وانشأ لهم سراية بمدينة الاسماعيلية انشأتها الشركة على نفقة الحكومة بمليونين من الفرنكات

وفي ١٧ سبتمبر سنة ١٨٦٩ م قدم الوافدون على البربخ وفي مقدمتهم الامبراطورة اوجيني امبراطورة فرنسا وامبراطور النمسا ووليا عهد المانيا وايطاليا فقصوا الليلة في مدينة بورسعيد في غاية السرور وفي صباح اليوم التالي قام الجميع على الواورات البحرية التي أعدت لذلك ونزلوا في مدينة الاسماعيلية حيث قصوا الليلة في الملاهي والمراقص . وفي اليوم الثالث ساروا جميعاً الى السويس ثم اتوا الى القاهرة ومنها رجع كل منهم الى بلاده الا من اراد السياحة الى الجهات القبلية لمشاهدة آثار مصر القديمة . وقد وجه الخديو كل همه الى اكرام امبراطورة فرنسا وتوفير اسباب الراحة لها اثناء سباحتها في صعيد مصر فاصحبها بنجله حسين باشا والوزير الخطير رياض باشا وعين لخدمتها ستة عشر وابوراً بحرياً اختص بعضها لركوبها ومعيتها والبعض الآخر لاحضار كل ما يلزم لها من المأكول والمشرب والفواكه وغير ذلك من القاهرة يومياً . واستمرت مشغولة بالتفاسات الحضرة الخديوية مدة الاثنين وعشرين يوماً التي قضتها في هذا السفر ولم تنزل كذلك حتي عادت الى بلادها مسرورة شاكرة وبالاختصار ان ما تضمنه هذا الاحتفال من مظاهر البذخ والترف التي يتعذر علي القارىء التصديق بها احياناً فاق ما تضمنه كتاب الف ليلة بوصف الاوربيين انفسهم وما من أوروبي شاهد الاحتفال وقدر ما صرف فيه الا وبرح ضفاف القتال معتقداً ان مصر دولة عظمى وان خديويها اسماعيل باشا من الملوك الذين لا يعد ولا يحصى ما عندهم من الاموال

وفي سنة ١٨٧٢ م تعدى الحبشة على حدود مصر مما يلي بلادهم وأسروا بعضاً من رعايا مصر فبعثت الحكومة المصرية تطلب ردهم فجرت المفاوضات فأل ذلك الى حرب جرد فيها اسماعيل باشا حمله لاختضاع الحبشة الا انها لم تنجح واضطرت بعقد الصلح مع الاحباش بعد هزومات متوالية وعادت الى مصر بخفي حنين

وكان اسماعيل باشا كثير الميل الى تحسين المدن الى ما يقربها من زبي مدن اوربا فشرع في ذلك من بدء ولايته فظم طرق القاهرة ووسعها واكثر من فتح الشوارع الجديدة وبناء الابنية الفاخرة كالاوربا الخديوية والقصور الباذخة في القاهرة والاسكندرية . وبنى سراي الجيزة وانشأ المتحف المصري في بولاق والمكتبة الخديوية وهما من اجل الآثار وانفعها . وجر الماء بالانابيب الى بيوت القاهرة وعمم زرع الاشجار في المدن وضواحيها وأثار القاهرة بالغاز واستجلب لها آلات اطفاء الحريق

وهو الذي نظم فروع الادارة على ما هي عليه الان فقسم القطر المصري الى ١٤ مديرية وعين لها المراكز واسس مجلس نواب ونظمه ونظم مجالس القضاء الاهلي والقضاء الشرعي وجعل لكل روابط وحدوداً . ووضع نظام المجالس الحسبية وانشأ مجلس حسبي القاهرة . وانشأ مصلحة البوستة المصرية وجعلها مصلحة اميرية بعد ان كانت في يد شركات اجنبية . وحسن مطبعة بولاق وزاد فيها وامر بترجمة الكتب المفيدة وطبعها ونشرها . واسس معمل للورق ونشط المطبوعات . وتكاثر على عهده المطابع والجرائد العربية . وانشأ كثيراً من الخطوط الحديدية في جميع انحاء القطر المصري ومد اسلاك التلغراف حتى اوصاهـ الى السودان . وبنى مدينة الاسماعيلية على قنال السويس وسماها باسمه وجعل فيها الحدائق والقصور . وانشأ المنارات في البحرين الابيض والاحمر وبنى ليمان الاسكندرية والحمامات المعدنية في حلوان وبنى المرصد بالعباسية وكثيراً من معامل السكر في سائر انحاء القطر فضلاً عن الترع الكثيرة والجسور الهائلة كنترعة

الابراهيمية بالصعيد والاسماعيلية بين القاهرة والسويس وكوبري قصر النيل بين القاهرة والجيزة

ومن الاعمال العظيمة التي تمت على يده ابطال تجارة الرقيق واتمام فتح السودان واخضاعها فافتتح مملكة دارفور وبحر الغزال سنة ١٢٩١ هـ وما بعدها فتحها باسم مصر زير باشا رحمت وكان قبل ذلك يتجر في العبيد فاستأله الحكومة الى المدول عن هذه التجارة بمنحه الباشوية . وبعد فتحه الاقليمين المذكورين جاء الى مصر لاداء واجب الشكر فأستقبل بالحفاوة ولكن لم يؤذن له بالعودة الى بلاده . وبانت العساكر المصرية الدرجة الرابعة من العرض وراء خط الاستواء وعني اسماعيل باشا بتحسين احوال السودان فهد شلال عبكة وفتح سداً كبيراً جنوبي مدينة فاشودة طوله سنون ميلا كان يعيق مسير السفن في النيل الابيض فتسهلت طرق التجارة كثيراً ومن مآثره تسهيل اكتشاف ما غمض من قارة افريقية بمد اصحاب الخبرة

وبالجملة فاسماعيل باشا لم يترك شيئاً الا وأصلحه فنشط العلم والعلماء وبني المدارس الكثيرة وسهل التجارة واصلح الزراعة ومهد الصناعة حتى صارت مصر في ايامه زاهرة زاهية والناس في رغد ورخاء . وقد اتفق ان وقعت في عهده باميركا حرب الانشقاق فارتفعت اثمان القطن المصري حتى بيع القطنار بسنة عشر جنهما فزادت ثروة مصر الزراعية زيادت فائقة

علي ان كل ما اناء اسماعيل باشا من الاصلاحات في هذا القطر السعيد لم يواز الخسائر التي نتجت من تراكم الديون علي مصر بسبب زيادة المصاريف . وكان سعيد باشا نبيه اسماعيل باشا الى طرق باب الاقتراض فبلغ ما اقترضه من سنة ١٨٦٣ - ١٨٦٧ مبلغ ٥٦٧ مليون فرنك . وفي سنة ١٨٦٨ م اقترض مبلغ ٢٩٦ مليون فرنك قابلة للسداد في ٣٠ عاما بسعر ٧ في المائة وكان عجز المالية يزداد في كل عام اسنفحالا حتى ان بونات نظارة المالية كانت تباع في اسواق الاسكندرية بحطيطه ١٤ في المائة فشكل بياريس بنك فرنسوي مصري قام باقراض الخديو

ابريل سنة ١٨٧٠ م مبلغ ١٧٦ مليون فرنك على حساب الدائرة
واتفق ان شبت في هذه السنة نار الحرب بين فرنسا والمانيا وأغلقت لهذا
السبب بورصة باريس فاضطرت حكومة مصر ان تعقد قروضا اخرى لمدد قصيرة
وبلغت حطيطه البون ٣٠ في المائة على ان سوء الاحوال المالية لهذا الحد لم يشبط
عزيمة الخديوي فعقد في سنة ١٨٧٣ م قرضا قدره ٨٠٠ مليون فرنك بسعر
٧ المائة قابلاً للسداد في مدة ٣٠ عاماً ومضموناً بايرادات السكة الحديد واستهلاك
الديون الاخرى والمقابلة وهي اقتضاء ضريبة ست سنوات مقدماً من الفلاحين في
مقابل التنازل لهم عن الاراضي التي لم يكونوا لهذا العهد الامتنعين بها . على ان
اوربا هبت من نومها وادركت ان ما بهرها من مصر انما كان طلاء زائلاً اذ
سقطت سندات ذلك الدين من ٤٢١,٨٥ فرنكاً الى ٣٢٦ فرنكاً . وما شعر
اسماعيل باشا بشدة الحاجة للمال عزم على اقتراض ١٢٥ مليوناً من اهالي القطر
واستعمل لنوال مرغوبه كل طرق السعف

وبلغ مجموع الدين العمومي ٩٥٠ مليون فرنك ودين الدائرة ٣٢٣ مليوناً
والديون الاخرى ١٠٠ مليون . ومنذ سنة ١٨٧٤ م لم يستبق من املاك الدائرة
باسمه سوى معامل السكر . وفي سنة ١٨٧٥ م هبطت اسعار الاوراق المصرية
هبوطاً اضطر الخديوي الى بيع اسهم قنال السويس الخاصة بالحكومة المصرية
وعددها ١٧٦٦٠٢ الى انكثرا بمبلغ ١٠٠ مليون فرنك اي بسعر ٥٦٨ فرنكاً
السهم الواحد (مع ان سعر السهم منها في السنوات الاخيرة بلغ ٣٥٦٠ فرنكاً)
فعلت اسعار السندات الى ٧١ ولكنها لم تلبث ان هبطت الى ٦١ في يناير
سنة ١٨٧٦ م فهاجت خواطر الدائنين واحس اسماعيل باشا بضرورة تهدئة
خواطرهم فاصدر امراً عالياً في ٢ مايو سنة ١٨٧٦ م بإنشاء صندوق للدين العمومي
يعين فيه مندوبون عن فرنسا وانكثرا والمانيا والنمسا وايطاليا والروسيا وسن
قانون التصفية الذي تعهدت الحكومة فيه ان لا تعدل الضرائب ولا تصدر قرضاً
قبل مراجعتهم

وفي ١٨ نوفمبر سنة ١٨٧٦ م عين الخديوي مراقبين احدهما انكليزي والاخر فرساوي لمراقبة جباية الضرائب وحسابات الحكومة ومشاركتها في وضع الميزانية ولما لم يأت هذا النظم بالنتيجة المطلوبة شككت في ٢٧ يناير سنة ١٨٧٨ م لجنة للبحث عن اسباب العجز المستمر في الميزانية فثبت لها ان اعمال الحكومة لم تكن قائمة على اساس الاستقامة والصدق وان موظفي الحكومة لم يتناولوا منذ ١٦ شهرا شيئا من مرتباتهم التي كان مخصصا لها ١٢٠ الف جنيه شهريا وانه يكفي صدور ارادة شفاهية لوضع ضريبة جديدة والشرع في جبايتها وان السخرة لا تزال موجودة بالرغم من ابطالها . فلما قرأ الخديوي تقرير تلك اللجنة عول على الحكم بواسطة مجلس النظار . وبالفعل شكل هذا المجلس من ريفرس ولسن ووزيرا للمالية ودي بلنير للاشغال العمومية ورياض باشا للداخلية ونوبار باشا للخارجية . واخذ هذا المجلس يوالي عقد جلسات فقرر دفع مرتبات الموظفين . ثم سافر الى باريس ولوندر حيث عقد مع بيت روتشلد قرضا مضمونا باملاك العائلة الخديوية فنجحوا في عقده (٨ ملايين من الجنيهات)

ولكن الاحوال كانت ازدادت سوءا لتعذر جباية الاموال ولاضطراب خواطر الاهلين بسبب مداخلة الاجانب فرأى مجلس النظار وجوب توفير شيء من نفقات الجيش فرفت عددا كبيرا من العساكر والضباط ولم يدفع لهم المناخر لهم . فثار المرفوتون في ٢٥ صفر سنة ١٢٩٦ هـ (١٨ فبراير سنة ١٨٧٩ م) وجاء نحو من اثني نفر واربعمائة ضابط منهم الى نظارة المالية وامسكوا بنوبار باشا والمستر ولسن وطلبوا اليهما ما كان متأخرا ثم علت الضوضاء بما اوجب تداخل الخديو حيث امر حرسه الخاص بالحلمة على المتجمهرين وتبديد شملهم فانصرفوا . وحينما سئل الخديوي من القناصل : هل الاوروبيون في امن على حياتهم : اجاب : كلا ما دام نوبار بالوزارة : وعليه فصل نوبار باشا من الوزارة ثم استعفى منها بعد قليل رياض باشا وعلي باشا مبارك . فشكل اسماعيل باشا وزارة ثانية برئاسة ابنه المغفور له توفيق باشا

وفي ١٤ ربيع آخر سنة ١٢٩٦ هـ (٧ ابريل سنة ١٨٧٩ م) قلب اسماعيل باشا هيئة مجلس النظار وعزل كل من كان فيه من الاجانب وجعل بدلاً عنهم نظاراً وطنيين تحت رئاسة المرحوم شريف باشا وامر ان تزداد القوة العسكرية .
 ٦٠ الفاً فشق ذلك على دولتي انكلترا وفرنسا لانهما اعتبرتا عزله للنظارين الانكليزي والفرنساوي اغيرة من الاعمال العدوانية وطلبتا منه ان يتقاعد فرفض فاستعانتا بالدولة العلية التي اضطرته الى التنازل بارادة شاهانية صدرت في ٢٦ يونيو سنة ١٨٧٩ م . فتنازل عن الحكم لاكبر انجالة

٧٧١ — توفيق باشا بن اسماعيل

من سنة ١٢٩٦ — ١٣٠٩ هـ او من سنة ١٨٧٩ — ١٨٩٢ م



(ش ١٥) توفيق باشا نقلا عن الهلال

تولى المرحوم توفيق باشا خديوية مصر يوم الخميس ٧ رجب سنة ١٢٩٦ هـ وكان مشهوراً بحبه للوطن المصري فشعر باحتياجه الى الحرية والرفق بالرعية فخفف الضرائب . ونظر في تأمين اصحاب الديون فصادق على قانون التصفية الذي قدمته اللجنة التي انتدبت لانشائه . ثم طاف القطر المصري ليتفقد الرعية واستطلاع احوالهم فدرس في اثناء تلك الرحلة ما يحتاج اليه القطر من الاصلاح وحالما عاد عمل على اصلاح حال الفلاح من حيث ما عليه من الضرائب فأمر بتقسيمت الاموال والعشور على اشهر معلومة وان تقتضى من الكبير والصغير على السواء مع اتخاذ الرفق في تحصيلها ومن تأخر عن السداد تباع ارضه . فانتظمت الاحوال احسن نظام . ثم وجه عنايته الى اصلاح شوئون المعارف فأمر بانشاء المدارس العالية والابتدائية ووسع دوائر المدارس التي انشأها أباه ونظم شوونها وجعل للبلاد نظمات شورية وشكل مجالس المديريات ومجلس شوري القوانين والجمعية العمومية وانتشرت الحرية بمصر انتشاراً زائداً ولان البلاد لم تكن قد استعدت لقبول هذه الحرية بعد انعكست الحال وآلت الى الضرر وكانت السبب في حدوث الثورة العرابية

(الثورة العرابية) ولد احمد عرابي في ٧ صفر سنة ١٢٥٨ هـ في قرية هرية رزنة من مديرية الشرقية فلما بلغ اشدّه سلمه والده الى شخص قبضي يدعي مخايل غطاس علمه مباديء القراءة والكتابة . وفي سنة ١٢٦٥ هـ ادخله والده الى الجامع الازهر وبعد ان مكث فيه اربع سنوات حفظ في اثنا عشر القرآن الشريف وتلقى بعض الدروس النحوية والفقه خرج منه . وفي صفر سنة ١٢٧١ هـ التحق بالجهادية بصفة عسكري ثم رقي الى درجة بلوك امين . وفي سنة ١٢٧٣ هـ ترقى الى رتبة الملازم . وفي سنة ١٢٧٤ هـ ترقى الى رتبة اليوز باشي ولم يأت عام ١٢٧٦ هـ الا وقد رقي الى رتبة البكباشي . وفي سنة ١٢٧٧ هـ رقي الى رتبة القائم مقام . ثم اعتزل الخدمة قليلاً واعيد اليها من ابتداء ولاية اسماعيل باشا سنة ١٢٧٩ هـ واستمر في الخدمة الى ان وقعت بينه وبين خسرو باشا الشر كسي خصومة انتهت برفق احمد عرابي

وفي غضون تلك المدة اقترن بابنة مرضعة المرحوم الهامى باشا التي هي اخت حرم الخديو المرحوم توفيق باشا من الرضاع . وبعد قليل أرسل خسرو باشا الى السودان فعرض احمد عرابي على الخديوي الاسبق اسماعيل باشا بما كان من ظلم خسرو باشا له فنبل الخديوي طلبه واعاده الى وظيفته في احد الالايات سنة ١٢٩٢ هـ وفي سنة ١٢٩٦ هـ أقبل اسماعيل باشا من خديوية مصر وتولاها أكبر انجاله توفيق باشا فرقى احمد عرابي الى رتبة الميرالاي . وكان عثمان باشا رفيق الجركسي ناظر الجهادية في ذلك الوقت قد سن قانوناً يقضي بعدم ترقية احد المصريين من العسكر العامل في الالايات والا كصفاء بمن يستخرج من المدارس الحربية وباحالة عبد العال حلمي بك اميرالاي السودان على ديوان الجهادية بصفة معاون وبتعيين خورشيد نعمان بك الشركسي بدلاً عنه . وبرت احمد بك عبد الغفار قائم مقام السواري وتعيين شاكر بك الشركسي بدلاً عنه

فصمبت هذه الاوامر على المصريين واتحد معظمهم على تأليف حزب وطني يقاوم هذا التيار الجركسي فذهبوا الى احمد عرابي بمنزله وعرضوا عليه واقعة الحال وما عن لهم من تأليف حزب وطني تحت رئاسته فقبل احمد عرابي ان يتألف هذا الحزب بعد ان استخاف المجتمعين على الطاعة له طاعة عمياء . وبعد ان حلفوا له على السيف والمصحف اجمع رأيهم على كتابة تقرير وقع عليه احمد عرابي وعلي فهمي وعبد العال حلمي واحمد عبد الغفار ورفعوه الى مجلس النظار يطالبون بتنزيل ناظر الجهادية وتنصيب غيره من الوطنيين . فلما وصل هذا التقرير الى مجلس النظار احواله علي ناظر الجهادية وامره بسجن الموقعين على هذا التقرير وتشكيل مجلس عسكري لمحاكمتهم . فبلغهم ذلك الخبر فاحترسوا غاية الاحتراس واعطوا التعاليم اللازمة لالاياتهم بما يفعلونه اذا وقعوا في شدة . ثم وردت عليهم الاوامر بطلبهم الى ديوان الحربية فامثلوا للامر وتوجهوا وراءهم بعض الضباط ليلفوا اخوانهم ما يحصل لهم . ولدى وصولهم الى قصر النيل كان الديوان غاصاً بكثير من امراء العسكرية ولما تمثلوا امام ناظر الجهادية تلى عليهم الامر القاضي بسجنهم

وفي الحال نزعتم سيوفهم واخذوا الى السجن وتعين من يقوم مقامهم . فمئذ ذلك اسرع الضباط الذين كانوا خلفهم واخبروا ضباط الای عابدين بما تم على رؤسائهم وفي الحال دخل الای عابدين تحت السلاح وسار بقيادة محمد افندي عبيد البكباشي الى قصر النيل وهجم على السجن حيثما سجن احمد عرابي ورفاقه واخرجوهم منه قوة واقتداراً . ثم اصدر الضباط اوامرهـم الى الای طره والای العباسية بانظارهم في ساحة عابدين باسلحتهم . وبعد يسيراً اجتمعت الالایات امام سراي عابدين ولما تم اجتماعهم وقف احمد عرابي خطيباً فيهم فشكرهم على ما ابدوه من الهمـة في انقاذهم . ثم تقدم احمد عرابي امام سمو الخديوي توفيق باشا وطلب منه العفو عما فرط منهم وان يعزل عثمان باشا رفيق حالاً . فاجاب الخديوي طلبه حسماً للنزاع ف عزل رفيق باشا وجعل مكانه محمود سامي . ورجع عرابي واخوانه الى مناصبهم ونوجهوا الى الایانهم وقد وقع في قلوبهم الرعب الشديد فاكثر وامن التحفظ على انفسهم وصاروا يسهرون كل ليلة في منزل عرابي ويعقدون المجالس السرية . ثم قويت شوكـة عرابي واستمال قلوب الضباط والعساكر اليه وصار يث افكاره بين الالاهالي وعمد ومشائخ البلاد وطلب منهم ان يساعدوه على رغبته في استخلاص البلاد من التداخل الاجنبي التي كانت الوزارة الرياضية سببته بزعمه وفي ٢٨ شعبان سنة ١٢٩٨ هـ كان الجناب العالي الخديوي بالاسكندرية فاتفق ان عربة احد تجار الاسكندرية صدمت عسكرياً من الطابجية صدمة قضت عليه فحمله رفاقوه الى سراي رأس التين وطلبوا من الخديوي النظر في الامر فوعدهم خيراً . وبعد بضعة ايام تشكل مجلس حربي اصدر حكماً على النفر الذي حمل رفاقاه على المسير الى رأس التين بالاشغال الشاقة مؤبداً امارفاقاه وعددهم ثمانية فحكم عليهم بالسجن ٣ سنوات في الليمان ثم يرسلون للسودان انفاقاً للجهادة فبعث عبد العال امير الفرقة السودانية الى ناظر الجهادية محمود سامي يشكو من ظلم هذا الحكم . فرفع سامي تلك الشكوى الى الخديوي فتمكدر جداً واستدعى للعال الوزراء تلغرافياً الى الاسكندرية فوصلوها في ٧ رمضان وعقدوا برئاسته

مجلساً تقرر فيه استعفاء ناظر الجهادية محمود سامي وعين بدله دواد باشا يكن واستلم الاعمال وعاد النظر الى العاصمة وهدأت الاحوال . ولما علم عرابي بما كان استشاط غيظاً . واستمرت الحال على هذا المنوال لغاية شوال (اغسطس) ثم صدر امر من نظارة الجهادية الى الالي القلعة بالتوجه الى الاسكندرية وامر اخر الى الالي الاسكندرية باقْدوم الى العاصمة فاضطرب عرابي ورفقاؤه وزعموا ان الحكومة لم تقصد بهذه الاجراءات الا تفريق كلمتهم فاتفقوا على نبذ تلك الاوامر وفعلاً تم . وفي هذه الاثناء اعز عرابي الى جميع الولايات يأمرهم بالاستعداد للحضور الى سراي عابدين في اول سبتمبر سنة ١٨٨١ م . وكتب عرابي الى الخضره الخديوية والنظار بان الجيش سيحضر لعابدين لاجل طلبات عادلة . وكتب ايضاً الى قناصل الدول بان لاخوف على رعاياهم من هذه الحركة فلما علم الخديوي بذلك ارسل وفداً الى رؤساء الثورة وهم عرابي وعبد العال واحمد عبد الغفار ينصحهم ان يكفوا عن اجراءاتهم ولما لم تجد نصائحه لهم نفعا توجه سموه بنفسه الى الالي عابدين واخذ ينصحهم ولكن بلا فائدة

وفي يوم الجمعة ١٥ شوال (سبتمبر سنة ١٨٨١ م) حضر الى عابدين الالاي الاول السواري قيادة احمد بيك عبد الغفار وحضر بعده الالي احمد عرابي ثم الالي الطنجية وتكامل الجيش في ساحة عابدين وكانت غاصة بجماهير المتفرجين من ائاث وذكور وقناصل الدول داخل السراي . فاشرف الجناح العالي من السملك وامر باحضار احمد عرابي فحضر راكباً جواداً بدلاً سيفه وحوله عشرة من الضباط السواري راكبين خيولهم . فأمره الخديوي برد سيفه الى غمده ونزوله من على جواده وابعاد الضباط عنه ففعل . فقال له الخديوي الم لك سيدك ومولاك : فاجاب عرابي : نعم : فقال الخديوي : الم ارقك الى رتبة الميرالاي : فاجابه : نعم ولكن بعد ترقية الاربمائة : فقال الخديوي : وما هي اسباب حضورك بالمساكر الى هنا : فاجاب عرابي : لنيل طلبات عادلة : فقال الخديوي : وما هي هذه الطلبات : فاجاب عرابي : هي اسقاط الوزارة وتشكيل



ش ١٦ - احمد عرابي نقلا عن الهلال

مجلس النواب وزيادة عدد الجيش والتصديق على "قانون العسكرية الجديد وعزل شيخ الاسلام : فقال له الخديوي : كل هذه الطلبات ليست من خصائص العسكرية فسكت عرابي : واشارت قناصل الدول على الخديوي بالدخول الى السراي ففعل ثم تقدم قنصل انكلترا وقال لعرابي باننيابة عن الجناب العالي : ان اسقاط الوزارة من متعلقات خصائص الخديو وطلب تشكيل مجلس النواب من متعلقات الامة ولا وجه لزيادة الجيش بما ان البلاد في امان وهدوء فضلاً عن ان مالية البلاد لا تساعد على ذلك اما التصديق على القانون العسكري فينفذ بعد اطلاع الوزارة عليه اما عزل شيخ الاسلام فلا بد من اسناده الى اسباب : فقال له عرابي : اعلم يا حضرة القنصل ان طلباتي المتعلقة بالاهاالي لم اقدم عليها الا لانهم انا وبني في تنفيذها بواسطة هؤلاء الجنود لانهم اخوانهم واولادهم واعلم اننا لا ننازل عن هذه الطلبات ولا نبارح هذا المكان

ما لم تنفذ : فقال له القنصل : اذا تريد تنفيذ اقتراحاتك بالقوة الامر الذي يخشى معه ضياع بلادكم : فقال عرابي : ذلك لا يكون ومن الذي ينازعنا في اصلاح داخلتنا فاعلم اننا نقاومه اشد المقاومة الى ان نفنى عن آخرنا : فقال له القنصل : وابن هذه القوة التي ستقاوم بها : فقال عرابي : في وسعي اجمع في وقت قليل مليوناً من العساكر طوع ارادتي : وماذا تفعل اذا لم تنل طلباتك : فقال عرابي : اقول كلمة ثانية : . فقال القنصل : ما هي : فقال عرابي : لا اقولها الا عند القنوط : . ثم انقطعت المخابرات بين الفريقين نحواً من ثلاث ساعات تداول القناصل والحدوي في خلالها واستقر الرأي على اجابة طلبات عرابي وتنفيذها شيئاً فشيئاً . فاصر عرابي على تنزيل الوزارة قبل انصرافه فأجيب طلبه ثم تعين شريف باشا للوزارة الجديدة ومحمود سامي ناظرًا للجهادية . ثم امرت الوزارة ان يتوجه عرابي بالآلثة الى رأس الوادي وعبد العال يتوجه بالآلثة الى دمياط فامثلا الامر وسافرا بمحفل عظيم كل منهما الى محل مأموريته . ولما استقر عرابي في رأس الوادي صار يتجول في انحاء المديرية بضباطه ويبحث افكاره بين العمد ومشايخ العربان فاستدعته الحكومة الى العاصمة وعرضت عليه رتبة لواء ووظيفة وكيل نظارة الجهادية فقبل الثانية ورفض الاولى ليبقى الالاي في عهده ولما استوى عرابي على منصبه الجديد صار يعقد المحافل في منزله علناً وتوسط بالعفو عن حسن موسى العقاد احد تجار المحروسة لانه كان منفياً في السودان واجابه الجناب العالي الى ذلك . ثم سعى في عزل الشيخ العباسي من مشيخة الاسلام واستبداله بالشيخ الامباري

وفي ٢٨ شوال سنة ١٢٩٨ هـ (٢٢ سبتمبر سنة ١٨٨١ م) صدقت الحكومة المصرية على القوانين العسكرية الجديدة وهي من ضمن طلبات عرابي يوم حادثة عابدين . وفي ١١ ذي القعدة من السنة صدر الامر العالي باعتماد اللائحة في انتخاب النواب بناء على تقرير رفع الى شريف باشا مزيلاً بالف وستاية توقيع يتضمن طلب تشكيل المجلس النيابي . ثم توجهت عناية شريف الى تنظيم

الحاكم الاهلية فانصرفت الانظار الى مشروع تنظيمها وفي ٢٥ ذي الحجة سنة ١٢٩٨ هـ صدر الامر العالي بهذا مع لائحة ترتيب الحكم . وفي يوم الثلاثاء ١١ ربيع الاول سنة ١٢٩٩ هـ سقطت وزارة شريف باشا وتعين محمود سامي رئيساً للنظار واحمد عرابي ناظرًا للجهادية وعلي صادق للمالية ومصطفى باشا فني للخارجية وعبد الله باشا فكري المعارف وحسن باشا الشريبي للاوقاف ومحمود باشا فني للاشغال . وقد اجتمع عقيب ذلك ضباط الجهادية في سراي قصر النيل واطهروا الفرح والسرور للوزارة الجديدة وشكروا الخديوي على ذلك وهنوا محمود سامي برئاسة النظار واحمد عرابي بوزارة الجهادية ولما جلس عرابي على مسند الجهادية احسن عليه وعلى عبد العال برتبة لواء (باشا) . ثم طالب عرابي من الحضرة الخديوية قرينة كثيرين من رفقاء الضباط فأجيب طلبه . وفي هذه الاثناء بلغ عرابي ان بعض الضباط الجراكسة المتأهبين للسفر الى السودان يتكلمون في شأنه بما لا يليق وانهم عزموا على الكيد به . فأمر بالتاء القبض عليهم وعلى غيرهم قبض على اربعين شخصاً بينهم عثمان باشا رفاقي نذر الجهادية سابقاً وادعاهم السجن في قصر النيل وعاملهم بالقسوة والغلظ ثم شكل مجلساً حريباً لحاكمهم تحت رئاسة راشد باشا الجركسي فصدر حكم المجلس عليهم بالنفي الى اقصى السودان ومراحم الخديوي خففت هذا الحكم بابعادهم عن النظر المصري فقط فعند ذلك وقع خلاف بين الخديوي والنظار في هذا الشأن فأجتمع مجلس النظار في ١١ مايو سنة ١٨٨٢ م على اثر الخلاف واستمرت جلسته ثماني ساعات وفي اثناء الجلسة حضر وكلاء الدول وسألوا النظار عن حال الاوروبين في مصر فاخبروهم بان لا بأس عليهم . ثم بحث النظار الى النواب الاجتماع فصدرت الاوامر الى جميع المديرات بشأن ذلك فلما اجتمعوا ارادوا اصلاح الخلاف فلم ينجحوا وسار وفد منهم الى الجنب الخديوي يرجون اجابة طلبهم فاجابهم اسفاً لعدم امكان ذلك . فشكلت لجنة ثنية في ٢٥ جمادى الاخرى سنة ١٢٩٩ هـ لتعرض على سموه قول الاقتراح بشرط تنزيل رئيس النظار فقط وان يجعل مكانه مصطفى

باشا فهمي فتوجهوا وعرضوا ذلك على الحضرة الخديوية قبل سموه بذلك بعد التردد ثم توجهوا الى مصطفى باشا فهمي للاستفتاء منه اذا كان يقبل تلك الرئاسة ام لا فابى فمادت المسألة الى مركزها الاول بل زادت تجسماً فوقفت حركة الاعمال . واجتهد سلطان باشا في ازالة الخلاف فلم يمكنه ذلك . وكل ذلك ناشئ من عدم تصديق الحضرة الخديوية على حكم المجلس الصادر على الشراكسة . وما زال النواب يسمعون في حل ذلك المشكل عبثاً فاستدعوا العلماء والوجهاء وعقدوا اجتماعاً عمومياً فتخابروا فيه وتشاوروا في كيفية حل المشكل فلم يمكنهم فضه . فشاع انه سيجضر الى الاسكندرية اسطول مؤلف من سفن انكليزية وفرنساوية وان خمس دوارع خرجت من الاسنانة قاصدة مصر بمساكر عثمانية لاجل تسوية هذا الخلاف وبينما هم في ذلك وقد تعاضم الخلاف اذ ورد تلغراف من باريس ينبيء بان الاسطولين الانكليزي والفرنساوي قادمان لمصر . وفي عصر يوم الجمعة ١٩ مايو سنة ١٨٨٢ م (غرة رجب سنة ١٢٩٩ هـ) وفد على الاسكندرية دارنة انكليزية وفي صباح السبت وصل اليها دارعتان انكليزيتان وثلاث دوارع فرنساوية ثم جمعت البواخر ترد الى ذلك المنفر حتى تكامل الاسطولان ولم يكن معها اسطول عثماني كما شاع فكثر الغيل والقال . ثم اشيع ان قدومها كان بوفاق مع الباب العالي وبارتياح باقي الدول

وفي ٧ رجب سنة ١٢٩٩ هـ (٢٥ مايو سنة ١٨٨٢ م) كتب قنصلا انكثرا وفرنسا للنظار يتطلبان سقوط الوزارة وابعاد عرابي من القطر مع حفظ راتبه والقابه ونياشينه واقامة عبد المال حلبي وعلي فهمي بالارياض في جهات لا يخرجان منها مع حفظ راتبهما ايضاً . ولما تلقى النظار هذه الكتابة ابوا التصديق عليها واظهروا الاستعداد للمقاومة بايعاز عرابي ومحمود سامي . ورأى المرحوم فقيد الوطن سلطان باشا ان هذا التعمت وخيم العاقبة واخذ يسعى في التوفيق فلم ينجح . وفي ٨ رجب استمفت الوزارة مخنجة على بلاغ الدولتين وطلباتهما فكاف شر يف بتشكيل وزارة جديدة فأبى ذلك مالم تنفذ الجهادية مآل طلبات الدولتين . فمقدت لذلك جلسة



« ش ١٧ عرابي في سيلان »

عند الخديوي للنظر في هذا الامر وكان من ضمن الحضور طلبة عصمت وهذا لما علم بان شريف باشا لا يقبل تشكيل وزارة جديدة الا بعد تنفيذ طلبات انكلترا وفرنسا وقف وقال متهورا : يستحيل علينا تنفيذها : وخرج من الجلسة بدون استئذان وتبعه الضباط جميعا . وفي هذه الاثناء ورد تلغراف من الضباط الموجودين بالاسكندرية يقولون فيه انهم لا يقبلون سوى احمد عرابي ناظرا للجهادية وانه ان لم يرجع لمنصبه في اثناء ١٢ ساعة فهم غير مسؤولين عما يحدث . فازداد الاضطراب . ثم صرح شريف باشا وغيره من الوزراء انهم لا يقبلون تشكيل مجلس النظار . وعند الغروب اجتمع النواب عند رئيسهم ووفد عليهم اكابر العلماء ففقدوا مجلسا تم جاءهم عرابي فاخذ يخطب فيهم بحالة تهور وتبعه عبد المال حلمي وعلى فهمي ومحمد عبيد وغيرهم . وكان الخديوي قد ارسل بالتلغراف الى الحضرة السلطانية ينسبها باستمقاء الوزارة فورد من لديها جواب بالتلغراف ايضا تهنئة على

صرف المشكل فارسل اليها في اليوم التالي يخبرها بان الجند غير راض بما حصل
 فورد الرد من الباب العالي مفاده ان الحضرة السلطانية أمرت بتشكيل لجنة عثمانية
 تأتي مصر بعد ثلاثة ايام للنظر في هذه المسألة . وبقى الجند في هذين اليومين
 متظاهرين بعدم الرضا . وثبت ان انكلترا وفرنسا ارسلنا للباب العالي لائحة نطلبان
 بها استقدام عراقي وحزبه الى الاسكندرية . وان دولة انكلترا كتبت للباب العالي انها
 تريد فقط نشر العلم العثماني في القطر المصري وتأييد الراحة العمومية به . وفي هذه
 الاثناء سعي العراقيون في خلع الخديوي توفيق باشا وتولية حليم باشا وصرخوا
 بذلك في مجالسهم وعزموا على النهب والتحصين وحينئذ صرح غلادستون
 وزير انكلترا ان مراكب الانكليز لم تجضر للاسكندرية الا بتأييد مركز الخديوي
 توفيق باشا لما اظهره من الصداقة والاخلاص . وفي ٢٠ رجب الموافق ٧ يونيو
 وصل الى ثغر الاسكندرية اليخت الشاهاني يقل درويش باشا المأمود العثماني
 فسار توجا الى العاصمة للنظر في ما هو واقع بين الخديوي وجنده . وكان الاضطراب
 والقلق قد بلغ بالاهاالي مبلغا عظيما وزادت بواعث الخوف فنزع الاجانب الى
 الجلاء ومن بقي صاروا يتأهبون للدفاع بما امكنهم من اقنناء الاسلحة وغيرها وزاد
 تهور سفلة الاهالي زيادة اوجبت مذبحه ١١ يونيو بالاسكندرية . وابتدأت هذه
 المذبحة بنحاص بسيط بين احد الحمازة ومالطي ثم اتسع الخرق وتجمعت الجماهير
 وانهمز الاو باش هذه الفرصة للقتل والنهب والسلب فطفت في شوارع الاسكندرية
 يقتلون كل من يلاقونه من الاجانب ويهجمون على المنازل ويهتكون الاعراض
 وينهبون الاموال بحالة تقشعر منها الابدان وجرح قنصل اليونان وقنصل انكلترا
 في الاسكندرية وقنصل ايطاليا وقنصل روسيا وكثيرون غيرهم . ولما امر عمر باشا
 لطفي محافظ الاسكندرية سليمان داود الامير الاي ان يرسل العساكر لاختاد الفتنة
 وقمع الثائرين اجاب انه لا يستطيع ذلك ان بعد ان يأتيه امر من عراقي وتعارض
 مأمور الضبطية السيد قنديل ولم ينزل ذلك اليوم . واستمرت هذه المذبحة طول
 النهار وعند غروب الشمس هدأت الفتنة نوعا وحملت الجرحى الى الاستبالية ودفنت

القتلى . وهاجر الاهالى الى بلاد الريف وأغلقت الدكاكين والحوانيت حتى خيل للناس انه لم يبق بالمدينة احد . ولما اتصل خبر هذه الحادثة بالعاصمة اضطرب اهلهما وفي صباح ١٢ يونيو خاطبت قناصل الدول درويش باشا معتمداً الخضر السلطانية بكلام شديد وطلبوا منه ان يتخذ التدابير اللازمة لصيانة الاوروبين واموالهم فمقد مجلساً في عابدين حضره الخديو وشريف باشا ووكلاء الدول العظمى وبعد المذاكرة اقرروا ان تعطي للقناصل ضمانات قوية تكفل اعادة الامن والمحافظة على ارواح الاوروپاويين واموالهم ومن اخص تلك الضمانات ان يمثل عرابي للامير التي تصدر له من الخديوي . فاستحضر عرابي وسئل فاجاب بالقبول وتعهده باستئجاب الامن . ثم تعين اسماعيل باشا راغب ناظر النظار فكتب اليه الخديوي بتحقيق هذه المسألة المشؤومة ومعرفة السبب والمتسبب فيها والمسؤول عن عدم تلافيها وفي هذه الاثناء انعم جلالة السلطان على احمد عرابي بنيشان فظن الاس ان هذا النيشان لم يأت عرابي الا لرضا الخضر السلطانية عنه وانتهاز هذه الفرصة لتأييد مركزه وصار يوهم الناس ان كل الدول تساعد على حرب انكلترا اذا مست الحاجة . وبناء عليه اخذ المراهبون يتأهبون للحرب لاجاء المراكب الانكليزية الراسية في ميناء الاسكندرية على تركها قوة واقتداراً فشرعوا في تحصين الطوابي وتركيب المدافع وغير ذلك من الاستعدادات اللازمة في مثل هذه الاحوال . فلما رأى الاميرال سيمور الانكليزي ذلك وتحقق استبداد عرابي ارسل مذكرة الى الحكومة المصرية يطلب فيها الكف عن اجراء الاستعدادات الحربية . فلم يجد اذننا صاغية فكرر الكتابة وقال : ان لم يرجع عرابي عن استعداداته فانه يضطر الى اطلاق مدافعه على الاسكندرية : فسمي عرابي ومحمود سامي الى كاتب سر مجلس النظار وطلبوا اليه ان يكتب تقريراً في المسألة مفاده : ان الاميرال تجاوز الحدود فيما يطلب وانه لا بد من مقاومته وان عرابي وقومه مفوضون في امر الدفاع عن البلاد : فاخذوا هذا التقرير وداروا به على منازل النظار وطلبوا التوقيع عليه فوقع بعضهم اختياراً وبعضهم اضطراراً ويقال ان الخديوي نفسه صدق عليه أو أجلي . لتصديق . ثم ارسلوه الى الاميرال سيمور . وارسل عرابي منشوراً

الى المدراء يطلب اليهم ان يكونوا مستعدين للامداد بالجند والمال . وفي مساء ٢٢ شعبان (٩ يوليو) جاء المستر كارتر ايت الى الخديو واعلنه رسمياً عن عزم الاميرال سيمور على مباشرة القتال صباح ١١ يوليو وألح عليه ان يترك سراي راس التين ويلجأ الى سراي الرمل ففعل . وفي ٢٣ شعبان (١٠ يوليو) رسل الاميرال سيمور كتابات رسمية الى كل من درويش باشا وراغب باشا رئيس الوزارة باعلان الحرب وقطع الملائق الودية . وفي مساء ذلك اليوم سافر الاسطول الفرنسي ساوى معقراً تاركا سفينتين من سفنه فقط

وفي الساعة السابعة من صباح الثلاثاء ٢٤ شعبان اطلقت المارة الانكليزية مدافعها على حصون الاسكندرية فاجابتها الطواحي المصرية واستمر القتال الى الساعة واحدة ونصف بعد الظهر حتى تهدمت معظم الطواحي وانفجر مستودع البارود في قلعة أطه . ولما علم الخديوي بذلك ارسل طلبه عصمت الى الاميرال ثم عاد طلبه باشا من عند الاميرال واخبر جناب الخديو ان الاميرال يطلب احتلال ثلاث قلاع والافانه يعود الى القتل الساعة ٢ بعد الظهر فعقد الخديو مجلساً تشاوروا فيه فلم يبدوا فكراً صائباً . وفي تلك الاثناء توجهت قوة عسكرية الى سراي الخديو وحاصروها زاعمين ان الخديو ربما ينحاز الى الدولة الانكليزية . ولما تحقق الخديو خيانة رؤساء الجهادية توجه الى الاميرال سيمور فقابلته بالترحيب والتعظيم اللاتقنين بمقامه . ثم تحقق المراييون انه لا بد من وقوع الاسكندرية في قبضة الانكايز فاندشر سليمان سامي (سليمان داود) احد رؤساء الثورة بمسكرة ونهبوا المدينة واشعلوا النيران فيها واحرقوا بعضاً منها . فلما رأى الانكليز هذا الفعل الشنيع هرعت الجنود الانكليزية وبذات جهدها في اطفاء تلك الحريق

ثم تفهقرت المساكن المصرية من لاسكندرية الى كفر الدوار . وفي اليوم التالي احتل الانكليز مدينة الاسكندرية ونظفوا شوارعها من جثث الموتى . وفي ٤ رمضان سنة ١٢٩٩ اصدر الخديو امراً بعزل احمد عرابي من

وظيفته . فلما وصل امر العزل الى عرابي اغتاظ جداً وارسل الامر الى المجلس العرفي الذي جعله العصاة آلة صماء في ايديهم لينظر فيه . فقرر رأى المجلس على عدم سماع اوامر الخديو والمداومة على الحرب وبقاء عرابي في نظارة الجهادية اما عرابي فلم ينكف عن الاستعداد للحرب والتحصين بمساعدة رفقاته وحاول سد ترعة المخمودية بجهة كفر الدوار فلم يفلح وصار يشيع في البلاد كذباً وبهتاناً ان الخديو . شريك مع الانكليز . وكتب للمدريات بتاريخ ١٢ اغسطس ان ان يجمعوا جنداً يبلغ مجموعه ٢٥ الف مقاتل وفرض ايضاً على المديرين اموالاً يجمعونها من الاهالي امداداً للتحرب ولا تسئل عن الطرق التي استعملت لجمع تلك الاموال . واخذ عرابي في تقوية الاستحكامات وتشديد الطوابي فدها فيما بين فوق الرملة باربعة كيلو مترات الى كفر الدوار . وأنشأ في كفر الدوار سداً عرضه ٣٠ متراً وخندقاً عرضه اربعة امتار وعمل جملة خطوط نارية

ولما رأى الانكليز الذين في الاسكندرية هذا التحصين وذلك الاستعداد طلبوا من دولتهم الامداد فارسلت لهم الدولة جملة قوات كانت تأتي من طريق السويس وفي اواسط شهر اغسطس بلغت القوات الانكليزية ٢٥ الفاً وحضر الجنرال ولسلي الى الاسكندرية واستلم قيادة الجيش فحقق الناس انتصار الانكليز وقرب فوزهم لشجاعة وحسن تدبير ولسلي المذكور . وأعلن الجنرال ولسلي انه لم يحضر الا للضرب على ابدى البغاة وتأيد سلطة الجناح العالي الخديو

وفي ٥ شوال سنة ١٢٩٩ هـ حصلت بين الانكليز والعرايين معركة مهمة في كفر الدوار استمرت نحو الساعتين وكان فيها عدد العرايين ضعفي عدد الانكليز ولكن انتصر الانكليز انتصاراً مبدئياً وشتوا شمل العرايين بعد ان قتلوا منهم ١٦٨ واسروا ٦٢ وحصلت مقتلة اخرى في اليوم التالي لم يفر فيها احد الطرفين . وفي اليوم الثالث اقتل الفريقان قتلاً شديداً فانهزم العرايون

وفي ٩ شوال سنة ١٢٩٩ هـ اشتبك العرايون مع الانكليز القادمين عن طريق الاسماعيليه في معركة هائلة بين المسخوطة والاسماعيليه انتصر فيها الانكليز

واستولوا على المعسمة . وفي ١٤ شوال (٢٨ اغسطس سنة ١٨٨٢ م) هجم العرايون على مراكز الانكليز في القصاصين بقصد الاستيلاء على سدود النبعة التي كانت في حوزة فرقة من الجيش الانكليزي ولكنهم ردوا خامسين . فاتخذ العرايون التل الكبير حصناً لهم تحصنوا فيه بكل قواتهم وبلغ جيشهم فيه ٣٠ الف مقاتل معهم ٧٠ مدفعاً فهجم الانكليز عليهم بقيادة الجنرال ولسلي بقوة ١٣ الف مقاتل و ٦٠ مدفعاً فلم يلبث العرايون امام الانكليز طويلاً حتى ولوا مدبرين تاركين زخائرهم الحربية غنيمة للانكليز ولم يجد عرابي مناصاً من الفرار فانطلق صهوة جواده وفر هارباً والانكليز يتقبضونه ولم يدركوه حتى وصل الى محطة ابى حماد فوجد قطاراً بها فنزل فيه وأمر سائقه بالمسير الى القاهرة حالاً ولما توقف السائق تهدده عرابي بالقتل ان لم يفعل فامتلل الامر . ووصل القاهرة في ١٣ سبتمبر وذهب توجراً الى قصر النيل وعقد مجلساً من امراء العسكرية والمملكة واخبرهم بما كان واستشارهم فاختلعت الاراء فوقف البرنس ابراهيم باشا (ابن عم الجباب الحديوي) وخطب خطبة حرض فيها الحضور بوجوب الدفاع فوافقوه بحسب الظاهر واستقر الرأي على انشاء خط دفاعي في ضواحي القاهرة . فتوجه عرابي ومعه بعض الضباط المهندسين الى العباسية ليتخذوا محلاً مناسباً للدفاع . وبينما هم في البحث عن ضالهم المنشودة اذ وقف احد الضباط وخاطب عرابي بكلام شديد قائلاً له : انك يجهلك وسوء تدبيرك قد احرقت الاسكندرية وتريد ان تحرق مصر أيضاً فاذا لم يكن لك فيها ما يملك فاعلم ان لما فيها نساء واطفالاً واملاكاً لا نسلم بضياها تنفيذاً لاغراضك الشخصية الا تدري انك تعرض مصر للخطر العظيم بانشاء الاستحكامات وتجعل منازلها عرضة لكرات المدافع فنحن لا نوافقك على ذلك واني اقول لك ذلك بالاصالة عن نفسي وبالنيابة عن جميع اخواني الضباط الحاضرين فلا ترج منا مساعدة وقد كفى ما جرى : . فلما سمع عرابي مقال ذلك الضابط اسقط في يده خصوصاً لما رأى الباقيين مستحسنين ما قله رفيعهم فأنكمأ رجماً الى قصر النيل واجتمع باصدقائه ثانية ودعاهم الى النظر في

الامر . فلم يجدوا احسن من رفع عريضة الى الجناح الخديوي يعتذرون فيها عن افعالهم وانهم ممثلون خاضعون وفعلوا كتبوا عريضتهم وارسلوها بوفد الى الجناح العالي فلم يقبل منهم كلاما بل امر بالقبض على رئيس وفدهم

اما الجنود الانكليزية فبعد استيلائها على التل الكبير سارت فمرت ببليس فالقازيق واستولت عليهما حتى اتت العباسية في مساء الخميس ١٤ سبتمبر سنة ١٨٨٢م واحتلت قشلاقات العباسية والقاهرة وقصر النيل . وكان الناس يظنون ان الجنود الانكليزية سيدخلون فاتحين قيةتلون وينهبون ولكن الامر جاء بالعكس لان الجنود الانكليزية دخلت القاهرة بحالة سلمية في يوم الجمعة ١٥ منه والقت القبض على عرابي وباقي زعماء هذه الثورة . ثم تسلم الانكليز القلاع والحصون في بور سعيد ورشيد واخيرا دمياط فانها لم تسلم الا في ٢١ منه

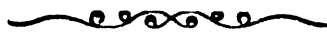
وهكذا انتهت هذه الثورة التي كانت سببا في خراب البلاد وقتل الالوف بدون وجه حق ولا تسلم عن التهاني التامغرافية التي وردت للجناح العالي الخديوي وللجنرال واسلي بما اتاهما الله من النصر والظفر

ثم حوكم عرابي وزملاؤه امام مجلس عسكري فحكم عليه بالاعدام لكن خفف هذا الحكم بالنفي الى سيلان فني اليها وما زال بها حتى انعم عليه سمو خديونا عباس حلمي باشا بالعودة لهذه الديار سنة ١٩٠١ م فماد اليها

ولم تكن الحكومة المصرية تستريح من الثورة العرابية حتى كانت الحوادث السودانية المشهورة التي كان من خبرها ان احد السودانين المدعو محمد احمد ادعى انه المهدي المنظر فالتف حوله عصابة قوية من السودانين فنبذ طاعة الحكومة المصرية وناوشها القتال وانتصر على رجالها مرارا حتى استولى على الابيض عاصمة كردفان واتخذها قاعدة لملكه . فرأت الحكومة المصرية ان تكسر شوكة هذا المتهمي قبل فوات الفرصة فارسلت له حملة لهذا الغرض مؤلفة من ١١ ألف مقاتل بقيادة هيكس باشا فأفانها المهدي واتباعه عن آخرها . وازدادت قوة المهدي بهذا الانتصار فرأت الحكومة الانكليزية بضرورة اخلاء السودان فشارت

على الحكومة المصرية بذلك وهذه قبلت هذا الاقتراح وارسلت غوردون باشا ليرى الطريقة المناسبة لانسحاب العساكر المصرية بكيفية ملائمة اشرف الحكومة المصرية . وكان غوردون باشا عالما باحوال السودان فلما اتى الخرطوم رأى ضرورة كبح جماح المهدي قبل الانسحاب من السودان خوفا من تطاوله فيما بعد لمهاجمة الحدود المصرية فارسل يطلب النجدة لهذا الغرض فارسلت اليه الحكومة الانكليزية نجدة عن طريق النيل لكن المهدي ودراويشه لم ينتظروا حتى تأتي غوردون باشا النجدة بل حاصروه بالخرطوم وضيقوا عليه واخيرا دخلوا الخرطوم فاتحين بخيانة احد المصريين المدعو فرج باشا فلما رأى غوردون باشا ان الاعداء دخلوا الخرطوم تقلد سيفه ونزل قاصدا المهدي فالتناه على سلام الفصر ثلاثة دراويش فقتل لهم ابن سيدكم المهدي فاجابه اقدم بضربة كانت القاضية عليه ثم احتزوا رأسه وارسلوها للمهدي كل هذا والحلة التي كانت آتية لانقاذ غوردون باشا لم تصل فلما علم قائدها بسقوط الخرطوم وقتل غوردون انكمأ راجعا من حيث أتى بامر دولته . وهكذا استولى المهدي على الانظار السودانية وانحصرت مصر بين الاسكندرية ووادي حلفا . والحوادث السودانية هذه ستذكر اكثر تفصيلا في ذكر دولة الدراويش بالسودان فان شئت الزيادة فراجعها هناك .

وفي ١٤ يونيو سنة ١٨٨٣ م صدر الامر الخديوي بترتيب الحكم ولائحتها وترتيب القوانين الجارية العمل بمقتضاها الآن . وفي سنة ١٨٨٣ م حصلت بمصر كوابرا افدت نحو ٦٠ الف نسمة . وفي ليلة الاثنين ٨ يناير سنة ١٨٩٢ م توفي سمو الخديوى توفيق باشا بمدينة حلوان ونقل نعشه الى العاصمة . وأسف الناس عليه اسما عظيما للين عريكته وحسن طويته



٧٧٢ - سمو الخديوي المعظم عباس حلمي باشا الثاني
(أيد الله سلطانه)



« ش ١٨ سمو الخديوي عباس حلمي باشا الثاني نقل عن الهلال
ولد أعزه الله في ١٤ يوليو ١٨٧٤ هـ وبعد ان تُثقف في مدرسة عابدين التي
شادها والده له ولدولة شقيقه البرنس محمد علي واتمادروسهما فيها ارسلاهما والدهما الى مدرسة

جنيف بسو يسرة فسكثا فيها مدة يجدان في تحصيل العلوم ثم برحاها الى فينا وانتظا
 في مدرستها الملوكة العليا . وفي اثناء اقامتهما في هذه المدرسة استأذنا والدهما
 بالتحول في انحاء اوروبا لاستطلاع احوال تلك المدنية من مصادرها فزارا المانيا
 وانكلترا وروسيا واطاليا وفرنسا والممالك الاخرى وافيا حيثما حلا ترحاباً حسناً .
 وفي سنة ١٨٩١ م عادا الى مصر في اثناء الراحة المدرسية ثم رجعا الى المدرسة
 في فينا . وفي ٨ يناير سنة ١٨٩٢ م جاها البناء البرقي بوقاة والدهما الخديوي فاصبح
 سمو ا كبرهما مولانا الامير خديوياً على مصر من ذلك اليوم . ثم جاءت رسالة الصدر
 الاعظم بتعيينه على ذلك العرش فاسرع الى مقر حكمه فوصل الاسكندرية
 في ١٦ يناير المذكور فاحتفل القطر بقدومه احتفالاً يليق بمقامه الكريم
 وحالما جلس حفظه الله على عرش اجداده اخذ في الاهتمام بما يؤول الى
 راحة ورفاهية الاهالى ورفع عن عاتقهم كثيراً من الضرائب فبعد ان كان يخص
 الفرد الواحد من اهالى القطر المصري ١٠٤ غروش من الضرائب السنوية تنازل
 هذا المبلغ الى ٨٢ غرشاً سنة ١٨٩٨ م . وفي السنة التالية من جلوسه أنشئت
 المحاكم بالوجه القبلى وافتتحت السكة الحديد بين اسبوط وجرجا
 وفي سنة ١٨٩٦ م انحدت حكومتنا مصر وانكلترا على تسير حملة لاستخلاص
 السودان من ايدي الدراويش وبعد وقائع متعددة وحروب يطول شرحها سقطت
 الخرطوم في ايدي المصريين والانكليز في ٢ سبتمبر سنة ١٨٩٨ م . وما زال
 الجيش المصري الانكليزي يطارد التعايشي خليفة المهدي حتى ظفربه سنة ١٩٠٠ م
 وقتله وبه انقرضت دوله الدراويش وصار السودان حكومة مصرية انكليزية مشتركة
 ومن حسنات الحكم العباسي الزاهر اتساع نطاق الصحافة واطلاق الحرية
 للطبوعات وتكاثر المطابع والجرائد والمجلات والمكاتب وسائر النهضة العلمية
 ولما كانت مصر بلاداً زراعية وجهت الحكومة المصرية في هذا العصر السعيد
 همها لاصلاح طرق الري فانشأت خزان اصوان وقناطر اسبوط وشرعت منذ سنة
 ١٩٠٢ م بتحويل ري الاراضي من نيلي الى صيفي فابتدأت من شالى اسبوط

وانتهت في هذه السنة الى مديرية الجيزة وقد شرعت الان في انشاء خزان
باسنا لتتمكن من تحويل ري قبلي انبساط لصيفي اذ ثبت لها منافع هذا التحويل
ومما يجب ذكره وتدوينه في بطون الدفاتر المهمة التي أبدأها بسعادة اسماعيل
سري باشا مفتش مشروعات الري الجديدة لانه قام بما عهد اليه خير قيام

وفي سنة ١٩٠٢ م انتشر بمصر الوباء المعروف بالهواء الاصفر (الكولرا)
فاهلك من اهلها ٦٠ ألفاً حسب تقرير الصحة

وفي سنة ١٩٠٦ م فترت العلاقات بين مصر والدولة العلية بسبب الاختلاف
على الحدود بين مصر والشام وكاد الامر يقضى الى ما لاتحمد عقباه لكن انحسرت
هذه النازلة بسلام

وفي يونيه سنة ١٩٠٦ م سارت فرقة من جيش الاحتلال قاصدة الاسكندرية
فلما وصلت الى ناحية قرية من بلدة دنشواي قام قائدها واربعة من ضباطها
الى مزارع دنشواي لصيد الحمام فعارضهم الاهالى في الامر وتعدوا عليهم بالضرب
والالكم حتى مات احد الضباط المدعوا الكبتن بول وأصيب الآخرون فهاج الاحتماليون
لهذا العمل حتى تشكلت المحكمة المختصة لمحاكمة المعتدين فحكمت على بعضهم
بالاعدام وعلى بعضهم بالجلد وعلى بعضهم بالحبس لمئات مختلفة واستصعب المصريون
هذا الحكم ولم يهدأ روعهم حتى اصدر الخديوى المظم العفو عن المسجونين في هذا العام
وفي ٢٨ أكتوبر سنة ١٩٠٦ تعين صاحب السعادة سعد باشا زغلول نظراً
لنظارة المعارف العمومية فجاء تعيينه دليلاً على رغبة الحكومة في تعميم ونشر العلوم
لان سعاداته ممن يشار اليهم بالبنان في هذا المضمار ومنذ أقيم لهذا المنصب
الخطير طفق يوجب البلاد محناً الاهالى على اقامة الكتائب فكان من وراء ذلك
نهضة علمية لا يستهان بها

ومن حوادث سنة ١٩٠٧ م استعفاء جناب ارل اف كرومر لانحراف صحته
وتعيين جناب السرالدين غورست بدلاً عنه . وحدثت الأزمة المالية . وقيام
الجرائد لتأليف احزاب مختلفة المآرب والاغراض فبعضها يؤيد الاحتلال ويطلب

الاستقلال الآجل بنزعة مصر علمياً وأدياً وبعضها يرى افضلية الاستقلال العاجل وان مصر قادرة ان تحكم نفسها بنفسها وفق الله الجميع الى ما فيه خير البلاد والعباد

الدولة الباركزائية بافغانستان

(تمهيد) تنسب هذه الدولة الى العائلة الباركزائية التي هي احدى عمائر قبيلة عبدل من قبائل افغانستان المشهورة . وسبب اتصال الملك الى هذه العائلة هو انه لما كان محمود خان العبدالي حاكماً على افغانستان استوزر فتح خان الباركزائي وهذا استعمل اخوته الكثيري العدد على البلاد . وكان فتح خان الوزير المذكور بطلاً شجاعاً فسمى في توسيع نطاق المملكة الافغانية وجمع جيشاً وسار قاصداً فتح خراسان وهي وقتئذ من ضمن المملكة الايرانية فارسل شاه ايران جيشاً لصد هجمات الافغانين فانتصروا عليهم وتشتت شمل الافغانين وحينئذ ارسل شاه ايران الى محمود خان العبدالي صاحب افغانستان وابنه كامران بخيرهما بين امرين اما ان يسلم اليه فتح خان او يسلموا عينيه والا اضطر لمهاجمة افغانستان وافتتاحها تخاف كامران بن محمود العاقبة وسمل عيني فتح خان فقام اخوته عظيم خان ودوست محمد خان (والمذكور هو رأس هذه الدولة) وياور محمد خان وغيرهم البالغ عددهم ٣٢ وثاروا في البلاد طولاً وعرضاً وقلبوا ملك محمود اخذاً بشارعيني اخيهم حتى انحصرت مملكة محمود في هرات ونواحيها . واقتسم اخوة فتح خان البلاد بينهم فكانت مدينة كابل عاصمة المملكة واعمالها من حصّة دوست محمد خان الذي هو رأس هذه العائلة التي نحن بصدددها . وانتهاز الايرانيون فرصة وقوع هذه الفتن بافغانستان للاستيلاء عليها وضمها الى املاك الدولة الايرانية فعزم عباس ميرزا (ابن شاه ايران في ذلك الحين) على فتح هرات وارسل لهذا القصد جيشاً بقيادة ابنه محمد ميرزا فقامت دولة انكتر وقعدت لهذه النبا وعولت على معارضة دولة ايران بدعوى ان هرات مفتاح الهند حتى اضمارتها الى تركها بعد ان كادت تفتحها

وكان عند حكومة الهند الانكليزية شاه شجاع العبدالي هارباً من وجهه اخيه شاه محمود فانتهزت هذه الفرصة لسوق عساكرها الى افغانستان بدعوى اعادة شاه شجاع الى كرسيه ففعلاً تم ذلك وانتصر الانكليز على اخوة فتح خان المتغلبين على افغانستان

وأمر دوست محمد خان وأرسلوه الى كلكتا واجلسوا شاه شجاع على كرسي كابل . فصارت بلاد افغانستان بالاسم تحت حكم شاه شجاع وبالفعل تحت حكم الانكليز الا ان الانكليز وشاه شجاع لم يهناؤا بلذة الحكم في افغانستان لان الشجاع محمد اكبر خان بن دوست محمد خان صار يجول في البلاد الافغانية مذ اسر أبوه ليجمع لنفسه الاحزاب لاستخلاص افغانستان من الانكليز وشاه شجاع فنجح فيما اراد وانتصر بمعاودة الافغانيين له على الانكليز في عدة وقائع مشهورة حتى اضطرهم الى الانسحاب من افغانستان بخفي حنين بعد ان اخذ عليهم تعهداً ببرد والده دوست محمد خان من الامر . فانسحب الانكليز من افغانستان راجعين الى الهند ثم اطلقوا دوست محمد خان من الاسر فرجع الي كابل واستولى عليها وعلى جلال آباد وما يجاورها من البلاد وذلك في اكتوبر سنة ١٨٤٢ م - ١٢٥٨ هـ

٧٧٤ دوست محمد خان

من سنة ١٢٥٨ - ١٢٧٩ هـ او من سنة ١٨٤٢ - ١٨٦٣ م

ولما قدم دوست محمد خان من بلاد الهند بعد فكاكه من الاسر واستولى على كابل وجلال آباد واعمالها كان اخوه كهنديل خان قد استولى على مدينة قندهار بمساعدة شاه ايران ف وقعت بين الاخوين عدة حروب كن النصر فيها للامير دوست محمد خان وبعد بضع سنين تعدى رنجيت سنك الوثني على الحدود الافغانية فجند الامير دوست محمد خان جنداً وقادهم الى بيشاور حيث وقع بينه وبين رنجيت سنك المذكور محاربة مهولة . ولما رأى الانكليز ان مدينة بيشاور ستقع بيد الافغانيين وهذا مما يوجب زيادة نفوذ الامير وبورث الخلل في الممالك الانكليزية الهندية امرعت الى التوسط بعقد الصلح بينهما على ان تكون مدينة بيشاور بيد رنجيت سنك فتم الصلح على هذه الكيفية ولا يستغرب القاري الكريم اذا علم ان الانكليز استولوا على مدينة بيشاور بعد ذلك بقبائل بتنازل رنجيت سنك لهم عنها فانهم انما كانوا يجرون النار لقرصم وبعد قليل توفي كهنديل خان (اخو الامير دوست محمد خان) صاحب مدينة قندهار ف وقعت المنازعة بين اخوته وابنائهم في الملك وآل الامر الى الطعن والضرب حتى وقع المرج والمرج في المدينة فاتفقوا جميعاً على جعل دوست محمد خان حكاماً بينهم

فسار الى قندهار بمسكروه حين بلغه ذلك واستولى عليها وعين لكل من المحكمين مرتباً شهرياً سداً المطامعهم وتمت له بذلك السلطة في غالب البلاد الافغانية . وكانت مدينة هرات في ذلك الوقت تحت سلطنة كامران شاه بن محمود شاه العبدالي وبعد ان تمكن من حفظها من الاعداء مدة انهمك في السكر واللعب فقام عليه وزيره ياور محمد خان البامي زائى وقتله واستولى على هرات وراسل شاه ايران وهاداه واحتى به صيانة لبلاده من سلطة سائر الامراء الافغانيين . وبعد موته خلفه ابنه صيد محمد خان باعانة الشاه الا ان هذا الخلف كان سيئ السيرة سفياً فامتلات قلوب الاهالي منه غيظاً واثاروا الفتنة عليه وطلبوا شاه زاده يوسف السدوزائى (الذي كان وقتئذ في مدينة مشهد) والتمسوا من الشاه ان يجهزه ويرسله ففعل ودخل مدينة هرات بلا مانع وقتل صيد محمد خان . ثم وقع في هرات بعض الفتن فاغتنم ناصر الدين شاه فرصة للاستيلاء عليها فارسل جيشاً جراراً سنة ١٢٧٤هـ بقيادة سلطان مراد ميرزا وبعد محاصرتها اباناً تم له فتحها ودخل قطر هرات تحت حكم ايران

فاستشاطت انكثرا غيظاً من هذا الفتح بدعوى ان هرات مفتاح الهند فارسلت مراكبها الى خليج فارس واستولت على بندر ابى شهر وجزيرة خارق و بلدة محمده ارباباً للشاه ونسكيناً للثورة التي فشت في الهند عند ماشاع فيها توجه العساكر الايرانية نحو افغانستان وبعد سنة من هذه الواقعة تم الصالح بينهما وترك الانكليز القرض الايرانية على شرط ان يقيم الشاه رجلاً افغانياً حاكماً على هرات ويسحب عساكره منها . فعين الشاه سلطان احمد خان ابن عم الامير دوست محمد خان وصهره والياً على هرات باستصواب انكثرا بعد ان شرط عليه ان يضرب السكة ويقرأ الخطبة باسمه . ومع ذلك لم يسكن روع الانكليز بل اغروا الامير دوست محمد خان بعد بضع سنين باخذ مدينة هرات وتمهدوا بان يعطوه مرتباً سنوياً كافياً لتجنيده العساكر وتحصين القلاع لتكون الامارة الافغانية سداً منيعاً بين الهند وبين الممالك الروسية في آسية الوسطى من جهة وايران من جهة اخرى . فجنده الامير جيشاً وسار به الى هرات وحاصرها زمناً طويلاً مات في اثنتائه سلطان احمد صاحب هرات داخل القلعه . وتوفي ايضاً الامير دوست محمد خان سنة ١٢٧٩هـ (٢٩ مايو ١٨٦٣) في معسكره . وبعد موته اتحد روساء العساكر وهجموا على هرات وافتتحوها عنوة في ذات السنة

٧٧٥ شير علي خان بن دوست محمد خان

من سنة ١٢٧٩ - ١٢٨٥ هـ او من سنة ١٨٦٣ - ١٨٦٨ م

كان للامير دوست محمد خان عدة ابناء اشهرهم اربعة محمد اكبر خان وفضل خان واعظم خان وشير علي خان وكان اكبرهم محمد اكبر خان وهو الذي تمكن من اعادة الملك لايه بعد ان امره الانكايكز كما تقدم فاحبه ابوه حباً مفرطاً وجعله ولي عهده لكن اتفق ان توفي محمد اكبر خان المذكور قبل ابيه واذ كان شير علي خان اصغر اولاد الامير دوست محمد خان شقيق محمد اكبر خان فعهد اليه الامير بولاية العهد . فلما توفي الامير اثناء محاصرته لمرات كما تقدم بايع الناس لابنه شير علي خان حسب وصيته . وكان لشير علي خان وزير من طائفة الغلجاني يدعى محمد رفيق فاشار علي الامير بقتل اخوته بدعوى انه لا يتم امره الا بقتلهم فعزم الامير علي ذلك من ذلك الوقت ولكن شاع الخبر في المعسكر قبل تنفيذه فهرب اخوة شير علي خان خوفاً منه وذهب كل منهم الى الجهة التي كان والياً عليها في حياة ابيه واستولى عليها

ولما علم شير علي خان بهروب اخوته وكان قد افتتح هرات اسرع في تنظيمها وبعد ان استخلف عليها ابنه محمد يعقوب خان اسرع قاصداً بلخ بدون ان يتعرض للبلاد التي استولى عليها اخوته الذين هربوا من المعسكر أو يظهر لهم غضباً . قصد بذلك ان يخدع اخاه الاكبر محمد افضل خان صاحب بلخ الذي كان محبوباً من الناس وكانت قوته العسكرية اشد من سائر الاخوة ويقبض عليه . فلما وصل الى حدود بلخ ارسل الى اخيه كتاباً يقول له فيه : « انك انت الاخ الاكبر فيجب عليك ان تجتهد في اصلاح البلاد ورفع الفساد وجمع كلمة الاخوة وأما انا فانهي ان لا انبذ لك امرأ وان لا اخالف لك نصحاً وان لا اخرج من ريقة طاعتك » فلما قرأ محمد افضل خان ذلك الكتاب اخذع وسار بنفسه الى اخيه شير علي خان الذي لا تمكن منه قبض عليه . وهرب ابنه عبيد الرحمن خان وقتئذ الى بخارى . ودخلت بلخ تحت طاعة شير علي خان وبعد ان أقام عليها احد اخوته المدعو فيض محمد خان والياً عليها عاد الى كابل . وكثرت بعد ذلك الحروب بين شير علي خان واخوته وطالت الفتن واخيراً اتحد محمد اعظم خان وعبيد الرحمن خان بن افضل الذي كان قد رجع من بخارى وجمع جيشاً لا بأس به وحاربوا شير علي وانتصروا عليه في عدة وقائع واخيراً استولوا على مدينة كابل عاصمة ملكه بخيانة وزيره محمد رفيق الغلجاني ودخلوها بلا معارضة وفر شير علي منها الى قندهار

٧٧٦ — محمد اعظم خامه به دوست محمد زانه

من سنة ١٢٨٥ — ١٢٨٦ هـ او من سنة ١٨٦٨ — ١٨٦٩ م

ولما استولى محمد اعظم خان وعبد الرحمن خان على كابل نودي باولهما اميراً على البلاد الافغانية فاستقر امره . وبعد قليل قتل محمد رفيق الوزير الغاجائي الخائن المتقدم ذكره قتال جزاء خيائنه . ثم جمع محمد اعظم خان العساكر وسار قاصداً قندهار لاستخلاصها من اخيه شير علي خان وبرزشير علي خان اتتاله فالتقى الجمعان في كلات الغاجائي وبعد قتال شديد انهزم شير علي وفرّ الى هرات واستولى محمد اعظم خان على قندهار . ثم حاول شير علي خان ان يتنزع الامر من يد اخيه ولكنه لم ينجح فلما استتب الامر لمحمد اعظم خان ولي الامير عبد الرحمن خان ابن اخيه محمد افضل خان على بلخ ونصب ابنه (ابن محمد اعظم خان) محمد سرور والياً على قندهار وجعل ابنه الآخر المسمى بعبد العزيز خان الذي كان عمره اذ ذاك ست عشرة سنة رئيساً على العساكر الموجودة فيها . وهذا الرئيس الشاب ساقه الغرور وحجب الظهور الى جمع العساكر وسوقها الى هرات بدون علم ابيه وعند وصوله الى قرية كرشك صادمه محمد يعقوب خان بن شير علي خان بمساكره فهزمه وشتت شمل عساكره وامرع بن معه الى مدينة قندهار واستولى عليها اذ لم يكن من يدافع عنها . فتوي عزم شير علي خان بهذا الانتصار وجد فيه العزم على استرجاع ملكه فجمع جيشاً قوياً وسار قاصداً كابل فلما علم محمد اعظم خان بتقدم اخيه شير علي خان بالعساكر اقتتله اُحد الخوانين المدعو اسماعيل خان فتقدم اسماعيل هذا بجيش جرار ولكنه عوضاً عن ان يقاتل شير علي خان اتحد معه على قتال محمد اعظم خان على ان يوليه قندهار اذا تم امره . فهجم العسكران على كابل واستولوا عليها وفرّ محمد اعظم خان الى بلخ عند ابن اخيه عبد الرحمن خان وبذلوا غايه الجهد في جمع عساكر من الازبك والافغان وذهبوا الى غزنة من طريق هزاره فبارزها شير علي خان وبعد حروب شديدة انهزمت عساكر محمد اعظم خان وعبد الرحمن خان وهربا الى مدينة مشهد (طوس القديمة) من بلاد ايران وهناك انفصلا فذهب عبد الرحمن خان الى بخارى واقام بمدينة سمرقند . وتوفي محمد اعظم خان بمدينة نيسابور حيث ذهابه الى طهران . وكان محمد اعظم خان عاقلاً مدبراً محباً للعدل الا انه كان مبيء البخت

٧٧٧ - شير علي خان به دوست محمد خان (ثانية)

وابنه يعقوب خان

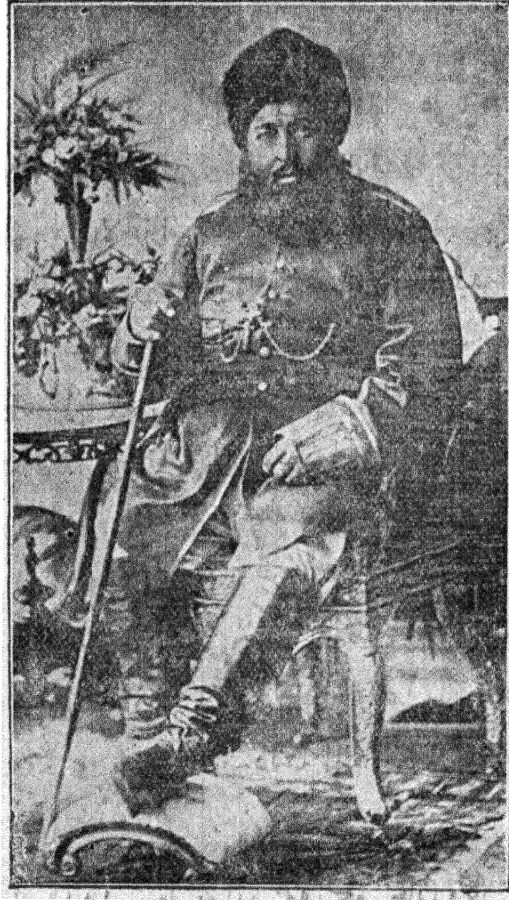
من سنة ١٢٨٦ - ١٢٩٨ هـ او من سنة ١٨٦٩ - ١٣٨٨ م

أما شير علي خان فدخل مدينة كابل واستقر بها ونفى اسماعيل خان الخائن واخوته الى الهند . وبعد قليل جدد مع الانكليز المعاهدة التي كان قد عقدها ابوه معهم وكان لشير علي خان ابنان هما محمد يعقوب خان وهو الاكبر وعبد الله خان وهو الاصغر . وكان محمد يعقوب خان ولي عهد ابيه وكان بطلاً شجاعاً وهو الذي اعاد الملك لابيه كما تقدم . الا ان شير تلي خان لم يراع حقه ولجبه لوالده عبد الله خان الاصغر جعل ابنها هذا ولي عهده فصعب ذلك على محمد يعقوب خان وفر الى مدينة هرات واظهر العصيان . فارسل اليه والده عساكراً لقتاله فشنت محمد يعقوب خان شملهم ومع ذلك لما دعاه والده للحضور الى كابل لبي دعوته والامير عوضاً عن ان يجامله اودعه الحبس . ومع كل ذلك لم ينل الامير بغيته لان الموت قد اسرع الى ولي عهده الجديد

وفي سنة ١٢٩٥ هـ شعر الانكليز بزيادة النفوذ الروسي في بلاد افغانستان فخافوا العاقبة وارسلوا سفارة مؤلفة من عدة مهندسين والى خيال فتمنعها الامير شير علي خان بدعوى ان انكثرا قطعت المرتب الذي تعهدت بدفعه كل شهر من عدة سنين بلا سبب . فاغتاز الانكليز لذلك وارسلوا عساكرهم بقيادة السير روبرتسن الى الامارة الافغانية لتنزيل شير علي من كرسي الامارة فاحتل قندهار سنة ١٨٧٩ م . ولكن اتفق ان مات شير علي في تلك الاثناء فقام ابنه يعقوب خان يحارب الانكليز مما اضطر هؤلاء للتوغل في بلاد الافغان واحتلوا كابل العاصمة فعقد معهم يعقوب خان حينذاك الصلح وقبل الحماية الانكليزية . ولكن لم يمض شهران حتى ثارت عليه البلاذ فهرب الامير يعقوب خان الى معسكر الانكليز فاعاد الانكليز الكرة على بلاد الافغان واحتلوا كابل ثانية ومع ذلك لم تهدأ الاحوال بها الا بعد تنصيب عبد الرحمن خان بن افضل خان بن دوست محمد خان الاخي ذكره

٧٧٨ عبد الرحمن خان بن محمد افضل خان

من سنة ١٢٩٨ — ١٣١٩ هـ او من سنة ١٨٨٠ — ١٩٠١ م



« ش ١٩ الامير عبد الرحمن » نقلا عن الهلال

هو عبد الرحمن خان بن محمد افضل خان بن دوست محمد خان وقد تقدم ذكره
مراراً . ولما خلا كرسي الملك في كابل سنة ١٨٨٠ م اقامه الانكليز عليها على ان
يراعي جانبهم

ثم أخذوا بناصره وعضدوه وبالغوا في تقريبه بالهدايا والرواتب ومن جملة ذلك
راتب مقداره ١٨٠٠٠ جنيه في العام فضلاً عن النياشين والرتب ولقبوه السير

عبد الرحمن خان . وجهزوه بكثير من الاسلحة والمدافع وشقودوا معه معاهدة هجومية دفاعية وانشأوا له في كابل ترسانة للأسلحة وامدوه بالعملة والمهندسين . حتى صاروا يعتقدون انه صنيعتهم وخادم مصالحهم . اما هو فلم يكن يعترف بذلك ولا يريد ان يعترف به بل كان يعتبر نفسه مخالفاً لانكثرا ويؤيد ذلك انه اراد ان يرسل سفيراً من قبله بقيم في لندن كما تفعل سائر الممالك المستقلة . على انه كثيراً ما صرح بصداقة انكثرا جهاراً ومن ذلك انه التقى باللورد دوفرين في بندي ربيع عام ١٨٨٥ م فاعرب الامير عما في نفسه من الاحترام لجلالة الملكة فيكتوريا ورجال حكومتها . وكانوا في وليمة جمعت جمعاً غفيراً من رجال الدولتين فاستل الامير عبد الرحمن سيفه ولنظ خطاباً قال في ختامه انه سيقنل عدو انكثرا بمجد ذلك السيف . ولم يكن جلوس الامير عبد الرحمن خان على كرسي الملك كافيّاً لتأييد سلطانه بل حارب حروباً كثيرة قبل ان استتب الامر له من جعلتها ان ايوب خان احد منازعيه ثار في قندهار فارسل اليه الامير جيشاً شنت ايوب خان شمله . فجمع عبد الرحمن خان جيشاً آخر وسار بنفسه وحمل على ايوب خان وقهره . ففر ايوب الى بلاد ايران

واستعمل الامير عبد الرحمن خان القسوة في معاملة رعاياه حتى قتل كل من يخشى منه على نفوذه فازداد الناس كرهاً له ورعباً منه . على ان ذلك لم يمنع ظهور ثورات اخرى بل ربما كان داعياً لها فان الغلزية حاربوه مراراً ولم ينج من مطامعهم الا بسفك الدماء

وفي سنة ١٨٨٨ م حاربته ابن عمه اسمحق خان وكان حاكماً في افغانستان تركستان وسبب حربه ان الامير عبد الرحمن دعاه الى كابل دعوة ظاهراً حي فخاف اسمحق خان تلك الدعوة لما يعلمه من عاقبة المدعوين قبله فاعتذر عن القدوم فاعاد الامير الدعوة وتفنن باساليب التجميل فلم ينخدع اسمحق خان وظل على عزمه . فاتهمه الامير عبد الرحمن بالعصيان وانفذ اليه جيشاً للقبض عليه فشنت اسمحق خان شمله وطمع بكابل فحمل عليها . فاسرع عبد الرحمن للملاقاة وحاربته ففر اسمحق الى بلاد الروس واقام في سمرقند هو وانصاره تحت رعاية روسيا وحمايتها وهي تنفق عليهم وتبالغ في اكرامهم

ثم نار عليه الهزارية بين كابل وهرات وهم شيعة (بخلاف باقي الافغانين لانهم من اهل السنة) فحاربوه واتعبوه ولكنه تغلب عليهم واستتب له الملك .
ثم أصيب بمرض النقرس ولا يزال يتردد عليه العام بعد العام حتى ذهب بحياته في
١٣ أكتوبر سنة ١٩٠١ م

٧٧٩ - حبيب الله خان بهر عمر الرحمن خان
(حفظه الله)



ش ٢٠ حبيب الله خان نقلا عن الهلال

ولد الامير حبيب الله خان سنة ١٨٤٥ م وقد تولى نيابة حكومة كابل في

حياة ابيه وهو يجارب اسحق خان سنة ١٨٨٨ م . ورأى الامير بعد رجوعه ما حقق ظنه في ولده حتى عهد اليه مراجعة ما يرد من كتب الولايات فلا يقرأها هو الا بعد ان ينظر فيها ابنه ثم ولاء بيت المال سنة ١٨٩٧ م وعهد اليه القضاء الاعلى . ثم تولى في حياة ابيه ايضا نظارة الخارجية فكانت المغايرات مع الدول الاوروبية على يده

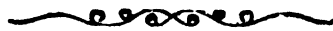
ولما توفي والده الامير عبد الرحمن خان في اكتوبر سنة ١٩٠١ م جلس هو على كرسي ساطنة كابل ويقال ان والده أطلعه على اسرار السياسة التي كانت متعجبة في صدره واهما ان يكون موالياً لانكنازاً حليفاً لها . وفقه الله الى ما فيه خير بلاده

٧٨٠ - دولة الدراويش بالسودان

(تمهيد) ابتدأت هذه الدولة بظهور محمد احمد المهدي السوداني الذي هو من قبيلة الدناقلة . ولد في جزيرة أسما نبت مقابل دنقلة سنة ١٨٤٨ م ويقال ان نسبه ينتهي الى الشيخ القرني صاحب كتاب الفروق . اشتهرت عائلته باصطناع سفن سودانية يضرب المثل بدقتها . هاجر والده عبد الله الى شندي باولاده كلهم ومحمد احمد هذا لا يزال طفلاً . فتضى محمد احمد حداثته في صناعة السفن ولم يكن ميالاً اليها على انه كان يستردد في اثناء ذلك الى المدرسة فحفظ القرآن وهو في الثانية عشرة من عمره . ويقال انهم عهدوا بتربيته وتدريبه في اتقان صناعة السفن الى عمه شريف الدين في جزيرة شبكة بالقرب من سنار . فاتفق ان عمه هذا ضربه مرة ففر الى الخرطوم وانتظم في سلك طلبة طريقة الفقراء وهي من الطرق الشهيرة في السودان بمدرسة خوجلي بالقرب من الخرطوم . فتضى في هذه المدرسة بضع سنين ثم انتقل الى بربر فدخل مدرستها ثم انتقل منها الى

قرية ارداب وتناول العلم فيها على الشيخ نور الدائم وعنه تناول سر طريقة الفقراء سنة ١٨٧١ م وقال بعضهم انه اخذها عن القرشي وكان استبداد جباة الاموال ضارباً اطنابه في السودان والقلاقل والاضطرابات غير منقطعة فكان محمد احمد هذا اذا ذكر الضيق الذي اصابهم من ظلم الجباة نسب ذلك الى خطية بني الانسان وان العالم قد فسد والناس قد ضلوا عن سواء السبيل فلهم ما نالهم من غضب الله . وان الله سيبعث رجلاً يصلح ما فسد ويملا الارض قسطاً وعدلاً هو المهدي المنتظر . وقد كان ذلك حديث الناس في سائر انحاء السودان . فحينما اجتمعوا تحدثوا في ما يقاسونه من ظلم الجباة وما ينتظرونه من الفرج على يد ذلك المنتظر حتى اصبح لفظ « المهدي » يدوي في مجتمعاتهم حيثما حلوا

فلما رأى محمد احمد ذلك وآس من الناس ارتياحاً الى اقواله واصفاه الى مواعظه خطر له ان يكون هو صاحب ذلك الامر . علي انه لم ينطق به حتى سألوه : « الملك المهدي المنتظر » فقال : « اجل انا هو » ثم أخذ يث تعاليمه في الناس شيئاً فشيئاً والناس بتقاطرون عليه رويداً رويداً حتى آمن به جمع كثير بينهم قبيلة البقارة ورئيسها علي ولد الحلو فقويت شوكة المهدي من ذلك الحين وكان في جملة الذين يجتمعون عليه عبد الله التعايشي من قبيلة التعايشة وكان يشتغل بالتنجيم وكتابة الاسحجة وله شأن كبير في قبيلته فقال له محمد احمد « انت وزير المهدي » فقال عبد الله « اني في انتظار مجيئه فاذا كنت اياه فاظهر انا ناصرك » فقال محمد احمد « نعم انا هو » وآمن به فاستوزره فكان هو وقبيلته انصاراً له . وافق ظهور نجم ذي ذنب سنة ظهوره فاعتقد اهل السودان ان ذلك انما هو راية المهدي تحملها الملائكة . هكذا كان مبدأ ظهور التمهيدي الذي به قامت دولة الدراويش وكان ذلك حوالي سنة ١٨٨٠ م



٧٨١ — محمد احمد المهدي

من سنة ١٢٩٧ — ١٣٠٢ هـ او من سنة ١٨٨٠ — ١٨٨٥ م



ش ٢١ احمد محمد المهدي (نقلا عن الهلال)

ولم يمض زمن طويل حتى رنّ صدى دعوة المهدي بجميع مديرية الخرطوم وعلم
 رؤوف باشا حاكم دار الخرطوم بذلك سنة ١٨٨١ م فانفذ اليه رجلاً من خاصته اسمه
 ابو السعود يستقدمه الى الخرطوم . فسار في اربعة من العلماء على باخرة حتى اتوا
 جزيرة ابا . فلما نزلوا الشاطئ نادوا باعلى صوتهم « اين المهدي » فجاء محمد احمد وجلس

على عنقريب (مقعد سوداني) بجانب ابي السعود . فقال له ابو السعود « ما هذا الذي قت به » فاجابه محمد احمد بلطف « انا المهدي » فقال ابو السعود « ولكن يجب ان تذهب » فنهض محمد مفضباً ويده على قبضة حسامه وصاح به « لا لا اذهب » تخاف ابو السعود وترك الرجل للحال واخذ علماء وعاد بياخرته الى الخرطوم فوصلها ليلاً فايقظ رؤوف باشا من فراشه وانباه بما كان وقال له « اعطني خمسين رجلاً وانا آتيك بهذا المنافق » فاذن له فسار بهم حتى اتوا الجزيرة فنزلوا اليها وبقي ابو السعود في الباخرة وفيما هم يفكرون في كيفية الهجوم على المهدي هجم رجاله عليهم بغتة وقتلهم عن آخرهم فاشتد ازر المهدي وتمكن اعتقاد اتباعه بدعوته . على انه خاف ان يؤخذ بغتة وهو قريب من مركز الحكومة فغادر ابا بعد ان استخلف عليها احد اتباعه المدعو احمد المكاشف قاصداً جبال كوردفان وسمي انتقاله هذا « الهجرة »

وكان في كاوا على النيل الابيض على مسافة ٥٠ ميلاً من ابا شمالاً قوة عسكرية مصرية مؤلفة من ١٤٠٠ رجل تحت قيادة محمد سعيد باشا فتنبعت آثار محمد احمد فاوغل هو في جنوب كوردفان فتعقبته شهراً حتى هلكت ولم تدرك منه وطراً . ثم انتقل محمد احمد الى جبل قدير فخارب رشيد بك حاكم دار فاشودة وتغلب عليه في ٩ ديسمبر سنة ١٨٨١ م وكتب الى القبائل بدعوهم الى الاعتقاد بدعوته والاخذ بناصره فامتدت الثورة في اغلب نواحي السودان

وفي مارس سنة ١٨٨٢ م أقبل رؤوف باشا فقام مقامه موفتاً جيكر باشا فانفذ يوسف باشا الشلالي لمحاربة المتمهدي فجنحت به السفينة عند كاوا فتركه رجاله وفرّوا فلما علم احمد المكاشف بذلك خرج برجاله على سنار ومديرها حسين بك شكري فدخلها وقتل بعض حاميتها وتجارها وحاصر المدير ورجالها في المديرية فبلغ ذلك جيكر باشا فارسل لانقاذهم ٥٠٠ جندي بقيادة صالح بك فجاءوا المدينة ودخلوها ورفعوا الحصار عن المديرية فتقهقر الدراويش الى كركوح وراء سنار فخرجت عليهم الجنود المصرية من ابي حراز ومعهم ٥٠٠ مقاتل من الشكرية بقيادة اميرهم عوض الكريم باشا ابي سن فلقبهم الدراويش في المسلية وارجعهم على اعقابهم بعد ان قتلوا منهم جمعاً كثيراً . فخرج جيكر باشا باشا على الدراويش بنفسه فغلبهم في ابي حراز وفي موقعة بالقرب من سنار ثم عاد الى الخرطوم . وكان قد وصلها عبد القادر باشا حكامداراً بدلاً عن رؤوف باشا في ١١ مايو سنة ١٨٨٢ م

وكان الشلاي باشا قد اعد حملة في كاوا للخروج على المهدي في جبل قدير فسار بجراً في ستة آلاف مقاتل حتى اتى فاشودة في مايو ومنها سار براً حتى دنا من العدو في ٧ يونيو ولكنه استخف بمهنته ولم يحسن التحصن فهاجمه المهدي واتبعه وكسره شراً كسرة واخذوا كل ما كان معه من المؤن والذخائر . وانتشر ذكر المهدي بعد هذا الانتصار ودخل الناس في دعوته افواجاً بعد ما رأوا ما ناله من النصر مع قلة من معه وكثرة عدوه

واهتم عبد القادر باشا بالامر واخذ في تحصين الخرطوم وفرض لمن يقتل الدراويش جنيتين عن كل درويش و ١٨ جنيتهاً عن كل امير . واخذ يجمع الجند حتى اجتمع لديه ١٢ الف مقاتل . كل هذا والمهدي لا يزال في جبل قدير لا يبدى حراكاً اما قواده فكانوا يسرون برجالهم يفتحون البلاد في جهات كوردفان . ثم سار المهدي برجاله الى الابيض عاصمة كوردفان وفيها محمد سعيد باشا . وهذا لما علم بقدم الدراويش جمع جنده من الجهات وحصن المدينة

وفي اوائل سبتمبر سنة ١٨٨٢ م اطلت مقدمة المهدي على الابيض ثم تكامل الجيش وهجم على المدينة فردتهم حاميتها خائبين بعد ان قتل من قواد المهدي عدد ليس بقليل . فعول المهدي من ذلك الوقت على المطاولة في الحصار حتى تسلم المدينة جوعاً . وكان كما اراد فانه حاصر المدينة من جميع جهاتها واخذت مراباه تفتح ما حولها حتى تم فتح كوردفان واخيراً اضطرت حامية الابيض الى التسليم من الجوع في ١٩ يناير سنة ١٨٨٣ م فدخلت كوردفان جميعها في حوزة الدراويش وغنموا منها شيئاً كثيراً . وبعد دخول المهدي الابيض قبض على محمد سعيد باشا وقتله

وكان عبد القادر باشا حكام الخرطوم قد سار بنفسه وجنده لقمع العصاة في جهات سنار فوشى به بعضهم في مصر فاستقدمته الحكومة اليها على حين غفلة وعينت مكانه تلاء الدين باشا الذي كان قبلاً في مصوع . وعمدت بقيادة الجند الذي كان في سنار الى حسين باشا وعزمت على ارسال حملة جديدة لاستخلاص الابيض من يد المهدي

وكان الكولونيل هيكس (هيكس باشا) الانكليزي قد جاء الى الخرطوم وبعد أن اقام بها مدة بلغه ان جيشاً من الدراويش من قبيلة البقارة بقيادة الامير احمد المكاشف



ش ٢٢ هيكس باشا

معسكره بالقرب من جزيرة ابا نفرج اليهم هيكس وحاربههم وقتل المكاشف رئيسهم وكثيرين من رجاله وفر الباقون . فلما علمت الحكومة المصرية بانتصار هيكس طمعت في استرجاع الابيض من يد المهدي وصممت على ارسال حملة لهذا الغرض بعد ان كانت تتردد في هذا الامر . وأوعزت الى علاء الدين باشا حاكم دار الخرطوم بجمع العساكر فكتب هيكس باشا الى الحكومة المصرية انه لا يتحمل تبعه هذه الحملة الا اذا كانت قيادتها له وحده فسميت له الحكومة بذلك . وبعد ان اتم اعداد الجنود اللازمة للحملة وجميع ادواتها خرجت من الخرطوم قاصدة الابيض وسلكت طريقاً وعراً حتى اخذ الجهد والتعب من الجنود مأخذاً عظيماً . وكان المهدي قد علم بخروج حملة هيكس لقتاله فاستعد لمقابلتها استعداداً تاماً . اما الحملة فسارت سيراً بطيئاً حتى وصلت عقيلة (ايجلاً) في ١١ اكتوبر سنة ١٨٨٣ م . وفي ١٤ منه وصلت بحيرة شر كلا ثم استمرت

في مسيرها وقبل ان تصل الى الرهد فرّ منها رجل الماني اسمه 'كلوتس' من صف الضابطان والتجأ الى الدراويش واخبر المهدي عن الضيق المحدث بالحملة وما هي فيه من اليأس فكانت خيانة هذا الالماني سبباً في هلاك هذه الحملة لان المهدي حمل بعساكره عليها وقد اضنى رجالها التعب فقتل هيكلس باشا وكل قواده وجنوده البالغ عددهم ١١ الفاً ولم ينج منهم الا نحو ٣٠ شخص فقط . اما كلوتس الالماني فاسلم وتسمى مصطفى وكان لهذا الانتصار الباهر الذي ناله المهدي ودراويشه رنة في جميع اقطار السودان وكان الضربة القاضية على البقية الباقية من نفوذ الحكومة المصرية فيه

وكان سلاتين بك (سلاتين باشا الآن) في ذلك الحين حاكماً دارفور وقد قامى مشقات جسيمة في مناوأة العصابة وتمردهم وكان يرجو الفرج على يد حملة هيكلس باشا فلما علم بفشلها لم يرَ بداً من التسليم فبعث الى المهدي بذلك وان يتفد اليه بعض افاربه لاسلم البلاد له فارسل اليه الامير محمد خالد ويكنى زقل اميراً على دارفور واوصاه بسلاتين خيراً فوصات الدراويش دارا ونهبوها . وجاء سلاتين مخفوراً الى الابيض وبايع المهدي واظهر الاسلام وسمى عبد القادر



ش ٢٣ سلاتين باشا

وفي هذه الاوقات بعينها كان عثمان دقنه ينشر دعوة محمد احمد المهدي في السودان الشرقي وكان السودانيون في تلك الجهات قد نبذوا طاعة الحكومة المصرية لسوء سيرة توفيق بك محافظ سواكن . فلما جاء عثمان دقنه بدعوة المهدي دخلوا جميعاً فيها فاشتد ازهر بهم فصار لناواة الحكومة في سواكن وضواحيها . فهاجموا سنكات في ٥ اغسطس سنة ١٨٨٣ م ولكنهم عادوا خاسرين فصاروا الى طوكر وحاصروها فارسالت الحكومة محمود طلما باشا قائد حامية السودان الشرقي لانهذا فباغته الدراويش وكسروه شر كسرة . وما زالت سنكات وطوكر محاصرتين تطلبان المدد فاعدت الحكومة المصرية في اوائل سنة ١٨٨٤ م حملة تحت قيادة باكر باشا سارت الى سواكن لفتح الطريق بين سواكن وبربر وطرده العصاة من البلاد الواقعة بينهما . فسارت ومعها نجدة من مصوع وكسلا فلاقاه الدراويش في التبة بغتة في ٢ فبراير فحاربوها وهزموها فعادت بخفي حنين . كل ذلك وحامية سنكات لا تزال محاصرة وفيها توفيق بك محافظ سواكن المتقدم ذكره وكان رجلاً شجاعاً مقداماً وقد اظهر في حصاره شجاعة غريبة خلدت له ذكراً مجيداً . وكان قد جاء سنكات عرضاً وحاميتهما لا تزيد عن ستين رجلاً وقد ضيق عثمان دقنه السبل عليهما وقطع المؤن عنها حتى كاد اهله ان يهلكوا . ولما رأى توفيق بك ان المؤن قد فقدت والجند جاءت واهل البلد ملت جمع اليه رجاله واهل سنكات وشاورهم في الامر وحشهم على الثبات وعلى ولاء الحكومة فقلوا له نحن على ما تريد . فقال لهم اذ قد نفذ زادنا والطريق مقطوع بيننا وبين المدد فلنخرج مستقنلين فاما ان نسير الى سواكن واما ان يلاقينا العدو فنُدافع عن انفسنا حتى الموت فخرجوا في اوائل فبراير سنة ١٨٨٤ م بعد ان هدموا الطوابي واخربوا المنازل وما ساروا ميلين حتى لاقاه عثمان دقنه برجاله وهاجمهم فقاتل توفيق بك حتى قتل شهيداً لامانة والشهادة ولم ينج من رجاله واهل القرية الا نفر قليلون . فلما رأت الحكومة المصرية ان الفتنة قد امتدت في جميع اطراف السودان وان ناموس المهدي قد تمكن من قلوب الاهالي حتى صار يصعب عليها

اعادة نفوذها مرة اخرى عوات بإشارة انكلترا على سحب جنودها من السودان وتركه للدراويش . واصدرت بذلك امراً بتاريخ ٨ يناير سنة ١٨٨٤م وانفذت الحكومة الانكليزية الجنرال غوردون باشا الى السودان للنظر في افضل الوسائل لسحب حامية السودان وسكانها من الافرنج وغيرهم

وبعد ان وصل غوردون باشا الى الخرطوم رأى امتداد سطوة المهدي امتداداً هائلاً ورأى ان سحب العساكر المصرية قبل سحق قوة هذا المتهدي مما ربما يطعم المهدي في مهاجمة الحدود المصرية فنصح الى الحكومة المصرية بان ترسل جيشاً لقمع ثورة المهدي حتى تأمن غوائله في المستقبل ثم تسحب عساكرها فيما بعد

وترددت الحكومة طويلاً في امر ارسال هذه الحملة فكاتب غوردون باشا الى دولته يطلب المدد وهي لم تفر على ارسالها حتى كانت جنود المهدي قد حاصرت الخرطوم وضيقت عليها واحاطت بها احاطت السوار بالمعصم وقل الزاد بين اهلها وجاعوا وغوردون باشا يصبرهم ويعدم بقرب وصول الحملة الانكليزية لانقاذهم . ولكنها تأخرت كثيراً فمسل الناس الانتظار واشتد الجوع حتى اكوا لحوم القطط والكلاب ومضغوا سمف الفخل وجذور الذرة

اما الحملة الانكليزية التي اقرروا على ارسالها لانقاذ غوردون فبرحت مصر في اوائل الخريف وعدد رجالها ستة الاف من نخبة الجند الانكليزي واكثر قوادها من الاشراف لان الانكليز قد سبقوا الى الانتظام في سلك هذه الحملة لزعيم انها عبارة عن فسحة على النيل فلم يصل من رجالها الى كورتى الا بعضهم وتفرق الباقون في نقط خط الاتصال . ومن كورتى سارت حملة في عظمور صحراء بيوضة الى المئمة بقيادة اترال ستيوارث والقصد بها سرعة الوصول الى الخرطوم وسارت حملة اخرى على النيل الى بربر بقيادة الجنرال أرل قطعت الحملة جيكدول قابا طليح فلاقاها العرب على الآبار

فحصلت بين الفريقين واقعة شفت عن انهزام الدراويش فنتقمهم الانكليز الى المئمة وهالك حصلت واقعة اخرى انهزم بها الدراويش ايضا وعادوا على اعقابهم وقبيل هذه الواقعة اصيب الجنرال -توارت برصاصة كانت القاضية عليه واحيت القيادة الى السير شاراس ولسن . فنزلت المجنود الانكليزية على ضفاف النيل في مساء ١٨ يناير سنة ١٨٨٥ م وكان غوردون باشا قد انفذ اليهم ارمع بواخر كانت في مياه الخرطوم يستعينون بها في الوصول اليه وبعث يقول لهم اذا لم تصلوا اليها في بضعة ايام ذهبا هباء مشورا . فعاد السير شاراس المئمة في ٢٤ يناير سنة ١٨٨٥ م على باخرتين ولكنه لم يصل الخرطوم الا في ٢٨ منه وكانت قد سقطت وقتل غوردون باشا في ٢٦ منه فعاد السير شاراس كاسف البال ولم يصل المئمة الا بعد شق الانفس



(ش ٢٤) غوردون باشا

اما كيفية محاصرة المهدي للخرطوم وسقوطها فعلى ما يأتي . لما انتصر المهدي على حملة هيكس باشا انتقل الى الزهد في أواسط أبريل سنة ١٨٨٤ م ومن هناك ارسل الشيخ محمد المخير الى بربر فافتتحها وارسل مديرها حسين باشا خليفة أسيرا اليه معسكر المهدي في كوردفان . وأقام محمد احمد المهدي في مكانه بالزهد حتى حتى انقضاء رمضان من السنة فقال لاتباعه أنه أوحى اليه في الرؤيا (المحضرة) ان ينزل لمحاصرة الخرطوم . ثم جمع رجاله وزحف بهم من الزهد في ٢٢ أغسطس سنة ١٨٨٤ م فوصلوا الى جوار الخرطوم في أواسط أكتوبر من السنة فمكروا على مسافة يوم منها . ومن هناك أمر المهدي لالين (عبد القادر) بكتابة رسالة الى غوردون باشا بمنى المسلم . فكتب اليه سلاتين تقريراً مطولاً بالتمردية وارسله المهدي مع أحد أتباعه (ظناً منه انه كتب حسب مقصده) ولكن لما عاد الرسول بجواب مقتضب لم يشف غليلاً ارتاب المهدي بنية سلاتين وشكك بالحديد

ثم تقدم الى الخرطوم وحاصرها وضيق عليها تضيقاً شديداً . ثم علم بقدم حملة انكليزية لانتقاذ الخرطوم واخراج غوردون منها فاستحث رجاله على الهجوم وحضهم على الاستماتة في سبيل الجهاد فهجموا في صباح ٢٦ يناير سنة ١٨٨٥ م الساعة واحدة ونصف بعد نصف الليل ودخلوا السور من ثنوب كانت فيه من جهة البحر . وكان قائد الحراس يدعي فرج باشا فلما رأى الدراويش اقتحموا المدينة فتح لهم الابواب وادخلهم منها . فنهال الدراويش على المدينة كالصواعق وامغنوا في الاهالي المساكين قتلاً ونهباً ولم يبقوا ولم يذروا . وسار بضعة منهم الى السراي حيث يقم غوردون باشا وكان قد يش من قدوم الحملة وبات تلك الليلة حوالى نصف الليل ولم يغمض جفنه حتى سمع اطلاق النار قصد الى سطح السراي واشرف على الاسوار فرأى الدراويش قد دخلوا السور ولم يعد باليد حيلة . فلبس ثيابه وتقلد سلاحه وهم بالنزول فلاقاه ثلاثة من الدراويش عند أعلى السلم فسأل اولهم قائلاً : اين سيدك المهدي : فاجابه بطعنة قاضية وضربه اخر بالسيف فخر قتيلاً لم يبد دفاعاً . ثم قدم ولد النجوني ورأي غوردون قتيلاً فساد قتله ولكنه

امرهم بجر جسثه الى ساحة السراي وأن يقطع رأسه ويحمل الى المهدي الذي كان مقبياً في ام درمان . فحملوه اليه في منديل كبير في الساعة الاولى من النهار فظهر كدره لمنزل غوردون باشا كثيراً . هكذا سقطت الخرطوم عاصمة السودان في ايدي الدراويش ولم يتخذها المهدي عاصمةً ولكنه بل جعل عاصمته ام درمان اما الحملة الانكليزية فانها انسحبت من التمة الى كورتى فاقامت هناك مدة ثم عادت الى دنقلة فمصر وسحبت معها كل من اراد مرافقتها من سكان السودان شمالي كورتى . وخلص السودان للمهدي من ذلك الحين . وازدادت ثقة السودانيين بالمهدي بعد هذا الفتح المبين وازداد هو اعجاباً بنفسه وكثيراً ما صرح انه لن يموت حتى يفتح الحرمين وبيت المقدس ثم ينزل الكوفة ويموت فيها ولكن سأفأله فانه لم يكذب يوماً يد سلطانه و يقيم في عاصمة ام درمان بضعة اشهر حتى داهمته الوفاة في ٢١ يونيو سنة ١٨٨٥ م على اثر اصابة شديدة بالحصى التيفوس . وكان لموته ضجة عظيمة بين السودانيين ولكنهم لم يبكوا عليه اذا أوعز اليهم ان البكاء والندب على المهدي حرام ففسلوا جسثه ولفوها بالا كفان واحنقروا لها حفرة في ذات الغرفة التي توفي فيها ودفنوها وجعلوا فوقها بعد ذلك مقاماً سموه . قبة المهدي . وقام بامر الدولة بعده عبد الله التعايشي بعده منه

٨٧٢ - عبد الله التعايشي

من سنة ١٣٠٢ - ١٣١٨ هـ او من ١٨٨٥ - ١٩٠٠ م

هو السيد عبد بن السيد محمد النقي ويتصل نسبه بعشيرة الحبيرات من قبيلة التعايشة والتعايشة من قبائل البنائرة . والبقارة اسم يطلق على القبائل القاطنة غربي النيل الابيض وهم بدوا كثر اشتغالهم برعاية البقر والخمسة وتجارة الرقيق . ويقوم التعايشة في الغرب الجنوبي من دارفور

وكان السيد محمد النقي (والد عبد الله) مشهوراً في قبيلته بالثقوى والكرامة والاستقامة وقد ولد له اربعة اولاد ذكور واثني وهم عبد الله ويعقوب ويوسف ومهاني

وفاطمة . وكان عبد الله ويوسف اقلهم ميلاً الى العلم فلم يحفظا القرآن الا بعد الجهد
الجهيد وكثرة المزاولة وكانا اكثر ميلاً الى الخفاصة (اقتناص العبيد) . اما يعقوب
ومماني فكانا اقرب الى الهدى والسكينة فحفظا القرآن سريعاً ولازما اباهما يساعداً في
صلاته وسائر اعماله



ش ٢٥ عبد الله التمايشي

وانفق في اثناء حرب الزبير باشا لدار فور ان عائلة السيد التقي هذا كانت في جملة
القائمين على الزبير فوقع عبد الله اسيراً في بعض المواقع واراد الزبير قتله فتوسط بعض
العلماء في العفو عنه فأبقى عليه . فلما فتحت دار فور نزح التقي وعائلته من وطنهم الى
شكا وبعد ان اقاموا فيها سنتين ساروا الى دار الحر فالابيض فدار القمر ونزلوا اضيافاً
على شيخه عساكر ابي كلام بضعة اشهر وهناك توفي السيد محمد التقي ودُفن في شركة .
وقبل مماته اوصى عبد الله ابنه الاكبر ان يلزم بعض مشايخ الدين في وادي النيل
مدة ثم يهاجر الى مكة فيقيم فيها ولا يعود الى السودان . فترك عبد الله اخوته عند
الشيخ عساكر وسار قاصداً وادي النيل فسمع في اثناء طريقه بمحمد احمد المنتهدي
وما يتحدث به الناس من كرامته فذهب اليه وبايعه واتحد معه وكان ساعده اليمين
في جميع حروبه ومغازيه ولحب المهدي بعبد الله التمايشي عهد اليه بولاية العهد من

بعده . فلما توفي المهدي في التاريخ المتقدم اجتمع الدراويش وابعوا لعبد الله التمايشي واستنقر امره . ثم ثار عليه بعض الطامعين في الملك ولكنه تمكن من قهر اعدائه . ثم ابتداءً يفكر في توسيع تخوم مملكته

واتفق في هذه الاثناء ان تمدي بعض السودانيين على الاحباش في بلاد الحبشة واخرى بواكنيسة والتجأ المتمدون الى قلابات وهي في بلاد الدراويش مما يلي حدود الحبشة فحماهم حاكم المدينة فجاء الاحباش بجند كبير تحت قيادة الراس عادل واخرى بواكنيسة واحرقوها حتى صارت قاعاً صاففاً . فبلغ عبدالله التمايشي ذلك فاغناط جداً وكتب الى يوحنا نجاشي الحبشة في ذلك الوقت ان يطلق الاسرى ويعين الفدية التي يردها عنهم . ومع ذلك لم ينتظر حتى ياتي به جواب النجاشي بل ارسل جيشاً بقيادة ابي عنقر للاغارة على بلاد الاحباش . فسار ابو عنقر بجيشه وحارب رأس عادل وهزمه وأسر امرأة رأس عادل وابنته وتقدم الى عنقر واحرقها ثم كر راجعاً سائفاً امامه جيشاً عظيماً من الاسرى معظمهم من النساء والاطفال ولم يصل الى قلابات حتى كان قد مات من هولاء المساكين عدد كبير بينهم ابنة عادل وابنته . وعلم التمايشي ان الاحباش لا يسكتون عن الانتقام فأوعز الى ابي عنقر بتحصين قلابات لكن المنية عاجلت ابا عنقر قبل اتمام ما يريد وبعد قليل جند النجاشي يوحنا ملك الحبشة جيشاً كثيفاً للانتقام من الدراويش على خراب عنقر فحمل على قلابات وكانت جنود ابي عنقر لا تزال هناك ولم تفقد الا قائدها فتأهبوا للدفاع . فوصل النجاشي وعسكر بالقرب من قلابات وقسم جنده فرقتين هاجمت المدينة من ناحيتين فدخات احدهما المدينة من اثلام في السور واشتغلت بالنهب والقتل وبقيت الاخرى تهاجم السور من الخارج وفيها النجاشي نفسه واقفاً يستحث رجاله ويحرضهم على القتال فاصابته رصاصة قتله فبعد ان كان النصر للاحباش عادت العائدة عليهم فخافوا وتقهقروا في اثناء الليل . فاصبح الدراويش وهم يحسبون لهجمة الاحباش الف حساب فاذا بالارض خالية من الخيم فبمشوا الجواسيس فعملوا ان النجاشي قتل فتمت بهم . وكان

الاحباش قد عسكروا على مسافة نصف يوم من قلابات فباغتهم الدراويش ففروا وتركو المعسكر غنيمة باردة للدراويش فرجدوا في جملة الغنائم تاج النجاشي يوحنا مصنوعاً من النضة ومجلى بالذهب وسيفه وكتائباً مرسلات اليه من جلاله الملائكة فكنهور يا ملائكة الانكليز فحملوا ذلك الى ام درمان

ومن اغرب اوامر التعايشي عزمه على فتح مصر وضمها الى سلطنته فانه حالما جلس على عرش ام درمان ارسل كتاباً الى جلاله السلطان وآخر الى سمو الخديوي (المرحوم توفيق باشا) وآخر الى ملكة الانكليز يطالب اليهم جميعاً ان يذعنوا لسلطانه ويخطبوا له على اعمالهم وارسل الكتب مع رسل خصوصيين الى مصر فعاد الرسل ولم ينالوا جواباً غير الاحتقار والازدراء فشق ذلك على التعايشي وحقد عليهم

فلما انتصر على النجاشي كما تقدم تمت همته لافنتاح مصر واستشار ارباب شوره في هذا الامر فحسبوا له فتحها وشوقوا اليه سكنها ووصفوا له قصورها وغيابها واموالها ونساءها فتاقت نفس التعايشي الى فتحها وجمع جيشاً من قبائل الجمالين والاناقلة وغيرهم من جاوروا حدود مصر العليا وارسلهم بقيادة اشهر قواده عبد الرحمن ولد النجومي . فصار هذا يجيشه الى دنقلة سنة ١٨٨٩ م وجعلها قاعدة لاعماله الحربية . ثم ارسل التعايشي كتاباً آخر الى مصر وفيه الانذار الاخير فبقي الرسل مدة في اصوان ثم أعيدوا بلا جواب فبعث التعايشي رأس النجاشي يوحنا الى امير دنقلة على ان يرسله الى وادي حلفا تهديداً للمصريين وامر ولد النجومي ان يسير بمحملته الى مصر فلا يحرك ساكناً في حلفا بل يتقدم الى اصوان ويهاجمها فاذا فتحها يقيم فيها حتى تأتبه اوامر أخرى . فخرج ولد النجومي من دنقلة في شهر مايو سنة ١٨٨٩ م قاصداً بلاد الفراعنة ولم تكن الحكومة المصرية غافلة عن حركاته بل كانت عالمة بكل حركة من حله وترحاله وكان سردار الجيش المصري اذ ذاك الجنرال غرانفل باشا فحضر حلفا واصوان وسائر الحدود فلما دنت حملة الدراويش من ارجين بجوار حلفا تقدمت شزيمة منهم بدون علم ولد النجومي فخرجت اليها الحامية المصرية بقيادة وود هاوس باشا وكسرتها شر كسرة وكان غرانفل باشا قد خرج من اصوان فبعث الى ولد النجومي يبين له خطر مرقفه وينصح له ان يسلم فيسلم فإني . فسار السردار بجيش معظمه على البر الغربي للنيل

وبعضه على البر الشرقي فحصلت بينهم وبين الدراويش مناوشات ليست بذات بال حتى وصلوا الى نوشكي (نوشكي قرية صغيرة على البر الشرقي وبعضها على البر الغربي للنيل بين كروسكو وحلفا على بضعة اميال من هبكل ابي سمبل شمالاً) فعسكر السردار في هذه القرية

وفي صباح ٣ اغسطس سنة ١٨٨٩ م ارسل السردار طلائعه باكر الاستكشاف معسكر العدو فعادوا واخبروا بان العرب يستعدون للمسير فخرج السردار بنفسه ليستكشف الحقيقة فلم يكذب يشرف على معسكرهم حتى رآهم هاجمين كالجراد المنتشر . فبعث الى الجند في نوشكي وكان بعضهم لم يتناول طعاماً ولا تهيأ للمسير ومع ذلك ساروا باسرع من لمح البصر وحملوا على الدراويش حملة شنتت شملهم وفرت جوعهم شذرمذر . وبلغ عدد قتلى الدراويش ١٢٠٠ قتيل وزاد عدد امراهم على اربعة آلاف ولم يقتل من الجيش المصري الا ٢٥ وجرح ١٤٠ . وفي هذه الواقعة قتل عبد الرحمن ولد النجمي قائد الحملة وكثيرون من امراء الدراويش

فكان ذلك النصر نصراً مبيناً سر به المغفور له الخديو السابق توفيق باشا فبعث الى السردار يهنئه به لعلمه انه امثلة عمت النعاشي مالم يكن يعلم . اما الذين قتلوا من الجنود المصرية فابتنوا لهم مقاماً قرب مكان الواقعة ضموهم اليه وبنوا فوقه قبراً نقشوا فوقه باللغة العربية تاريخ الواقعة وسببها

وبعيد الواقعة سار الخديو المغفور له توفيق باشا في بعض رجال معينه لتنفذ احوال الحدود فركب الى مكان تلك الواقعة ووقف امام قبر شهدائها يتأمل ما اظهره جنده من البسالة في ذلث القتال

اما الدراويش بام درمان فحزنوا جداً لهذه الهزيمة وصغرت نفوسهم . ولم يكادوا يتخلصون من عواقب تلك الكسرة حتى دهمهم قحط عظيم حتى اضطر الاهالي الى اكل الميتة ولم يتركوا شيئاً لم يأكلوه الا التراب

وتراكت البلايا على عبد الله النعاشي فلم ينج من ذلك النحط العظيم حتى اكتشف مؤامرة اعداها ابنه المهدي محمد احمد لاغتياله ولكنه تمكن من التغلب عليهم والزامهم الى طاعة اوامره

ثم توالى النحوس على مملكته فجندت الحكومتان الانكليزية والمصرية حملة سنة ١٨٩٦ م ارسلتها بقيادة الجنرال كتنر باشا (الورد كتنر) لفتح السودان فسارت



ش ٢٦ محمد توفيق باشا امام مدافن واقمة توشكي

هذه الحملة ولم نزل تفتح مدائن السودان مذبذبة مدينة ومقاطعة مقاطعة حتى فتحت
ام درمان سنة ١٨٩٨ م وفرّ التمايشي ورجاله الى جبال كوردفان فتعقبه الجيش
الانكليزي المصري حتى ظفربه سنة ١٩٠٠ م وقتله وبموته انقرضت دولة الدراويش
والملك لله يؤتية من يشاء وهو العزيز الحكيم

تم الجزء الثالث من كتاب تاريخ دول الاسلام

وبه تم الكتاب

والحمد لله في المبداء والختام



ورجائي من المطلعين عليه ان يسبلوا ذيل المعذرة على ما

فيه من الخطأ والغلط لان العصمة

لله وحده

فصل من الى	الجزء الاول	الكتاب	فصل من الى	الجزء الاول	الكتاب
٣٣٩ ٣٣٦	الجزء الثاني	دولة ابن الانطس	١	الجزء الاول	تاريخ العرب
٣٤٣ ٣٤٠	»	الدولة الجهورية	٢	»	« قبل الاسلام »
٣٤٧ ٣٤٤	»	دولة بني ذى النون	٣	»	جغرافية بلاد العرب
٢٨٢ ٢٧٥	»	المرابطين	٤	»	اصل العرب وبعض صفاتهم
٤٣٤ ٤٢٢	»	الموحدين	٥	»	ملوك العرب قبل الاسلام
٥٦٤ ٥٥١	الجزء الثالث	الدولة النصرية	٦	»	تاريخ النبي صلعم
		تاريخ مراکش	٧	»	تاريخ الخلفاء
١٢	الجزء الاول	الفتح	٨	»	الخلفاء الراشدون
١٠٠ ٩٠	»	الدولة الادريسية الاولى	٩	»	بنو امية
١٦٥ ١٦٣	»	المكناسية	١٠	»	الخلفاء العباسيون
١٩٨ ١٩٥	»	الادريسية الثانية	١١	»	تاريخ الاندلس
٢٦٧ ٢٦٠	الجزء الثاني	المغراوية	١٢	»	الفتح
٢٨٣ ٢٧٥	»	المرابطة	١٣	»	الدولة الاموية
٤٣٤ ٤٢٢	»	دولة الموحدين	١٤	»	» الزيرية
٥٤٩ ٥٢٢	»	الدولة المملوكية	١٥	»	» الحمودية
٦٧٢ ٦٦٧	الجزء الثالث	الوطاسية	١٦	»	» الهودية
٦٩٩ ٦٨٤	»	السعدية	١٧	»	» العامرية
٧٢١ ٧٠٠	»	الفيلاية	١٨	»	» العبادية
		تاريخ الجزائر	١٩	»	

فصل من الى	اجزاء الكتاب	فصل من الى	اجزاء الكتاب
٤٧١٤٦٠	الجزء الثاني	١٢	الفتح
٦٣٠٥٧٥	الجزء الثالث	١١٢١٠١	الدولة الاغلبية
٧٧٢٧٦٥	»	٢٥٣٢٤٥	» الصنهاجية
		٢٨٣٢٧٥	» المرابطية
		٤٣٤٤٢٢	» دولة الموحدين
		٥٧٤٥٦٥	» دولة الزيانية
٦	الجزء الاول		تاريخ تونس
٦٨ ٥	»	١٢	الفتح
١٣٥١٣٠	»	١١٢١٠١	الدولة الاغلبية
١٩٤١٨٩	»	٢٥٣٢٤٥	» الصنهاجية
١٦٢١٤٨	»	٢٨٣٢٧٥	» المرابطية
٣٣١٣٢٢	الجزء الثاني	٤٣٤٤٢٢	» دولة الموحدين
٣٩١٣٨٠	»	٥٢١٤٩١	» الحفصيين
٤٤٤٤٣٥	»	٧٤١٧٢٧	الدولة الحسينية
٤٧١٤٦٠	»		تاريخ صقلية
٦٣٠٥٧٥	الجزء الثالث	١٠٤	الفتح
٦٦٦٦٣١	»	١١٢١٠١	الدولة الاغلبية
		١٦٢١٤٨	» الفاطمية
		٢١٥٢٠٥	» النكبية
			تاريخ مصر
		٦	الفتح
		١٣٥١٣٠	الدولة الطولونية
		١٩٤١٨٩	» الاخشيدية
		١٦٢١٤٨	» الفاطمية

لدولة الابوية

دولة الماليك

لدولة الحمادية العلوية

تاريخ سورية

الفتح

الخلفاء

الدولة الطولونية

» الاخشيدية

» الفاطمية

» المرادية

» البورية

» الزنكية

» الابوية

دولة الماليك

الدولة العلوية العثمانية

تاريخ اسيا

» الصغرى وارمنية

الفتح

الخلفاء

الدولة المروانية

» السلجوقية

» الارنقية

دولة الشاهات

الدولة الابوية

فصل من الى	اجزاء الكتاب	فصل من الى	اجزاء الكتاب
٧٤٢	الجزء الثالث	٤٩٠ ٤٧٢	الجزء الثاني
٧٥٨ ٧٥٢	»	٦٦٦ ٦٣١	الجزء الثالث
٧٦٤ ٧٥٩	»	٦٦٦ ٦٣١	»
تاريخ افغانستان		تاريخ الدولة	
الفتح		«العلية العثمانية»	
الجزء الاول		تاريخ ايران	
٦ ٥	»	الفتح	
٦٨ ٥	»	الخلافة	
٢٤٤ ٢٢٩	الجزء الثاني	٦ ٥	الجزء الاول
٤٥٩ ٤٥٢	»	٦٨ ٥	»
٤٥١ ٤٤٥	»	١٨ ١١٣	»
٤٩٠ ٤٧٢	»	١٢٣ ١١٩	»
٦٨٣ ٦٧٣	الجزء الثالث	١٢٩ ١٢٤	»
٧٢٦ ٧٢٢	»	١٤٧ ١٣٦	»
٧٥١ ٧٤٣	»	١٧٢ ١٦٦	»
٧٧٩ ٧٧٣	»	١٨٨ ١٧٣	»
الحروب الصليبية		٢٠٤ ١٩٩	»
٩٠٦ ٥٤	الجزء الاول	٢٢٣ ٢١٦	»
٤٧١	» الثاني	٢٢٨ ٢٢٤	»
٦٣٠	» الثالث	٢٤٤ ٢٢٩	الجزء الثاني
الدراويز		٢٧٤ ٢٦٨	»
« بالسودان »		٢٩٢ ٢٨٤	»
٧٨٢ ٧٨٠	بالجزء الثالث	٣٦٢ ٣٤٨	»
		٤٥١ ٤٤٥	»
		٤٩٠ ٤٧٢	»
		٦٨٣ ٦٧٣	الجزء الثالث
		٧٢٦ ٧٢٢	»
			دولة النور
			الدولة الصفوية
			« الفلجائية

✽ القمص ✽ في رواية تاريخية غرامية وضعها بالفرنساوية الهبوت دارسور ونفها الى العربية نسب المفعولاني . واسمها بدل على ما احتوت عليه من الحوادث الغريبة التي تمثل النعاسة للعبان احسن تمثيل ناهيك بما يتخلل ذلك من الفكاكة التاريخية الغرامية التي تشوق المطالعة عدد صفحاتها ١٧٣ صفحة كبيرة منها ٨ فروس صاغ او فريكان و ١٠ ستيب واجرة البريد فرشان صاغ او نصف فريكان ✽ نوبار باشا وما تم على يد ✽ تأليف نجيب مخلوف . من اراد الحصول على اصدق تاريخ للحوادث المصرية وما كان يظلمها من المطامع الدولية والمشروعات الممسة والآراء السياسية الصادرة عن كبار القوم من عهد افندي محمد علي باشا الى اليوم مع تفاصيل لم ترد في تاريخ عربي بعد فعليه ان يطلب تاريخ نو اذا الذي ظهر حديثاً مزينا بالرسم الجميلة المطبوعة على ورق جيد مثقنة الصنع البالغ عددها ٢٢٢ صفحة و عدد صفحاته ٢٢٢ صفحة غير الرسوم المطبوعة . بورق جيد على حدة . ثمة (مجلد ١) عشرة غروش صاغ ا. فريكان ونصف واجرة البريد فرشان او نصف فريكان

✽ العاشقة المتكئة ✽ تأليف اسكندر دumas واعريب نجيب الحداد . وفي تمثيل على ما واق لفظاً ومعنى من الحوادث الغرامية التي تنزع بالقارىء الى عالم الشوق وتميل الى لغة المطالعة . منها عشرة غروش صاغ واجرة البريد غرش واحد

✽ مرآة العصر ✽ كتاب حوى سير مشاهير القوم بمصر في العصر الحالي وما لهم من المآثر الابدية التي يفتخر بها كل ذي نفس شريفة لانها تكون قدوة لغيرهم مع ما يتخلل ذلك من الرسوم . عدد صفحاته ٦٤ صفحة وثمة مجلداً ٥١ غرشاً صاغاً واجرة البريد ٤ غروش صاغ

✽ تذكار الصبا ✽ لتأليف الطبيب الذكر والاثرا المرحوم الشيخ نجيب الحداد هو ديوان عصري يفرح بين غزوبة الالفاظ ورفقة المعاني وفي شهره ناطق ما يعني عن الوصف وهو مطبوع طبعة جديدة جميلة وثمة ٦ غروش صاغ واجرة البريد غرش ونصف صاغ

✽ ميت يتكلم ✽ (قول العرب) رواية ميت يتكلم من الروايات القليلة التي تمتعت بالانتشار واحرزت رضى جمهور القراء فانها طبعت طبعة أولى منذ ست سنين فلم تنتقص سنة بعد ذلك حتى نفذت نسخها وكثر عدد الراغبين في اقتنائها غير ان الموانع حالت وتثقلت دون اعادة طبعها . اما مغزاها فهو ان الحكام قد يخطئون وتنفذ احكامهم ظلماً اذا اخذوا بظواهر الامور واغفلوا بواطنها الخفية فكمن من بريء اودع غيابة السجين لاشتباه القضاة في امره واجتماع الدلائل والبيئات الظاهرة على الصاق الجريمة به ثم تكشف ظلامته فاهتدى القضاة الى ضلالتهم وخرج من سجنه طاهر الجيب مبرئاً من كل عيب وصدق فيه قول الشاعر
غيري جنى وانا المعذب فيكم
فكأنني سبابة المتنم

وتنطبق على مغزى هذه الرواية الآية الانجيلية القائلة : « ما من خفي الا سيظهر » وهي حكمة تردع محاول الجريمة في الخفاء وتندره بالافتضاح وان ضرب الزمان حجاباً على ذنبه
وقد ساكت في تعريضها مسلك كتاب العرب على الرغم من شوائب الحقيقة في مجردتها من شوائب الجمجمة وأليستها حلة عربية قشبية وحرصت على معانيها الاصلية حرص الثقة الامين على الوديعة باذلاً في ذلك ما وصل اليه جهدي وما اتسع له وقتي وحسي من القراء الكرام اقبالهم على ما كتبت . فذلك خير ما يكافأ به الكاتب في كل بلاد

وهذا الكتب تطلب من مكتبة الملل بالعمالة بمصر ونخصم للمكاتب والمدارس فقط ٢٠ في المئة

✽ اهدى السيد ✽ تأليف الياس الخطون الياس . سر السب على هذا الكتاب حتى نفذت طبعته الاولى والثانية في مدة وجيزة فطبع ثالثة على ورق جميل وبأحرف راقية جليلة واضيف اليوزيادات كثيرة . وهو مفيد لكل طلاب اللغة الانكليزية اذ يتضمن ما يجب معرفته من مفردات وجمل وقواعد متنوعة وصور خطابات وغيره . ولا تمام الفائدة وضع المؤلف امام الكلمات الانكليزية لفظها بالعربية مصموماً بمحركات خصوصية على ادلوب جديد بسيط يسهل معه ضبط انطق الكلمات بدون احتياج الى مرشد وقد اتيها غلة على أصح عشرة غروش صاغ واجرة البريد سريش ونصف وهو يطلب من مؤنثي ومن مكتبة الهلال بأول شارع البجالة بمصر ومن جميع المكتبات الشهيرة بالقطر المصري

✽ سقوط نابليون الثالث ✽ رواية تاريخية اجتماعية ادبية غرامية مصرية (مصريها) تدور في ارض مصر ادارتي الاهرام والبراميد وشهرة هذا المغرب نفى عن الاطباء بل حوادث نابليون في غنى عن الشرح وقد جعلها في ٢ اجزاء كسيرة الاول منها عدد صفحاته ٢١٢ + نسخة والثاني كذلك والثالث ٢٦٠ صفحة بحجم كبير وورق جيد وطبع متنقذ وقد أحسن وأصح هذه الرواية بانه نجاشي بها كلمة تشتم منه رائحة التهنك والخورن فهي اذا مكتوبة لكل فارسي وقارئة وتفن كل جرد عشرة غروش صاغ واسر بد غرشان ✽ نوادر الكرام في الجاهلية والاسلام ✽ وهو من النوادر التي في رياض انس زاهر بالبرامكة حافل بامل الجود والكرم نارة بجانس الفضل من يحيى وهو في حالة من البرامكة تخدق بهرون الرشيد وغيره من الوزراء والامراء وطوراً بجانس من بن زائد وهو على كسرى الامارة يلاطف الزائر بمراسم ويد للغير يد المذاعف بطرف ثناء الحضان بادبانه الوداعة في مجلس السطراة هو الذي يستولي القبر احساناً . ثم يثني فوري حاتم الطائي وهو مريب النوى والانس والانس في كسرى السؤل . الى غير ذلك من نوادر أهل الجود والسخاء الذين تذاذب اعدائهم واستبشروا في السدي شومهم . ثمة ٥ غروش صاغ ومجلد ١ لا غروش واجرة الوسطة غرش واحد

✽ نوادر العشاق ✽ يستدل على ما راق ذكر من نوادر الملوك والخلفاء والامراء والعظامه وبني عدرة وبني عس والشمراء وغيرهم . مع ذكر ما ورد على السنة الضرفاء من النوادر الغامضة والسبايات الراقية انظرية المزدانة من فرائد شعار بما يحكي رقة السؤل . وقد جمع بين اللذة والتكافة والمنازع بعارة رشيقة وموجزة ٥ غروش صاغ واجرة الوسطة غرش واحد

✽ الدنيا في باريس ✽ تأليف عزتلو احمد بك زكي مكرتير الذي مجلس السطار حواسم ام وايدع كتاب عن المعرض العام الذي اقيم في باريس سنة ١٩٠٠ ومواشهر من ان يذكر وقد وصف المؤلف فيو المعرض بكليات وجزيئات وصفا دقيقاً يحول للقارى انه حاضر فيو يرى كما الكتاب ويشعر كدهوره والكتاب كبير الحجم يبلغ عدد صفحاته ٣٠٠ صفحة وفيو الرسوم الجميلة والمناظر البديعة للمعرض ما يفسر عنه الوصف فمن الكتاب ١٥ غرشاً مصرياً واجرة البريد غرشان ونصف والكتاب يطلب من مكتبة الهلال بمصر وباقي المكتبات الشهيرة

✽ مقتنيات الشيخ نجيب الهداد ✽ وفيها زبدة ما خطه براع ذلك الكتاب من المقالات التي تنهادي بين عذوبة الاناظر ودقة المعاني وقد جمعت في ذلك الكتاب بعد ما كادت ان تلعب بها ايدي الفنان

ثمة ٥ غروش صاغ واجرة البريد غرش ونصف

وهذه الكتب تطلب من مكتبة الهلال بالبحالة بمصر وتخصم للمكتبات والمدارس فقط ٢٠ في المئة

